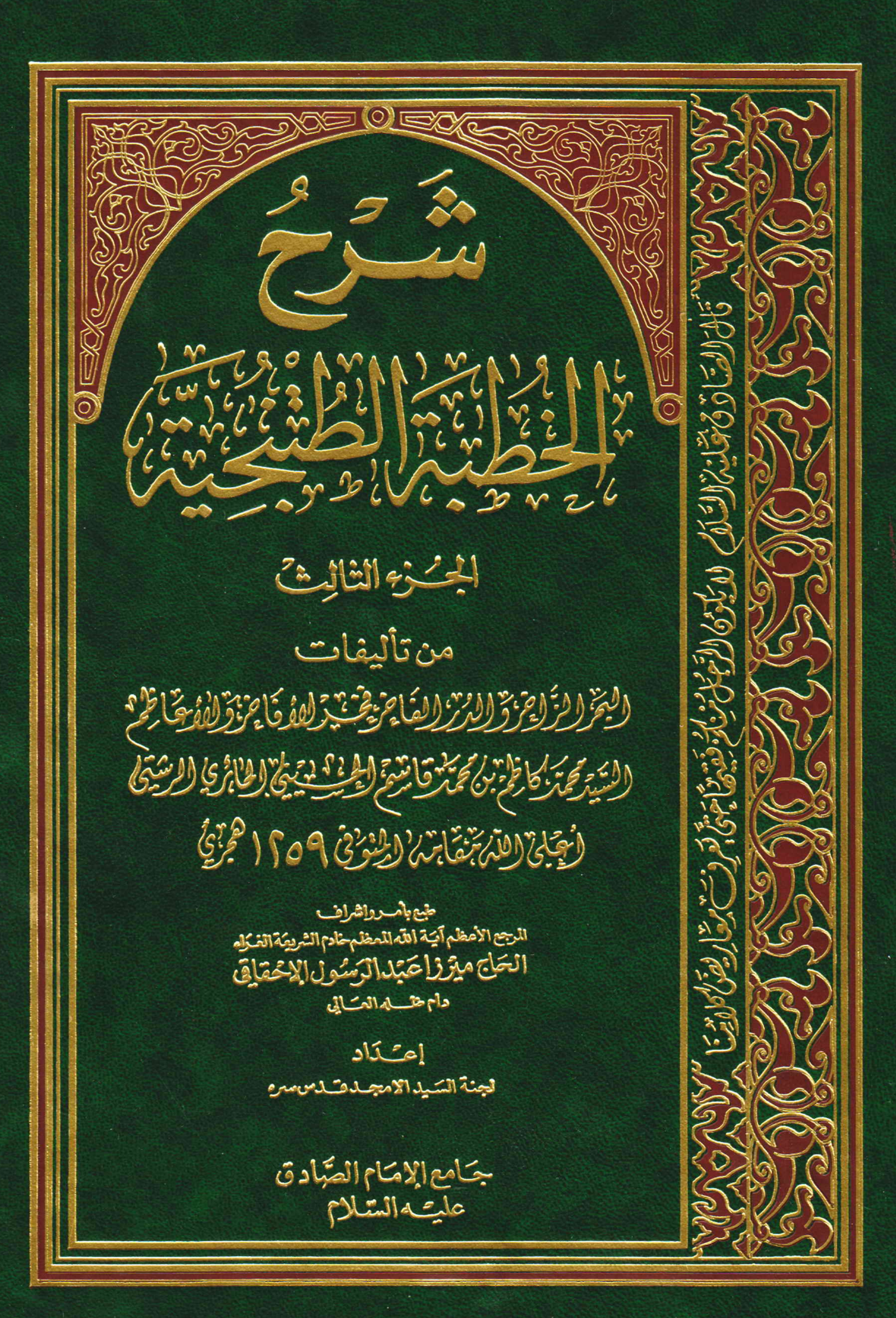


شرح
الخطبة الطتنجية
الجزء الثالث
من تأليفات
البحر الزاخر والدر الفاخر فخر الأفاخر والأعاظم
السيد محمد كاظم بن محمد قاسم الحسيني الحائري الرشتي
أعلى الله مقامه المتوفى ١٢٥٩ هجري
طبع بأمر وإشراف
المرجع الأعظم آية الله المعظم خادم الشريعة الغراء
الحاج ميرزا عبد الرسول الإحقاقي
دام ظله العالي
إعداد
لجنة السيد الامجد قدس سره
جامع الإمام الصادق
عليه السلام

شرح الخطبة الطتنجية

الجزء الثالث

من تأليفات

البحر الزاخر والدر الفاخر فخر الأفاخر والأعاظم

السيد محمد كاظم بن محمد قاسم الحسيني الحائري الرشتي

أعلى الله مقامه المتوفى ١٢٥٩ هجري

إعداد

لجنة السيد الامجد قدس سره

لإحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد الإحسائي

أعلى الله مقامه

طبع بأمر وإشراف

المرجع الأعظم آية الله المعظم خادم الشريعة الغراء

الحاج ميرزا عبد الرسول الإحقاقي

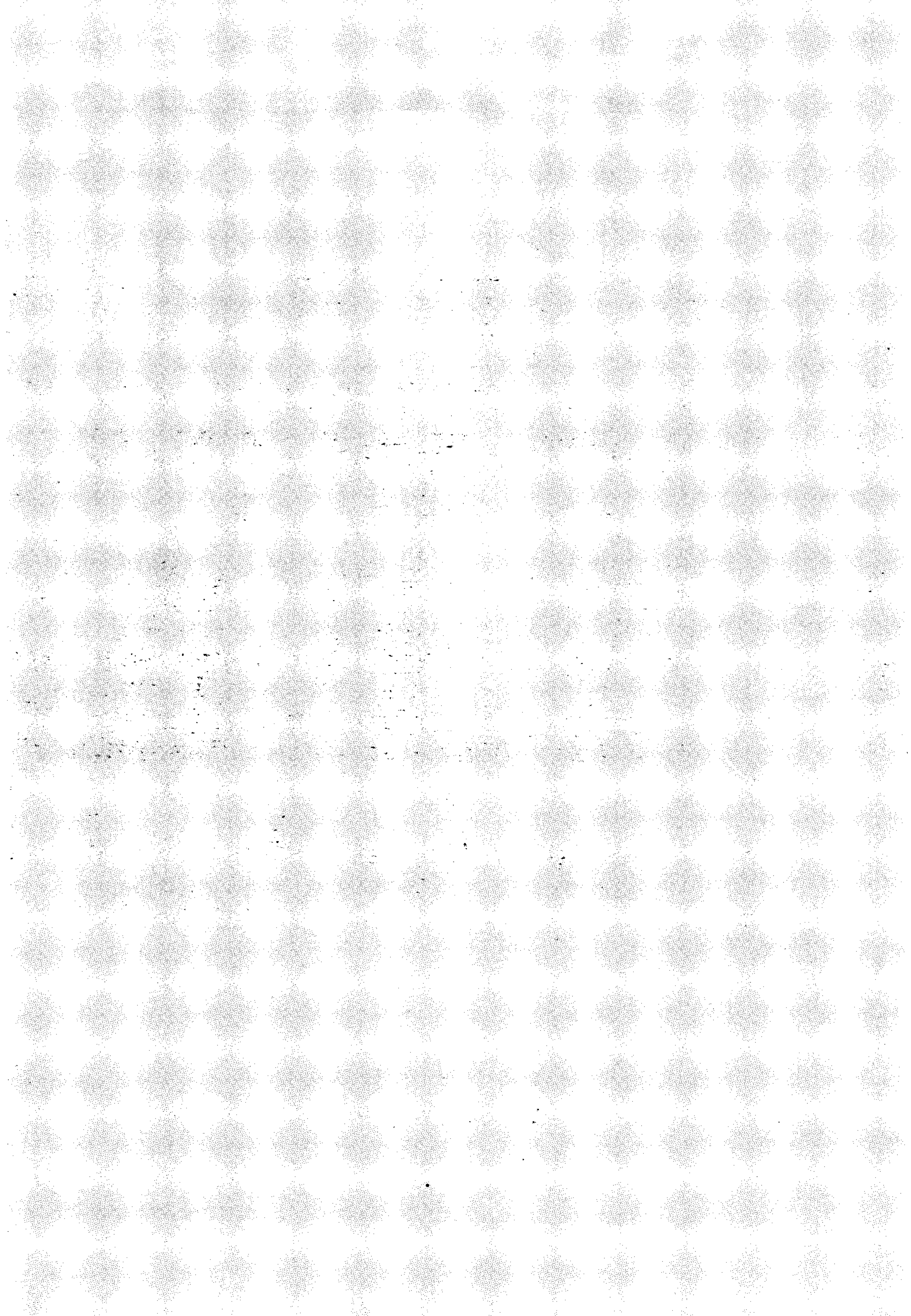
دام ظله العالي

لجنة النشر والتوزيع

جامع الإمام الصادق

عليه السلام





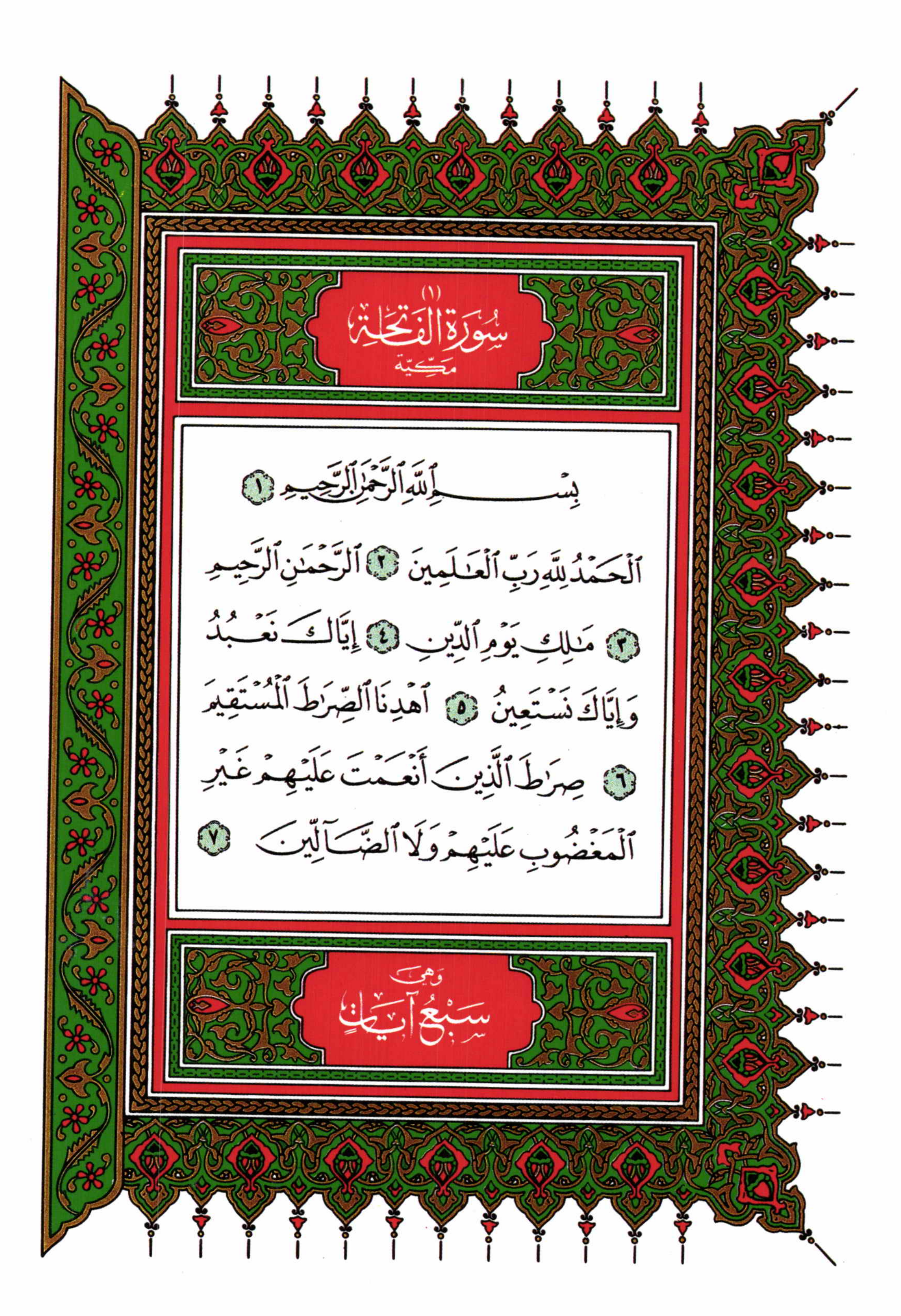


البحر الزاخر والدر الفاخر فخر الأفاخر والأعاظم

السيد محمد كاظم بن محمد قاسم الحسيني الحائري الرشتي

أعلى الله مقامه المتوفى ١٢٥٩ هجري

حقوق الطبع محفوظة للناشر
الطبعة الاولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)



سُورَةُ الفَاتِحَةِ (١)
مَكِّيَّة
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ
٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ
ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧
وَهِيَ
سَبۡعُ آيَاتٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقة محمد وآله الطاهرين أما بعد فيقول العبد الفقير الحقير الفاني الجاني محمد كاظم بن محمد قاسم الحسيني الرشتي إن هذا هو الجزء الثاني من شرح الخطبة الشريفة المشهورة بالخطبة الطتنجية لمولانا وسيدنا وإمامنا أمير المؤمنين على محمد وعليه وزوجته الصديقة وأبنائه المعصومين صلوات الله عليهم أبد الآبدين ودهر الداهرين ولعنة الله على أعدائهم ومبغضيهم أجمعين من الأولين والآخرين .

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين أما بعد فيقول العبد الفقير الجاني الفاني محمد كاظم بن محمد قاسم
الحسيني الرشتي هذا هو الجزء الثاني من شرح الخطبة الشريفة المشهورة بالخطبة الطتنجية لمولانا وسيدنا وإمامنا أمير المؤمنين علي
صلوات الله عليه وزوج البتول بضعة وأبنائه المعصومين صلوات الله عليهم أبد الآبدين ودهر الداهرين ولعنة الله على أعدائهم ومبغضيهم
أجمعين من الأولين والآخرين قال عليه الصلاة والسلام ولقد علمت من عجائب خلق الله ما لا يعلمه إلا الله [illegible] وأوضحنا
ما يحمله أولوا الأفهام من الخلق والأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والمؤمنين الممتحنين وسائر الموحدين من الناطقين والصامتين
من أسرار [illegible] الظاهرة في تلك الذات المقدسة التي هي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى من تفاصيل
الموجودات الإمكانية الكونية على جهة الإجمال والتفصيل والإبهام والتبيين والتلويح والتصريح والإشارة والعبارة بما لا يمكن بيان
أكمل وأتم من ذلك بحيث قطع حجة كل محتج وأثبت عند الخلق وأبان من سبب تحير الخلق مع وضوح الأمر وأثبت التحير لأهل الحكمة بإيضاح
الصبح الظاهر من شمس الأزل بقوله أنا الآمل والمأمول وأزاح التفكر عن أهل الموعظة الحسنة بما أخبرهم من السنة المعلومة عن الحدود
إن كان [illegible] بقوله ولولا اصطكاك [illegible] على ما دل عليه الكتاب ونطق به السنة كما هو الظاهر لأهل المشاهدة والعيان والإشارة إلى
ما ذكره في قوله عز وجل وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون الأرض هي أرض الجرز وحبوبها هي بأسرار نور الرحمن
الظاهر من شمس الوجود الراجح عليها فالحب المخرج منها هو [illegible] وهو ما ذكرنا من نور الرحمن وهو الوجود المقيد ومثال الأكوان [illegible]
ومحل الأسماء الحسنى والأمثال العليا والكبرياء والآلاء ومن ذلك الوجود أكل كل موجود شهود دائم مفقود ومن إمداده ومنه
استمداده وعليه مردهم ومعادهم وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون الجنات هي العوالم المفصلة من ذلك
في قوله عز وجل فأحببت أن أعرف لتنزله في عالم العقول إلى عالم الأرواح وهي إلى عالم النفوس [illegible] الخلق الأول من عالم الغيب والأعناب
عالم الطبائع والمواد إلى عالم الأجسام بجميع أنواعها وأفلاكها وعناصرها وهي الخلق الثاني أي عالم الشهادة والعيون المتفجرة هي مواد الأمداد
الواقعة على الأشياء لاستعدادات على حسبها كما قال عز وجل أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها في العالمين من الغيب والشهادة
والعوالم التي تحصل من قران العالمين من ميل الغيب إلى الشهادة وميل الشهادة إلى الغيب والروابط الحاصلة كلها من انفجار تلك العيون
إنما تحصلت من ذلك الماء النازل من السماء المستقر في الأرض الظاهر في [illegible] المختلفة فالعين الروحاني لأهل عالم الغيب والعين
الجسماني لأهل عالم الشهادة وبينهما مراتب كثيرة وأحوال عجيبة غريبة فأشار سبحانه إلى الكون الأول من الكونين وهو الواقعي الأولي لا
اختلاف في هذا الكون ولا اضطراب وأشار سبحانه بالضمير المتكلم مع غيره إلى ما قال أمير المؤمنين أنا المتولي [illegible] وما أفرد [illegible]
[illegible] في الأصبع فأشار سبحانه إلى يد والعوالم بعللها وأسبابها من الفاعلية والمادية والصورية ولو أردنا شرح كيفية الأشياء
لطال الكلام وزاد على ما يقتضيه المقام الآن نظهر فيما ذكرنا وما نذكر إن شاء الله وهذا العالم المشار إليه وهو الواقعي الأولي هو العالم
الآخرة عند رجوع كل شيء إلى أصله ثم أشار سبحانه إلى العالم النفس الأمري الثانوي ومكملات العالم الأول بل ومتممات الكون الأول
مقصود بالعرض الثاني فقال عز وجل إنما جعلنا هذه العوالم ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون والثمر هو مقتضى الأعمال
والمتولدات إلى ما خلقوا لأجله إما شراب طهور من الحوض الكوثر وهو الثاني المكمل للعالم الأول البدوي وإما طلع الشجرة الزقوم التي طلعها
الأثيم كأنه رؤوس الشياطين وهذا إن كان في مركزه وفي أصله إلا أنه هو حباب جهنم يكون أيضا كالبدء في الإيجاد إذ كل نور لا بد له من ظلمة
تقابله وكل جنة لها نار تضاده إلا أن كلا منهما في رتبته ومقامه ولما أن جاء حكم الاختلاط واللطخ على ما قررنا فيكون محل
العالم الثانوي والأحكام هي الأحكام النفس الأمرية التي هي الواقعي الثانوي والثالثي ومن هنا يقع وقوع الاختلاف في ظهور التفصيل
في الوجود من أول ما أخرج آدم من الجنة إلى يوم قتل إبليس بيد النبي ص وبعد ذلك يرجع العود كالبدء كما بدأكم تعودون وما عملته
على أنه ما موصولة وهي الأسباب المنتسبة إلى القابليات واقتضاء الطلبات والثمر هو المسبب والمقتضى اسم المفعول على الحكم الوضعي وإليه
الإشارة في كلام أمير المؤمنين ورأيت الشمس عند غروبها الخ ثم إن الله عز وجل أشار إلى العوالم بعضها من الواقعي والنفس الأمري وإلى

مقام

الصفحة الأولى من الجزء الثالث

قال عليه الصلاة والسلام

ولقد علمت من عجائب خلق الله ما لا يعلمه إلا الله

لما بيّن عليه السلام وأوضح مقدار ما يحتمله أولوا الأفهام من الخلق والأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والمؤمنين الممتحنين وسائر الموحدين من الناطقين والصامتين من أسرار ولاية الله الظاهرة في تلك الذات المقدسة التي هي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى من تفاصيل مراتب الموجودات الإمكانية والكونية على جهة الإجمال والتفصيل والإبهام والتبيين والتلويح والتصريح والإشارة والعبارة بما لا يمكن بيان أكمل وأتم من ذلك بحيث قطع حجة كل محتج وأثبت عذر الخلق وأبان عن سبب تحير الخلق مع وضوح الأمر وأثبت التحيّر لأهل الحكمة بإيضاح الصبح الظاهر من شمس الأزل بقوله عليه السلام ((أنا الأمل والمأمول)) ، وأزاح التفكر عن أهل الموعظة الحسنة بما قد يعتبر بهم من السنة المعلولة عن الحدود وإن كانت

رقيقة بقوله عليه السلام ((ورأيت الشمس عند غروبها)) ، وقطع عليه السلام حجة المحتج من أهل المجادلة بالتي هي أحسن بقوله عليه السلام ((ولولا اصطكاك)) على ما دل عليه الكتابان ونطق به اللسانان كما هو الظاهر لأهل المشاهدة والعيان والإشارة إلى ما ذكر في قوله عز وجل ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾[1] الأرض هي أرض الجواز وحياتها هي بإشراق نور الرجحان الظاهر من شمس الوجود الراجح عليها ، والحبّ المخرج منها هو بحر المحبة وهو ما ذكرنا من نور الرجحان وهو الوجود المقيّد ومثال الألوهية ومجلى الأسماء الحسنى والأمثال العليا والكبرياء والآلاء ومن ذلك الوجود أكل كل موجود مشهود أم مفقود وبه إمدادهم ومنه استمدادهم وعليه مردّهم ومعادهم ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾[2] الجنات هي العوالم المتحصّلة من ذلك الحب في قوله عز وجل (فأحببت أن أعرف) ، النخيل هي عالم العقول إلى عالم الأرواح وهي إلى عالم النفوس أي الخلق الأول من عالم الغيب ، والأعناب هي عالم الطبائع والمواد إلى عالم الأجسام بجميع مراتبها وأفلاكها وعناصرها وهي الخلق الثاني أي عالم الشهادة ، والعيون المتفجرة

---

[1] يس ٣١ [2] يس ٣٤

هي مواد الإمدادات الواقعة على أراضي الاستعدادات على حسبها كما قال عز وجل ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾[1] في العالمين من الغيب والشهادة والعوالم التي تحصل من قران العالمين من ميل الغيب إلى الشهادة وميل الشهادة إلى الغيب ، والروابط الحاصلة كلّها من انفجار تلك العيون وهي إنما تحصّلت من ذلك الماء النازل من السماء المستجن في الأرض الظاهرة بمزج الهباء عيونا مختلفة ، فالعين الروحاني لأهل عالم الغيب والعين الجسماني لأهل عالم الشهادة وبينهما مراتب كثيرة وأحوال عجيبة غريبة ، فأشار سبحانه وتعالى إلى الكون الأول من الكونين وهو الواقعي الأولي فلا اختلاف في هذا الكون ولا اضطراب وأشار سبحانه بالضمير المتكلم معه غيره إلى ما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((أنا المتولي دائرتها وما أفردوس وما هم فيه إلا كالخاتم في الإصبع)) فأشار سبحانه إلى بدء العوالم بعللها وأسبابها من الفاعلية والمادية والصورية ، ولو أردنا شرح كيفية الإشارة لطال الكلام زائدا عما يقتضيه المقام إلا أنه يظهر مما ذكرنا وما نذكر إنشاء الله .

وهذا العالم المشار إليه وهوالواقعي الأولي هو المعاد يوم الآخرة عند رجوع كل شيء إلى أصله ، ثم أشار سبحانه إلى العالم النفس الأمريّ الثانوي

---

[1] الرعد ١٧

ومكملات العالم الأول بل ومتمّماته ليكون الأوّل مقصودا بالعرض للثّــاني فقال عز وجل إنما جعلنا هذه العوالم ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[1] الثمر هومقتضى الأعمال والميولات إلى ما خلقوا لأجله إما شراب طهور من الحوض الكوثر وهوالثاني المكمل للعالم الأول البدئــي وإمّا طلع الشجر الزقوم الذي طعام الأثيم كأنــه رؤوس الشــياطين وهــذا إن كان في مركزه وفي أصله الذي هوخبال جهنم يكون أيضا كالبدء في الإيجــاد إذ كل نور لابد له من ظلمه لمقابله وكل جنة لها نار تضاده إلا أن كلا منــهما في رتبته ومقامه ، وأما إذا جاء حكم الاختلاط واللطخ على ما فسر سابقا فيكون تحصل العالم الثانوي والأحكام هي الأحكام النفس الأمرية التي هي الواقعــي الثانوي أوالثالثي ، ومن هنا بدء وقوع الاختلاف وظهور النقصان في الوجود من أول ما خرج آدم عليه السلام من الجنة إلى يوم قتل إبليس بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعــد ذلك يرجع العود كالبدء ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[2] ، وما عملت الأيــدي علــى أن ما موصوله هي الأسباب المنتسبة إلى القابليات وأنحاء الطلبــات ، والثمــر هوالمسبب والمقتضي اسم المفعول على الحكم الوضعي وإليه الإشارة في كلام أمير المؤمنين((ورأيت الشمس عند غروبها .. الخ)) ، ثــم إن الله عــز وجــل أشار إلى العوالم بقسميها من الواقعي والنفــس الأمــري وإلى مقــام البشــرية

---

[1] يس ٣٥ [2] الأعراف ٢٩

الذي هومقام العزة وظهور الولاية بقوله سبحانه ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾[1] والأزواج هي مراتب الإمكان والأكوان كلها لمّا اتفقوا عليه من أنّ كلّ ممكن زوج تركيبي ، والأرض هي أرض القابليات ومقام الصور والهياكل والهيئات ، والنفس هي وجه الله ومدد الله وأثره وهوموادّ الأشياء وأقطابها ونقطة دوائرها ، وهما تفاصيل كيفيّة خلق الأزواج وبهما استقرّت الأكوان والأعيان وكلّ التأثيرات منهما وإليهما وهما مجمع الموجودات والخليجان اللّذان كل الموجودات جداول وأنهار وشرائع منشعبة منهما كما ذكرنا ونذكر إن شاء الله ، فتمّ في هذه الآية الشريفة جميع ما ذكرعليه السلام من أوّل الخطبة إلى هذا المقام .

ثمّ لمّا بيّن عليه السلام هذه الأطوار والأوطار في الأكوار والأدوار أرادعليه السلام أن يشير إلى سرّ وهو أنّ السّافل وإن بلغ ما بلغ ما يصل رتبة ظهور العالي أبدا فكلّ مقام يصل يرى ظهورا ومقاما أعلى وهكذا فلا ينتهي إلى حد وهو في مقامه ، انظر إلى الواحد في الأعداد فإن العدد في كل مقام يبلغ يظهر الواحد فوقه فيصير بانضمامه إليه مرتبة أخرى وهكذا إلى ما لانهاية له ، إذ كلّ رتبة في الحدود ظهور وجه من وجوه العالي فلا يحصره

---

[1] يس ٣٦

وهومعنى قوله عليه السلام ((تـدلج بـين يـدي المـدلج مـن خلقـك))[1] والمخـاطب هوالظاهر للخلق في رتبة الخلق أي الذي هوقطـب وجودهـم ونقطـة دائـرة تكوينهم لا الذّات البحت سبحانه وتعالى ولا الفعل المطلق ولا المفعـول في المراتب الطّوليّة وإنما هو ما تجلى له به كالواحد المدلج بين يدي الأعداد فكـلّ مرتبة يصل إليه العدد يكون الواحد بين يديه فلا يلحق السّافل ظهور العالي أبداً وهذا في كلّ مقام في معرفة العالي ومعرفة كينونات الأشياء فإنّ الكـاتب الابداع بقلم الصّنع والاختراع مـن دواة الجـود والعلـم في لـوح الكائنـات والمبدعات يكتب فيما لا يزال فلا جفاف لذلك المداد ولا انقطـاع في اللّـوح من جهة الاستعداد ولا تعب للكـاتب لسـرّ الإمـداد و﴿ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾[2] ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[3] ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[4] ((وليـس لمحبـتي غايـة ولا نهاية ، وكلما رفعت لهم علما وضعت لهم حلما))[5] ومع ذلك كلّه فقد جفّ القلم بما هوكائن فالعالي وإن وصف نفسه ووصف غيره للسّافل لكن ذلـك الوصف ليس إلاّ ما يقتضي مقام السّافل لا مقام العالي وإلاّ لكان عبثا ، فلمّا وصف عليه السلام الخلق بمراتبه ومقاماته لشيعته أراد أن يبيّن لهـم أنّ ذلـك قطـرة

---

[1] مفتاح الفلاح ٢٩٣   [2] ص ٥٤   [3] الرحمن ٢٩   [4] المائدة ٦٤

[5] إرشاد القلوب ١٩٩

من رشح ما طفح منه عليهم ، كما قال عليه السلام لكميل لمّا قال ((أولست بصاحب سرّك قال عليه السلام بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح منّي)) وهذا الرّشح هو المداد الّذي به يمدّ الخلق من الأنبياء وغيرهم إلاّ أنّهم يختلفون بالرّشح ورشح الرّشح ورشح رشح الرّشح وهكذا فلا يصلون الخلق نهايات هذا الرّشح وإن بلغوا ما بلغوا ، ولمّا أنّه عليه السلام أشار إلى بعض مقاماته ومراتبه الّتي جعلها الله عزّ وجلّ له لا لغيره وبعض الأحوال المخلوقة المتقوّمة بقيّوميّة الله الظّاهرة فيه عليه السلام أراد أن يبيّن لهم مقامه عليه السلام ومقامهم من أنّ ما ذكرت لكم ليس غاية علمي ومنتهى فهمي ومبلغ إدراكي .

قوله عليه السلام ((ولقد علمت من عجائب خلق الله ما لا يعلمه إلا الله)) بياناً لقوله عزّ وجلّ ﴿ خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1] فبيّن عليه السلام أنّه يعلم ذلك لأنّ الله سبحانه جعله والمعصومين عليهم السلام أعضادا لخلقه وأشهادا عليهم وحفظة وروّادا وبهم ملأ سماءه وأرضه حتّى ظهرت أن لا إله إلا الله كما قال الحجة المنتظر عجل الله فرجه كما يأتي إنشاء الله لذلك زيادة بيان .

---

[1] يس ٣٦

وأمّا قوله عليه السلام ((ولقد علمت)) ، فله معنيان كلاهما مرادان أحدهما أنّ ما يعلمه عليه السلام من عجائب بدائع الخلق وصنوف غرائب أحوالهم لا يعلمه أحد من الخلق سواه عليه السلام وسوى الأئمة الطاهرين من ولده عليه السلام فإنّ المشيئة الكليّة الكونيّة قد تعلّقت بحقيقتهم فهم على طبقها في الأكوان كل واحد مساوق للآخر كالكسر والانكسار وكالحديدة المحماة بالنار ولا أريد بالحديدة هي الحديدة المعروفة وإنما هي قابليّة ظهور النار فيها والمعروفة حاملة لها كالزجاجة للمرآة وإلى سرّ ما ذكرنا أشار الحقّ سبحانه في الحديث القدسي ((لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن))[1] وذلك العبد هو تلك الحقيقة المقدّسة التي هي قصبة الياقوت لقولهم عليهم السلام ((نحن محالّ مشيئة الله وألسنة إرادته وترجمان وحيه)) وهذه المشيئة الظاهرة في هذه الحقيقة المقدّسة لها وجوه ورؤوس كثيرة يتعلق كلّ وجه بكلّ فرد من أفراد الموجودات من ذات أو صفة وذلك الرأس هو مشيئة الله الخاصة بذلك الفرد ولهذه المشيئة الخاصة أثر في حقيقة هو قطبها ونقطة دائرة وجودها ومحلّ الإمدادات الواردة عليها بجميع أنحائها وأحوالها في قواها ومشاعرها وذلك القطب هو متقوّم بذلك الرّأس وهو حرف بإضافته إلى الفعل المطلق وهو كلمة كليّة انزجر لها العمق الأكبر جامع لكل تلك

---

[1] البحار ٥٨/٣٩ ح ٦١

الحروف والخلق بجميع أفراده كلمة واحدة وكل فرد منه حرف منها على طبق الفعل لأنه هي الربوبية والمفعول هي العبودية وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية ، لكن كل مفعول يحكي الوجه المختص به من الفعل الكلي كالكتابة بالنسبة إلى حركة يد الكاتب ، ولذلك الرأس وجوه كثيرة باعتبار تعدد جهات المفعول باعتبار أسبابه وشرائطه ومقوّماته من الوجود والماهيّة والزمان والمكان والجهة والرتبة والكم والكيف والوضع والأجل والكتاب والإذن وغير ذلك ، ونهايات تلك الأشياء المذكورة وأعراضها وأشعّتها إلى انقطاع وجوداته ، كل واحد متعلّق بوجه مختصّ به من ذلك الرأس المختصّ بذلك الفرد من الفعل الكلّي نسبة كلّ فرد وجه إلى ذلك الرأس كنسبة ذلك الرأس إلى الفعل الكلّي ، فهذه حروف لهذه الكلمة والكلمات الجزئيّة حروف للكلمة الكليّة ، ولمّا كان الشيء لا يتجاوز مبدءه ولا يقرأ إلا حروف نفسه كان كلّ فرد من أفراد الموجودات يحكي مثال ذلك الوجه الخاصّ به على مقتضى هيئة كينونته لا غير في معرفة العالي ، وأمّا معرفة سائر الموجودات وتطوّراتها فبقدر سعته لأنّ مداركه كلها متقوّمة بالمدرك الأعلى وهو ذاته وحامل ظهور ذلك الوجه كالضرب لضرب والقيام لقام والقعود لقعد وهكذا ، ومن نوره تستنير كلّ قواه ومشاعره فكلّها في الإدراك تحت الأعلى ولا شكّ أنّه لا يساوي الكلّ ولا البعض لعدم المادّة الكلية والمدد الكلي وإنما هو بقدر الأشياء على ما هو عليه لا على ما هي عليه كما هو الظاهر المعلوم

فإنّك إذا قابلت مرايا عديدة فكلّ مرآة إنّما تحكي ظهورك على ما هي عليه لا على ما أنت عليه وكلّ منها لا يدرك ولا يوصف ظهورك أوغيرك من أمثاله من سائر المرايا ولا تعرف الواحدة ما عليه الاثنان من حيث هما كالضّرب فإنّه لا يحكي إلاّ الضّارب والنّصر لا يحكي إلا الناصر والقيام لا يحكي إلا القائم وهكذا كلّ أثر من الوجه الخاصّ من الفعل الكلي لا يحكي إلا ذلك الوجه الخاصّ فلا يحيط كلّ واحد بالمجموع وما عليه من معرفة أوائل جواهر العلل وسائر المعلولات ، وهكذا الحكم بالنسبة إلى صفة الصّفة وشعاع الشعاع فإن الخطب فيه أعظم إذ نسبة ذلك الوجه إلى الشعاع والصفة كنسبة الفعل الكلي إليه ، وهكذا إلى قراني سلسلة الموجودات في الشعاعية والوصفية إلى نهاياتها فهنا مقامان .

أحدهما نسبة قوّة ذلك الوجه في المعرفة والإدراك إلى ذلك الفرد وهذه النسبة نسبة الواحد إلى السبعين وهذا الكلام تقريبي لكن هذه عبارة عن الحقيقة لسهولة الحصر والعدّ وإلاّ فلكلّ واحد يرتقي إلى مالا نهاية له لأن الوجه من عالم السّرمد والأثر من عالم الدهر ولو فرضنا سرمديّته لكنه متأخّر عن علّته ألف دهر كما روي عنهم عليهم السلام وكل دهر مائة ألف سنة ، وهكذا في سائر النّسب من قوّة الكمّ والكيف والنّورانيّة والقوّة وغيرها ، والرّتبة الثانية التي هي رتبة الشعاع نسبتها إلى ذلك الوجه ملاحظة جميع تلك النّسب المتقدّمة أي ضربها في نفسها فإن كانت سبعين ضربها في مثلها وإن

كانت مائة ألف كذلك في مثلها بل ربما أقول يتضاعف الثانيــة بـالضرب في نفسها سبع مرات فيبلغ إلى أمر عظيــم فتكـون الثانيـة واحـدة مـن المجمـوع وهكذا الرتبة الثالثة فيتضاعف المجموع هناك بالضرب ســبع مـرات فيكـون الثالثة واحدة من المجموع وليس لي الآن إقبال ضبط هذه الأعــداد مـع أنّـه لا فائدة فيه إذ المطلوب هوالإشارة إلى نوع المسألة لا استقصاءها بحدودها فإنه لا يمكن في مثل هذا الشرح ، وهذا الذي ذكرنــا هوحكـم القـوّة والضّعـف في الشيء الواحد الثابت للوجــه وذي الوجـه الخـاص بـه في مقـام (العبوديـة جوهرة كنهها الربوبية) فإذا قال الإمامعليه السلام زيد قائم وقلت أنت زيــد قـائم فاعلم أن نسبة قولك إلى قولهعليه السلام في الدّقّة واللّطافة والمعنى المدلـول عليـه والمفهوم منه والمعني به نسبة الواحد إلى مضروب المائة ألف في نفســها سـبع مرات ، ثم كذلك انظر وتأمّل وتدبّر فيه اعرف مقامك ومعرفتك بالنسبة إلى الإمامعليه السلام فسلم له كلّما يقول لأنّ الأنبياء وجوه وأشعّة لهم عليهم السلام والإنسان وجه وشعاع للأنبياء كما ذكر غير مرّة ، ولذا قالعليه السلام ((إني لأتكلّم بكلمة وأريد منها أحد وسـبعين وجـها لكـل منـها المخـرج))[1] وقـالوا عليهم السلام ((إن حديث آل محمد صعب مستصعب ثقيل مقنع أجرد ذكوان لا يحتمله إلا ملك

---

[1] لم نقف على هذه الرواية بهذا اللفظ ووقفنا على ما يقرب منها في بصـائر الدرجـات ص ٣٢٩ قولـه عليه السلام ((إني لأتكلم بالكلام ينصرف على سبعين وجها كلها لي منها المخرج))

مقرّب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان))[1] هذا في الرّتبة الجامعة وقال في مقام الفرق ((إن حديثنا صعب مستصعب شريف كريم ذكوان ذكي وعر لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن ، قلت : فمن يحتمله جعلت فداك ، قال : نحن)) ، وفي رواية ((من شئنا))[2] فلا يطمعنّ طامع معرفة كلامهم وتحمّل ظهور المعاني المطويّة فيه إذ كما أنّ لهم عليهم السلام مع شيعتهم وغنمهم مقامات مقام اجتماع مع الإنسان في النّفس النّاطقة القدسيّة ومع الأنبياء فيها أيضاً على الحقيقة الأوّليّة ، ومقام افتراق في النّفس الملكوتيّة الإلهيّة التي هي ذات الله العليا وشجرة طوبى كما مرّ كذلك لكلامهم عليهم السلام فيفهم العوام ظاهر ما ظهر لهم من الأشعار والأصواف والأوبار والخواصّ والخصيص يفهمون بواطنه على حسب مقامهم ومرتبتهم إلى أن ينتهي كونهم وينفد وجودهم ونظروا في معانيه بعين الفؤاد إلى ما لا نهاية له فبكلّ نظر يأتيهم معنى جديد لم يكن وهوقوله عليه السلام ذكّى أي طريّ أبداً فلا ينتهي إلى حدّ فإذا انتهت أكوان هذه المرتبة وانقطعت وجوداتهم أي مقام الأنبياء عليهم السلام في النّظر فيهم على مراتبهم ومقاماتهم الكثيرة العظيمة في أطوار الظاهر والباطن وباطن الباطن وهكذا إلى المراتب السبعة أوالسبعين فتنقطع وجوداتهم عند ظهور الكرّوبيّين الذين هم رجال من

---

[1] البحار ٢/ ١٩١ ح ٢٧

[2] بصائر الدرجات ٢٢

شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ثم يرجع كلامهم عليهم السلام إليهم ما عرف أحد حقيقة المراد منه وهوقوله تعالى ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾[1] فافهم .

ومع ذلك نقول أنّهم يحيطون بظاهر القرآن وباطنه وباطن باطنه فلا يشذّ عنهم منه شيئاً لأنّ القرآن إنما نزّله روح القدس على قلب النبي بإذن الله عز وجل ، وروح القدس في جنان الصّاقورة ذاق من حدائقهم الباكورة وهي أول الثّمرة فالقرآن تجلّي الله عز وجل لهم في مقام قلبهم وأين قلبهم من فؤادهم الذي هوحقيقتهم ، والقرآن هو تفاصيل مقامات التوحيد وأركانه وشرائطه في العوالم الثلاثة عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك ومجمع الكل هوقوله لا إله إلا الله ، فأنزل الله عزّ وجلّ على فؤاده بكلمة لا إله إلا الله وعلى قلبهبروح القدس معاني القرآن وحقائقه المعنوية وعلى صدره بالروح الذي هو من أمر الله هذه الصور والهيئات المعروفة قال تعالى ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[2] وهم الأئمة وعلى لسانهبواسطة جبرائيل هذه الألفاظ المخصوصة فهو وأمير المؤمنينوالطيّبون من أولادهما يحيطون بحقيقة القرآن وإن تجدّدت الأحكام الكونية والوجوديّة

---

[1] الحج ٤٥ ٢ العنكبوت ٤٩

يتجدد الصنع على مقتضى ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[1] فيه كالمرآة مثلا إذ كلما يحصل مقابل تظهر صورته فيها لكن تلك الأحكام إنما تنشأ منهم وتعود إليهم عليهم السلام كشعاع الشمس بالنسبة إليها وليست للقرآن حقيقة خارجة عن حقيقة ذاتهم وشئوناتها فتصل إليها مداركهم ومشاعرهم ولا كذلك كلماتهم الشريفة بالنسبة إلى غيرهم فإذا تكلّموا بكلام فله حقيقة ومعنى عندهم عليهم السلام يريدونها ثم ينزّلونها نور تلك الحقيقة وذلك المعنى وذلك اللفظ أيضا إلى الأنبياء عليهم السلام فيستمعون اللفظ بأسماعهم ويدركون المعاني بقلوبهم وأذهانهم والحقيقة بأفئدتهم وذواتهم ثم ينزّل نور من المراتب الثّلاثة إلى الرتبة الإنسانية فيسمع من أرادوا عليهم السلام ما أرادوا من المعاني والحقائق الظّاهرة لهم بهم ، فإذا قالوا عليهم السلام الماء طاهر والماء إذا بلغ كرّا لم ينجّسه شيء فقد تكلّموا ونطقوا به قبل خلق الخلق مقدار ما بقي العرش على الماء قبل خلق السّماوات والأرض كما ذكرنا سابقا من التحديد القليل الذي حدّه أمير المؤمنين عليه السلام ثم استغفر الله عن التحديد بالقليل ، وسمع الأنبياء ذلك الصوت قبل خلق الخلق بألف دهر وهو مائة ألف سنة وسمع أهل الرتبة الإنسانية كلّ واحد في زمانه ومكانه ، مثلاً نحن الآن سمعنا ذلك القول الذي قالوا عليهم السلام بعينه وأهل زمان حضورهم عليهم السلام سمعوه في ذلك

---

[1] الرحمن ٢٩

الوقت والذي يأتي بعد ذلك بألف سنة يسمع بعينه في مكانه وزمانه فيدركون معناه قبل خلق السّموات والأرض بسبعمائة سنة ويعرفون حقيقة قبله بما لا نهاية له من المدد لأنّها كلّها منقطعة عندها وتلك الحقيقة قشر قشر قشر القشر بالنسبة إلى ما عرف الأنبياء ومعرفتهم قشر قشر قشر القشر بالنسبة إلى مرادهم عليهم السلام .

وقولي قشر لا أريد به الذي هو قشر اللّبّ لتجمعهما رتبة واحد إلا أنّ اللّبّ أشرف وأقوى إنما المراد به القشر بمعنى الظّاهر الذي هوالأثر والنّور فلا يلحق رتبة المؤثر المنير أبد الآبدين ودهر الدّاهرين وأين الثّريا من يد المتناول وقد قال الشاعر وأجاد في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

إنّما مثّلت صفاتك للناس كما مثّل النجوم المـاء

فالذي يريدون من كلامهم عليهم السلام لا يصل إليه أحد من الخلق وإنما يعرفون أي الأنبياء جزء من مائة ألف جزء من ظاهر مرادهم كالنّور من المنير فإنّ مداركهم من عقولهم وحقائقهم بالنسبة إليهم كالنّور للمنير فانظر ماذا ترى ، وهكذا نسبة ما فهمه الشيعة بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام فلا يصل أحد من الخلق غور علومهم ومعاني كلامهم وحقيقة مرادهم وهوقوله عليه السلام في الزيارة الجامعة ((فبلغ الله بكم أشرف محلّ المكرّمين و أعلى منازل المقرّبين وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يطمع في

إدراكه طامع))[1] الزيارة ، وانقطاع الطّمع في كلّ ما ينسب إليهم عليهم السلام من ذواتهم وصفاتهم ومقاماتهم وعلومهم ومعارفهم في كل شيء من الأشياء وكل جزئيّ من الجزئيّات مما وصل إلى الخلق قطرة من بحار رشح علومهم وأسراهم فأدركوا ما لم يدركه أحد وفهموا ما لم يفهمه خلق ، ولا شك أنّ الذي لا يفهمونه بالنسبة إلى ما يفهمونه غريب عجيب عندهم فغرائب علومهم عليهم السلام لا يعلمها إلا الله عز وجل .

وثانيهما نسبة ذلك الوجه إلى الوجه الكلي بالنسبة إلى الفعل المطلق الكلّي وهي نسبة الواحد إلى ما لا نهاية له فإنّ الوجه ظهور منه وذلك الظّهور لا نهاية له في الوجود من البدء والعود ، انظر إلى القيام مثلا بالنسبة إلى جميع الآثار الصادرة عن الشخص فإنّه لا يدرك شيئا منها سواه وشئوناته فلا يعرف القعود ولا الأكل ولا الشرب ولا الضّرب وغير ذلك وإنما انحصر إدراكه ومعرفته في القيام والقائم خاصّة ، فما أحقر وأقل نسبة قيام زيد إلى الفعل المطلق منه بخلاف قلب زيد فإنه حامل لجميع الظّهورات والآثار والأحكام فلا يصدر شيء من زيد إلا بالحركة القلبية ثّم الحركة النّفسية ثّم الحركة الجسدية من العضلات والشّرايين والغضاريف ثّم الظّاهرية من اللّسان واليدين والرّجلين وأمثال ذلك ، فإذا صحّ وثبت أنّ محمداً وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين محال مشيئة الله وألسنة إرادته وتراجمة وحيه فلا يبرز

---

[1] الزيارة الجامعة الكبيرة

شيء في الوجود إلا بـهم ومنـهم وعنـهم عليهم السلام فـهم المحيطـون بكـل دائـرة الأكـوان وكلّـها عندهـم كالنّقطـة في الدّائـرة وكـالدّرهم بـين يـدي أحدكم ، فالأنبياء عليهم السلام لمّا خلقوا من شعاع أنوارهم كانت علومهم بالنسـبة إلى علومهم عليهم السلام نسبة المتناهي إلى الغير المتنـاهي ولـذا ورد في الحديـث مـا معناه (أنّ موسى وخضر لمّا اجتمعا وكانا على ساحل البحر إذ نظرا إلى طـير على ساحل البحر قد أخذ بمنقاره قطرة من ماء البحر فرمـى بـها نحوالمشـرق وأخذ قطـرة أخـرى ورمـى بـها نحوالمغـرب وأخـذ قطـرة أخـرى ورمـى بـها نحوالسّماء وأخذ قطرة أخرى فرمى بها في البحر فتحيّر موسى وخضر في أمره وما عرفا المراد منه إذ رأيا صيّادا علـى سـاحل البحـر فقـال لهمـا مـا بالكمـا متحيّرين قالا عليهما السلام في أمر الطير وما فعله فقال ذلك الصياد إن الطـير يريـد بذلك أن نبيا يبعث في آخر الزمان له وصي علمكما وعلـم مـن في المشـرق وعلم من في المغرب وعلم من في السماء وعلـم مـن في الأرض بالنسـبة إلى علمه كنسبة القطرة إلى البحر المحيط)[1] ، وهذا المثـال تقريـبي وتعبـيري إذ لا

[1] ذكر المصنف أعلى الله مقامه وأنار الله في الدارين أعلامـه هـذه الرواية بـالمعنى ونحـن نذكرهـا هنـا بالنص تيمنا ففي البحار ١٣ / ٣١٢ ح ٥٢ قال موسى عليه السلام لما سـأله أخـوه هـارون عمـا رأى مـن العجائب قال ((بينما أنا والخضر على شاطئ البحر إذ سقط بـين أيدينـا طـائر أخـذ في منقـاره قطـرة ورمى بها نحو المشرق وأخذ ثانية ورماها في المغرب وأخذ ثالثة ورمى بها نحو السـماء ورابعـة رماهـا إلى الأرض ، ثم أخذ خامسة وعاد ألقاها في البحر فبهتنا لذلك فسألت الخضر عليه السلام عن ذلك فلـم يجب ، وإذا نحن بصياد يصطاد فنظر إلينا وقال مالي أراكما في فكر وتعجب من الطائر ، قلنا هو ذلـك ،

تمكن العبارة إلا هكذا وإلا فالأمر أعظم وأعظم وقد قال مولانا الصادق عليه السلام ((لو كنت بين موسى وخضر عليهما السلام لأخبرتهما أني أعلم منهما))[1] والمراد بهذا الحضور هوالحضور الحسي الصوري في اللباس البشري وإلا فما تقوما إلا به لأنه وآباءه وأبناءه عليهم السلام وهذه الأعلمية ليست من باب افعل التفضيل وهذه الأعلمية كما تقول الله أعلم فإنه سبحانه صرح بالأمر في حديث رواه شيخي وأستاذي جعلني الله فداه عن النبي صلى الله عليه وآله أن يهوديا أتى إليه صلى الله عليه وآله فقال ((يا محمد بلغ من أمرك إلى أن تقول إني نبي وإني أفضل من موسى وعيسى عليهما السلام فقال صلى الله عليه وآله يا يهودي أما قولك أني نبي فهوكذلك وأما قولك أني أفضل من موسى وعيسى فلا ينبغي أن أصغر ما عظّمه الله في حقي ولقد أوحى إلي ربي أن فضلك على الأنبياء

أنا رجل صياد قد علمت وأنتما نبيان ما تعلمان ، قلنا ما نعلم إلا ما علمنا الله ، قال هذا الطائر في البحر يسمى مسلم لأنه إذا صاح يقول في صياحه مسلم ، فأشار برمي الماء من منقاره إلى السماء والأرض والمشرق والمغرب إلى أنه يبعث نبي بعدكما كما تملك أمته المشرق والمغرب ويصعد إلى السماء ويدفن في الأرض ، وأما رميته الماء في لبحر يقول أن علم العالم عند علمه مثل هذه القطر ، وورث علمه وصيه وابن عمه)) .

[1] البحار ١٣ / ٣٠٠ ح ٢٠

كفضلي وأنا رب العزة على كل الخلق))[1] فتدبر في هذا الحديث تجد فيه ما لا تسعه الدفاتر ، ونسبة الإنسان إلى الأنبياء في المعرفة والعلم نسبة الأنبياء إليهم عليهم السلام فإذا كان ما عند الأنبياء عليهم السلام وجه من وجوه تجليهم فيهم بهم كالقائم بالنسبة إلى القيام والقاعد بالنسبة إلى القعود وهم عليهم السلام محل مشيئة الله فلا يظهر منها شيء إلا بهم عليهم السلام من كل الوجوه فما ظنك بسائر الخلق ونسبة علومهم وأفهامهم وإدراكاتهم إليهم عليهم السلام فقد علموا من عجائب خلق الله عز وجل وغرائب صنعه وإيجاده ما لا يعلمه إلا الله لأنهم عبيد مربوبون نسبتهم وكل الخلق إليه سبحانه نسبة الكلام إلى المتكلم وما أحقر الكلام بالنسبة إلى المتكلم ، فالخلق كلهم من العلل والمعلولات كلمة واحدة تكلم الله عز وجل بها بظهور فعله وحدوث صنعه ولذا قال عليه السلام ((الغلاة الذين صغروا عظمة الله عز وجل))[2] فهم سلام الله عليهم مع ما هم عليه من الجلالة والسلطنة والهيمنة في كل حال من الأحوال فقراء محتاجون لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ولكنهم لما تمحضوا في الفقر والعبودية ولاذوا بباب رب العزة فشرفهم الله وعظمهم

---

[1] هذه الرواية كما ترى أورده المصنف أعلى الله مقامه وأنار الله في الدارين أعلامه بالمعنى ونحن نوردها بالنص تيمنا وزيادة في الفائدة قال عليه السلام ((قال ربي يا محمد إن فضلك على جميع النبيين والمرسلين والملائكة المقربين كفضلي وأنا رب العزة على سائر الخلق أجمعين)) البحار ٩/٣٠٩ ح ١٠

[2] البحار ٣/ ٢٩٤ ح ١٨

ومنحهم ما لم يمنح به أحداً من الأولين والآخرين فقد نالوا بفضل الله ما لم ينله أحد وبلغوا ما لم يبلغ إليه مخلوق وعلموا ما لم يعلمه أحد من الخلق فقد علموا من عجائب خلق الله ما لا يعلمه أحد إلا الله لأن عندهم عليهم السلام الاسم الذي رواه الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام ((قال إن الله تتعالى خلق اسما بالحروف غير متصوت وباللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ منفي عنه الأقطار مبعد عنه الحدود محجوب عن حس كل متوهم مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحجب منها واحداً وهوالاسم المكنون المخزون فهذه الأسماء التي ظهرت فالظاهر هوالله تبارك وتعالى وسخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان فذلك اثنى عشر ركنا ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها فهوالرحمن الرحيم الملك القدوس الخالق البارئ المصور الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم العليم الخبير السميع البصير الحكيم العزيز الجبار المتكبر العلي العظيم المقتدر القادر السلام المؤمن المهيمن البارئ المنشئ البديع الرفيع الجليل الكريم الرزاق المحيي المميت الباعث الوارث فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاثمائة وستين اسما فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة وذلك قوله تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟

﴿ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[1]))[2] فإذا كانت الأسماء الحسنى كلها ظاهرة مفصلة من ذلك الاسم الواحد كانت المسميات أيضا كذلك لما قدمنا مرارا أن المسمى هو الظاهر بالاسم لا بالذات ، ولما كانت الأشياء كلها قائمة بالأسماء في مقام التفصيل والإجمال والأسماء بذلك الاسم الواحد وذلك الاسم عند محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام كانت الأشياء كلها حاضرة لديهم يرونها ويشاهدونها وكل شيء عند جزء من ذلك العلم فلهم الكل والكلي ولما سواهم الجزء والجزئي وأين الجزئي من الكلي وأين الجزء من الكل ، فإذا ثبت وضح لك هذا الأمر الضروري فسلم الأمر لهم تسليما ولا ترد شيئاً مما يرد عليك مما ينسب إليهم من غير دليل إلا لعدم الفهم والمعرفة لأنك ما أوتيت العلم إلا قليلا .

وروى الكليني في الكافي عن أبي بصير قال ((دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت له : جعلت فداك إني أسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي ، قال : فرفع أبوعبد الله عليه السلام سترا بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ، ثم قال : يا أبا محمد سل عما بدا لك ، قال : قلت : جعلت فداك ، إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم عليا عليه السلام بابا يفتح له منه ألف باب ، قال فقال : يا أبا محمد علم رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب ، قال : قلت : هذا والله العلم ، قال : فنكت ساعة في الأرض

---

[1] الإسراء ١١٠

[2] الكافي ١ /٨٧ - ٨٨

ثم قال عليه السلام : إنه لعلم وما هو بذاك ، قال : ثم قال يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة ، قال : قلت : جعلت فداك وما الجامعة ، قال : صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش وضرب بيده فقال لي تأذن لي يا أبا محمد ، قال : قلت : جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت ، قال : فغمز لي بيده وقال حتى أرش هذا كأنه مغضب ، قال : قلت : هذا والله العلم ، قال : إنه لعلم وليس بذلك ، ثم سكت ساعة ، ثم قال : وإن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر ، قال : قلت : وما الجفر ، قال : وعاء من أدم فيه علم النبيّين والوصيّين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل ، قال : قلت : إن هذا هو العلم ، قال عليه السلام : إنه لعلم وليس بذلك ، ثم سكت ساعة ثم قال : وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما وصحف فاطمة عليها السلام قال : قلت : وما مصحف فاطمة عليها السلام قال عليه السلام مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد قال قلت هذا والله العلم قال عليه السلام إنه لعلم وما هو بذاك ثم سكت ساعة ثم قال إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة قال قلت جعلت فداك هذا والله العلم قال إنه لعلم وليس بذاك قال قلت جعلت فداك فأي شيء العلم قال عليه السلام ما يحدث بالليل والنهار الأمر

بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة))[1] ويأتي لهـذا الحديث بيان إنشاء الله .

في الكافي أيضاً عن سدير قال ((كنت أنا وأبوبصير ويحيى البزّاز داود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهومغضب فلما أخذ مجلسه قال يا عجبا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أيّ بيوت الدار هي ، قال سدير : فلما أن قام من مجلسه وصار في منزله دخلت أنا وأبوبصير وميسّر وقلنا له جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم أنك تعلم علما كثيرا ولا ننسبك إلى علم الغيب ، قال فقال : يا سدير ألم تقرا القرآن ، قلت بلى ، قال فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[2] ، قال : قلت جعلت فداك قد قرأته ، قال : فهل عرفت الرجل وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب ، قال قلت أخبرني به ، قال عليه السلام : قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب ، قال قلت : جعلت فداك ما أقل هذا ، فقال : يا سدير ما أكثر هذا إن ينسبه الله عز وجل إلى العلم الذي أخبرك به ، يا سدير فهل وجدت فيما

---

[1] الكافي ١/٢٣٨ ح ١   [2] النمل ٤٠

قرأت من كتاب الله عز وجل أيضا ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1] ، قال : قلت قد قرأته جعلت فداك ، قال : فمن عنده علم الكتاب كله أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه ، قلت : لا بل من عنده علم الكتاب كله ، قال : فأومأ بيده إلى صدره وقال علم الكتاب والله كله عندنا علم الكتاب والله عندنا))[2] الكتاب في الظاهر هو اللوح المحفوظ وفي الباطن هو علي عليه السلام والذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن برخيا وصي سليمان عليه السلام وقد وصف عليه السلام هذا العلم بما وصف من قلته وضعفه بما وصف وذلك العلم هو الاسم الأعظم وذلك هو ظهور ما استودع في سر آصف من نور الولي عليه السلام الذي هو ظهور اسم الله وهو بقدر سمّ الإبرة وقوله عليه السلام ((وعلم الكتاب والله كله عندنا)) لأنه عليه السلام من حقيقة علي عليه السلام لقد ولده عليه السلام في الظاهر والباطن فهم حقيقة واحدة عند كل واحد ما للآخر ، وعلمهم عليهم السلام على أنحاء كثيرة نذكرها إنشاء الله فيما بعد .

وإنما أفرد الضمير عليه السلام و أتى بصيغة المتكلم وحده في قوله عليه السلام ((ولقد علمت)) بناء على أنّ الحصر حقيقي لا إضافي لأنّ الأئمة عليهم السلام

---

[1] الرعد ٤٣ [2] الكافي ١ /٢٥٧ ح ٣

كما ذكرنا لهم مقامان مقام تفصيل ومقام إجمال وجمع ، ففي المقام الثاني يطلق على المجموع الحقيقة المحمدي صلى الله عليه وآله وهو قوله عليه السلام كلنا محمد أولنا محمد وآخرنا محمد صلى الله عليه وآله فإذاً حقيقتهم واحدة وقولهم واحد وحكمهم واحد فالحقيقة الواحدة تخاطب بأربعة عشر لسان كلها تنسب ما تقول إلى نفسه فالظهورات المختلفة لتلك القصبة في أربعة عشر عقدا كظهور النار في أربعة عشر سراجا فالحقيقة واحدة والظهورات مختلفة وعلة الاختلاف في تلك الحقائق المقدسة ضعيفة جدا لا تكون سببا لاختلاف الآثار والأحوال كما في ظهور الإنسان في زيد وعمرو فإنّ علة الاختلاف فيهما قوية فلا يجري على أحدهما حكم الآخر ولا كذلك اختلاف حقائق الأئمة عليهم السلام بل جميع الأحوال الجارية على أحدهم هي الجارية على الآخر فإذا نسبته إليه صدقت ولذا ورد عنهم أنهم عليهم السلام رخّصوا شيعتهم أن يسندوا الحديث الذي قاله أحدهم عليهم السلام إلى الآخر فتقول ما قال الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقال أمير المؤمنين عليه السلام وهكذا بالعكس لأنّ الاختلاف فيهم ضعيف وحكم الاتحاد والوحدة جار عليهم على الحقيقة ، فعلى هذا مفاد الإفراد والجمع واحد فإنّ معنى قوله عليه السلام ((علمت)) هو معنى قوله عليه السلام علمنا فافهم .

والمقام الأول أي مقام التفصيل ملاحظة جهة الاختلاف وإن كانت ضعيفة فإنّ الاختلاف يستلزم القرب والبعد وزيادة التركيب وقلتها وأمثال ذلك فحيث كانوا عليهم السلام كلمة واحدة تكلم بها الحق عز وجل فانزجر وانقاد

لها كل شيء وكانت الكلمة متفاوتة الحكم في النقطة والألف والحروف واجتماعها على الهيئة المناسبة للمعنى المطلوب وكان الألف ظاهرا من النقطة ومنبسطا عنها والحروف متقطعة من الألف والكلمة مجتمعة من الحروف كانت مراتبهم عليهم السلام تختلف في عالم التفصيل فيكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو النقطة التي تدور عليها الكلمة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ((أنا الشجرة وعلي عليه السلام أصلها وفاطمة فرعها والأئمة أغصانها))[1] فهو صلى الله عليه وآله وسلم القطب الذي يدور عليه الرّحى وهو المنتجب من البحبوحة وعلي عليه السلام هو الألف المنبسط من النقطة كما قال عليه السلام ((أنا من أحمد كالضوء من الضوء))[2] فهو عليه السلام محل الانبساط والظهور بالشؤون والأطوار وحامل اللواء والحروف المنشعبة منه هم الأئمة عليهم السلام ولذا جرت الحكمة في تولدهم منه عليه السلام فهو أبوهم ظاهرا وباطنا ولذا كان عليه السلام أمير المؤمنين يمير المؤمنين الذين هم

---

[1] لم نجد هذه الرواية بعينها فيما لدينا من المراجع ووجدنا ما يقاربها ففي معاني الأخبار ص ٩٣ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أنا أصلها (أي الشجرة) وأمير المؤمنين فرعها ، والأئمة من ولده أغصانها ، وشيعتهم ورقها وعلمهم ثمّرها)) ، وفي بصائر الدرجات ص ٩٥ عن عمر بن يزيد قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى (شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء قال : فقال ((رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جذرها وأمير المؤمنين فرعا والأئمة من ذريته أغصانها وعلم الأئمة ثمرها وشيعتهم المؤمنون ورقها ، هل ترى فيها فضلا يا أبا جعفر ، قال : لا والله ، فقال : والله إن المؤمن يولد فيورق ورقة وإن المؤمن ليموت فتسقط ورقته)) .

[2] أمالي الصدوق ٥١٣ ، البحار ٢١ / ٢٦

الأئمة عليهم السلام العلم والإمامة والولاية ويميرها من الأحكام والأحوال والكلمة الجامعة هي مولاتنا فاطمة عليها السلام لأن الأئمة كلّهم قد اجتمعوا فيها وتفجّروا منها عليها السلام كما في تفسير قوله تعالى ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ ﴾ وهو رسول الله ﴿ لِقَوْمِهِۦ ﴾ أي لأمته ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ والعصا هي عليّ عليه السلام والحجر هي فاطمة عليها السلام ﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[1] هم الأئمة عليهم السلام فهم عيون قد تفجّرت من ذلك الحجر فإذا كان كذلك فعليّ عليه السلام هو المتفرّد بالعلم التفصيلي حقيقة أما سائر الأئمة عليهم السلام وفاطمة عليها السلام فعنه عليه السلام أخذوا وإليه استندوا فهو مولاهم وسيدهم وأما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فظهرت تفاصيل علومه في عليّ عليه السلام لأنه الطائف حول جلال القدرة ويأتي إنشاء الله بيان هذه المسألة في محلّها ، فعليّ عليه السلام هو المتفرّد بمعرفة عجائب العلوم وغرائبها في المقامات التفصيلية .

وفي قوله عليه السلام ((علمت)) إشعاراً إلى ذلك فإنّ العلم مقام النفس والنّفس الكلّية إنما ظهرت فيه عليه السلام فهو اللوح المحفوظ والكتاب المسطور ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[2] ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴾[3] وقال تعالى

---

[1] البقرة ٦٠ [2] يس ١٢ [3] النبأ ٢٩

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾[1] قال عليه السلام ((يعني بموت العلماء))[2] فافهم .

[1] الرعد ٤١ [2] البحار ٧٠ / ٣٤٠

قال عليه الصلاة والسّلام وعرفت ما كان وما يكون وما كان في الذّر الأول مع من تقدّم مع آدم الأول

أقول هذا تتميم لكلامه السّابق وبيان وتفصيل له أو إنّ هـذا جـامع القول وخلاصة ما تقدّم مـن ذكـر العـوالم والأكـوار والأدوار ، أو أنـه بيـان للرئاسـة الكـبرى والسياسـة العظمـى والدّرجـة القصـوى وجـامع مظـاهر الصّفات والأسماء ، أما أن الإمام عليه السلام يعرف ما كان وما يكون فممّا لا إشكال فيه لمن نظر في الأخبار بصحيح الاعتبار واستعمل العقـل المسـتنير بنـور الله عز وجل وجانب العناد واللّجاج فمن الأخبار ما في الكافي عن سيف التمـار قـال ((كنّـا مـع أبـي عبـد الله عليه السلام وجماعـة مـن الشـيعة في الحجـر فقال عليه السلام علينا عين فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نرى أحدا فقلنا ليس علينا عـين فقال عليه السلام وربّ الكعبة وربّ البيت ثلاث مرّات لوكنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنـي أعلـم منـهما ولأنبأتـهما بمـا ليـس في أيديـهما لأن موسـى

والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم السّاعة وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وراثة))[1] .

وفيه عن علّة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيلة وعبد الله أبن بشر الخثعمي سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول ((إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون ، قال ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه ، فقال عليه السلام : علمت ذلك من كتاب الله عز وجل إن الله عز وجل إن الله عز وجل يقول ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[2]))[3] .

وفيه عن ضريس الكناسي قال ((سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول وعنده أناس من أصحابه عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمة ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم فينقصونا حقّنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا والتسليم لأمرنا ، أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفي عنهم أخبار السموات والأرض ويقطع عنهم مواد العلم في ما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم))[4] .

---

[1] الكافي ١ / ٢٦٠ ح ١ — [2] النحل ٨٩ — [3] الكافي ١ / ٢٦١ ح ٢

[4] الكافي ١ / ٢٦١ ح ٤

وفيه عن أبي حمزة قال ((سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول لا والله لا يكون عالم جاهلا أبدا عالما بشيء جاهلاً بشيء ثم قال عليه السلام الله أجلّ وأعز وأكرم من أن يفترض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه ، ثم قال عليه السلام لا يحجب ذلك عنه))[1] ، وفي الحديث المتقدم عن الصادق عليه السلام أنه قال ((إن عندنا علم ما كان وعلم ما هوكائن إلى أن تقوم الساعة)) ، وفيه عنه عليه السلام في وصف مصحف فاطمة عليها السلام إلى أن قال عليه السلام أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون .

وفي الصّحيفة السجّادية ((يا من خصّ محمّداً وآله بالكرامة وحباهم بالرّسالة) إلى أن قال عليه السلام ((وعلّمهم علم ما كان وما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم)) الدعاء .

وفي القرآن المجيد ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾[2] وقال عز وجل ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[3] .

وعن الباقر عليه السلام في حديث ليلة القدر على ما في الكافي أن رسول الله عليه السلام ((لما أسري به لم يهبط حتى أعلمه الله جلّ ذكره علم ما قد كان

---

[1] الكافي ١ ٢٦٢ ح ٦ [2] الجن ٢٦ – ٢٧ [3] البقرة ٢٥٥

وما سيكون وكان كثيرا من علمه ذلك جملا يأتي تفسيرها في ليلة القدر وكذلك كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد علم جمل العلم ويأتي تفسيره في ليالي القدر كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله)) إلى أن قال قال السائل يا أبا جعفر أرأيت النبي صلى الله عليه وآله هل كان يأتيه في ليالي القدر شيء لم يكن يعلمه قال عليه السلام لا يحلّ لك أن تسأل عن هذا أما علم ما كان وما سيكون فليس يموت نبي ولا وصي إلا والوصي الذي بعده يعلمه أما هذا العلم الذي تسأل عنه فإن الله عز وجل أبا أن يطلع الأوصياء عليه إلا أنفسهم))[1] الحديث .

وأمثالها من الأخبار كثيرة وهذه الأخبار عامة تدل على أن عندهم عليهم السلام علم ما كان وما يكون وهنا أخبار أخر تدل على أنهم عليهم السلام يزدادون في كل يوم جمعة وفي كل يوم وفي كل آن ودقيقة وقد قال عز وجل ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ ولا شكّ أن المراد بالعلم ليس هوالذات البحت عز وجل إذا جعلت المستثنى متّصلا كما هوالأصل فيه وأما إذا جعلته منقطعا فالمعنى أنهم عليهم السلام لا يحيطون بعلمه الذاتي لكنهم يحيطون بما شاء الله من علمه الحادث الفعلي وهوالذي في الكتاب وهذا الكلام له وجهان .

---

[1] الكافي ١/ ٢٥١ ح ٨

أحدهما أنهم عليهم السلام يحيطون بما شاء الله بالمشيئة الإمكانية والكونية معا ، وثانيهما أنهم عليهم السلام يحيطون بما شاء الله بالمشيئة الكونية ويؤيد الثّاني بل يحقّقه ويرجّحه قوله تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1] فإن الاستزادة عن الذات البحت مستحيلة وعمّا عنده قبيحة فيجب أمر دون الأمرين أي لا يكون ذاته تعالى ولا يكون ما عنده وإنما ما استجن في الإمكان فلا يصحّ إرادة المعنى الأول ، قال ((قلت جعلت فداك وما ذاك الشّأن قال عليه السلام يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى عليهم السلام وأرواح الأوصياء الموتى وروح الوصي الذي بين ظهرانيكم يعرج بها إلى السماء حتى توافي عرش ربّها فتطوف به أسبوعا وتصلي عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين ثم ترد إلى الأبدان التي كانت فيها فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملئوا سرورا ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جمّ الغفير))[2] .

وفيه عن المفضل قال ((قال لي أبوعبد الله عليه السلام ذات يوم وكان لا يكنّيني قبل ذلك يا أبا عبد الله ، قال : قلت : لبيك ، قال : إنّ لنا في كل ليلة جمعة سرورا ، قلت : زادك الله وما ذاك ، قال عليه السلام إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العرش ووافى الأئمة عليهم السلام معه ووافينا معهم فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد ولولا ذلك لأنفدنا))[3] .

---

[1] طه ١١٤ [2] الكافي ١/٢٥٣ ح ١ [3] الكافي ١/٢٥٤ ح ٢

وفيه أيضا عن يونس أوالمفضّل عن أبي عبد الله عليه السلام قال ((ما من ليلة جمعة إلا ولأولياء الله فيها سرور ، قلت كيف ذلك جعلت فداك ، قال إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العرش ووافى الأئمة ووافيت معهم فما أرجع إلا بعلم مستفاد ولولا ذلك لنفد ما عندي))[1] .

وفيه عن زرارة قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ((لولا أنا نزداد لأنفدنا قال قلت تزدادون شيئا لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أما إنه إذا كان ذلك عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر إلينا))[2] .

وفي الحديث المتقدم عن أبي بصير إلى أن قال عليه السلام ((إن عندنا علم ما كان وما هوكائن إلى أن تقوم الساعة قال قلت جعلت فداك هذا والله هوالعلم قال عليه السلام إنه لعلم وليس بذاك قال قلت جعلت فداك فأي شيء العلم قال عليه السلام ما يحدث بالليل والنهار والأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة)) .

وفيه عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال ((إن لله تبارك وتعالى علمين علم أظهر عليه ملائكته وأنبيائه ورسله ، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه ، وعلم استأثر به فإذا بدا لله في شيء منه أعلمنا ذلك وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا))[3] .

---

[1] الكافي ١ / ٢٥٤ ح ٣ [2] الكافي ١ ٢٥٥ ح ٣ [3] الكافي ١ / ٢٥٥ ح ١

وفيه أيضاً عن ضريس قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ((إن الله عز وجل علمين علم مبذول وعلم مكفوف فأما المبذول فإنه ليس من شيء تعلمه الملائكة والرسل إلا نحن نعلمه وأما المكفوف فهو الذي عند الله عز وجل في أم الكتاب إذا خرج نفد))[1] .

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[2] قال عليه السلام وكان والله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ممن ارتضى ، وأما قوله تعالى ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ فإن الله عز وجل عالم بما غاب عن خلقه فيما يقدر من شيء ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يقضيه إلى الملائكة فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشيئة فيقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلا يمضيه ، فأما العلم الذي يقدّر الله عز وجل ويقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم إلينا))[3] .

وفيه عن عمّار الساباطي قال ((سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام يعلم الغيب فقال لا ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك))[4] .

وعنه عليه السلام ((إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم))[5] .

---

[1] الكافي ١/ ٢٥٥ ح ٣ — [2] الجن ٢٦ – ٢٧ — [3] الكافي ١/ ٢٥٦ ح ٢

[4] الكافي ٢٥٧ ح ٤ — [5] الكافي ١/ ٢٥٨ ح ١

والأحاديث في هذه المضامين كثيرة فإذا سمعت بعض الأخبار مما يحضرني الآن فاسمع ما ذكره القرية الظاهرة للسير إلى القرى المباركة أعني شيخنا وأستاذنا أطال الله بقاه وجعلني فداه في شرح الزيارة الجامعة عند قوله عليه السلام وخزّان العلم قال سلّمه الله تعالى (العلم الذي هم خزّانه العلم الحادث وهوعلم موجود بالمعنى المتعارف وهوقوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1] يعني أن ما لم يشأ من علمه أن يعلموه لا يحيطون به وليس المراد بهذا العلم الذي لا يحيطون بشيء منه هو القديم الذي هوالذات ليكون المعنى ولا يحيطون بشيء من ذاته إلا بما شاء أن يحيطوا به منها وهذا معنى باطل بل المراد به شيئان أحدهما أن العلم الحادث الذي هوغير الذات منه ممكن مقدور غير مكوّن ومنه تكوين ومنه مكوّن فالممكن المقدور غير المكوّن هوالممكنات قبل أن تكسى حلّه الوجود في جميع مراتب الوجود فهذه لم تكن مشاءة إلا في إمكانها فهذا لا يحيطون بشيء منه إحاطة وجود ويحيطون به إحاطة إمكان لأنه إذ ذاك مشاء مشيئة إمكان والتكوين الممكن وهذا يحيطون به لأنه مشاء بنفسه وهم محال ذلك والمكوّن قسمان مكوّن مشروط ومكوّن منجّز والمكون المشروط يحيطون به لأنه مشاء ولا يحيطون بالشّرط إلا بعد أن يكون مشاء والمكوّن المنجّز يحيطون به ثم ما كانوا

---

[1] البقرة ٢٥٥

يحيطون به قسمان قسم كان وهم عليهم السلام يحيطون به أنه كان ولا يحيطون به أنه مستمر أومنقطع إلا إحاطة إخبار وقسم لم يكن فهم يحيطون به إحاطة إخبار لا إحاطة عيان فظهر لمن نظر وأبصر من هذا التفصيل أنهم لا يحيطون بشيء من علمه الذي هوغير ذاته إلا بما شاء أن يحيطوا به والذي شاء أن يحيطوا به ما سمعته في هذا التفصيل فافهم.

وثانيهما أن ما أحاطوا بـه وعلموه لم يكونوا علموا شيئا منه إلا بتعليم الله سبحانه ولم يكن تعليمه لهم أنه أعلمهم ورفع يده عنهم فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى الله ، تعالى الله عن إمكان استغناء شيء عنه علوا كبيرا ، بل ما علموه إنما هوبتعليم الله لهم في كل لحظة بمعنى أنهم إذا علموا أن غداً تطلع الشمس إن شاء الله ما ملكوا من هذا العلم شيئا إلا لحظة علمهم بذلك حين علموا لا قبلها ولا بعدها ولم يعلموا بعد تلك اللّحظة ما علموه من أن الشمس تطلع غداً إن شاء الله إلا بتعليم جديد من الله تعالى كما هوحال المحتاج إلى الغني المطلق وذلك التعليم الدائم القائم حين يكون هو ما شاء الله وهوالذي يحيطون به وهوما ملكوه من العلم فافهم فإنه دقيق لطيف رشيق والعلم الذي هم خزّانه هو هذان الشّيئان من العلم على نحوما ذكرنا لا غير)[1] انتهى كلامه أطال الله عمره وأعلى الله مقامه.

---

[1] شرح الزيارة الجامعة الكبير ١ ص ٤٧ – ٤٨

وأنا أجمل لك المقال وأشرح به حقيقة الحال بكلام موجز مختصر فخذه قاعدة كلية فاعرف منها معنى علم الإمام عليه السلام بما كان وما يكـون إلى انقضـاء الوجود.

فأقول اعلم أنّ الله عز وجـل لم يـزل متفـردا متوحـدا ولم يكـن معـه سبحانه شيء، والآن كما على ما عليه كان إذ لم يسبق له حـال حـالا ليكـون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكـون باطنـا بـل أوّليتـه عـين آخريتـه وظاهريتـه نفـس باطنيتـه ومشـهوديته عـين مفقوديتـه وخفـاؤه عـين ظهوره، ثم خلق محمـدا وأهـل بيتـه الطـاهرين عليهم السلام أوّلا قبـل كـل شـيء وأكمل خلقتهم وأتم نورهم عليهم السلام، ثم هم يعبدون الله عز وجل كما عبـدوه بأعمـالهم وأفعـالهم وأقوالهـم وحركاتـهم وسـكناتهم وسـائر أحوالهـم وشـئونهم، وتلـك الأعمـال والأفعـال والعبـادات ليسـت صـادرة عنـهم بالاستقلال إذ لا فعل لهم فيها ليستلزم الإجبار وإنمـا ذلـك بسـر الأمـر بـين الأمرين، كأعمالك وأقوالـك وحركـاتك وسـكناتك مثـل قيـامك وقعـودك وأكلك وشربك وكتابتك وسائر أعمالك فإن كلّها أشياء وجودية قـد تقـوّت بك وبيدك ناصيتـها، إلا أن الأشـخاص تختلـف في صـدور الأعمـال عنـهم باختلاف القدرة من قوتـها وضعفـها وذلـك الاختـلاف مـن جهـة اختـلاف كينونات العاملين بقابليّاتهم، ولذا ترى الملائكة تحرّك الجبال والأرض كلّـها وتدير الأفلاك بأمر الله وإذنه واقتداره وأنت ما تقدر على ذلـك، وليـس أن

الملائكة مجبورون في ذلك أو أنت مجبور فيما ذكرنا لأن الجبر قد سبق منّا أنه عبارة مفهوميّة لا حقيقة لها في الواقع وإن كانت لها حقيقة في نفس الأمر.

فإذا أتقنت هذا فاعلم أن الموجودات كلّها بسماواتها وأرضها وعرشها وكرسيها وملائكتها وجنّها وحيوانها ونباتها وجمادها وكل ما يحصل من قراناتها وأوضاعها وجميع ما يرى وما لا يرى ومن ينقلب في الجنة والنار وحقيقتهما وحقيقة الأنبياء وسائر ما خلق الله عز وجل كلّها على العموم الاستغراقي الحقيقي اللغوي لا العزمي مختارة في صدور الأفاعيل المنسوبة إليها، وأمّا الأفعال التي صدرت عن الله بها وبواسطتها فليس لها إلا حكم التوسط فلا تنسب إليها على الحقيقة كالخلق والرزق، وليست هي مختارة في الإيجاد وإنما هي أسباب وأبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها.

ولما ثبت أن محمدا وأهل بيته عليهم السلام هم الباب الأعظم والسبب الأتم، أوجد الله الموجودات بهم في جميع أحوالهم، فالإمام عليه السلام هو العلّة والسبب وليس نسبة الخلق إليهم كنسبة أعمالك وحركاتك وسكناتك بل نسبتهم إليه كنسبة الأفعال الإلهية إلى الملك، فهو عليه السلام حامل اللواء والذات في الذوات للذات فالعالم كله بيته الذي بناه بقدرة الله، وكلّما في العالم آلات البيت التي أحدثها على حكم المقتضيات والأوضاع أنشأ الله مادّتها باختراعه لا من شيء وصورتها لا لشيء فهو روحي فداه صاحب البيت ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخره وسيّده والله عز وجل من ورائهم محيط، فهم عليهم السلام ليسوا

شيئا إلا بالله عز وجل فلا عمل لهم إلا به وبأمره كما قال عز وجل ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾[1] ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] فظهرت قدرة الله عز وجل فيهم فتحمّلوا أوامره ونواهيه والأحكام الوجوديّة والشرعية كلّها كما قال في الحديث القدسي ((لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن))[3] فهم وسعوا جميع الأحكام الربوبية فظهرت بهم أحكامها ، ولما تمحّضوا في العبودية ودكوا جبال الإنيّة بلغوا مقام الحديدة المحمية فصار فعلهم فعل الله وقولهم قول الله وحكمهم حكم الله وأمرهم أمر الله ونهيهم نهي الله كما قال الله عز وجل ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[4] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[5] .

ولما كان الحق سبحانه هوالثابت المستقل الموجود الدائم الباقي فلا تنسب الأشياء في كل أحوالها إلا إليه فلا يعبد إلا إياه ، ولما كانت الأشياء متقوّمة بهم ومبدئة بهم وصادرة عن الله لهم عليهم السلام وهم عليهم السلام لا ينظر إليهم نظر الاستقلال فصارت التعبيرات تختلف بالنسبة إليهم عليهم السلام ، فمرة يعبر

---

[1] الأنبياء ٢٧ ٢ الأنبياء ٢٩ ٣ البحار ٥٨/٣٩ ح ٦١

٤ النساء ٨٠ ٥ الفتح ١٠

عنهم باليد ومرة بالقدرة ومرة بالعلم ومرة بالتوحيد ومرة بركن التوحيد ومرة بالجلال ومرة بالجمال ومرة بالعظمة ومرة بالرحمة ومرة بالوجه ومرة بالجنب ومرة بالاسم ومرة بالمعنى وهكذا من سائر التعبيرات ، ومرجع كل ذلك إلى ما ذكرنا لك من سر الأمر بين الأمرين فإذا صحّ أن الموجودات كلّها آثار الله الصادرة عن الله بالإمام عليه السلام فوجودها كلها عنده كالنقطة في الدائرة لأنه لها كالقطب بالنسبة إلى المحيط ، ولاشك ولا ريب أن المحيط عالم بجميع جهات المحاط مما أحدثه الله ومما يحدثه فيما بعد وكل ذلك حاضر عنده موجود لديه لأنه الباب الذي لا يؤتى إلا منه وفي الزيارة ((إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم ويصدر من بيوتكم الصادرة لما فصّل من أحكام العباد))[1] الزيارة .

فالذوات والحقائق بأسرها صدرت عن الله تعالى بهم فهم باب الفيض في الصدور والورود بالنسبة إلى كل موجود والموجودات كلها أعراض قائمة بهم عليهم السلام ، فهم عليهم السلام بهذا الاعتبار يعلمون علم السموات والأرض وما كان وما يكون إلى يوم القيامة وإلى ما لا نهاية له لأنهم وجه الله الذي لا تعطيل له في كل مكان ويده المبسوطة بالبر والامتنان ورحمته الواسعة وقدرته الشاملة الكاملة فيعلمون ما يكون حين ما كان قبل أن يكون ، ولما كان الوجود دائم الفيضان ودائم التجدد والسيلان كانوا عليهم السلام يزدادون في

---

[1] كامل الزيارات ٢٠٠

العلم في كل آن من الأمور المتخصّصة في الأكوان المنزلة مطلقة من بحر الإمكان ، فلا يعلمون عليهم السلام إلا ما ظهر مكونا في عالم الأعيان وأما الأكوان فيعلمونه على ما هوعليه من عدم التخصص والتعين ، ولما كان ظهور الحق عز وجل لهم قبل كونهم في عينهم فهوسبحانه أقرب إليهم لا نهاية له في بعده عنهم كذلك فعلّم سبحانه الخلق في أماكنهم ورتبهم قبل خلقهم وقبل وجودهم عليهم السلام بما لا نهاية له ، ولما كان ظهورهم عليهم السلام للخلق كذلك كان تعليم الله سبحانه إياهم حقائق الخلق من المستقبل والماضي والحال قبل كون الخلق وعينهم بما لا نهاية له في رتبة وجودات الخلق لا قبلها ، فنسبتهم عليهم السلام إلى الخلق نسبة واحدة وكل الخلائق عندهم عليهم السلام نقطة واحدة فيرون كل شيء في مكانه ووقته قبل وجوده حين وجوده لأن التقديرات الزمانية والتقدم والتأخر السّيالين الغير المجتمعين مرتفعة عندهم ، فالمستقبل عندهم عليهم السلام عين الماضي والماضي عين الحال ومعنى ذلك رفع الماضي والحال والاستقبال فالوقت الذي عرفوا القيامة الكبرى مثلا هوالوقت الذي عرفوا وجود آدم أبيناعليه السلام لأن زمانهم عليهم السلام سرمد بالنسبة إلى الأنبياء وزمان الأنبياء سرمد بالنسبة إلينا والسرمد انقطعت عنده النهايات والبدايات والجهات الدهرية والدهر انقطعت عنده كل المدد الزمانية وكلها عنده كنقطة واحدة ، فالأشياء كلها في جميع أحوالها من الماضي والاستقبال حاضرة لديهم معلومة لهم ويشاهدونها حين وجودها وصدورها من المبدأ ، ولذا قد مرّ

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجميع الأشياء حين خلقه الله عز وجل ودخل الجنة والنار ، والحسين عليه السلام أرى أمّ سلمه زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقتله ومذبحه ويوم شهادته وحال شهادته وشهادة الشهداء المستشهدين بين يديه وسبي النساء وسائر الأحوال وهو عليه السلام في المدينة ، فالأشياء كلها مما جرى عليه قلم الابداع على حكم الاختراع فما يصح في الحكمة أن يبرز في الوجود كلها قد صار عندهم وتحقق لديهم سلام الله عليهم وثبت في اللوح المحفوظ الذي لم يتغيّر ولم يتبدّل قال عز وجل ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾[1] وهذا معنى قولهم عليهم السلام ما معناه ((إن الله عز وجل خلق القلم وأمره أن يكتب في اللوح فكتب ما كان وما يكون ثم جف ولم ينطق أبدا)) وإلى هذا الذي ذكرنا من السر المنمنم يشير قوله عليه السلام ((وعرفت ما كان وما يكون)) فهم عليهم السلام يشاهدون الأشياء بمراتب سياليتها وتدرّج مراتبها ومقاماتها إلى نهايات انقطاع وجوداتها على التفصيل حين وجوداتها قبل أن تخلق بألف ألف دهر وهذا باب غامض يدركه أهل الأفئدة ولذا لما سئل السائل عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((هل كان يأتيه في ليالي القدر شيء لم يكن يعلمه قال عليه السلام لا يحلّ لك أن تسأل عن هذا أما علم ما كان وما سيكون فليس يموت نبي ولا

---

[1] الأنعام ٢

وصي إلا والوصي الذي بعده يعلمه أما هذا العلم الذي تسأل عنه فإن الله عز وجل أبا أن يطلع الأوصياء عليه إلا أنفسهم))[1] الحديث فافهم .

والقلم الذي كتب ما كان وما يكون ثم جف وهو عقلهم عليهم السلام وهوروح القدس الذي يأتي في ليلة القدر عند الإمام عليه السلام وهذا الروح قد قالوا عليهم السلام فيه ((روح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة))[2] وهذا العلم الثاني هوظهورات العلم الأول في مراتب تنزلاته منسب سيالية الأشياء في مراتبها وحسب مقابلتها لفوّارة القدر فليلة القدر هي ليلة الجمعة التي قد تقدّم في الحديث أنهم عليهم السلام يزدادون فيها وليلة الجمعة هي الآن والآنات التي يزدادون فيها إذ مواد العلم لا تنقطع عنهم عليهم السلام والأيام والأسبوع منقطعة دونهم وفوّارة الفيض الذي هوالعلم دائم الفوران عليهم لكنا نحن عندنا الأيام والأسبوع والسنة فيقدّر ذلك النور فيها على حسبها كنداء الملك الذي على نصف النهار ينادي ((قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فاطفؤها بصلاتكم))[3] وهذا هوصوت واحد غير منقطع على دائرة نصف النهار فأهل كل بلدة يحاذونها سمعوا صوته ووجب عليهم صلاة الظهر وكذلك العصر والمغرب والعشاء والصبح على هذه الأوقات وليست هذه الأوقات عند الملك ولا عند الفلك و إنما هي بالنسبة إلى أهل الأرض ، وكذلك ليلة القدر فإنها ليلة إفاضة

---

[1] الكافي ١ / ٢٥١ ح ٨ ٢ البحار ٢٦ / ٢٦٤ ٣ الفقيه ١ /٢٠٨

الفيض عليهم عليهم السلام من فوارة القدر الذي هو بحر مظلم كالليل الدامس كثير الحيتان والحيّات في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلّع عليها إلا الواحد الفرد فمن تطلّع عليها فقد ضاد الله في ملكه ونازعه في سلطانه وباء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير ، ولا انقطاع لفوران تلك الفوّارة أبد الآبدين وذلك الفوران على تلك الأراضي الطيبة والقابليات الراجحة التي كادت أن تضيء ولو لم تمسسها نار التأثير بماء الأثر تسمى مرة بليلة القدر .

وإنما سمي بالليلة لأن ذلك النور أي الفيض أي العلم الذي هوالنقطة قد ظهرت في تلك الهياكل والحدود الطيبة الطاهرة فكانت ليلة ، وإنما سميت بالقدر بمعنى الضيق إشارة إلى تهجّم تلك الأنوار وتطابق ظهور الأسماء واجتماعها كلّها في تلك الحقائق المقدسة الطاهرة والملائكة مظاهر تلك الأسماء .

ويسمى مرة بليلة الجمعة أما الليلة فلما أشرنا إليه سابقا ، وأما الجمعة فلاجتماع القوابل مع المقبولات واتصال الأسماء بالمسميات والأسباب بالمسبّبات ، ويعبر عنه بظهور العلم في كل الآنات في جميع الدقائق والساعات لسريان ذلك النور في جميع المراتب وكل الأطوار في كل الأحوال .

وإنما عينت ليلة القدر بليلة ثلاثة وعشرين من شهر رمضان ، وأما شهر رمضان فلكونه مبدأ الشهور وأول السنة جرى له حكم المبدئية ولذا

وجب احترامه وصيامه ، أما العشر الثالث منه أما على الظاهر فلأن العوالم ثلاثة عالم الجبروت وهوالعشر الأول منه وفيه الفيوضات الواردة على العقول ، وعالم الملكوت وهوالعشر الثاني منه وفيه الفيوضات الواردة على النفوس وما بعدها ، وعالم الملك وهوالعشر الثالث وفيه الفيوضات الواردة على الأجسام من العلوية والسفلية وعالم الظهور وهوالثالث والمبدأ هوالأوّلان فلا يتحقق إلا بهما و إجراء الأحكام عليهما ، فوجب أن يكون لأهل العالم الثالث الرتبة الثالثة فلذا كان في العشر الثالث .

وأما في الحقيقة ليعمّ الحكم في كل عالم فلأن المبدأ له ثلاث جهات جهة إلى الأعلى والثانية إلى نفسه والثالثة إلى شئونه وأطواره وظهورات آثاره ، والفيض في عالم التفصيل والتمييز والظهور الفعلي مشروح العلل مبين الأسباب لا يكون ولا يتم إلا في الرتبة الثالثة فجرى حكم ليلة القدر في العشر الثالث مقترنا ومرتبطا بالثاني ، و إنما ظهرت ليلة القدر في ثلاثة ليال وكملت في الثالث لأن تمام الشيء من البدء لا يكون إلا بعد إيجاد عينه وتقدير حدوده والقضاء أي الحكم عليه بما هوعليه من تلك الحدود ، فالمقام الأول مقام المشيئة وبدأ الإرادة والمقام الثاني مقام القدر أي الهندسة ووضع الحدود والمقام الثالث مقام القضاء ومقام في أي صورة ما شاء ركبك فكان تمام الفيض في هذه المقامات الثلاثة وهي الكليات التي إذا فصّلت ظهرت السبعة أيام الأسبوع قال عليه السلام ((لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه

الخصال السبع بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب ، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر))[1] ، وفي رواية أخرى ((فقد أشرك))[2] .

وإنما كانت ليلة تسعة عشر الأولى المبدأ لأنها مقام الواحدية وأول ظهور المشيئة قبل التعلق الذي هو عبارة عن إتمامها بالأحدية وتلك الليلة مقام بسم الله الرحمن الرحيم في الكتاب التكويني فظهر الظاهر مطابقاً للباطن فإن المشيئة هي الذكر الأول وهذا مبدأ وجود الشيء لا يترتب عليه حكم ولا يظهر منه أثر إلى بما بعده من المراتب والحدود ، ثم ليلة إحدى وعشرين لأن الواحدية إذا تمت بالأحدية ظهرت الكاف المستديرة على نفسها ثم أثرت في الرتبة الثانية فليلة العشرين مقام ظهور الكاف وليلة أحد وعشرين مقام التأثير في التقدير ، أو قل إن ليلة تسعة عشر بإزاء المشيئة والعشرين في مقام الإرادة وحكمها في الليلة الأخرى وهي رتبة القدر وتقدير الآجال والأرزاق ووفد الحاج وأمثالها ، أو قل إن ليلة إحدى وعشرين أول البدء في العشر الثاني وليلة تسعة عشر لمقام الارتباط والثالث والعشرين لتمام المراتب وظهور شكل المثلث الذي هو أبو الأشكال وهوشكل أبينا آدم عليه السلام فافهم.

---

[1] الكافي ١/١٤٩ ح ١

[2] وهي قوله عليه السلام ((لا يكون شيء في السموات ولا في الأرض إلا بسبع بقضاء وقدر وإرادة ومشيئة وكتاب وأجل وإذن فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله أورد على الله)) الكافي ١/١٤٩/ ٢

وإنما ظهرت ليلة الجمعة ويومها في آخر الأسبوع أو في اليوم السادس لظهور التسبيع والتسديس في كل شيء كما قال عز وجل ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[1] واليوم السادس مقام الاجتماع وتمام الأمر والسابع كماله وظهوره مشروح العلل مبين الأسباب وهذا الحكم يجري في كل شيء من الموجودات العلوية والسفلية ، وأما عالم الأجسام أي العناصر لما كان عالم الزمان الغليظ الكثيف ظهر نور القضاء في ذلك اليوم ولذا كان عيدا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم .

وبالجملة لا تنافي بين ما ذكروا عليهم السلام (إن عندنا علم ما كان وما يكون) على مقتضى الأخبار الكثيرة المستفيضة وبين ما قالوا عليهم السلام (إنا نزداد في كل ليلة الجمعة) وما قالوا (إنا نزداد في كل آن) وما قالوا (أن الملائكة تأتيهم ليلة القدر بجميع ما يحدث في تلك السنة) فإن المراد مما يكون من المحتومات لا المشروطات والموقوفات وذلك للدليل القطعي على أنهم عليهم السلام حادثون والحادث لا يستغني من المدد إذ لوجاز أن يستغني آنا لجاز الاستغناء إلى الأبد كما يأتي مشروحاً إن شاء الله تعالى ، فالمدد الذي يأتيه لوكان هوالذي عنده كان تحصيلاً للحاصل ثم لا يتصور الإتيان وهوالمفروض فلو لم يكن عنده كان ممكنا في حقه أن يأتيه إذ لا يصح أن يأتيه شيء من الأزل

[1] الأعراف ٥٤

تعالى عن ذلك علوا كبيرا فيجب أن يكون في الإمكان فيأتيه أشياء ليست عنده ، فإذا ثبت حدوثهم عليهم السلام وأنهم مخلوقون مربوبون فيجب أن تأتيهم أشياء ليست عندهم وهوقوله تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1] وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((اللهم زدني فيك تحيرا)) فعلى هذا وجب أن نقول أن عندهم عليهم السلام علم ما كان لأنه لا يكون شيء إلا وأشهدهم الله خلقة فلا يوجد إلا بمشهد منهم عليهم السلام ولا يعمل عبد عملا إلا وقد يعرض عليهم عليهم السلام لأنهم عليهم السلام المناة لأحوال الخلائق والأعضاد الذين بهم قوام الأشياء بموادها وصورها فلا يشذ عنهم شيء موجود قد تعلق به الجعل ، وأما علم ما يكون فإن المحتوم منه الذي لا مرد له يعلمونه بتعليمهم الله عز وجل ، وأما ما سوى ذلك من الأمور الممكنة فإنها تتجدد عليهم دائما يفيض عليهم من بحر الإمكان إلى ساحل الأكوان والأعيان وهم عليهم السلام حملة ذلك الفيض وذلك العلم وعلم في ما قعر بحر الإمكان ليس إلا عند الله عز وجل فيخبرهم ما شاء وأحب من ذلك وذلك هوعلم الغيب كما قال عز وجل ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾[2] والمرتضى من محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو علي عليه السلام ولذا سمي بالمرتضى وقال عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

---

[1] طه ١١٤ [2] الجن ٢٦ – ٢٧

﴿لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[1] وهذا العلم الذي يأتيهم لا غاية له ولا نهاية له نهر يجري من تحت جبل الأزل على أراضي قلوبهم إلى أبد الأبد فيظهر ذلك في العالم الزماني بالمكمم بهذه المقادير المخصوصة بالنسبة إلى أهله ، وأما بالنسبة إليهم عليهم السلام فليلة القدر هي ليلة الجمعة كما ذكرنا ألا ترى أنه من جهة اختلاف الآفاق يكون ليلة في بلدة جمعة وفي أخرى السبت وفي أخرى الأحد وهكذا ، وكذا ليلة القدر أي الليالي الثلاثة تختلف باختلاف البلدان باختلاف الآفاق فدل ذلك على ما ذكرنا من وحدة الأمر النازل في ليلة القدر واختلافه بالقوابل قال تعالى ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾[2] ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[3] فافهم.

وليس الغيب ما توهمه بعض الناس من أنه الإخبار بما في القلوب والضمائر وأمثال ذلك فإن ذلك غيب إضافي لا حقيقي والموجودات دقيقها وجليلها ومجردها وماديها كلها حاضرة لديهم مشهودة لهم فلا تغيب عنهم لأنهم عليهم السلام وجه الله الذي لا تعطيل له في كل مكان والخواطر إنما نزلت إلى الأوهام والأذهان بعد أن نزلوها عليهم السلام من خزائنها المقدرة لها والمستقبلات كلها حاضرة عندهم يرونها ويشاهدونها في أماكنها وأوقاتها فلا يخفى عليهم شيء من أحوالها فلا ينبغي لأحد ممن له تتبع في الأخبار وتعمق نظر واعتبار

---

[1] آل عمران ٧٩ [2] القمر ٥٠ [3] الملك ٣

أن يشك أن عندهم عليهم السلام كلما برز في عالم الكون فإذا سألهم السائل من شيء لا بل إذا أتاهم من قبل السؤال يعلمونه بجميع أحواله وما يريد أن يسأله وما الذي تقتضي المصلحة في حقه وأمثالها لأن ذلك ليس بغيب عندهم عليهم السلام و إنما هوشهادة وعيان ، فلا يشمله ما دل على أنهم لا يعلمون الغيب فإن قلت فما معنى الحديث المتقدم عن أبي عبد الله عليه السلام ((يا عجبا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أيّ بيوت الدار هي))[1] ، فإن ذلك مخالف لما قررت من أنهم عليهم السلام يعلمون جميع ما تحلى بحلية الكون ويدل أيضا على أن المراد بالغيب الذي لا يعلمونه هوالغائب عن الأبصار من أحوال القلوب والضمائر والخفايا والخبايا .

قلت ليس المراد من الحديث الشريف ظاهره لدلالة عجز الحديث عليه وهو صريح في أنه كان منه عن تقية من الذي كان في مجلسه فإن معنى الحديث إن ضعفاء شيعتنا يؤذوننا أي المخالفون يؤذوننا في ضعفاء الشيعة لتأذيهم منهم فينا ، ((يزعمون)) أي العامة أنا نعلم الغيب يحتمل الغيب أن يكون ضمير المتكلم راجعا إلى العامة المخالفين يعني يزعمون أنفسهم أنهم يعلمون الغيب أي الأسرار والبواطن والأمور الغيبية عن الخلق حتى

---

[1] الكافي ١/٢٥٧ ح ٣

أنهم يقولون أن أبا بكر وعمر أوتيا علما لم يؤت رسول الله صلى الله عليه وآله من الأسرار وغوامض العلوم ووصل إليهما العلم من الله عز وجل بدون توسط النبي صلى الله عليه وآله من العلوم المكتومة وكما قال أيضا بعضهم لوشئت لأوقرت سبعين جملا من تفسير الحمد لله في مقابلة قول علي عليه السلام ((لوشئت لأوقرت سبعين جملا من تفسير باء بسم الله الرحمن الرحيم))[1] وأمثال ذلك مما يدعون بمحض الدعوى ، ويحتمل أيضا أن يكون ضمير المتكلم راجعا إليهم عليهم السلام والزعم هو ركوب مطيّة الكذب والخيال الباطل والظن وشبهه يعني أنهم في شك وارتياب في أنا نعلم الغيب وليس كذلك بل يجب اليقين والاعتقاد في ذلك .

وقوله عليه السلام ((لقد هممت بضرب جاريتي فهربت مني)) المراد بالضرب هو النوع وكانت له جارية عامية أراد عليه السلام أن يجعلها من نوع شيعته ومواليه فما قبلت ، وقوله عليه السلام ((فما علمت في أيّ بيوت الدار هي)) يعني ما أبالي في أي طريقة تموت يهودية أو نصرانية هذا هو مراد الإمام عليه السلام ولا تقل أنه بعيد لأنا نقول ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾[2] وأنهم عليهم السلام يتكلمون بالكلمة ويريدون منها أحد وسبعين

---

[1] عوالي اللآلي ٤/ ١٠٢

[2] المعارج ٦ – ٧

وجها ، ومثل هذا الحديث كثيرا ما يقع عنهم عليهم السلام في مورد التقية كما اشتهر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال ((إن أبا بكر وعمر كانا إمامين عادلين كانا على الحق وماتا على الحق رحمة الله عليهما)) وقالوا أيضا ((من فضل عليا على عمر فقد كفر)) وأمثالها كثير ولا يمكن إرادة ظاهر هذه الأحاديث على ما يفهمه العوام ، فإن المراد من الأول أنهما كانا إمامين من الأئمة الذين يدعون إلى النار ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾[1] ، عادلين عن الحق والصراط المستقيم ، كانا على الحق الحق هو علي عليه السلام لقوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾[2] وعلى للضرر يعني أنهما كانا دائما على ضرر علي عليه السلام وإيصال الأذية إليه عليه السلام وماتا على الحق كالأول ، رحمة الله عليهما يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ضررهما وإهانتهما في الدنيا والآخرة ، والمراد من الحديث الثاني في أن تفضيل شيء على شيء فرع أن يكون في المفضل عليه فضيلة فإثبات التفضيل لأحد على أحد إثبات الفضيلة في الآخر وذلك كفر في ما نحن فيه كما قال الشافعي شعرا :

يقولون لي فضل عليا عليهما وكيف أقول الدر خير من الحصى

ألم تر أن السيف يزرى بحاله إذا قيل أن السيف خير من العصا

---

[1] القصص ٤٢ ٢ الحاقة ٥١

فإن قلت أن ارتكاب التقية خلاف الأصل وخلاف الأصل إنما يصح إذا قام الدليل القطعي عليه كما في الحديثين الآخرين وأما فيما إذا لم يقم فلا فيجب حمل الكلام على ظاهره ، قلت بلا لكن في عجز الحديث قرينة صريحة في ذلك حيث قال عليه السلام كل علم الكتاب عندي ، والله سبحانه يقول ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[1] وفيه تفصيل كل شيء وتبيان كل شيء ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[2] ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴾[3] فإذا ثبت أن في الكتاب كل شيء ثبت أنهم عليهم السلام يعلمون كل شيء فإذا ثبت هذا المعنى في آخر الحديث ثبت أن أول الحديث لا يخالف آخره فصحّ ما ذكرنا .

فإن قلت قد تواترت الأخبار عنهم بأنهم عليهم السلام لا يعلمون الغيب وورد اللعن على من ادعى ذلك والتكذيب على من يدعيه فلا ينطبق على ما ذكرت ، قلت نحن نقول بموجبها ونتبرأ ممن ينسب الغيب إليهم عليهم السلام لكن على المعنى الذي ذكرنا من أن المراد بالغيب الذي لم يكن ولم يكتس حلة الكون وهو في الإمكان معدوم العين مشروط الوقوع ، وهذا لا يعلمونه ولا يحيطون به وإلا لساوى علمهم علم الله جل شأنه ولاستغنوا عن المدد وخرجوا عن الإمكان لأن المحيط بكل أحوال الشيء لا يمكن أن يكون معه في

---

[1] الأنعام ٥٩ [2] يس ١٢ [3] النبأ ٢٩

رتبته وهوعلم خاص بالله سبحانه وهوالاسم الذي اختص به عز وجل من الاسم الأعظم كما ورد أن الاسم الأعظم ثلاثة وسبعون اسما اثنان وسبعون اسما عندنا وواحد يتفرد به القديم عز وجل وذلك الاسم هوالشمس المضيئة تحت قعر بحر القدر كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قال عليه السلام ((في قعره شمس تضئ لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد فمن تطلع عليها فقد ضادّ الله في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن سره وستره وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير))[1] وكلما خرج من هذا العلم إلى الوجود فيصل إليهم عليهم السلام إلا ما كان من المحتومات التي لا يقع فيه البداء كما سبق .

أو نقول أنهم عليهم السلام لا يعلمون شيئا إلا ما علمهم الله عز وجل فلا يعلمون شيئا بدون تعليمه تعالى وهو أحد معاني قوله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[2] ولا اختصاص له بالغيب بل يدخل فيه العلم بأن السماء فوقنا والأرض تحتنا وأمثاله أيضا ، لكن أبى الله عز وجل إلا أن يعلمهم علمه لأنهم عيبة علمه وحفظة سره ومستودعوحكمته وحملة كتابه كما قال عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن

---

[1] البحار ٥ / ٩٧   ٢ البقرة ٢٥٥   ٣ آل عمران ١٧٩   ٤ البحار ٤٢ / ٢٧٥

رُسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[3] كما تقدم فإن قلت إذن فما معنى قوله عليه السلام ((إن الله تفرد بخمسة))[4] وهي ما في الآية الشريفة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾[1] .

قلت معناه أن الله عز وجل تفرد بها مستقلا ، لكنه سبحانه ارتضاهم وعلمهم ذلك أما علم الساعة فإنه علي عليه السلام كما في قوله عز وجل لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((فيك يا علي ستة خصال من الأنبياء)) عليهم السلام وذكر منهم عيسى بن مريم عليه السلام فقال المنافقون ((إنه يحب أن نعبد ابن عمه كما عبدت النصارى المسيح)) فأنزل الله عز وجل ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[2] وهم آل محمد عليهم السلام ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ

---

[1] لقمان ٣٤ — ٢ الزخرف ٥٧ – ٥٩ — ٣ الزخرف ٦٠ – ٦١

بِهَا ﴾[4] والضمير لا يخلو إما أن يرجع إلى علي عليه السلام أو إلى عيسى عليه السلام وكلاهما مرادان ، فعلي عليه السلام في الباطن وعيسى عليه السلام في الظاهر ، ولا شك أن عيسى عليه السلام مثال لعلي عليه السلام فهو إنما صار علم الساعة لظهور النور العلوي عليه السلام فيه ، وقوله تعالى ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[1] يعني علي هو الذي عنده كما قال عز وجل ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾[2] قال مولانا الصادق عليه السلام ((نحن الذين عنده)) وقوله تعالى ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾[3] والمفاتح هم آل محمد عليهم السلام .

ثم اعلم أن قوله تعالى ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ أن أريد بها القيامة الكبرى أو الصغرى أي قيام القائم والرجعة والأحوال الجارية فيها وتفاصيل ما يقع عليها فلا شك أن عليا عليه السلام هو متوليها ومجري أحوالها وبيده لواء الحمد كما قال عليه السلام ((لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا))[4] ، وإن أريد بها زمان وقوع الساعة ووقت قيامها فإن ذلك لم يوجد ولم يحتم وهو بعد في عالم الإمكان مشروط متوقف ولذا قال تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا

---

[1] الزخرف ٨٥ — ٢ الأنبياء ١٩ — ٣ الأنعام ٥٩

٤ البحار ٤٠/١٥٣ — ٥ النازعات ٤٢ - ٤٤

﴿ ٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾٥ وقال عز وجل ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾[1] وقد قلنا أنهم عليهم السلام يعلمون ما هوموجود في الأكوان وما سيكون من محتومات الإمكان ، وكذلك القول في باقي الأربعة فإن نزول الغيث ما يمكن إلا بهم عليهم السلام كما في الزيارة ((وبكم ينزل الغيث))[2] والمبادئ كلها عندهم والمفاتيح بيدهم عليهم السلام فيعلمون أوان نزوله قبل نزوله حين نزوله بتعليم الله عز وجل فافهم .

وأما علم ما في الأرحام ففي الزيارة عن الحجة عجل الله فرجه ((أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض)) إلى أن قال ((وعندكم ما تزداد الأرحام وما تغيض))[3] كيف وإن الولد لا يتكون في بطن الأم إلا بعد إقراره بولاية علي عليه السلام والأئمة أو إنكاره إياهم ليخلق سعيدا أوشقيا لأن الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه .

وأما علم المنايا فقد تواترت أخبارهم وشهدت آثارهم عليهم السلام بأن عندهم علم البلايا والمنايا والوقائع لكنهم عليهم السلام في كل هذه العلوم مسبوقون

---

[1] الأحزاب ٦٣ ٢ الزيارة الجامعة الكبيرة ٣ البحار ٩٩ / ١٩٥

٤ البقرة ٢٥٥

متعلّمون من أمر الله وصنعه ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾٤
وكل علومهم في كل أحوالهم متجددة كما قال مولانا علي عليه السلام ((لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة))[1]
وهذا دليل على أنهم يعلمون الأشياء كلها في مراتبها ومقاماتها لكنهم ليسوا بمستقلين حتى يثبت عليهم بل لله عز وجل المشيئة فيهم وفي الأشياء فلا يحتّم عليهم بشيء كما قال تعالى ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[2] لأن ذلك صفة العبودية فإن قلت إذا كان عندهم عليهم السلام علم ما كان وما يكون وكل الأشياء كانت حاضرة عندهم موجودة لديهم فما معنى ما ورد أن علي بن الحسين عليه السلام أمر ابنه الباقر عليه السلام أن يأتي له بماء يتوضأ وكان ذلك عند موته عليه السلام فأتى الباقر عليه السلام بالماء فقال أبوه عليه السلام أهرقه وأت بغيره فإن الفارة قد ماتت فيه ولا يصلح للوضوء هذا معنى الحديث ولا شك أن موت الفارة كان أمرا وجوديا ، قلت إن لهم عليهم السلام حالات ومقامات ودرجات ، ففي الحالة البشرية حالة يشغلهم شأن عن شأن فإذا التفتوا وتوجهوا إلى جهة فلا يلتفتون إلى الجهة الأخرى كما أن الإنسان إذا التفت إلى مسألة تغيب عنه المسألة الأخرى حين التفاته إليها وليس هذا بجهل وإنما

---

[1] البحار ٤/٩٧ [2] الإسراء ٨٦ [3] الكافي ١/٢٥٧ ح ١

هوعدم الالتفات والنظر فإذا التفتوا علموا ووجدوا ، وإنما الجهل إنما يتحقق فيما إذا التفتوا لم يجدوا وهومعنى قولهم عليهم السلام ((إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم))٣ كما تقدم ومن هذا المعنى قد يعبرون بغيبة روح القدس عنهم ، فإن قلت فما معنى حديث الطست والإبريق الذين أتى بهما جبرائيل عليه السلام من الجنة لعلي عليه السلام ليتوضأ حين شك في وضوئه ورجع عليه السلام ليتوضأ سريعا ويرجع إلى المسجد ليدرك النبي صلى الله عليه وآله للصلاة والحديث مشهور معروف ، قلت إنّ هذا الحديث ليس على ظاهره إجماعا من الشيعة لأن الشك لا يصح أن يعتري المعصوم عليه السلام فيجب تأويله فنقول أنهم عليهم السلام قد ينسبون إليهم نقائص شيعتهم كما نسبوا إليهم ذنوب شيعتهم واستغفروا منها فغفرها الله كما في قوله تعالى ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[1] وهم عليهم السلام ينسبون أعمال شيعتهم إليهم لأنهم منهم كما قال الحجة عجل الله فرجه ((اللهم إن شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا اللهم اغفر لهم من الذنوب ما فعلوه اتكالا على حبنا))٢ ، فكذلك الشك إنما وقع عن بعض شيعته عليه السلام ولم يتدارك فتدارك عليه السلام عنه إظهارا لتلك الفضيلة العظيمة التي خرقت الأسماع وملأت الأصقاع من إتيان

[1] الفتح ٢ ٢ البحار ٥٣ / ٣٠٢

الطست والإبريق والماء من الجنة لوضوئه عليه السلام في عالم البشرية وحالة الإمامة فافهم .

فإن قلت لوكانوا يعلمون كل شيء لعلموا السم حين أكلوه وعلم الحسين عليه السلام أنه يقتل يقينا وتسبى عياله وذلك يستلزم إلقائهم أنفسهم بأيديهم إلى التهلكة وفي ذلك مخالفه الله عز وجل حيث يقول ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[1] إذ يمكن لمولانا الحسين عليه السلام أن لا يخرج ويبايع خوفا كما بايع وصالح أبوه وأخوه عليهما السلام، وكذا الحسن عليه السلام يمكنه أن لا يشرب من الماء المسموم وكذا علي عليه السلام يمكن أن يمنع ابن ملجم من ضربه وكذا غيرهم عليهم السلام ولا شك أن مخالفتهم لله عز وجل باطل لعصمتهم وطهارتهم فلا يبقى إلا القدح في العلم .

قلت جواب هذا من دليل الحكمة واضح بل أهل الحكمة نظرا إلى قواعدهم لا يستشكلون في ذلك بل يوجبونه بالضرورة لكنّا نتكلم على دليل المجادلة بالتي هي أحسن فنقول لا يشك أنهم عليهم السلام كانوا يعلمون جميع ذلك وإن واقعة الحسين عليه السلام قد اطلع عليها كل الأنبياء والأولياء وبكوا عليه وفي الدعاء عن الحجة عجل الله فرجه في الثالث من شعبان ((بكته السماء ومن فيها والأرض ومن عليها ولم يطأ لابتيها))[2] وكذلك علي

---

[1] البقرة ١٩٥

[2] مصباح المتهجد ٨٢٦

عليه السلام قد أخبر ابن ملجم ذلك الوقت الذي استشهد فيه عليه بما أراد والذي اختفى تحت عباءته من السيف المسقى بالسم وكذا مولانا الرضا عليه السلام حيث تناول العنب وقبل أن يتناول أخبر خدامه بذلك وهكذا سائر الأئمة عليهم السلام ، ولا ينبغي التشكيك فيه لتوارد الأخبار بل تواترها في ذلك وأما إقدامهم على ذلك فليس من قبيل إلقاء النفس إلى التهلكة وإنما هو طاعة وامتثال لأمر الله عز وجل كما قال الحسين عليه السلام ((شاء الله أن يراني قتيلا وأن يراهن أسارى)) ولله عز وجل في ذلك حكم ومصالح نشير إلى بعضها فيما بعد إن شاء الله تعالى ، وحينئذ فعدم الإقدام كان الإلقاء إلى التهلكة فإن الهلاك في مخالفة الله عز وجل وذلك كالجهاد فإذا أمر الإمام عليه السلام واحدا من رعاياه بأن يقاتل حتى يقتل ولا يرجع وجب عليه الامتثال والطاعة ولا يجوز الاعتذار بالآية الشريفة﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[1] وهذا ظاهر .

وبالجملة يجب على المؤمن المخلص أن يعتقد أنهم عليهم السلام يعلمون كل شيء بالإجمال والتفصيل والكلية والجزئية ولا يقول أن الأصل عدم علمهم عليهم السلام لأنه مسبوق بالعدم الأزلي فعدم علمهم قطعي وأما علمهم بالأشياء كلها فمشكوك فيه ولا ينقض اليقين أبدا بالشك ، فإن ذلك باطل

---

[1] البقرة ١٩٥

لأن الأصل علمهم والعدم الأزلي كلام مزخرف فإن العدم إن كان شيئا لا يخلو ، إما أن يكون حادثا أوقديما وإلا فلا يعقل توصيفه بالأزلية فإن الصفة فرع وجود الموصوف وإذ ليس فليس ، وقد دلت الأخبار المتكثرة وشهد صحيح الإعتبار أن الله سبحانه قد خلقهم قبل أن يخلق الخلق بألف دهر وكل دهر مائة ألف سنة أوثمانين ألف سنة أومائة ألف وعشرين ألف سنة ، ولما بطلت الطفرة وعدم اتساق النظام كان جميع الخلق إنما خلقوا بواسطتهم عليهم السلام فهم الشاهدون لأحوالهم حين خلقهم إلى منتهى أمرهم لأن الواسطة لا تخلو إما أن تكون على جهة التنزل والانجماد كالعقل الذي هو واسطة للنفس في إيصال الإضافات إليها وكالنفس بالنسبة إلى الجسم وهكذا حكم كل لبّ بالنسبة إلى قشره وكل ذائب بالقياس إلى انجماده ، ولا يصح أن تكون وساطتهم عليهم السلام في إيجاد الأشياء على جهة التنزل وإلا لكانت الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم مادة كل الأشياء ومنه يلزم أن تكون الأشياء كلها من سنخ محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام ومن سنخ واحد وتكون على اختلافاتها في غاية الشرف وكمال اللطافة لأنها تنزلات أول ما خلق الله وظهوراته في مقام التفصيل ، ومقتضى ذلك أن تكون الأشياء كلها على الصورة الإنسانية لأنها أشرف الكينونات التي يقتضيها المخلوق الأول ويلزم أن يكون الخلق كلهم معصومون حيث كانت المادة الواحدة سارية في الكل وتلك المادة نور باهر يضيء ما جاوره من الصور والكينونات كما أن الذات وإن تنزلت التنزلات

الكثيرة لم تصل إلى رتبة الصفات ولا الجواهر إلى الأعراض وتلك اللطيفة محفوظة في كل المراتب ، ثم يلزم أن لا تكون الحقيقة المحمدية ﷺ سراجا وهاجا وأن لا يكون لذلك النّير الأعظم والشمس المضيئة المشرقة من صبح الأزل نورا وأن لا يكون لجمال الحق جمالا ولجماله جمالا ولجمال جماله جمالا ولجمال جمال جماله جمالا وأن لا يصدق قوله تعالى ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] وقد استفاضت الأخبار بل وتواترت معنى عن الأئمة الأطهار عليهم السلام أن مثل نوره يراد به محمد ﷺ وإذ كان ﷺ هوالسراج الوهاج فلابد أن يكون له شعاع ونور وإلا لم يكن سراجا ولا ريب أن الشعاع والنور ليس أمرا علميا وإنما هو أمر وجودي فيكون له تحققا وتأصلا في الوجود ولا شك أن النور والشعاع على هيكل المنير ومثاله وكلما قرب إلى المنير بصفاء القابلية ونورانيتها يكون ظهور المثال هناك أكثر وحكاية القابلية أوضح وأبين ، ولما امتنع التعدد الوجودي في المخلوق الأول لكمال بساطته للبساطة

---

[1] النور ٣٥

وفقدان جهات الارتباطات المتكثرة المتضادة وتوجهه إلى المبدأ الحقيقـي وعـدم الالتفات إلى ما سواه إلا بقدر ما يمسك نفسه مـن التعـين اقتضـى أن يكـون واحد قد ظهر في أربعة عشر طورا ، فكل ما عداه مــن أشـعة أنـواره وأظلـة عكوسات آثاره منه بدأت وإليه تعود ولذا قال عليه السلام في الحديث المشـهور في خلق النور المحمدي صلى الله عليه وآله أنه لما أتم السباحة في الأبحر الاثني عشـر ((قطـرت منه مائة وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كـل قطـرة روح نـبي مـن الأنبياء))[1] عليهم السلام ولوّح بلطيف الإشارة إلى ما ذكرنا فإن القطرة ليست مـن حقيقة ذاته المقدسة وإنما هي أمر خارج عنها متأصلة بها وعن هذه القطرة قـد يعبرون بالشعاع كما قال مولانا الصادق عليه السلام في الكروبيـين أنـهم ((قـوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لوقسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ، ثم قال : أن موسى لما ســأل ربـه مـا سـأل أمـر واحدا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا))[2]، وقـد قالوا عليهم السلام ((إنما سموا شيعة لأنهم خلقوا مـن شـعاع نورنـا))[3] وقـد قـال أيضا عليه السلام على ما في الكافي ((إن الله خلقنا من طينة مخزونة مكنونة عنـده

---

[1] البحار ٢٥/ ٢١ [2] بصائر الدرجات ٦٩ [3] البحار ٢٥/ ٢٣ ح ٣٩

ولم يكن لأحد في ما خلقنا منه نصيب))[1] ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((أنا النقطة تحت الباء)) و ((أنا الذات وذات الذوات والذّات في الذّات للذّات)) ، فإذا ثبت أنّ الموجودات كلها من فاضل أنوارهم أومن عكوسات آثارهم أومن أظلة كينونات هيئاتهم كالقيام بالنسبة إلى القائم وكالقائم بالنسبة إلى الذّات كانت كلها بكل أطوارها حاضرة لديهم حاصلة عندهم لا تغيب عنهم في حال من الأحوال وهم ناظرون إليها نظر المقوم إلى المتقوم بل لا شيئية لها إلا بذلك النظر ، فكيف يخفى عليهم حال من حالات المخلوقين الموجودين المربوبين ، أليس الله قد أشهدهم خلق الخلق وأنهى إليهم علمه وجعلهم شهداء عليهم فهم عندهم عليهم السلام كالدرهم بين يدي أحدكم ، فكيف يقال أن الأصل عدم علمهم مع ظهور هذه الأدلة المتقنة المحكمة ، مع أنّا نقول أيضا لولا ما ذكرنا لقلنا أيضا أن الأصل علمهم عليهم السلام بحكم الاستصحاب كما ادّعوا لأنّ الله عز وجل خلق العلم قبل الجهل والعلم مساوق لحقيقة الشيء وذاته بل هوعين ذاته لأنّ الأشرف في الإيجاد متقدم على الأخسّ بالضّرورة ، فالعلم الحقيقي خلق قبل العوارض والغفلات الموجبة للجهل بعد التّنزل عن العوالم العلوية إلى العوالم السفلية على ما تشهد به الأخبار

---

[1] لم نقف على هذه الرواية بهذا اللفظ ولكن وجدنا ما يقرب منها في المعنى ففي الكافي ١/٣٨٩ عن أبي عبدالله عليه السلام ((إن الله خلقنا من نور عظمته ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا)) .

ودلّ عليه صحيح الاعتبار ، وعلم كل أحد على مقدار سعته وإحاطته في الوجود من الجزئي والكلي ، فالمتنزل إلى المقامات السفلية إن كان معصوما مطهرا تمنع عصمته وطهارة ذيله عن الاشتغال بما سوى الله سبحانه ، والإعراض عن الأعلى وعدم الإقبال إلى الملأ الأعلى فيدخل في عالم الأجسام بالولادة الدنياوية الظاهرية وهو أعلم أهل زمانه لأنه باق على العلم الأصلي حيث فطره الله سبحانه عليه وباق على المعرفة الحقيقية الأصلية ، ولذا ترى عيسى على نبينا وآله وعليه السلام لما تولد تكلم مع أمه بما تكلم وعلمها بما تعيش به وبما تنجو به من قومها وقال للقوم ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾[1] الآيات ، ولما أنّ مريم عليها السلام أتت به إلى المعلم ليعلمه قال له المعلم قل أبجد قال عليه السلام أتدري ما معناه فعلمه معناه كما هو مذكور في التوحيد وهكذا غيره ، وقد ورد أن المعصوم إذا تولد يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وبالجملة هذا أمر معلوم فلا يحتاج المعصومون عليهم السلام إلى الكسب والتعلم والمعالجات للتعليم لأنهم عليهم السلام على الفطرة الأصلية ، وأما غيرهم

---

[1] مريم ٣٠ - ٣١

فيحصل لهم في إدبارهم ونزولهم أنحاء السهو والغفلات فينسون ما كانوا عالمين به في الأول بالعلم اللدني الإلهي فيحتاجون إلى رفع الحجب والغشاوات لظهور ذلك النور من العلم الأصلي وهو يحصل بأمور.

منها الكسب والتعلم وأمثال ذلك وهم متفاوتون في ذلك، فمنهم من يظهر له الأمر سريعا في الدنيا بعلاج جزئي لضعف الموانع وقلة العوارض فيه، ومنهم من يحتاج إلى تعب وعلاج وكسب شديد ليظهر لهم شيء يسير من ذلك العلم في الدنيا، ومنهم من لا يحصل في الدنيا ويصل إليه عند موته وفي البرزخ، ومنهم من لا يصل إليه إلا في القيامة والجنة، فإذا كان المعصوم عليه السلام لا يمنعه القوس النزولي عن مشاهدة القوس الأول الصعودي فيكون الأصل علمهم بالأحوال والأوضاع الوجودية الخلقية الثابتة في عالم الأكوان وبما ذكرنا وهو أن ظهور العلم على حسب إحاطة العالم ومقدار كتابته في اللوح المحفوظ على حسب الكليّة والجزئية، فمن الأشخاص من هو ورقة في شجرة الخلد ومنهم من هوغصن فيها ومنهم من هونفس الشجرة، وتفاوتت علومهم على حسب تفاوتهم في كونهم ورقة وغصنا وشجرة ويظهر علمه على مقدار مادة وجوده اندفع ما عسى أن يتوهّم تساوي علم المعصومين كلهم من الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام على مقتضى ما قلنا من بقائهم على الفطرة وعدم غفلتهم ونسيانهم ما سبق عليهم من العوالم والمقامات، وهذا الذي ذكرنا كلام ظاهر الحال من جهة

المماشلة والمداراة مع أصحاب الجدال وإلا فالأمر أعظم من أن يقال وأن يحيط به المقال ، بل الموجودات الكائنة من الغيبية والشهودية كلها متقومة بتخيلات الإمام عليه السلام وتصوراته إذا سكن عنها انعدم العالم ، فتصورهم عليهم السلام هوعلة للكون كما أن تصورك للكتابة والقيام مثلا علة لهما لا يمكن تحققهما بدونه فافهم حقيقة الأمر ولا تنظر إلى خصوص العبارة فإنها حجاب وغشاوة و إنما هي تنبيه بتلويح وإشارة ، فكلما يفعله الإنسان وغيره من ذوي الأرواح بل غيرهم من سائر الأشباح في أعمالهم وأقوالهم وسائر مقتضيات أحوالهم إنما يتحقق في الكون الخارجي بعلما يتنزل من الخزائن العليا أو يتصاعد من الخزائن السفلى بحكم ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[1] وقوام تلك الخزائن المنقسمة إلى تينك الخزانتين بالإمام عليه السلام ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[2] وهذه القيومية بسر الأمر بين الأمرين وأشار إلى هذه الدقيقة اللطيفة بقوله الحق سبحانه ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾[3] فإذاً لا تخفى عليهم خافية وقال عز وجل ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟

---

[1] الحجر ٢١   [2] الأنعام ٥٩   [3] الكهف ١٨   [4] الملك ١٣ – ١٤

بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[٤] والهاء هو المخفف من الله والبسيط من لفظ الجلالة وإذا أشبعت كانت هو ، لأنّ الضم بالإشباع يتولد منها الواو ، وهو إذا نزلت في رتبة الأسماء عن رتبة المسمى كان الاسم المقدس العلي ولذا قال عز وجل إشارة إلى ما ذكرنا من غير الإشباع في قوله ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[١] مع الإشباع في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[٢] فافهم.

ولنقبض العنان فللحيطان آذان قال الشاعر :

أخاف عليك من غيري ومنّي ومنك ومن مكانك والزمان

فلو أني جعلتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

فلنكتف بهذا المقدار من الكلام فإن أمر الله لا ينفد وسره لا يتبلد .

[١] الزخرف ٤ [٢] البقرة ٢٥٥

قوله عليه السلام وما كان في الذر الأول

اعلم أن الذر عالم مستقل خلقه الله سبحانه بفيض قدرته وأقام الخلق فيه على مقتضى مشيئته وإرادته وهم حينئذ على هيئة ورق الأس فكلفهم بلسان مشيئته من لسان ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1] وأخذ عليهم العهد والميثاق بربوبيته وبنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وولاية علي عليه السلام والأئمة الطاهرين وفاطمة الصديقة المطهرة عليها وعليهم سلام الله أبد الآبدين ، وقد نطق بوجود هذا العالم وهذا التكليف القرآن والأخبار المتظافرة المتكاثرة التي كادت أن تبلغ حد التواتر المعنوي والعقل المستنير بنور الله ، وقد أنكر وجود هذا العالم بعض الأجلاء لمجرد الاستبعاد من أن الله تعالى كيف يكلف الذر ولا يتصور التكليف في حقه وأنا الآن بعون الله أتلو عليك بعض الأخبار الواردة في هذا الباب ثم أشرح

---

[1] الأنبياء ٢٦ – ٢٧

حقيقة الأمر في هذا العالم ومعنى تعلده وكيفية وجوده وظهوره لينكشف المراد ويرتفع الاستبعاد لأهل الاستعداد ومن الله المعونة والإمداد .

في الكافي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال ((لوعلم الناس كيف ابتدأ الخلق ما اختلف اثنان ، إن الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق قال كن ماء عذبا أخلق منك جنتي وأهل طاعتي ، وكن ملحا أجاجا أخلق منك ناري وأهل معصيتي ، ثم أمرهما فامتزجا فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن ، ثم أخذ طينا من أديم الأرض فعركه عركا شديدا فإذا هم كالذر يدبون فقال لأصحاب اليمين إلى الجنة بسلام وقال لأصحاب الشمال إلى النار ولا أبالي ، ثم أمر نارا فأسعرت فقال لأصحاب الشمال ادخلوها فهابوها وقال لأصحاب اليمين ادخلوها فدخلوها فقال كوني بردا وسلاما فكانت بردا وسلاما ، فقال أصحاب الشمال يا رب أقلنا فقال قد أقلتكم فادخلوها فذهبوا فهابوا فثم ثبتت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء))[1] .

وفيه عن زرارة أنّ رجلا سأل أبا جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ

---

[1] الكافي ٢/٧

﴿بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[1] إلى آخر الآية، فقال عليه السلام وأبوه يسمع عليهما السلام ((حدثني أبي أن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم عليه السلام فصب عليها الماء العذب الفرات ثم تركها أربعين صباحا، ثم صب عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحا، فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركا شديدا فخرجوا كالذر من يمينه وشماله وأمرهم جميعا أن يقعوا في النار فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم بردا وسلاما وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها))[2].

وفيه أيضا عن أبي عبد الله عليه السلام قال ((إن الله جل وعز لما أراد أن يخلق آدم أرسل الماء على الطين ثم قبض قبضة فعركها ثم فرقها فرقتين بيده ثم ذرأهم فإذا هم يدبون، ثم رفع لهم نارا فأمر أهل الشمال أن يدخلوها فذهبوا إليها فهابوها فلم يدخلوها، ثم أمر أهل اليمين أن يدخلوها فدخلوها فأمر الله عز وجل النار فكانت عليهم بردا وسلاما، فلما رأى ذلك أهل الشمال قالوا ربنا أقلنا فأقالهم ثم قال لهم ادخلوها فذهبوا فقاموا عليها ولم يدخلوها فأعادهم طينا وخلق منها آدم عليه السلام، وقال أبو عبد الله عليه السلام فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء قال

[1] الأعراف ١٧٢

[2] الكافي ٢/ ٧

فيرون أن رسول الله صلى الله عليه وآله أول من دخل تلك النار فذلك قوله عز وجل ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾[1]))[2] .

وفيه أيضا عن زرارة عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال ((إن الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماء عذبا وماء ملحا أجاجا فامتزج الماءان فأخذ طينا من أديم الأرض فعركه عركا شديدا ، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبّون إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال إلى النار ولا أبالي ، ثم قال ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾[3] ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال ألست بربكم وأن هذا محمد صلى الله عليه وآله رسولي وأن هذا علي أمير المؤمنين عليه السلام قالوا بلى فثبتت لهم النبوة ، وأخذ الميثاق على أولي العزم أنني ربكم ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزان علمي عليهم السلام وأن المهدي أنتصر به لديني وأظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأعبد به طوعا وكرها ، قالوا أقررنا يا رب وشهدنا ولم يجحد آدم ولم يقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي عليه السلام ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به وهوقوله عز

---

[1] الزخرف ٨١ ٢ الكافي ٢/٧ ٣ الأعراف ١٧٢

وجل ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[1] قال إنما هو فترك ، ثم أمر نارا فأججت فقال لأصحاب الشمال ادخلوها فهابوها وقال لأصحاب اليمين ادخلوها فدخلوها فكانت عليهم بردا وسلاما فقال أصحاب الشمال يا رب أقلنا فقال قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها فهابوها فثم ثبتت الطاعة والولاية والمعصية))[2] .

وفيه أيضا عن حبيب السجستاني قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ((إن الله عز وجل لما أخرج ذريّة آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له وبالنبوة لكل نبي فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال الله عز وجل لآدم أنظر ماذا ترى قال فنظر آدم عليه السلام إلى ذريته وهم ذر قد ملئوا السماء قال آدم عليه السلام يا رب ما أكثر ذريّتي ولأمر ما خلقتهم فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم ، قال الله عز وجل يعبدونني لا يشركون بي شيئا ويؤمنون برسلي ويتبعونهم ، قال آدم يا رب فما لي أرى بعض الذر أعظم من بعض وبعضهم له نور كثير وبعضهم له نور قليل وبعضهم ليس له نور فقال الله عز وجل كذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم))[3] الحديث.

---

[1] طه ١١٥

[2] الكافي ٢/٨

[3] الكافي ٢/٩

وفيه أيضا عن عبد الله بن محمد الجعفي وعقبة جميعا عن أبـي جعفـر عليه السلام قال ((إن الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحب مما أحب وكان مـا أحب أن خلقه من طينة الجنة ، وخلق من أبغض ممن أبغض وكان ما أبغـض أن خلقه مـن طينـة مـن النـار ، ثـم بعثـهم في الظـلال ، فقلـت وأي شـيء الظلال ، فقال ألم تر ظلك في الشمس شيئا وليس بشـيء ، ثـم بعـث منـهم النبيين فدعاهم إلى الإقرار بالله عز وجـل وهوقولـه تعـالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1] ثم دعـاهم إلى الإقـرار بـالنبيين فـأقر بعضـهم وأنكـر بعض ثم دعاهم إلى ولايتنا فأقر بـها والله مـن أحـب وأنكرهـا مـن أبغـض وهوقوله تعالى ﴿ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ﴾[2] ثم قال أبوجعفـر عليه السلام كان التكذيب ثم))[3] .

وفيه أيضا عن صالح بن سهل عن أبي عبـد الله عليه السلام ((أن بعـض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله بأي شيء سبقت الأنبياء وأنـت بعثـت آخرهـم وخاتمهم ، فقال إني كنت أول من آمن بربـي وأجـاب حيـث أخـذ الله ميثـاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فكنت أنا أول نـبي قـال بلـى فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل))[4] .

---

[1] الزخرف ٨٧ ٢ يونس ٧٤ ٣ الكافي ٢/ ١٠
٤ الكافي ٢/ ١١

وفيه أيضا عن عبد الله بن سنان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ((جعلت فداك إني لأرى بعض أصحابنا)) إلى أن قال ((فقال عليه السلام لا تغتم لما رأيت من نزق أصحابك ولما رأيت من حسن سيماء من خالفك إنّ الله تبارك وتعالى لما أراد أن يخلق آدم خلق تلك الطينتين ثم فرقهما فرقتين فقال لأصحاب اليمين كونوا خلقا بإذني فكانوا خلقا بمنزلة الذر يسعى وقال لأهل الشمال كونوا خلقا بإذني فكانوا خلقا بمنزلة الذر يدرج ثم رفع لهم نارا فقال ادخلوها بإذني فكان أول من دخلها محمد صلى الله عليه وآله ثم اتبعه أولي العزم من الرسل وأوصيائهم وأتباعهم))[1] الحديث.

وفيه أيضا عن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ((كيف أجابوا وهم ذر قال عليه السلام :جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه يعني في الميثاق)) .

وفي ثواب الأعمال بالإسناد عن سهل بن سعد الأنصاري قال ((سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله عز وجل ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾[3] قال : كتب الله عز وجل كتابا قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس أنبته ، ثم وضعها على العرش ثم نادى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني فمن

---

[1] الكافي ٢/١١ [2] الكافي ٢/١٢ [3] القصص ٤٦

لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا أنا ومحمد عبدي ورسولي أدخلته الجنة برحمتي))[1] .

والأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام كثيرة لا تحصى وهذا الذي ذكرنا جملة مما حضرني حال الكتابة ولا معارض لها بوجه من الوجوه ، فطرح هذه الأخبار الكثيرة التي لا معارض لها أقوى ولا مساوي لمحض الاستبعاد خارج عن طريق الإنصاف ، ولا كل حديث يدرك معناه ومضمونه فإنّ علم آل محمد عليهم السلام صعب مستصعب لا يحتمله أحد إلاّ الملك المقرب والنبي المرسل والمؤمن الذي امتحن الله قلبه للإيمان .

والأصل في المسألة هو أنّ الذرّ في اصطلاح أهل البيت عليهم السلام على ما أفهم يطلق على الأمر الشائع المشاع في نوعه أو جنسه الغير المتميز بحد من الحدود الصالح لذلك ، وقد يعبرون عنه بجوهر الهباء ، ودليل ذلك الذر وآيته الذرات المبثوثة في الجوفإنّ كل جزء منه يصلح للتعين والتميز بالعوارض والحدود والكيفيات مع عدم التمايز المعروف ، ولما أنّ الله عز وجل أراد أن يخلق الخلق قبض قبضة بيمينه من الأرض الطيبة المسقة بالماء العذب الفرات وقبض قبضة أخرى بشماله من الأرض الخبيثة المسقة بالماء المالح الأجاج ثم خلط بينهما ومزجهما وعركهما عركا شديدا فصنع منهما

---

[1] ثواب الأعمل ١٠

هيولي الخلائق وموادها وحقائقها ، فمزج فيهم الميولات والشهوات المتضادّة والشعور وأنحاء الادراكات وأقسام الاختيار ، فتلك الحقائق حصص غير متمايزة فلا يعرف الشقي منهم من السعيد والطيب منهم من الخبيث وصحيح الخلقة من ناقصها والزوجة من زوجها ، وكذلك أنواع البهائم قبل التكليف كانت حصصا غير متمايزة فلا تميز بين الفرس والبقر والغنم والكلب والحية والحوت وغيرها من الحيوانات من الدواب والحشرات والطيور ، وكذلك أنواع النباتات من الأشجار المثمرة وغيرها وذوات الأثمار الطيبة الحلوة والمرّة وسائر البقولات كلها طينة واحدة غير متمايزة بالشخص والخصوصيات ، وكذلك الأحجار والمعادن من أنواع الجمادات فلا تمايز بين الياقوت والزمرّد والمرجان والألماس والفيروزج والبلّور وسائر المعادن المتطرفة وغيرها كمعدن النفط والزرنيخ والملح والجص و أمثالها كانت طينة واحدة غير ممتازة ، وإلى هذا الإشارة بقوله عز وجل ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[1] فيطلق الذّرّ بهذا المعنى على كل الموجودات بكل الذرات قبل وقوع التكليف عليها ، فإذا وقع التكليف عليها فاختلفت على حسب القبول على مقتضى أطوار القبول والانكار على مقتضى أطواره فامتاز كل ذر عن الآخر على مقتضى حدوده بقابلية عمله من القبول والإنكار ، فاختلفت الصور الإنسانية على مقتضى اختلافهم في قبول التكليف قوة وضعفا وظاهرا

---

[1] البقرة ٢١٣

وباطنا وكذلك الذكورية والإناثية ولو أردنا شرح حقيقة الأحوال لطال المقال وليس لي الآن ذلك الإقبال .

فالخلق قبل التكليف كانوا مواداً غير ممتازة ذرات غير مصورة كل ذرة تصلح للتصور بالصورة التي تصور بها غيرها ، وهذا هوالمراد في هذه الأخبار المتقدمة وليس المراد أنّ الخلق كانوا ذرّا على هيئة الذر من النّمل وغيرها كما توهّموه واستغربوه ، مع أنّا لوقلنا ذلك لا استغراب فيه لأنّا نقول بتكليف الذرات كالنملة وأشباهها و إرسال الرسل و إنزال الكتب عليها ولكن هذه الهيئة المخصوصة وهذه الصورة المشخصة لا تقتضي الحكمة أن يخلق الخلق عليها في العالم الأول وإلا فهوقادر على ما يشاء يخلق ما يشاء بما يشاء كيف يشاء .

أونقول أنهم عليهم السلام عبّروا عن الخلق في تلك العوالم بالذر كناية عن بعد كل عالم بالنسبة إلى الآخر فإنك إذا نظرت إلى شيء من بعيد تراه صغيرا كالذر بل هو أدنى ، وكذلك كل مقام بالنسبة إلى المقام الآخر الذي أقام المكلفين فيه وكلفهم وأخذ عليهم الميثاق بالتوحيد والنبوّة والولاية من البعد فإنّ المسافة بين العالمين ألف دهر وهو مائة ألف عام فيكون أهل كل عالم بالإضافة إلى العالم الآخر كالذر ، فعلى ما ذكرنا اتجه الكلام وصحّ المقام وبقيت الأحاديث بصرافة صحتها بل بظاهر حقيقتها فلا عقل يأبى ما ذكرنا

بل العقول الصحيحة تؤيّده وتقوّيه ولا النقل يعارض ما سطرناه ويبطل ما حررناه فلم يبق إلا القبول .

فإن كنت ذا فهم تشاهد ما قلنا وإن لم يكن فهم فتأخذه عنا
فما ثم إلا ما ذكرناه فاعتمد عليه وكن في الحال كما كنا

و أما سرّ تعدد عالم الذر بالأولية والثانوية فاعلم أنّ الله عز وجل لما خلق الخلق أقامهم في عوالم كثيرة ومقامات عديدة بل مراتبهم لا تحصى ، ثم أنزلهم من عالم إلى عالم ومن طور إلى طور ولا يزال ينقلهم من طور إلى طور ومن عالم إلى عالم إلى أن تصفو المراتب وتخلوالضمائر إما إلى الإقبال أو إلى الإدبار ، ثم ينقل المدبرين من عالم إلى أسفل ومن طور إلى أنزل وينقل المقبلين ويصعدهم من عالم إلى أعلى ومن طور إلى أشرف ولا نهاية لهذا النقل والأطوار لأنّ فيضه سبحانه لا ينقطع وظل أمره لا يتبدد ولا ينفصم وإليه الإشارة في قوله عز وجل ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[1] ، فالشيء في أطواره وأوطاره يسير إلى الله عز وجل بلا نهاية وكل طور له مقتضيات وأحكام و آثار فلا تترتب تلك الأحكام والآثار على الشيء إلا بالتكليف لأنّ الله عز وجل أكرم من أن يجبر العباد أويظلم في البلاد بل هوسبحانه باسط الفضل وناشر العدل والفيض كل من قبله

---

[1] الحجر ٢١

وطلبه أخذه ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[1] ، فإذا بطل الجبر لم يبق إلا الاختيار فلم يبق إلا أن يعطي الأشياء على حسب ما يريدون من الفيض وهذا لا يكون إلا بالتكليف ، فلولا التكليف لم يتحقق الاختيار ولولا الاختيار لم يحسن الإيجاد لأنّ الله عز وجل أكرم وأشرف من أن يجبر الخلق إلى ما لا يريدون ويعطيهم ما لا يتحملون ويشدد عليهم ما لا يطيقونه أوجعل الاختلاف بينهم وهم لا يشعرون فيكون قد أجرى فعله وخلقه على غير وجه الكمال بل مقتضى النقصان فإنّ الاختلاف مذموم والوحدة هي المحمودة ، ثم على فرض الاختلاف جعل الأشياء المختلفة و اختصاص بعضها بما اختص به دون غيره مع تساوي المجموع في الصلوحية والقابلية لا شك أنه ترجيح من غير مرجح فتنقض بذلك الحكمة ويكون الخلق عبثا وهباء سبحان الله سبحان الله سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، فصح أنه لولا التكليف لم يحسن الإيجاد فبالتكليف قام الوجود وحصل الشهود وظهر سر المعبود ، ولما كان الخلق له أطوار وأكوار وأدوار وله في كل كور ودور حركات ذاتية جوهرية وطبيعية ووضعية إلى مبدئه والى نفسه وإلى غيره كان له تكليف بحسب ذلك الكور والدور بنسبة مقامه ، والتكليف قسمان تكويني وتشريعي والقسمان مسبوقان بالمادة والصورة النوعيتين المعبر عن كل حصة منهما بالذر فتعدد الذرات إلى ما لا نهاية له ، والتكليف واقع عليهم في كل ذر من

---

[1] فصلت ٤٦

الذرات وهو واحد من واحد يجري في كـل عـالم وكـل ذر بحسـبه فـلا نهايـة للذرات بحسب العرض وتنقـل الأطـوار لا مـن جهـة البـدو ولا العـود ولا الخطاب التكليفي الذي هوقول ألست بربكم خطاب واحد غير منقطع يظهر في كل عالم وكل طور على لسان أهله وكذا الرسول الحـامل للخطـاب ، إنمـا قلنا أنّ العوالم لا تتناهى لأن فيض الله عز وجل لا يتناهى والله سـبحانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى ، فلوكان لأول الخلـق نهايـة زمانيـة للـزم التحديـد المستلزم للشرك وحيث ما ظهر الفيض فإنما هوعلى جهة التكليـف والاختيـار فتعددت الذرات إلى ما لا نهاية لـه ، لكـن بعـض الأخبـار تشـير إلى حصـر كلّيّاتها ففي بعضها أنّ تلك العـوالم ألـف ألـف كمـا في روايـة جـابر عـن الباقر عليه السلام ((لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنتم في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين))[1] ولا شـك أن كـل آدم في كـل عـالم مكلف ومأخوذ عليهم العهد والميثاق لقوله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[2] ويـراد بآدم كل من الآدميين الألف ألف وقال عز وجل ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ

[1] الخصال ٦٥٢
[2] الأعراف ١٧٢

رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[1] وقال أيضا ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[2] فأثبت سبحانه أنّ كل أمة مكلف وكل مكلف قبل التكليف هباء وذر .

وفي بعضها أنها ألف كما في قوله عليه السلام ((إن لله عز وجل ألف قنديل معلق بالعرش سماواتكم وأرضيكم في قنديل واحد)) ، وفي بعضها أقل إلى ستة عوالم وهي الأكوان الستة التي أشار إليها الصادق عليه السلام في حديث المفضل الكون الجوهري والكون الهوائي والكون المائي والكون الناري والكون الترابي وكون الأظلة والذر ، وترجع الكلّيات كلها إلى ثلاثة عوالم وثلاثة ذرّات .

الأول ذرّ العقول وهوعالم المعاني المجردة عن الصور الشخصية والمدة الملكوتية والزمانية وصورتهم القيام وهم أنوار بيض ، فخاطبهم الله سبحانه بالخطاب التكليفي فآمن من آمن وكفر من كفر ، لكن الإيمان والكفر في العالم الأول معنويّان لا تمايز بينهما إلا بالمعنى وأما في الظاهر فلا تمايز بينهم وكانوا أمة واحدة لا يعرف أحد بإيمان الآخر وكفره .

والثاني عالم النفوس وهذا هوالذرِ الثاني وهو عالم الصور المجردة عن المادة البرزخية والعنصرية والمدة الفلكية الزمانية أقام الله سبحانه المكلفين في

---

[1] الأنعام ٣٨ [2] فاطر ٢٤

هذا العالم بعد أن كانوا على هيئة ورق الآس وجههم الأعلى إلى عالم التجرد والائتلاف ووجههم الأسفل إلى مقام الكثرة والاختلاف فكلفهم بلسانه وترجم عليهم لغته وخاطبهم على مقتضى مداركهم فآمن من آمن ظاهرا مشهورا وكفر من كفر كذلك، فهناك عرف الخلق بعضهم مقام الآخر وامتازت صورهم وتباينت هياكلهم وظهرت آثار الهيكلين هيكل الإيمان وهيكل الكفر والنفاق، وانقسم الموجودات إلى مقر مؤمن عارف مصدق بلسانه وقلبه وإلى مؤمن بلسانه كافر في قلبه وإلى كافر في لسانه وقلبه وإلى كافر بلسانه دون قلبه مثل كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم بن باعورا وأمثالهما، وإلى متحير متوقف المؤمن بلسانه من غير بصيرة ولا معرفة والمنكر بلسانه من غير معرفة المرجون لأمر الله إما يعذبهم و إما يتوب عليهم، وفي هذا العالم ظهرت شقاوة الأشقياء وسعادة السعداء و امتاز أهل اليمين من أهل الشمال ودخل المؤمنون الجنة والكافرون النار، ومقام ظهور الطينتين طينة عليين وطينة سجين، وقد يطلق على هذا العالم الذر الأول لكونه أول مقام الظهور بعد الخفاء ومقام ظهور الباء كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم)) لأنه تمام الصوغ الأول في الخلق الأول أي عالم الغيب.

والثالث عالم الأجسام من العرش إلى الثرى وهوالذر الثالث وفي هذا العالم كانت الموجودات قبل أوان بلوغها ذرّات صالحة غير متمايزة

بالسعادة والشقاوة والإيمان والكفر الجسمانيين ، فإذا وصلت حد البلوغ بلغت مقام التكليف فقام النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم عند الحجر الأسود في الركن العراقي ولقّنهم شهادة أن لا إله إلا الله و أنّ محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهوالحكاية عن قوله عز وجل ألست بربكم ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيكم فلما استكملت هذه الشهادة وظهرت وانتشرت وثبتت ، وأقامهم صلى الله عليه وآله وسلم هذا الزوال بحكم ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1] في غدير خم وسألهم ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى فقال صلى الله عليه وآله وسلم (من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله) فكمل هنالك الدين ونزل قوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2] .

وبين هذه العوالم برازخ ولكل عالم مراتب كثيرة يمكن إحصاء كليّاتها لكنّا أعرضنا عنه لطول المقال وبلبال البال وعدم استقامة الأحوال ، هذا مجمل مراتب السلسلة العرضية .

---

[1] الأعراف ٢٩ [2] المائدة ٣

وأما السلسلة الطولية فالنر الأول في الخلـق الأول عـالم الأمـر عـالم الوجود المطلق بمراتب ظهوره وبطونه وظهور ظهوره وبطون بطونـه وهكـذا إلى مقـام السـر المجلـل بالسـر ، إذ في كـل مقـام مـن هـذه المقامـات وقعـت التكليفات إلا أنّ المراتـب الخمسـة الـتي تحصـل في التكليـف مـن المكلِّـف والمكلَّف والتكليف والسبيل والدليل كلها شيء واحد بالوحدة الحقيقية التي لا تبلغ بساطتها الوحدات التي في الوجود المقيد وعالم النر قبل عالم التكليف إلا أنه مساوق له موجود معه .

والنر الثاني في الحقيقة المحمدية ﷺ أول من أجاب داعي الحق حين قال ألست بربكـم وفي تلـك الحقيقـة سبع مراتـب وقـع التكليـف عليـها بالافتراق بعد حكم الاجتمـاع فتحققـت هنـاك سـبع ذرّات ، الأول الحقيقـة النبوية ﷺ حين ما يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، النر الثاني الحقيقـة العلوية عليه السلام حين وصول النور النبوي ﷺ إلى جلال العظمة فهناك وقـع التكليف على عليّ عليه السلام فقام ملبيا لداعي الحق وحاملا للّواء المطلق ، النر الثالث الحقيقة الحسنية عليه السلام حين ظهور الجمال فخـرّ عليه السلام سـاجدا ملبّيـا للسؤال حين قيل له كفّ عن القتال وذلك بعد أربعين ألف سنة من ظـهور النور العلوي عليه السلام ، النر الرابع الحضرة الحسينية عليه السلام حـين تشعشـعت أنوار الجلال والكبرياء فقام عليه السلام ملبيا للنداء حين قال له إني أنا الله فأظـهر

الجلال تحت حجاب الخضوع وأظهر الكبرياء بالذل والخشوع وأظهر التوحيد تحت حجاب الياقوت رتبة الركوع المؤدي إلى السجود، الذر الخامس الحقيقة المهدية عليه السلام القائم المنتظر عجل الله فرجه حين إشراق أنوار القهر والغلبة والاستيلاء فسمع داعي الحق ولباه فتحمل قوله عز وجل ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1]، الذرّ السادس بقية الأئمة عليهم السلام ، والذرّ السابع الحقيقة الفاطمية الصديقة الطاهرة عليها السلام حين سطوع نور العظمة والبهاء فلبت داعي الحق وصارت له الوعاء فنزل قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[2]، وهذه سبع مراتب كل مرتبة عالم مستقل جرى عليه التكليف والحكم والأمر وإليها الإشارة في قوله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[3] والمخاطب عليه السلام من السبعة وكل تكليف مسبوق بعالم الذر كما ذكرنا.

الذر الثالث في السلسلة الطولية مقامات الكرّوبيين ورتبة الأنبياء والمرسلين حين أتمّ نبينا صلى الله عليه وآله السباحة في الأبحر الاثنى عشر وخرج فقطرت منه صلى الله عليه وآله قطرة قبل أن ينقسم إلى مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة

---

[1] الصف ٩ [2] الدخان ٣ - ٤ [3] الحجر ٨٧

أوبعد ذلك وقبل أن تتميز هذه القطرات بعضها عن الآخر فإن الانقسام والتمايز إنما هوبالتكليف فتلك الذرات كانت تسبح الله وتقدسه سبحانه ألف دهر إلى أن أتاهم النداء من الرب الأعلى إني أنا الله ومحمد صلى الله عليه وآله رسولي وعلي عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام وفاطمة عليها السلام أوليائي وأحبائي وهوقوله عز وجل ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾[1] وذلك لما جمعهم في المسجد الأقصى يوم الذي خلقوا لأن العود هوعين البدء والنبي صلى الله عليه وآله في ليلة المعراج مرّ على الأشياء كلها يوم خلقها الله عز وجل ولذا أمره الله عز وجل فقال يا محمد ادن من صاد وتوضأ لصلاة الظهر فجمع الأنبياء عليهم السلام وسألهم بماذا بعثتم قالوا بشهادة أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ عليا ولي الله رواه محمد بن جرير الطبري وأخطب خوارزم من المخالفين.

الذرّ الرابع الرتبة الإنسانية مقامات الرعية حين وقع الماء الذي به حياة كل شيء على الأرض الميتة وقبل أن تخرج الأرض ثمرها وتنبت عشبها وشجرها، لأنّ الإنبات تكليف والثمرة تلبية وقبول فمن وصل إليه التكليف وقبل أثمر الثمرة على مقدار قبولها وإنكارها، فتختلف بالطيب والنتن والحلاوة والمرارة وتختلف مراتب الحلاوة في الشدة والضعف

---

[1] الزخرف ٤٥

كاختلاف مراتب المرارة ، وهكذا القول في النر الخامس الذي هو في رتبة الملائكة قبل وقوع التكليف عليهم فإنهم يسبحون الله ويقدسونه بولاية محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام ((يسبح الله بأسمائه جميع خلقه)) ، وفي النر السادس الذي هوفي رتبة الجانّ حين ظهور نار الشجر الأخضر ، وفي النر السابع الذي هو في رتبة البهائم والحشرات من الحيوانات حين وقوع الشعلات الغيبية من غيب الأفلاك والكواكب على غيب الأرض ، والتمايز إنما هو بالتكليف كما مرّ ، وفي النر الثامن الذي هو في رتبة النباتات حين وقوع أشعة الكواكب والأفلاك على الأرض ، وفي النر التاسع الذي هو في رتبة الجماد حين اجتماع العناصر ومزج بعضها مع بعض وتحقق الحلين والعقدين بمراتبهما ، إلى هنا انتهت الذّرات في السلسلة الطولية وفي كل مرتبة منها مراتب لا تحصى ولا تعد لأنها لا نهاية لها بدوا وعودا .

فقوله عليه السلام ((في النر الأول)) في الطول يريد به عالم الوجود المطلق وعالم الحقيقة فإنّ هذا العلم هو الذي يختص به عليه السلام دون ما عداه ، أما المشيئة فلأنه عليه السلام محلها ومجمع شئونات ظهوراتها وأطوارها ونسبته عليه السلام إليها كالانكسار إلى الكسر وكالحديدة المحماة بالنار إليها كما قالوا عليهم السلام ((نحن محال مشيئة الله)) وقال الصادق عليه السلام في زيارة سيد الشهداء عليه السلام ((إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم ويصدر من

بيوتكم الصادر لما فصل من أحكام العباد))[1] ، وليس لأحد من العلم بالمشيئة إلى ظهور وجه واحد منها له كالقائم بالقيام الحامل والقعود الحامل لظهور القاعد ، وأما هو عليه السلام فإنه مظهر حامل لكل الظهورات وهو محل كليّ جامع للظهور بكل المقامات كالفعل بالنسبة إلى الفاعل لأنّ كل الخصوصيات وجوه الفعل وكلّ الأسماء وجوه الفاعل ولذا قال عز وجل ((لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن))[2] ، والعبد المؤمن في الحقيقة ليس سواه ولذا ورد في الخطابات القرآنية ليس في كل موضع فيها يا أيها الذين آمنوا إلا وأن عليّا عليه السلام هو المخاطب به حقيقة ، فقلبه الشريف وسع كل الشئونات الألوهية والربوبية والرحمانية وغيرها فهوالمظهر الكلي الجامع المملك بيده نواصي الأشياء وعنده أزمّة الخلائق ، لأنه سبحانه اختاره وليّا من العز فلا يحيط بأحوال الوجود المطلق وذراته سواه عليه السلام ومن في صقعه عليه السلام .

وأما الحقيقة فهو عليه السلام منها وهي منه لا فرق بينهما إلا بالإجمال والتفصيل والظهور والخفاء ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم ((يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت و لا عرفني إلا الله وأنت و لا عرفك إلا الله وأنا))[3] .

---

[1] الكافي ٤/٥٧٧ [2] البحار ٥٨/٣٩ ح ٦١ [3] تأويل الآيات ١٤٥

وأما في العرض فيريد عليه السلام بالنر الأول عالم العقل الأول الكلي حين وقوع المداد الأول والنفس الرحماني الثانوي في الدّواة الأولى وأرض الجرز والبلد الميت ، فظهر بوقوع الماء الأول الذي به حياة كل شيء على أرض الحيوان أو أرض الوجود الرّاجح القابلية الأولى الشجرة شجرة الخلد وهي شجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى ، والعقل الكلي الذي هو روح القدس الذي هوالقلم هو أول غصن أخذ من شجرة الخلد وأوّل من ذاق الباكورة في جنان الصاقورة والقلم الذي يؤدي إلى اللوح وأول الملائكة العالين ، وذرّات الخلائق كلها تحت هذا النر الكلي حاضرة لديه حضور الأشعة للسراج والآثار للمؤثرات ، فإذا أحاط عليه السلام علما بالنر الأول في العالمين فقد أحاط علما بجميع الذرات الثانوية والثالثية وهكذا بالطريق الأولى لأنّ العالي محيط بالسافل من غير عكس .

وقوله عليه السلام ((وما كان في النر الأول)) يريد عليه السلام بما كان فيه من أخذ الميثاق والعهد على الولاية فإنّ الإقرار بالربوبية والنبوة من فروع الإقرار بالولاية لأنها الجامعة لهما والولاية ما ظهرت إلا في علي عليه السلام وإن كانت لمحمد صلى الله عليه وآله ولذا ورد في الحديث المتقدم في حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وآله ((إنّ أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر وكان يطوف حول جلال القدرة ثمانين سنة فلما وصل إلى جلال العظمة خلق الله نور علي عليه السلام

فكان نوري يطوف حول جلال العظمة ونور علي عليه السلام يطوف حول جلال القدرة)) ، والقدرة هي الولاية المطلقة والسلطنة العظمى والرئاسة الكبرى وهي القدرة إذ لا مقدور في الرتبة الثانية لأنّ هذه القدرة في ثلاث مواضع ، الأول في الذات البحت تبارك وتعالى إذ هناك قدرة فلا مقدور وسمع ولا مسموع وعلم ولا معلوم و أمثال ذلك ، ومعنى ذلك نفي الصفات كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((كمال التوحيد نفي الصفات))[1] وتلك القدرة قد انسد باب العلم والفهم عنها فلا تحوم حول معرفتها الأفكار ولا تنال ما فيها بكمال دقتها الأنظار تعالى عما يقول الواصفون علوا كبيرا ، والثاني في القدرة الظاهرة في الحقيقة النبوية صلى الله عليه وآله فإنها مثال وصفة ودليل و آية للقدرة إذ لا مقدور فالذي عرفنا من هذه رشح من رشحات آثار بحر فيضه صلى الله عليه وآله فهذا الدليل لا يخالف المدلول وهوعين ذاته صلى الله عليه وآله ففي هذا المقام لا يصح الطواف ولا يظهر الجلال ولا تتحقق الأشواط ، والثالث القدرة الظاهرة فيه لا من حيث كونه صلى الله عليه وآله مثالا و آية بل من حيث أنه أقامه الله عز وجل مقامه في الأداء إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار فهناك قد صحّ الطواف وظهر الجلال ، فالقدرة هي الفعل الظاهر بالولاية المطلقة التي قد محيت عنده الآثار واضمحلت لديه الأطوار فهو هناك قدرة إذ لا مقدور كونا

---

[1] التوحيد ٥٦

وعينا وإن كان مقدور ذكرا من باب صلوح التعلق وتحقيق المقدور ، فطواف الحقيقة على هذه القدرة كطواف الحديده بالنار لما ظهرت النار فيها وطواف الانكسار بالكسر واستدارته عليه فهذا مقام الواحدية ومقام الألف القائم بقي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المقام مستكملا لرتبتي الوجود من الغيب والشهود بحسب نوع عالمه لتمام ظهور اليمين في محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو تمام ثمانين ألف سنة على جهة البساطة والإجمال لا التفصيل ، فلما وصل إلى مقام العظمة أي مقام ظهور الأسماء المتقابلة المتضادة ومقام الكثرة المستلزمة للعظمة المستدعية للنبوة والرسالة خلق الله عز وجل فيه نور علي عليه السلام فانبعث نوره منه عليه السلام انبعاث الضوء من الضوء ، فلما وجد عليه السلام حامل اللواء فبقي يطوف حول جلال القدرة التي كانت لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فتحققت له البرزخية الكبرى وظهر بالرئاسة العظمى والسلطنة العليا فأوجب الله سبحانه على كل الذرات مما أحاطته المشيئة الإقرار بولايته والاعتراف بفرض الطاعة له لأن ولاية الله التي انقاد وخضع كل شيء لها إنما ظهرت فيه عليه السلام فلا تجد مرتبة في الوجود من المطلق والمقيد إلا وترى عليا عليه السلام ظاهرا فيها ، فأنّى يعدل عنه واللفظ يطابق المعنى وغيب الهوية وسر الألوهية ما ظهر إلا فيه عليه السلام لفظا ومعنى كما ذكرنا مرارا ، ولذا قال مولانا الرضا عليه السلام ((لكن اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف ، فأول ما اختار لنفسه العلي العظيم لأنه أعلى الأشياء كلها فمعناه الله واسمه العلي

العظيم هو أول أسمائه لأنه علي علا كل شيء))[1] ومعنى هو وهـ هوالعلي

قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[2] وقال أيضا عز وجل

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِى لَيۡلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[3] وقد فسرت الليلة في روايات أهل البيت

بفاطمة عليها السلام وهـ هوالذي أنزله الله فيها وهوعلي عليه السلام لأن الهاء إذا

أشبعت تتولد منها الواو كما هو القاعدة في الإشباع في تولد الحرف المناسب

للحركة المشبعة فإذا أنزلت الهاء في الرتبة الثانية أي مقام الأسماء يكون خمسين

والواو إذا نزلت يكون ستين والمجموع مائة وعشرة وهوالاسم العلي فالعين

تمام كلمة كن التي هي عالم الأمر واللام تمام الميقات وتمام عدد القابليات وتمام

دورة القمر والياء هي العشرة الكاملة المتممة للميقات كما قال عز وجل

﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةً وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ

لَيۡلَةً ﴾[4] فاللام والياء رتبة الخلق لأنه لا يتم في كل أطواره إلا بالقابل المعبر

عنه باللام لسر يطول بذكره الكلام والمقبول المعبر عنه بالياء فيستنطق عن

المجموع الميم الذي هو أول ما أظهر من كلمة كن ، ولما كان محمد صلى الله عليه وآله طائفا

حول جلال العظمة في الظهور بعكس الوجود وجعلت الميم في أول اسمه

الشريف ولما كان عليا طائفا حول جلال القدرة جعلت العين التي هي

---

[1] التوحيد ١٩١ [2] الزخرف ٤ [3] الدخان ٣ [4] الأعراف ١٤٢

استنطاق كلمة كن في أول اسمه الشريف، ولما كان مقامه عليه السلام مقام التفصيل فصّل رتبة الخلق بالقابل فجعل بإزائه اللام والمقبول فجعل بإزائه الياء، ولما كان مقام محمد صلى الله عليه وآله وسلم مقام الإجمال لا التفصيل ما فصلت المرتبتان في اسمه صلى الله عليه وآله وسلم فجعل في أول اسمه المبارك الميم فإذن فافهم قوله تعالى ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] .

ومستخبر عن سر ليلى أجبته بعمياء من ليلى بلا تعيين
يقولون خبرنا فأنت أمينها وما أنا إن خبرتهم بأمين

ومن هذه الدقيقة اللطيفة يظهر لك السر في ليلة المعراج أن الله سبحانه خاطب نبيه بلسان علي عليه السلام لأن كل مقامات الفرق والتميز مقام علي عليه السلام وهوالباء وهوالنقطة تحت الباء ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم هوالنقطة المطلقة الحقيقية ومقامه مقام البساطة والإجمال لا النقطة تحت الباء فافهم .

فمقامات الوجود المطلق وجهه الأسفل هو مقام نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام وإن احترفت فالاسم لذلك المقام والوجه الأعلى منه هو الأسماء الإلهية التي قد اشتقت أساميهما منها كما قال عز وجل (أنا المحمود وأنت محمد شققت لك اسما من اسمي وأنا الأعلى ووصيّك علي شققت له اسما من اسمي وأنا فاطر السموات والأرض و ابنتك فاطمة شققت لها اسما

---

[1] الأعراف ٥٤

من اسمي وأنا المحسن وسبطك الحسن شققت له اسما من اسمي وأنا قديم الإحسان وسبطك الآخر حسين عليه السلام شققت له اسما من اسمي)[1] نقلت معنى الحديث ، وهذه الأسماء هي المقامات العليا من الوجود المطلق وهي المقام المشتق منه ولنا في بحث الاشتقاق كلام شريف قد أشرنا إلى بعض منه في ما تقدم ولا يجوز فصح السر وإذاعة الأمر والله ولي التوفيق .

فعلى هذا ما ظهر مقام من المقامات الخلقية في الظاهرية والباطنية والشهودية والغيبية والعلوية والسفلية والذاتية والوصفية والصّفاتية إلا وكلف الله عز وجل فيه الخلق بولاية علي عليه السلام فالميثاق المأخوذ والعهد المأخوذ إنما كان في الذر الأول في السلسلتية ، وظهور الموجودات من كتم الإمكان إلى رتبة الأعيان إنما كان بذلك العهد واختلاف الظهور إنما هو باختلاف التعهد بالعهد والقبول للميثاق ، والعهد أيضا يختلف في المقامات ففي بعض المقامات العهد بولاية علي عليه السلام هو صرف التوحيد والتنزيه والتفريد وعدم ملاحظة شيء من السّوى ، وفي بعضها الاعتقاد وفي بعضها الأعمال ، وطرق الاعتقاد والأعمال والأقوال في ولاية علي عليه السلام كثيرة

---

[1] نقل المصنف أعلى الله مقامه هذا الحديث بالمعنى ونحن نذكره بالنص تيمنا ففي تأويل الآيات ص ٥٢ ((يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقي وبرياتي ، هذا محمد وأنا الحميد المحمود في أفعالي شققت له اسما من اسمي ، وهذا علي وأنا العلي العظيم شققت له اسما من اسمي ، وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض أفاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي وأفاطم أوليائي عما يعيرهم ويشينهم وشققت لها اسما من أسمائي ، وهذا الحسن والحسين وأنا المحسن المجمل شققت اسمهما من اسمي)) .

مختلفة جدا يؤدي شرحها إلى تطويل ممل أو إيجاز مخل ولا واسطة في المقامين في هذا المقام.

فلما خلق الله محمدا صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في حظيرة القدس وضحضاخ الأنس خاطبهم بلسانه الذي هو حقيقتهم الظاهر في علي عليه السلام ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي والأئمة الطاهرون وفاطمة الصدّيقة أئمتكم، فأول من لبى هذا النداء رسول الله صلى الله عليه وآله ثم علي ثم الحسن ثم الحسين ثم القائم ثم الأئمة الثمانية ثم الصديقة الطاهرة عليهم السلام، فلولا قبولهم لهذا التكليف وعملهم على مقتضى الولاية لما كانوا شيئا ولما وصلوا إلى ما وصلوا ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] وهذا التكليف هوالاستقامة المأمور بها في قوله تعالى ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[2] ولذا لا يمر على الصراط الذي هوظهور من ظهورات الولاية بسهولة سواهم عليهم السلام فافهم الإشارة.

وهذا الذي ذكرنا هو بعض ما كان في الذر الأول وليس علم كله إلا عندهم عليهم السلام لأن الذي ظهر لنا من فضائلهم باب أو بابان من العلم وهذا هو الألف الغير المعطوفة.

---

[1] الأنعام ١٢٤ ٢ هود ١١٢

وقوله عليه السلام ((في الذر الأول)) يحتمل أن يكون هذا هو الأول الذي لا ثاني له ولا آخر له ، أما الأول الذي لا ثاني له فهو الأول الذي لا يكون معه في صقعه غيره وإلا كان ثانيا له ، أما كونه أولا إذ لم يتقدم عليه في تلك الرتبة شيء وإلا لم يكن أولا ، وأما الأول الذي لا آخر له فهوالذي لا ينقطع وجوده ولا يتصرم شهوده فلا ينتهي إلى حد ليكون ذلك آخرا له فالذي ليس له آخر لعدم الانقطاع لا يكون له أول بمعنى ابتداء بعد انقطاع لأن الذي ليس له آخر لا يخلو إما أن يكون مستمرا بنفسه مستقلا بذاته أو استمراره بالغير ، فإن كان الأول بطل انقطاعه في البدء و إذا لابتداء بعد انقطاع لا يكون من نفسه وإنما يجب أن يكون من غيره فإن كان من غيره بطل تقوّمه بنفسه إذ ما من الغير لا يقوم بنفسه أبدا ، فيجب أن يكون المستقل بنفسه لا أول له وإلا لم يكن كذلك وهذا خلف ، وإن كان الثاني فهل المقوم متناه في البدو أم لا فإن كان الأول فهومحتاج إلى قيم آخر لما ذكرنا مع أن المنقطع لا يمكن أن يستمر أبدا لأنّ حكم البدو هو حكم العود قال الله سبحانه ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1] فإذا انقطع أولا يجب أن ينقطع آخرا لأن الموجودات المستمرة إلى الأبد إما في سلسلة النزول وهو مستحيل إلا أن يكون المبدأ الباري عابثا سفيها تعالى عن ذلك علوا كبيرا فيجب أن يكون في سلسلة الصعود ، والنازل في الصعود يصعد إلى مبدئه وإلى أصل حقيقته فإذا

---

[1] الأعراف ٢٩

كان مبدؤه منقطعا يجب انقطاعه فاستمراره إلى الأبد دليل أن البدأ الذي هـو ذاته وحقيقته لم يكن منقطعا من الأبد وإلا لم تستمر إلى الأبد ، ثم إن المقـوم القيوم إن كان غير متنـاه في البـدو فـلا معنـى لتعطيـل الفيـض إلا إذا كـان مستكملا من غيره وهو يسـتلزم النقصـان وهـو دليـل كونـه متناهيـا وعـدم مبدئيته واستقلاله بنفسه ، وإما أن يكون متناهيا فـلا يصلـح للمبتدئيـة كمـا تقدم ولذا أجمع العقلاء على أن ما سبقه العدم لحقه العدم وما له أول له آخر وما له آخر له أول وما لا أول له لا آخر لـه ولا إشـكال في ذلـك ، ولمـا كـان فيض الله عز وجل لا يتناهى وهو سـبحانه وراء مـا لا يتنـاهى بمـا لا يتنـاهى كانت أولية الأشياء في ذواتها وحقائقها عين آخريّتها و إن عرضت لها الأولية والآخرية باعتبار الإضافات والقرانات .

وبلجملة فالأول الذي لا آخر له وتسميه بـالأول لعـدم تقـدم شـيء عليه لا في مقابلة الآخر هوعالم الوجود المطلق من عالم الأمر ، فـإن البدايـات والنهايات والأوليّات والآخريات أشياء حدثت من أمره تعالى (كن) ، فلو لم يسبقها لكان في رتبتها ولوكان في رتبتها لا يعقل إحداثها به وهذا الـذر بحـر مملو من فضائل علي عليه السلام ووصف مناقبه وهذا هوالذي كان في هذا الذر .

وأما أول الذي لا ثاني له فـهو الحقيقـة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم لأنـها مـلأت الأكوان ولم يبق مكان يظهر فيه غيرها هناك علـى مـا قـال عليه السلام في الدعـاء

((فبهم ملأت سمائك و أرضك حتى ظهر أن لا إلــه إلا أنـت))[1] وكذلـك حكم الأولية والآخرية في هذا ، فإن الأول فيه هوعين الآخر من غير فرق لأن الأشياء كلها تحت تلك الحقيقة المقدسة فلا يكون الشيء هناك حتـى يفصـل بين أوله وآخره مع أن الآخر منتفٍ والفاصلة غيرهـا مرتفعـه فـلا يعقـل أن يكون لها آخر غير أوّلها فهي أول ولا تزال باقية على أوليتها و آخر ولا تـزال باقية على آخريتها أقامها الله سـبحانه بمـدد فيضـه وأمسـكها بهيئـة توحيـده وأشرق عليها في ما لم يزل وأدامها في ما لا يزال ، فمقامها الأولية الثانيـة والله سبحانه من ورائهم محيـط وهـو أزل الآزال ، وإلى هـذا المعنـى أشـار مولانـا الصادق عليه السلام في حديث المفضل إلى أن قال عليه السلام ((كنا بكينونيتـه كـائنين غير مكنونين أزليين أبديين منه بدأنا وإليه نعود)) هذا معنى الحديث ، وهذه الكينونة إنما هي كينونة حادثة وهي رتبة الفاعل ومقام الخالق بل سـر الهويـة ومبدأ الألوهية ، وقوله عليه السلام ((غير مكونين)) لأن المكون هو يكـون بعـد وقوع قول كن عليه الواقف في هذا المقام روح القدس الذي ذاق من جنانهم الباكورة وهم عليهم السلام أما قول كن أوالتكوين وهم كائنان غـير منقطعـين أزلا وأبدا لكونهما من الوجود الراجح لوجود المقتضي وارتفاع المانع الـذي هـو أنواع الروابط والشرائط الغيرية وهـذا الأزل هـو عـين الأبـد وهمـا الأزل والأبد الثانيان أي اللاّمتناهي في رتبة الخلق كما قال مولانا سـيد السـاجدين

---

[1] دعاء رجب لمولانا الحجة عجل الله تعالى فرجه

((عز سلطانك عزا لا حد له بأولية ولا منتهى له بآخرية و استعلى ملكك علوا سقطت الأشياء دون بلوغ أمده ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت النّاعتين))[1] ولا شك أنهم عليهم السلام سلطان الله الظاهر للمخلوقين وهم ملك الله أي تملكه وقدرته التي سقطت الأشياء دونها ، والذي كان في هذا الذر هوظهور سلطنة علي عليه السلام واقتداره و استيلاؤه على كل من ذرء وبرء وهوظاهر معلوم .

ويحتمل أن يكون هذا الأول له ثاني فيكون حينئذ هوالعقل الكلي والقلم الأعلى وثانيه الروح ، وثاني الروح النفس وثانيها الطبيعة وثانيها المادة وثانيها المثال وثانيه الجسم وثانيه الأعراض وهذه المرتبة آخر ذلك الأول ونهايته ، وكل هذه الذرّات على طبق الذر الأول ، وفي كلها قد أخذ الله عز وجل العهد والميثاق على ولاية علي عليه السلام وأن يطيعوه ولا يخالفوه كما في حديث الحمى عن الحسين عليه السلام وقد خاطبها وقال لها ((يا كبّاسة ألم يأمرك أمير المؤمنين عليه السلام ألا تقربي إلا عدوا أومذنبا لتكون كفارة لذنوبه فما بال هذا الرجل))[2] وكذلك الجمادات والمعادن من الأجسام وقد عرضت عليها

---

[1] الصحيفة السجادية دعاؤه عليه السلام بعد الفراغ من صلاة الليل

[2] لم نجد هذه الرواية كما هي في هذا الشرح وإنما وجدنا ما يقرب منها وهو ما روي في البحار ٤٤/١٨٣ ح ٨ عن زرارة بن أعين قال ((سمعت أبا عبدالله عليه السلام يحدث عن آبائه عليهم السلام أن مريضا شديد الحمى عاده الحسين عليه السلام فلما دخل من باب الدار طارت الحمى عن الرجل فقال له :

الولاية فقبلها بعض وأنكرها بعض آخر وقد قال عز وجل ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1] .

ومن الذي كان في هذا الذر الأول لأخذ الميثاق على الأنبياء والمرسلين وامتياز أولي العزم من غيرهم كما قال عز وجل ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[2] وفي هذا العهد شك آدم عليه السلام وتوقف في القائم عجل الله فرجه وشك يعقوب وتردد يوسف ويونس وشك أيوب وغيرهم من أفاضل الأنبياء وفي ذلك سر عجيب نذكره في ما بعد إنشاء الله في خلال الكلام وربما أشرنا إليه في ما قبل ، ولا تتوهم أن الأنبياء يشكون أويترددون في ولاية علي عليه السلام في

رضيت بما أوتيتم به حقا حقا والحمى تهرب عنكم ، فقل له الحسين عليه السلام : والله ما خلق الله شيئا إلا وقد أمره بالطاعة لنا ، قل فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى الشخص يقول لبيك ، قل : أليس أمير المؤمنين عليه السلام أمرك أن لا تقربي إلا عدوا أو مذنبا لكي تكوني كفارة لذنوبه فما بال هذا ، فكان المريض عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي))

[1] الأحزاب ٧٢

[2] الأحزاب ٧ – ٨

أنه ولي أم لا بمعنى عدم استقرارهم الاعتقاد فيها كلا ولو كان الأمر كذلك لكفروا وإنما يراد من الشك معنى غير ما هوالمعروف عند العامة لأن أحاديثهم عليهم السلام صعبة مستصعبة والإيمان بها والتسليم لها أصعب ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] .

[1] البقرة ٢١٣

قوله عليه السلام مع من تقدم مع آدم الأول

اعلم أن آدم تمام الكمال الظهوري لآخر رتبة الأصل الواحد الأول للمرتبة التفصيلية من الأصل الأول الذي هو الواحد، وبيان ذلك بالإجمال أن الواحد لما ظهر من نقطة الأحد بنفس ظهور الواحدية في رتبة الواحد تثلث إذ نظر إلى الأحد وإلى العدد وإلى رتبة مقامه، لكن التثليث في غاية البساطة الإمكانية بحيث لا تعتبر فيه جهة إلا من حيث التعلق، وهذا التثليث إنما ظهر من الظاهر والظهور والمظهر فلا يتحقق كون من الأكوان الإمكانية والآثار الربانية والظهورات السبحانية إلا مثلنا إذ لا يمكن تكون الممكن بسيطا لعدم إمكان شريك الباري ولا يمكن أن يكون مبدأ الكون زوجا وإلا لم يكن متحققا إذ كل من الثلاثة شرط لوجود الآخر وتحققه على جهة التساوق، فلولا الظاهر امتنع الظهور والمظهر ولولا الظهور امتنع الظاهر والمظهر، لأن الظاهر لم يكن ظاهرا إلا بالظهور كالضارب فإنه لم يكن ضاربا إلا بالضرب وليس الظاهر هوالذات كما ذكرنا مرارا لأن الذات هي الكنز المخفي و إنما هو الصفة وهي لا تتقوم إلا بمعنى من معاني الذات في الآثار الفعلية كالقيام للقائم والضرب للضارب والظهور للظاهر وأمثال ذلك وكذلك لولا المظهر لم يكن الظاهر والظهور فإن المظهر ليس إلا وجههما فافهم.

ولذا كانت الثلاثة أول الأعداد وأول الأفـراد إذا الواحـد هوالثلاثـة لكنه غـير متمـايزة ، والعـدم مقـام التمـايز والتفصيـل لأنـه الكـم المنفصل ، فالثلاثة في التفصيل هوالواحد في مقام الإجمال لأن في الواحـد قـد غلب عليه ظهور الأحد في كثرته وأظـهر سـر وحدتـه ، والكـثرة مضمحلـة مطوية كالنار المعروفة المرئية فإنها مركبة من العناصر لكن الجـزء النـاري قـد غلب واستولى فسمي الشيء المركب باسمـه وكذلـك المـاء والهـواء والـتراب وكذلك الواحد فإنه ثلاثة لكن جهة الوحـدة قـد غلبـت عليـه لكونـه أول مظاهر الأحدية فلا يعتبر فيه التعدد فافهم وأتقن .

وبالجملة فالثلاثة لما ظهرت جذرت في مقام التفصيـل لإظـهار مبـادئ الوجوه الممكنة في الواحد الذي هوالثلاثة فكانت تسـعة فـهي تمـام الأصـل الأول الذي هوالواحد ، فإذا ظهرت كمالها الظـهوري يكـون خمسـة وأربعـين وهو تمام الوفق في الشكل المثلث العددي فإذا استنطقت هـذا الوفـق يكـون آدم فهو اسم للأصل الأول ، وإنما استنطق على هذا الترتيب وقـدم الألـف لبيان أنه الأصل الأول ، ثم الدال لبيان أنه خلق من العناصر الأربع من نـار الفاعل وهواء أثر الفعل وماء قبول المفعـول لفعـل الفـاعل وأرض القابيلـة الحافظة الممسكة لفيض الفاعل ، ثم الميم لبيان التخمير في أربيعين يوما كمـا قال عز وجل في الحديث القدسي ((خمّرت طينة آدم بيدي أربعين صباحا))[1]

---

[1] عوالي اللآلي ٤/٩٨

فآدم هو كل أصل قد تشعبت عنه فروع كثيرة غير متناهيــة وشــكله الشــكل المثلث وهو أبوالأشكال وأصلها وكل شكل إنما هوفرع منه حتى المستدير فإنه الوجه الأعلى من المثلث لكنه متقوم به كالفاعل المعمول للفعـل المتقـوم بـه وإن كان في الدلالة والبيان أقوى وهوالمثلث الناري وحوّاء أحد أضلاعــه لأن التسعة إذا كتبتها في المثلث يحصل الوفق في كل ضلع خمسة عشر وهو حــوّاء وهي الضلع الأيسر من آدم من المثلث المائي فلا يتم آدم إلا بحوّاء ولا توجــد حوّا إلا بآدم فافهم.

وعلى هذا فكل أصل آدم وهذا اللفظ لأجل المناسبة الذاتية إنما وضع له على الحقيقة لا على جهة الاشتراك ولا على التواطي والتشكيك ولا على العام والخاص بل على الحقيقة بعد الحقيقة ، وكل أصل تســعة فـإن كـان في عالم التميز والتفصيل الجسماني فعلدية و إن كانت في غيرها أم لا من جهــة التفصيل فمعنوية ، ولذا سميت الصّديقة الطاهر علـى أبيـها وبعلـها وبنيـها وعليها آلاف الســلام بالطـاء لأن فاطمـة هـي الطـاء بالكمـالين الظـهوري والشعوري وما اتفق اجتماع الكمــالين في حـرف مـن الحـروف إلا في هـذا الاسم المبارك لهذا السر لأن رتبة الآحاد التي هي الأصل الواحد تنتهي في عالم الظهور إلى التسعة والطاء جامع لها وهي حاو ووعاء للمراتب الآحادية كلــها فالطاء هي أصل الاسم وكمال الظهور هومنه ، لأن الكمال الظهوري لكـل حرف أن تزيد عليها الواحـد ثـم تضربـه في نصـف ذلـك العـدد فللحـاصل

هوالكمال الظهوري كالطاء فإذا زدت عليها واحدا يكون عشرة فإذا ضربت العشرة في نصف التسعة وهوالأربعة والنصف يكون الحاصل خمسة وأربعين فاستنطق فكان منه ، و إنما سمي بالكمال الظهوري لأن هذا كمال ظهورات ذلك العدد في تلك المراتب ، والكمال الشعوري هو مجموع الكمالين الظهوريين اللذين لذلك الحرف والحروف التي قبلها كالحاء التي قبل الطاء وكمالها الظهوري ستة وثلاثين فإذا جمعته مع خمسة و أربعين يكون الحاصل واحدا وثمانين فاستنطق فكان ، فإذا جمع الكمالان اللذان هما (فا) و(مه) مع الطاء كانت فاطمة عليها السلام وهذه التسمية لأنها عليها السلام آخر مراتب الأصل الواحد ، وآدم هو مجموع المراتب ولذا ترى علماء الصرف يقولون أنه يحصل من الأصل الواحد الذي هو المصدر أو الفعل تسعة أصول وهذه التسعة هي تفاصيل ذلك الأصل الواحد ، ولو أردنا شرحه مفصلاً يطول الكلام .

والتسعة إذا جعلتها في الشكل المثلث يستخرج آدم ومن ضلعه الأيسر حوّاء فهو أول من ظهرت فيه آثار الألوهية وشئونات الرحمانية والعرش المستوي للرحمن ، وبه ينشأ الفيض وينتشر في أبنائه وفروعه وتوابعه بالبدلية لا بالصفتية ولا بالتأكيد بل على جهة البدل ، وكل آدم ثانٍ مثال وصورة لآدم الأول وتفصيل وتمييز لمراتب الأول التي كانت مستجنّة فيه ومندرجة في غيبه ، فعلى ما ذكرنا تعدد الآدميون بتعدد أصول الخلق وبتعدد الأفلاك التسعة في كل عالم وهذه الأصول على وجهين ، أحدهما أصول كلية

جامعة شاملة لما تحتها من الأصول كالغصن الكبير من الشجرة الذي يشتمل على غصون كثيرة مشتملة على أوراق كثيرة ، وثانيهما خصوصيات الغصون المشتملة على الأوراق لا على الغصون ، فعلى الأول يمكن حصرها وتعدادها واختلفت الروايات عن الأئمة السادات عليهم السلام فيه لا بمنطوقها وصريح لفظها و إنما هو بإشاراتها وتلويحاتها لكن ما وقع التصريح فيه منها ما رواه الصدوق في آخر الخصال عن الباقر عليه السلام لجابر إلى أن قال عليه السلام ((لعلك ترى أن الله عز وجل إنما خلق هذا العلم الواحد ، وترى أن الله عز وجل لم يخلق بشرا غيركم ، بل والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين))[1] .

وفي رواية أخرى ((ما خلق الله من التراب غير آدم أبينا)) وهذه المراتب الألف ألف مرتبة الأصول وهذه الأصول كلها إنما نشأت من أصل واحد لا من ذاته وإلا لم تتكثّر إذ الذات على صرافة بساطتها في الوحدة لا تنشأ منها الكثرات ، ولذا ترى ضرب الواحد في نفسه أو في غيره لا يؤثر شيئا بل النشء إنما هو من الصفات وقرانات النسب والأوضاع وملاحظة النسب بعضها مع بعض ، فأول ما يؤخذ من ملاحظة النسب من الأصول في الواحد هو الثلاثة وهو العوالم الثلاثة التي هي عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك ، وفي كل عالم آدم هو الأصل وله أولاد تشعبوا منه إما

---

[1] الخصال ٦٥٢

من سنخ ذاته أو من أمثاله وأشباحه ، فالآدم في الجبروت العقل الكلي والعقول الجزئية في أشباحه وأمثاله قد ظهرت منه وتعود إليه ، وآدم الذي يكون أولاده من سنخ ذاته في الجبروت هو النور الواحد العقلاني المنبعث من العقل الكلي الساري في كل العقول الجزئية فتكون حينئذ أفراد العقول وأشخاصها أولادا لذلك النور الكلي الساري فافهم .

وهو في عالم الملكوت هوالنفس الكلية والنفوس الجزئية المتكثرة الظاهرة في أفراد الخلق هي ظهورات تلك الكلية وأمثالها وأشباحها ، والآدم الثاني في هذا العالم كما ذكرنا في الجبروت حرفا بحرف ، وهو في عالم الملك العرش أبو الأجسام في الكلية والوالدان في الجزئية بالمعنى الثاني ، وبالطور الأول فكما ذكرنا في العقل والنفس ، ثم إذا لاحظت نسب هذه الثلاثة بعضها مع بعض إذ لا غيرها تبلغ قراناتها ونسبها في أول اللحاظ تسعة وهي العوالم التسعة عالم القلوب وعالم الصدور وعالم العقول وعالم العلوم وعالم الأوهام وعالم الموجودات الثانوية وعالم الخيالات وعالم الأفكار وعالم الحيلة ، وفي كل عالم آدم هو أصل ذلك العالم ويكون ما سواه من الأحوال الغير المتناهية كلها من فروعه وشعبه ذاتا أو صفة أو مثالا على المعنى الذي ذكرنا بوجهية ، ثم إذا أضفت إلى هذه التسعة واحدا لتنقلها إلى الرتبة الثانية يكون عشرة وهي العوالم العشرة تلك التسعة المذكورة وعالم الأجساد ، ثم إذا لاحظت نسبة هذه العشرة بعضها مع بعض فأول ما يحصل من ملاحظة هذه

النسب مائة عالم وهو ظهور تلك العشرة في عشرة عوالم عالم الوجود المطلق وعالم الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم وعالم الأنبياء وعالم الإنسان وعالم الملك وعالم الجن وعالم البهائم وعالم النباتات وعالم الجمادات وعالم الأعراض ، وكل عالم له آدم متأصل يكون ما عداه عن شعبه وفروعه ، وأما أمثاله وأشباحه أو أبداله وأشباهه على التفصيل الذي ذكرنا بالإجمال ، ثم إذا لاحظت نسبة هذه المائة مع العشرة يكون الحاصل ألفا وهو ظهور كل من هذه المائة في عشرة عوالم عالم المسميات وعالم الأسماء وعالم الأفئدة وعالم العقول وعالم الأرواح وعالم النفوس وعالم الطبيعة وعالم المادة وعالم المثال وعالم الأجسام وفي كل عالم من هذه العوالم آدم وهو أصل ذلك العالم وعليه يدور رحى ذلك العالم كما ذكرنا ، ثم إذ لاحظت نسبة هذه الألف بعضها مع بعض يكون الحاصل ألف ألف وهوالمراد من قوله عليه السلام المتقدم من أن الله تعالى خلق ألف ألف عالم والف ألف آدم وهو مجموع نسب الأصول من الأصل الواحد ، وكذلك إذا لاحظت نسب هذا الألف ألف بعضها مع بعض يبلغ تلك الملاحظات إلى ما لا يدخل تحت حصرنا وعدّنا وإنّما هومختص بالله عز وجل ومن أشهده الله خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم ، وفي كل عالم من هذه العوالم الكثيرة آدم فقوله عليه السلام ((أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين)) يريد به الكون الجسماني أو الأعراضي وهو مركز للعوالم كلها بروابطها وقراناتها فتدور عليه العوالم مستديرة بتنقلات الأطوار واختلاف الأوضاع

فيكون كل وضع وكل طور مبدأ حكم من الأحكام الوجودية التكوينية بسيّالية وجودات الأشياء في الأيام من أيام الشأن وهوقوله ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[1] وكل هؤلاء الآدميين لهم أولاد قد أخذ عليهم الميثاق بولاية علي عليه السلام ويدخل الجميع في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾[2] وليس هذا العموم من اللفظ من باب الاشتراك حتى ترد عليهم شبهة عدم الجواز وإنما هوحقيقة بعد الحقيقة فما هذا شأنه لا يجمع المعنيين في صقع واحد فيكون المراد منه دائما معنى واحدا إلا أنه لأهل كل عالم بلسانه واصطلاحه .

فقوله عليه السلام ((مع من تقدم مع آدم الأول)) يريد عليه السلام بالتقدم التقدم الحقيقي السرمدي لا التقدم الزماني والمكاني والشرفي والطبيعي ، بل التقدم الذي يجمع المتأخر بعين كونه المتقدم الذي انقطع عنه الماضي والحال والاستقبال ويجمع المتفرق ويفرق المجتمع وهوعاد لوجود الموجودات كلها ولا يعله شيء الذي قد سبق وجوده الأحوال والأطوار في الأكوار والأدوار وكلها محبوسة تحت حيطته وسابحة في لجة أحديته وقد انقطعت دونه المدارك وتحيرت

---

[1] الرحمن ٢٩

[2] الأعراف ١٧٢

عنه المشاعر وسنتكلم عن هذه الأولية إذا آن أوانه وحان وقته عند قوله عليه السلام ((أنا الأول والآخر)) .

وأما آدم الأول فهو المشيئة مبدأ الوجود المطلق ومقام كن وعالم فأحببت أن أعرف والذكر الأول والاختراع والابتداع ، وهو آدم لأنه أول من أقر لربه بالربوبية ولنبيه وإمامه بالطاعة والولاية وأصل واحد قد ظهر منه الأصول الثلاثة والتسعة والخمسة والأربعين والثلاثمائة والستين والألف وألف الألف وحواؤه أرض الإمكان الراجح فلما تعلق بها وأدلج فيها نشأت منها الأولاد ذكورا وإناثا وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[1] فالرجال ما تولدوا من الجهة اليمنى أي الوجه لأعلى وهم الأسماء والصفات المتولدة من تعلق الوجود المطلق بأرض الإمكان من جهة العليا ، والنساء هي الوجوه والجهات الفعلية المتعلقة بالمفعولات والمشاءات المتقومة والمنشعبة المتفرعة عن المشيئة الكلية .

وأما آدم الثاني هو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وحواؤه أرض الجرز وأول أولاده العقل الكلي ثم الروح الكلية ثم النفس الكلية وهكذا إلى آخر مراتب العرش المركب من الأنوار الأربعة ، وعلى هذا القياس سائر العوالم

---

[1] النساء ١

والآدميين كل آدم له حواء ومن كل منهما في كل العوالم وقع ما أخرجهما من الجنة ثم عادا وتابا فقبل الله توبتهما وأسكنهما أرضه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، إلا أن معصية كل آدم على مقتضى مقامه ورتبته مع حفظ حكم حسنات الأبرار سيئات المقربون فتفطن فإن المسلك وعرة يحتاج إلى شرح وبسط وليس لي الآن إقبال ذلك .

والإشارة المجملة إلى شيء يسير منه فاعلم أن أعلى مقامات الجنة هو الرضوان وأعلى مقاماته الرب ومشاهدة جماله بلا حجاب في مقام ذات المشاهد الرائي ومقام السكر الذي لا صحو فيه ورتبة الصحو الذي لا سكر فيها ولا تسع ذلك المقام سنة ولا نوم ، فالمشيئة أعلى مقاماتها هيكل التوحيد وسر التفريد على أعلى المعاني ويعبر عنه ولا عبارة (بأحببت) والمحبة التي هي حجاب بين المحب والمحبوب ومقام المحبوب من غير ملاحظة المحبة ، وهذا المقام هو الجنة التي لا أعلى منها بل الجنة إنما هي الظهورات العلوية لهذا المقام فإذا تعلقت بحوائها التي هي أرض الإمكان وتحقق الزواج ونظرت إلى الإمكان ظهرت الكثرات الأسمائية والصفاتية والتعلقات الإمكانية والكونية فتنزلت إلى أرض الكثرات والإضافات والحجب بعدما كانت في السماء في جنة المشاهدة وصرافة الوحدة وهذا التنزل ما كان سببه إلا أرض الإمكان التي هي حواؤه ، وأكل الشجرة هوالنظر إلى مقام الإنية المنظورة بأطوار الكثرة المدعية الساجدة للشمس من دون الله فهم من فهم ، وهكذا الحكم في كل

المراتب لقد ملكتك القواعد إن كنت علامة يحصل لك منتهى المطلــب والله الموفق .

قال عليه السلام ولقد كيّف لي فعرفت وعلمني ربي فتعلمت ألا فعوا ولا تضجوا ولا ترتجوا فلولا خوفي عليكم أن تقولوا جن أو ارتد لأخبرتكم بما كانوا وما أنتم فيه وما تلقونه إلى يوم القيامة علم أوعز إلي فعلمت

اعلم أن العلوم على قسمين علوم لا كيف لها وعلوم لها كيف ، والأولى على قسمين حقيقية وإضافية ، ومرتبة الإضافيات تختلف في البساطة والكثرة فالتي لا كيف لها هي العلوم التي لا تحدها الأدوات والمشاعر من العقل وما تحته و إنما هي خاصة بإدراك الذات والكينونة فيدركها الشخص بذاته ليتحد هناك المدرك والمدرَك والإدراك وهي العلم بمعرفة الله سبحانه ومعرفة صفاته وأسمائه وأزليته وأبديته وخفائه وظهوره وأولويته وآخريته ومعرفة علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره ونحو إحاطة العلم بالمعلومات قبل المعلومات وبعد المعلومات وكيفية صدور الأشياء من المشيئة وصدورها من الله عز وجل ومعرفة انتفاء الخالقية والفاعلية في الذات الأحدية ومعرفة النفس التي هي معرفة الرب ، ومعنى أن هذه العلوم لا كيف

لها هو أن الناظر حين النظر إليها لا يلتفت إلى جهة دون جهة أخرى وإلى حد دون آخر وإلى تميز وإشارة وعبارة وإنما يعرفها بالوجدان من غير أن يرى لها صورة ، ثم يعبر عنها في مقام التمييز بعبارة منبهة للمراد على حكم الاستعداد ، ومرادي بالكيفية الكيفية العقلانية والروحانية والنفسانية والمثالية والجسمانية والمقادير العرضية وإلا ففيها ولها كيفية لا تدركها العقول و إنما تدركها الذوات ، ومرادي بالإضافة والحقيقة نفي التمييز والحدود مطلقا على أي حال في الواقع الأولي ونفيهما في الواقع الثانوي أي في نفس الأمر .

وبيانه بالأجمال أن التجلي في المجلى الأول ليس إلا نفسه فلا يحكي ولا يصف إلا الواحد المحض إذا نظر إلى نور العظمة في مقدار سم الإبرة ، والتجلي في المجلى الثاني إنما هو بالأول فالثاني فيه ظهورات ونفس ظهور نفس الأول الذي هوخلاف كينونة الأول ، كما إذا نظرت إلى المرآة الثانية المقابلة للأولى المقابلة للشاخص فترى في الأولى صورة المقابل وحدها وفي الثانية صورتين ومرآة وفي الثالثة ثلاث صور ومرآتين وهكذا ، ولما كانت الكثرة في كل مرتبة من لوازم ماهية تلك الرتبه فإذا أزال الإنية ارتفعت له الهوية فتنفي هذه الكثرات وتبطل القرانات ويكون ذلك المقام عنده أعلى مقامات التوحيد ، مع أن هذا المقام هو ظهور إنية العالي فلو وصف الحق بما يصف به السافل لوصفه بغير ما هو عليه ولشبهه بخلقه بخلاف السافل فإن

هذا هو حقيقة التوحيد بالنسبة إليه ، فالكيفيات في الرتبه الثانية وإذا ارتفعت فيها لها لكنها باقية عند من هو أعلى منها .

ومن العلوم التي لا كيف لها بالإضافة العلم بمسألة سر الأمر بين الأمرين وسريان نور الاختيار في كل الأقطار بكل الأطوار وتحقق القابلية المقبلة والمدبرة حين الإيجاد والإدبار لا قبله ولا بعده ووقوع الخطاب عليها ليكون المخاطب نفس الخطاب الواقع في الحد المخصوص وتحقق ذلك الحد بذلك الخطاب ، لأن هذه الأمور إنما حصلت قبل التركيب في التكوين والكون التقييدي ، والعقل أول ما ظهر من المركب فلا يدرك إلا المركب من حيث هو كذلك لأن الأدوات إنما تحد أنفسها والآلات إنما تشير إلى نظائرها ولا شك أن حال التركيب في الاقتضاءات غير حال البساطة وهو ظاهر معلوم لمن يفهم الكلام ،ومجمل القول أسرار باطن الباطن وما فوقه كلها من العلوم التي لا كيف لها من الكيفيات المدركة للعقل .

وأما العلوم التي لها كيف فهي علم الشريعة وعلم الطريقة وما يتعلق بهما في التكوين والتشريع من العلوم الكلية المعنوية والعلوم الجزئية الصورية والعلوم الشبحية المقدارية والعلوم الجسمانية وجملة ما أحاطت به دائرة الوجود المقيد إذ كل ذلك مما له كيف من أنحاء أحوال الكلام وما يترتب على قرانات الأشياء وإضافاتها وأوضاعها من العلوم التي لا نهاية لها .

فإذا عرفت هذا فاعلم أنه عليه السلام لما أبان عن سعة علمه الشريف وإحاطة دائرة مقامه المنيف وأنه علم ما كان وما يكون وما كان في الذر الأول من أحوال البدء التي هي تمام أحوال العبودية فإنه عليه السلام في القوس الصعودي وكذلك الخلائق كلهم فكل من أخبر عن حكم من أحكام البدء فإنما قطع مسافة العود ووصل إلى ذلك المقام في البدء فكان عوده عين بدئه ، فإذا أثبت أن العود هو عين البدء وأن المخبر في القوس الصعودي فإنما فصل إلى البدء وعودا كما قال عز وجل ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1] وقد أخبر عليه السلام عما كان في الذر الأول في الكون الإطلاقي في أعلى مراتب الوجود الراجح ، وكان فيه ما ربما يتوهم ما توهمه بعض الغلاة من حكاية الاستقلال وعدم توهم الاضمحلال أشار عليه السلام إلى رفع هذا التوهم وإثبات كمال الرتبة العبودية وشدة الفقر والحاجة فقال عليه السلام ((ولقد كيّف لي)) على بناء المجهول يعني أن هذه العلوم التي ذكرت أني جامع لها ومحيط بها ليست هي مني بالاستقلال وإنما هي أمور قد وصفها الله عز وجل وكيّفها أي أبان كيفها وكشف عن حقيقتها إلى من فضله وكرمه وعلمني بالاسم الأعظم الأعظم الأعظم المكنون المخزون الطهر الطاهر الذي قد جعله عندي فعرفت ذلك بتكييفه تعالى وتوصيفه ثم بتسديله فعرفت ما كيف لي وألقي علي من

---

[1] الأعراف ٢٩

السر المكنون والدر المصون ، فعرفت ما ألقـي علـي بصحـة القابليـة ونـور الهداية وبذلك فزّت مقام السبق .

ولما أشار إلى العلوم التي كانت في الـذر الأول وإلى الأسـرار المطويـة المكنونة المستودعة في آدم الأول من حجب الغيب مثل حجاب الدر في السـر المقنع في السر في أعلى مراتب آدم الأول ، وحجاب العقيق الأصفر في ثـاني مراتبه ، والحجاب الأخضر حجاب الزمرد ، والحجاب الأحمر حجاب اليـاقوت في المقامات العلوية من آدم الأول إلى ظهور نقطة علمه عليه السلام بمـا كـان ومـا يكون كل شيء في رتبة وجوده قبـل وجـوده وشـهوده ، وأمثالهـا مـن العلـوم والأسرار التي عرف الوجه السفلي الذي هو جزء من مائـة ألـف جـزء مـن رأس الشعير من الوجه الواحد السفلي الذي هو كـل مـن الوجـه الواحـد السفلي يريد عليه السلام العارفون الكاملون بأعلى مشاعرهم الذي هـو ذواتـهم وحقائقهم التي لا كيف هنـاك ولا حـد ولا وضـع ولا إضافـة ولا نسـبة بـل عرفوها بما كل الجهات عنده جهـة واحـدة وكـل الأطـوار طـور واحـد وكـل الشؤنات المتكثّرة المتضادة المتخالفة لا تحجبه مـن ظـهور الوحـدة السـارية في الكل في الوجود ومشاهدة كل شيء في مكانه ، وقد انتفت عنده كل الجـهات العقلية والروحية والنفسية والمقدارية والجسمية فـلا شـك أن تلـك العلـوم التي لا يدرك ظاهر قشرها إلا بذلك المشعر المنزه عن كل الجهات لا يكون لها جهة ولا كيف أراد أن يبين عليه السلام على أن تلك المراتب والعلوم التي لا كيف

لها عند الخلق لصرافة وحدتـها وكمـال بسـاطتها كلّـها عنـده عليه السلام مكيفـة محدودة متمايزة متكثرة مختلفة نسـبتها إليـه عليه السلام نسـبة الأمـور المشـاهدات بالأبصار الجسمية إلى المعارف والأسـرار الغيبـة والأسمـاء والصفـات الحقيّـة الإلـهية ، ولذا قال عليه السلام إنه كيّف لي ما وصفت لكم و إن كان لا كيف لـه ولذا أتى بصيغة الكيف التي هي أخص من الوصف وإن كـان يريـد عليه السلام بذلك الوصف لكن خصوصيته للسر الذي قلنا لك أن الغيوب كلـها عنـده عليه السلام حاضرة مشـهودة والسـرمديات الـتي عنـد الخلـق مـن رتبـة الإنسـان زمانيّات عند الأنبيـاء والمرسـلين والسـرمديّات الـتي عنـد الأنبيـاء عليهم السلام في المعارف اللاّهوتية والأسرار المقنّعـة بالسـر مـن أسـرار البـاطن في مقامـات السبعين في مقام الوصف ومقام الذات ومقام التشريع ومقام التكويـن كلـها بكل طور يفرض زمانيات عنده عليه السلام ومن معه في تلك الأجمـة النّابتـة فيـها قصبة الياقوت وسر اللاهوت ، وفي تلك السماء التي فيها الشـمس المشـرقة والنار المحرقة ، لأن حقائق الأنبياء عليهم السلام وذواتـهم الـتي في مقـام الكرّوبيـين الذين قد تجلى رجل منهم لموسى الذي هو من أولي العزم من الرسـل بقـدر سم الإبرة فدك الجبل وخرّ موسى صعقا وأولئك الملائكة كلـهم شـعاع مـن فاضل أجسامهم عليهم السلام ، فإذاً كل الوحدات في كل العوالم بكـل الأطـوار في

كل فرض في مقامه وعالمه عليه السلام كثرات مكيفة محدودة فافهم ما ألقيت لك من السر المكنون .

وخلاصة المقال في هذه الأحوال هي أنه عليه السلام كشف عن أمور مهمة عظيمة ، الأول حكاية الاضمحلال وعدم الاستقلال لنفسه لا نفسهم لأنه عليه السلام جابر الكسر ومتمم النقصان في التكوين والتوصيف في التشريع لأن الولاية الكلية هي النقطة التي عليها المدار في كل الأكوار والأدوار وهي الربوبية إذ مربوب كونا وعينا وذكرا فكل شيء إنما تشيأ بها في جميع مراتب كينونتها كما قال عليه السلام ((إذا كان الشيء من مشيئته)) وقد سبق منا مراد أن الإمام عليه السلام هوحامل الولاية ومحل المشيئة ، فوجه الأشياء كلها إليه واستمدادها منه فلولا أنه عليه السلام يصف نفسه بالحدوث والفقر والاستمداد من الغير لكان الخلق كلهم ناظرين إليه عليه السلام نظر استقلال ومتوجهين إليه بالعبودية ، فوجب عليه عليه السلام البيان في كل مراتب الأكوان حتى يفرق التاس بين الوجه وذو الوجه واليد وذي اليد ، ولذا لما ظهرت أنواره وأشرقت وتلألأت في عالم الأنوار فظنت الملائكة أنها نور الله عز وجل فسبحوا الله وحمدوه لتعلم الملائكة أنهم عبيد كما رواه الصدوق عن عبدالسلام بن صالح الهروي عن على بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما خلق

الله خلقا أفضل مني ولا أكرم عليه مني قال علي عليه السلام : فقلت يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل ، فقال صلى الله عليه وآله : يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا ، يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا ، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم عليه السلام ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتمجيده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نورا واحدا استعظمت أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون وإنه منزه عن صفاتنا فسبحت الملائكه بتسبيحنا ونزهتة عن صفاتنا ، فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وإنا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه فقالوا لاإله إلا الله ، فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظيم المحل إلا به ، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العزة والقوة فقلنا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لتعلم الملائكة أنه لا حول لنا ولا قوة إلا بالله ، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يسحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمد

لله ، فبنا اهتدوا إلى معرفه توحيد الله عز وجــل وتسـبيحه وتهليلـه وتحميـده وتمجيده))[1] الحديث.

وهذا القول والتعليم هو نقش ما في حقائق الملائكة وسائر الخلق من سر التوحيد وأنهم باب الله ووجهه الذي إليه يتوجه الأولياء كما مثلنا سابقا باسم الفاعل المشتق من الفعل المعمول له لكن في اسم الفاعل ليس إلا ذكر المبتدأ دون الفعل ، فلولا تلك اللطيفة المودعة في أسرار الخلق لما اهتدى أحد إلى معرفة الله سبحانه ولقصدوهم بالعبادة والطاعـة وهوقولـه عليه السلام ((بنـا عرف الله وبنا عبد الله))[2] ((لولانا ما عرف الله))[3] ((ولولانا عبـد الله))[4] هذا الحكم التكويني .

وأما الحكم التوصيفي التشريعي فكمـا في هـذه الخطبـة وأمثالهـا مـن الكلمات مهما أظهر عليه السلام من سر الولاية شيئا قارنه بما يلزم منـه العبوديّـة والإمكان والحاجة ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيي عـن بيّنـة ولـذا قـال عليه السلام ((ولقـد كيـف لي)) أي وصـف لي وحكـي لي هـذه المقامـات فالمكيّف هورسول الله صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل ، فكلما يأتي إليه عليه السلام علـى وجـه العمـوم والإجمـال والإبـهام والـلا كيفيّـة يكيّفـه النـبي صلى الله عليه وآله بكيفية

---

[1] عيون أخبار الرضا ١ / ٢٦٢ – ٢٦٣

[2] التوحيد ١٥٢

[3] البحار ٢٥ / ٤

[4] الكافي ١ / ١٩٣

تفصيلية لعلي عليه السلام كالعرش للكرسي فإن الفيوضات أولا ترد على العرش على جهة الإجمال وعدم التميز فيكيف العرش للكرسي بكيفيات مخصوصة وحدود معيّنة في البروج والمنازل والصور والدوائر العظام والصغار ، وكالنقطة للألف وهي للحروف والكلمة فأبان بهذا أن لا استقلال له بذاته في ما يرد عليه من الأحوال وهوالمطلوب كما أشار عليه السلام بقوله ((أنا ذات الذوات)) فأثبت أن الذوات كلّها أعراض لا تجوهر لها ولا تحقق لها بنفسها إلا بي ، ولما كان في هذا القول احتمال توهم الاستقلال صرّح بالمراد بقوله عليه السلام ((أنا الذات في الذوات للذات)) فأثبت عليه السلام أنه ملك ومملوك للذات الثابت المستقل سبحانه وتعالى ، وهذه الطريقة هي صفة الكينونة الإلهية الظاهرة في الرتبة الأحمدية المفصّلة للحقيقة العلوية حيث يقول عز وجل﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1] ، وهذا التكييف في كل مقام وكل عالم بحسبه ومقتضى رتبته من العوالم الألف ألف وغيرها مما أحاطت به دائرة الوجود .

الأمر الثاني هو أن الأشياء من العلوية والسفلية في السلسلتين من الطوليّة والعرضيّة لا تدرك ولا تفهم شيئا من أحوال الدنيا والآخرة بأي نحو

[1] الحج ٥٢

يفرض إلا إذا وصفها الله عز وجل لها وكيّفها لها وعلّمها إياها لأن النور والمدد والفيض الذي هو العلم إنما هو من جهته سبحانه قائم بمدد فعله قيام صدور وتحقق فلو انقطع عنها لانعلمت فالله سبحانه هوالذي يعرّف الأشياء أنفسها وخالقها وما لها وما عليها كما قال عز وجل ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾[1] وقال أيضا سبحانه ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2] وهو من معاني قوله تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[3] فالعلم المطلق سواء تعلّق بكينونة الخالق أو بكينونة المخلوقين فإنما هو لله عز وجل يعلم من يشاء بما يشاء كيف يشاء، والخلق في مراتبهم ومقامات وقوفهم ولواذهم بباب ربّهم يسألون منه سبحانه العلم بألسنة أعمالهم وأفعالهم وأحوالهم وأقوالهم، وهوسبحانه يعطي كل ذي حق حقه من الخزينة الخاصة به ويكيّف له ما يناسب مقامه ويفيض عليه من الباب الذي توجه به إليه سبحانه، فمن كان واقفا في مقام الأجسام ولازما لرتبة الجماد حسب علمه بالاستعداد لا يكيّف الله عز وجل له إلا الجمادات فلا يدرك قلبه إلا ما أبصرت عيناه وسمعت أذناه وشمت منخراه وذاق بلسانه ولمست جوارحه وأركانه وهم الذين قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، ومن كان واقفا في مقام النفس ورتبة الصور والهيئات وأشغلته الكثرات وألهته فلا يكيّف له إلا الصور

---

[1] الشمس ٨ — [2] النحل ٩ — [3] البقرة ٢٥٥

والهيئات والمقادير المجرّدة والأشباح والهياكل وليس كلّما أراد الواقفون في المقامين وجدوا بل إذا أراد لمن أراد ما أراد من الصور على مقتضى الكينونة ، ومن كان واقفا في مقام القلب ورتبة اللب وسائلا من الله سبحانه المدد من الأنوار العقلانية والنفحات الروحانية يفيض سبحانه إياها عليه ويكيّفها له بالكيفيّة الوحدانيّة من الصور الكلّية والهندسات المعنويّة وهؤلاء اللذين طلبوا من معرفة المخلوقين وإن كانت ألسنتهم المقاليّة الكاذبة تطلب معرفة الخالق فإن الذي يطلب معرفة الله بدليل المجادلة الذي هو مقام النفس أو دليل الموعضة الحسنة الذي هومقام القلب فإن ما طلب معرفة الممكن المخلوق لأن تلك الأدلة لا تقدّر إلا مخلوقا وإن كان بعضها أشرف من الآخر ، ومن كان واقفا مقام الفؤاد ولائذا بباب المراد وقد هاجت له ريح المحبّة المستدعية للاستظلال والاستئناس في ظلال المحبوب وإيثار محبوبه على ما سواه فهذا هوطالب المعرفة الإلهية والأسرار الأسمائية والصفاتية ، ولما كان هو طالبا للعلم بالله أكرمه الله عز وجل وعلّمه وكيّف له حقيقة معرفته بعدم الكيفية وعدم المثال وعلّمه حقائق المخلوقين وأحوال جميع مبادئهم وشرائطهم ولوازمهم وما يوصلهم وما يقطعهم وما يصلحهم وما يفسدهم وما يؤول إليهم أمورهم ، وهذا الواقف قد فتح له الباب وأذن له النواب فلم يمنعه البواب فيستمر عليه الفيض من جناب الحق عزّ وجل ولا نفاد ولا

انقطاع ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾[1] وفي الحديث القدسي حديث الأسرار ((وليس لمحبتي غاية ولا نهاية ، وكلما رفعت لهم علما وضعت لهم حلما))[2] وهذا التكيّف عبارة عن كتابة كون ذلك الشيء في رقّ مكانه وزمانه ، والكتابة عبارة عن نقش وجود الشيء على ما هوعليه فيما يصلح له فإن كان المكيَّف بفتح الياء معرفة الله جلّ اسمه فهو عبارة عن ظهور التوحيد في حقيقة الشيء وظهور التوحيد عبارة عن إلقاء مثال من المثل الأعلى واحتجاب ذلك المثال بحجب الكينونية ، والمجموع أي المحتجب والحجاب حقيقة الشيء وظهور التوحيد والمعرفة إنما هو في المثال وهو الجهة العليا من الشيء ووجه الله ذو الجلال وهو مقام الأحدية ، وإن كان المكيَّف بفتح الياء اسم الله وصفاته فهي منتقشة وموجودة في رتبة الواحدية وهي عبارة عن ظهور المثال بوجهه في مرآة الجلال بعدما كان مصونا بنور الجمال في غيب الوصال ووجهه إلى كل مرآة أي متعلق ظهور اسم وصفة ، وإن كان فعل الله ومشيئته فهو متنقّش في لوح السرمد ومكان الإمكان ، وإن كان أثر فعل الله فهو منتقش ومكون في المتوسط بين السرمد والدهر ووجهه الأعلى ناظر إلى السرمد بل فيه والسفلي ناظر إلى الدهر بل هو فيه وهو ملتقى البحرين لكن كيفه وهيئته الانبساط والشمول والإحاطة وعدم النهاية وهو إن كان أنزل رتبه من المشيئة لكنه قد ظهر حاكيا لها ودليلا عليها وهوعلم واسع

---

[1] ص ٥٤

[2] إرشاد القلوب ١٩٩

كعموم قدره الله عز وجل ، وإن كان القلم فهو في لـوح المعـاني ورق الدهـر أعلاه ، وإن كان اللوح فهومكتوب في لوح الصور وأوسط الدهر ، وإن كـان الأجسام فهي منتقشة ومكتوبة في لوح الزمان ورق المكان وقـس عليـه سـائر المقامات .

والمكيف له إن كان أعلى مـن المكيَّـف بـالفتح فـهو منقـوش بجميـع مراتبه على ما هي عليه بتوسط قلم ذلك العالي ومداد نوره في إقليم ظـهوره فهوحاضر لديه حاصل عنده في ملكه متقوم بيد قيوميته ، وإن كان أسفل منـه فهو منقوش في حقيقة ذاته البسيطة قبل التركيب بحدود قابليته فلا يصل إليه إلا إذا حل التركيب ووصل مقام البساطة ، وإن كان مساويا فـهو منقـوش في مراتب كيونيته أي في حقيقة ذاته المركبة مـن الحديـن فيصفـه بمـا يقـرأ مـن حروف نفسه وحدود ماهيته ولا ثالث في أقسام المكيف لـه و إدراك السـبب الأعظم هو من القسم الأول فقد كيف له كل شيء من البدء إلى المعـود إلى ما لانهاية له في مقام الظهورات والتجليات والآثـار والشـئونات فـلا يخفـى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هـذا هوالمـراد مـن قولـه تعـالى ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾[1] من جهة مفهوم المخالفة .

---

[1] الكهف ٥١

الأمر الثالث أن ما من الله عز وجل لم يزل مقدما على ما من الخلق فلا يتصور رتبة في الخلق أي في السوى إلا وقد سبق فيها شأن من شئون الربوبية يكون ذلك الشأن مقوما لذلك الشيء في الصدور والتحقق وإلا لكان قديما غيره مستقلا بنفسه فيتحقق بذلك تعدد القدماء فلا يمكن القول بأن القابليات يجب أن تكون موجودة قد سطع عليها نور الوجود فقيل كل منها ما اقتضته من الاعوجاج والاستقامه فالشقي شقي بقابليته المتحققه قبل ظهور نور الوجود وكذلك السعيد ولم يتعلق بتلك القابلية جعل وليس لله فيه حكم و إنما القابليات هي الأعيان الثابتة المستجنة في غيب الذات الحق جل وعز وشئون ذاتية له وذاتيات الحق لا تقبل الجعل والتغيير والتبديل والزيادة والنقصان كما هو مذهب أكثر الصوفية وقد صرح بذلك الملا محسن في الكلمات المكنونة.

ولا شك أن هذا القول باطل لا سبيل فيه إلى الحق لأن القابلية التي هي الأعيان الثابته إن كانت هي عين الله سبحانه وتعالى فلا يتصور الاختلاف فيها في حد ذاتها وظهوره بالوجود لأن ذات الله سبحانه لا تختلف ولا تتغير ولا تتبدل ، وإن كانت غير الله فهل هي حالة في ذات الله أو في غيرها فإن كانت في ذات الله - تعالى الله سبحانه - فكان محلا لها وهو يستلزم التأثير والانفعال و إن كانت في غيره سبحانه فقديم آخر سواه .

وبالجملة هذا القول لا ينطبق على قواعد أهل الإسلام ولا الأصول المقررة عن أهل البيت عليهم السلام ولذا عبر أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المقام بما هوصريح الرد عليهم حيث قال عليه السلام ((ولقد كيف لي فعرفت)) التكيف ونسبه إلى غيره ثم أتى بالفاء التعقيبية في القبول للدلالة على أن القابلية مؤخرة عن المقبول والمخاطب مؤخر عن الخطاب بل ليس إلا نفس الخطاب الواقع على الحد الخاص في رتبة من المراتب وذلك الحد هو القابلية وهي أمر عرضي لا قوام له إلا بذلك الخطاب ، فقوام المخاطب بالخطاب وظهور الخطاب بالمخاطب وهو السر في كن فيكون ووقوع الخطاب على المخاطب هو السر بين الكاف والنون ، لكن في هذه المسألة سر دقيق لا ينكشف إلا بنور التوفيق والهداية بالاعتصام بعروة أهل بيت العصمة والطهارة ولا أحب شرح هذه المسألة في هذا المقام لأدائه إلى ما لا يحسن من الكلام فإن سر الخليقة أبى الله أن يطّلع عليها إلا الخواص من الأعلام فلا حظ فيه لغيرهم من العوام ، مع أنا قد أشرنا إشارة مجملة ولوحنا التلويح التام لمن يفهم الكلام .

الأمر الرابع أن حكم الله سبحانه على كل المخلوقات واحد وفيضه لكل الممكنات عام فلا تفاوت بين خلق وخلق في أصل الإفاضة والإعطاء

والفيضان كما قال عز وجل ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ ﴾[1] لأنه سبحانه واحد وفعله واحد وأثر فعله واحد، ولو جوزنا صحة صدور المكثرات من الواحد من جميع الجهات فلا موجب لذلك إذا كان المصدر البديع حكيما، لكن لما كان جريان فعله تعالى من بدء الأمر إلى عوده الذي هوعين البدء على جهة السؤال والطلب والنداء من غير الاضطرار والمنع ليأخذ النصيب من فيضه سبحانه كل من على حسب شهوته و اختياره و إرادته لئلا يكون للناس على الله حجة، اختلفت الموجودات بالشرافة والكثافة والقرب والبعد والتابعية والمتبوعية باختلافهم في التلبية والإجابة في التكوين والتشريع، فمن لبى أولا توجه ذلك النور الأعظم والفيض الدائم الأقدم إليه فجلسه بالتلبية لديه فكان سراجا وهاجا قابلا لما يفاض عليه من فوارة النور وعارفا لما يلقى إليه من الأسرار والمعارف غير معوج الفطرة بل على الاستقامة الكاملة الحقيقية التي لا أكمل منها فيعرف بذلك جميع أسرار المبدأ والمعاد ويبلغ به منتهى المقصد والمراد فيتسع إليه جميع المرادات الإلهيه من الخلق على ما قال تعالى في الحديث القدسي ((لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن))[2] وهذا المؤمن هو أول من آمن بالله ولبى نداء إني أنا الله، فبصفاء القابلية ونورية الطوية والسريرة التي يكاد زيتها يضيء ولم تمسسه نار عرف ما كيّف الله تعالى له من العلوم والأسرار بنفس تلك العلوم الحاصلة عند

---

[1] القمر ٥٠

[2] البحار ٥٨/٣٩ ح ٦١

التلبية فسبق هذا العارف بمعرفته الحاصلة من الله سبحانه بصفاء قابليته المسببة عن سرعة إجابته لدعوة ربه الخلق كلهم في العلم والمعرفة ، وكذلك المراتب إنما اختلفت بذلك عند من يفهم الكلام ، فالإمام عليه السلام إنما نبه على السر لأهله بهذه الدقيقة بأني ما نلت هذه المرتبه وما فزت بهذه الدرجة لنسبة بيني وبينه تعالى سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وليس أنه خبرني بذلك كلا وحاشى وهو أكرم وأعظم من ذلك ولا أني مستقل في ذلك والله أجل وأعظم من ذلك ليستقل في ملكه غيره ، و إنما هو منة من الله عليّ بالعطية قبل الاستحقاق وأنا قبلت ذلك منه بتوفيقه ولولا قبولي لم أصل إلى ما وصلت ولولا عطيته لم أكن شيئا ولم أعرف حرفا فهو عز وجل كيف لي وأنا عرفت ما كيف ، وإلا فالتكييف واقع وليس أنه سبحانه كيف لي من دون غيري و إنما هو تكييف وحداني سار في جميع الذوات ولكني عرفت ذلك دون الخلق كلهم فسبقتهم بالعلم والمعرفة واليقين على حسب قبولي وطاقتي ، فالقبول له مدخلية تامة في وجود الشيء ولولاه لم يوجد كالانكسار للكسر ، ومن هذه الجهة سبق آدم على الملائكة لما علمه الله سبحانه الأسماء فتعلم وما قدرت الملائكة أن تتعلم من غير واسطة البشر فأمر آدم بإبنائهم إياها فتعلموا عن الله بواسطة آدم عليه السلام وليس ذلك إلا لتقدم آدم عليه السلام بالإجابة والتلبية وتبعية الملائكة إياه ولذا سجدوا له وتعلموا منه على ما تقتضي مرتبتهم وتطيق كينونيتهم وذلك لتقدم قابلية آدم عليه السلام على قابلية

الملائكة ، وهذه القابلية لم تكن شيئا قبل وجود المقبول وإنما هي وجدت حين وجود المقبول بوجود المقبول كما ذكرنا ، وإلى هذه الدقيقة أشار عليه السلام بقوله ((ولقد كيف لي فعرفت وعلمني ربي فتعلمت)) فأثبت بذلك الأمر بين الأمرين وأبان عن وجه الجمع بين كل الكلمات المتنافية كما يعرفه أهله من أهل الاستيضاح والحجة .

الأمر الخامس أشار بقوله عليه السلام ((وعلمني ربي فتعلمت)) أشار بالتعليم إلى تمكين القابلية وأنه من شرط وجود الشيء وهو من جهة الفاعل لا من جهة القابل فإن تحقق وجود الشيء يتوقف على أمور ، الأول الفاعل الثاني أثر فعل الفاعل الذي هوالمقبول الثالث القابل الرابع نسبة المقبول إلى القابل الخامس نسبة القابل إلى المقبول السادس تمكين القابلية لصلوحها لقبول فعل الفاعل كالنار المتعلقة للدهن للإستضاءة فإن الدهن بكثافته لم يستأهل لقبول النور والإستضاءة فالنار تكلسه وتلطفه وتزيل أوساخه تمكينا لقابليته واصطلاحا لها للقبول ، والمراد بتمكين القابلية تخلية السر ورفع الموانع بينه وبين أثر الفعل ، فإظهار العلم أي النور الوحداني النقطة الحقيقية التي كثرها الجاهلون هو رتبة المقبول والحدود المشخصة والظهورات المعينة الخاصة بذلك العلم ومكث ذلك العلم في تلك الحدود رتبة القابل ورفع الموانع وعدم الحيلولة بين العالم أي القابل المتسأهل للعلم ، وعلمه الخاص به هو تمكين القابلية وهو المسمى في عرف العلماء بالتعليم ، وهذا

التمكين الذي هو التعليم على أنحاء مختلفة و أطوار متشتتة ويجمع الكل الدليل لإراعة السيل ، فالدليل من تمام القابلية فما من الله سبحانه أولا وبالذات أربعة أمور لا دخل للعبد فيها شيء إن وجد في الشيء هذه الأربعة فيريده الفاعل سبحانه وإلا فلا ، واثنتان منها للقابل أي من الله سبحانه وتعالى بالعرض لا بالذات ولا تكملان إلا بتلك الأربعة ، وبالمجموع إتمام الشيء فلو أخل بواحد منها لم يحصل الشيء وهذا هوالسر في الأمر بين الأمرين وسر تعقب الأشياء بعضها عن بعض وسر الاختلاف مع تساوي نسبة الباري بكل مخلوقاته وسر الابتداء الزماني و انتهائه ، فإن الفيض الأول دائم قائم لا تعطيل له فلا يعرف له أول ولا آخر ولكن المفاض عليه في أصل تحققه أو لعدم استيهاله أول المرة لقبول الفيض يتقدم ويتأخر وكذلك ظهور الفيض فهم من فهم .

الأمر السادس أشار عليه السلام إلى مقامه ومرتبته وفي التلقي في التكوين والتشريع فإن مقام الخلق مقامان ، الأول مقام الإجمال والإبهام والعماء واللاتعيين وهو مقام النقطة الحقيقية الغير متطورة بالأطوار الغير الظاهرة بالأنوار قد غشيها نور وحدة المبدأ وصفته وكينونته فزاغت عنها الأبصار وانحسرت دونها الأفكار وصفت عن كل الأكدار وزالت عنها كل غبر الأغبار فهي عماء محض ونور بحت ووجه الحق للأسماء ولها القيومية المطلقة لكن إذ لا متقوم فلا كيف في هذا المقام ولا حد ولا إشارة ، نعم له كيفية

باطنية و إنية غيبيـــة لا تميزهـا العقـول ولا تكتنهـها الأوهـام ، الثـاني مقـام التفصيل والانبساط والتمييز والتعيين وظهور الآثار الفعلية ونشـوء الأسمـاء الحسنى والصفات العليا وبروز التعلقات والأسماء المتقـابلات ، ولا شـك أن في الكون الأول لا وجود إلا لمحمـد وعلـي عليهما السلام ولا شـك أن محمـدا صلى الله عليه وآله هوالأفضل والأقدم والأسبق فيكون مقامه صلى الله عليه وآله مقـام النقطـة مقـام الإبـهام ومقام عدم التكييف ، ولا شك أن عليا عليه السلام هوالتـالي لـه صلى الله عليه وآله ولا فصـل بينهما بشيء أبداً وهو عليه السلام أقرب الأشياء إليه صلى الله عليه وآله والله جـلّ اسمـه سمّاه نفسه ، فيكون المقام الثاني مقام التفصيل والتّعيين والتّمييز والاختلاف مقـام علي عليه السلام وهوقوله تعـالى ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ ﴾[1] وقـال النـبي صلى الله عليه وآله ((مـا اختلــف في الله ولا فيّ و إنمـا الاختـلاف فيـك يـا علـي)) فمقامـه عليه السلام مقـام التّكييــف والتّوصيــف والانبساط ولذا قال عليه السلام ((ولقد كيف لي)) فهو عليه السلام في عـالم الوجـود المطلق في مقام الألف والنفس الرحماني الأولي والأزلية الثانية والسر المستسر بالسر ، وفي عالم الوجود المقيد من الخلق الأول خلق الأنوار في مقـام النفـس الكليـة ، وفي الخلـق الثـاني خلق الأجسـام في مقـام الكرسـي ، وفي مقـام السموات في مقام القمر ،وهكذا مقامـه عليه السلام كمـا ذكرنـا مـرارا في مقـام

---

[1] النبأ ١ – ٣

الصفة وظهور الربوبية إذ مربوب كونا وعينا وهومقام الانبساط والانتشار والتفصيل ولذا قال عليه السلام ((كيّف لي)) فإن التكييف توصيف وتحديد وإن كان يطلق على محض الصفة وحدها من غير كيف إلا أنه ليس من أصله وصفته وحقيقته بخلاف التوصيف فلو عكس الأمر لم يؤدّ هذا المؤدي فافهم وفقك الله لما يحب ويرضى و اشرب عذبا صافيا .

الأمر السابع أشار عليه السلام بذكر المعرفة والعلم وتقدم المعرفة على العلم إلى الدليلين دليل الحكمة وهوالمفيد للمعرفة وبه يعرف الله ويعرف ما سواه وهو دليل الكشف ومشاهدة الشيء على ما هوعليه ولذا أتى عليه السلام بالكيف في مقام المعرفة فإن المعرفة إنما تحصل بالفؤاد كما قال الصادق عليه السلام ((وإذا تجلى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة))[1] الحديث ، والفؤاد محيط بكيفيات كل الأشياء وكلها تحت مقامه فيدركها على ما هي عليه بخلاف المشاعر الأخر إذ لا تخلو واحدة منها عن الكيف ، ويريد عليه السلام بالكيف ما هو أعم من الكيف الذاتي أي الصفة الذاتية والعرضية من الأثرية وغيرها ، والمعرفه قالوا في معناها أنها الادراك الثاني بعد الذهول عن الادراك الأول وقالوا ولذا لا يصح أن يطلق على الله العارف بخلاف العالم إذ ليس هذا الذهول شرطا في العلم كما في المعرفة ، وهذا الذهول إنما حصل في

[1] مصباح الشريعة ١١٩

القوس النزولي عند خطاب أدبر إذ في كل مرتبة عالية تغيب في الرتبة السافلة وتستجن فيها استجنان الشجرة في النواة ثم يعدم شعورها ويبطل حسّها إلى أن ترجع إلى مقامها في القوس الصعودي فهناك يحصل إدراك مقامها ومقتضياتها بعدما كان ذاهلا عنها ، ولما كان الإدراك التام والكشف الحقيقي والمعرفة الواقعية لا تحصل إلا إذا نظر بمشعر الفؤاد المحيط بكل المشاعر ونظر به إلى نور العظمة المنيرة لكل المراتب والمقامات فهناك يحصل له الإدراك التام بعد الذهول ولذا اختص الواقفون بذلك المقام والواصلون إلى تلك المرتبة باسم العارف ، وأما مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فهو و إن لم ينسى المراتب المتقدمة حين تنزل لاستحالة السهو والنسيان في حقه في التكوين والتشريع لكن من جهة الالتفات في مقام يشغله شأن عن شأن قد يحصل له ذلك فإن النفس حال الالتفات من حيث الالتفات إلى النظر في المسألة الفقهية مثلا لا يمكن أن تكون ناظرة إلى المسألة الهندسية وإلا لم يشغلها شأن عن شأن والمفروض أنه ليس من صفتها ، وليس عدم الالتفات جهلا وإلا لم يكن عالما بشيء من الأشياء في الوجود وهومكابرة وسفسطة ، وأما إذا كان النظر بعين الفؤاد فتكون الالتفاتات كلها واحدة فينظر بنظر واحد إلى الكل دفعة واحدة كالشمس الناظر إلى أشعتها المتكثرة لأن التلقي عن المبدأ لا يكون إلا بتلك العين وذلك النظر ، فعلى ما ذكرنا صحّ إطلاق اسم العارف عليه وعلى من معه في مقامه عليه السلام .

ودليل المجادلة بالتي هي أحسن وهو مفيد في العلم ولم يذكر عليه السلام ما يدل على دليل الموعظة الحسنة لعدم الحاجة إليه لأن الوسط يعرف ويذكر إذا ذكر أعلاه و أسفله لأن الطفرة في الوجود باطلة ، فتم بما ذكر عليه السلام العلم بالموجودات من العلوية والسفلية كلها من منّ الله تعالى عليه عليه السلام فإن الله عز وجل قد حصر الأدلة كلها في ثلاثة كما قال عز وجل ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1] فلو بقي علم في العالم أي ما سوى الله لم يقم الله سبحانه له دليلا يوصل الطالب إليه لما كان حكيما تعالى عن ذلك علوكبيرا ، وقد نص أمير المؤمنين عليه السلام بأن الله عز وجل علمه مدلولات كل هذه الأدلة فقد أحاط بكل شيء علما ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[2] .

ويريد عليه السلام بالرب هو المربي وهو رسول الله صلى الله عليه وآله أو الحق جلّ وعلا ولا يكون إلا بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيأتي بيان كيفية هذا التعليم وسر هذا التفهيم إنشاء الله .

---

[1] النحل ١٢٥ [2] البقرة ٢٥٥

قوله عليه السلام ألا فعوا ولا تضجوا ولا ترتجوا فلولا خوفي عليكم أن تقولوا جنّ أو ارتد لأخبرتكم

اعلم أن الحق القديم تعالى وتقدس لم يزل في قدسه وأزليّته متفردا متوحدا لا شيء معه ولا غير عنده بل هو هو ولا يعرف كيف هو إلا هو ، ثم أنه سبحانه ظهر بالمحبة التي هي عين الظهورات فاحتوى الظهور جميع السبحات الإلهية والشؤونات الربانية وكلما يمكن أن يظهر به بفعله وهذا الظهور أول الذكر وهوبإمكانه بحر لا أول له ولا آخر ولا نهاية له ولا بداية له إذ لو انقطع حتى يحصل الابتداء كان الأزل مقترنا بالفاصلة إذ العدم لا يصلح ، لا انفصال إذن ولا انقطاع ، والشيء مع لزوم الاقتران إن كان قديما يلزم تعدد القدماء و إن كان حادثا فبطل الفرجة والفاصلة حتى تحقق الأولية

المسبوقة بالعدم ولقد شرحنا هذه المسألة في كتابنا اللوامع الحسينية عليه السلام من أراد الاطلاع على حقيقة الأمر فليرجع إليها ، وهذا الظهور وجهه الأعلى بحر ظهور الأحدية الواحدية ووجهه الأسفل بحر الإمكان الذي هو العمق الأكبر وهوالإمكان الراجح لجمعه كل شئونات الحق سبحانه قد خزنها فيه بيمنه يبديها لأنه كل يوم في شأن أي شئون يبديها لا يبتديها ، والوجه الأسفل من هذا الإمكان الراجح هو الوجود وهو محل تلك الإمكانات وموقع ظهور الهاء وهو وإن كان أضيق إحاطة من بحر الإمكان لكن لما كان أقرب الأشياء وأول السابحين في تلك اللجة كان بينهما كمال المناسبة والمشابهة وهو أيضا غير متناه التعلق مع ورود الشئونات الإمكانية من ظهورات الأسماء والصفات عليه فلا نهاية لعجائبه ولا غاية لغرائبه ولا يتكرر ما فيه بل دائم السيلان والإفاضة من بحر الوجود والوجود الإمكاني المستلزم لكمال التحيّر ، فكلما يمكن للأزل أن يظهر في الإمكان والأكوان كله دائما ترد عليه ولا نفاد لذلك ولا انقطاع وذلك البحر هو بحر العلم لأن العلم ليس إلا ظهور حقائق الأشياء شهودا ووصفا ، ولما كان ذلك الوجود أقرب الأشياء إلى المبدأ الحق الذي ظهر فيه علمه وسلطانه وجبروته وملكه وقدرته كان له جمال يتلألأ وبهاء يتشعشع فصار ذلك النور مبدأ وجودات لأهل الرتبة الثانية وهونور واحد قد انقسم إلى الأقسام ، وأنت تعلم أن الأثر وجه واحد من وجوه ظهورات المؤثر بل لو أردت حصر نسبة الوجه

الواحد مع تلك الوجوه الكثيرة التي لا ذكر لشيء منها في ذلك الوجه الواحد لما قدرت أن تحصيها كثرة ، انظر إلى نسبة قيامك وحده مع سائر ظهوراته من قعودك وأكلك وشربك ونومك ويقظتك وحركاتك وسكناتك وسائر أطوارك وأوطارك من بدأ أمرك ووجود إلى منتهى أكوارك وأدوارك ، ولا شك أن القيام وحده فاقد علم كل تلك الأطوار والآثار والظهورات وليس عنده إلا محض الظهور بالقيام فلو رآك أحد متكلما يحكم عليك بصفة الكلام خاصة ولا يعلم أن لك صفة أخرى غيره ، فإذا أتقنت ما قلناه لك علمت أن نسبة المرتبة الثانية إلى المرتبة الأولى جزء من المائة ألف جزء من رأس الشعير وأستغفر الله من التحديد بالقليل ، فليس عند الثانية إلا رشح من وجه واحد من الظهورات والوجوه الغير متناهية التي لتلك الرتبة العليا الأولى بل ولا نسبة ، فلو أخبر أهل الرتبة العليا بشيء من تلك الوجوه أهل الرتبة الثانية لأنكروا وكفروا وقطعوا ببطلانه إذ لا يجدون ذلك عندهم ولا يمكن ذلك أيضا في حقهم فتكون نسبة أهل المرتبة الأولى مع السفلى نسبة العالم المطلق إلى الجاهل المطلق ، ثم إذا أشرق نور من أهل المرتبة الثانية وظهر منه أثر فتحققت به الرتبة الثالثة وتحددت بحدود كثيرة وخلقت منها ذوات كثيرة ذوات شعور وإدراك تكون نسبتة الرتبة الثالثة إلى الرتبة الثانية نسبتها إلى الأولى فيكون ما عند الثالثة وجه واحد من وجوه الثانية الغير المتناهية وذلك الوجه أيضا رشح لا أصل وذات ، فانظر الآن نسبة الثالثة في العلم بالرتبة

الأولى بل لا تتحقق نسبة ولا يعبر عن قلته بعبارة بل لا يفهم من تلك المرتبة وعلومها شيئا أصلا لا بالأصالة ولا بالتبعية ، وقد علمت المراد من هذه المراتب التي ذكرنا فإن بحر الإمكان الراجح هو المشيئة وبحر الوجود هو الحقيقة المحمدية ﷺ والرتبة الثانية رتبة الملائكة الكرّوبيين والمقربين والأنبياء والمرسلين والرتبة الثالثة رتبة الإنسان ، انظر الآن إلى نسبة علم الناس إلى علوم أهل البيت عليهم السلام هل لهم علم معهم عليهم السلام وهوالمراد بقوله تعالى ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[1] قال الشاعر:

بئر معطلة وقصر مشرف   مثل لآل محمد مستطرف

فالقصر مجدهم الذي لا يرتقى   والبئر علمهم الذي لا ينزف

فلا ظهر من علمهم ذلك للخلق أبدا لا للأنبياء المرسلين ولا الملائكة المقربين فلا يذكرون عليهم السلام ذلك أبدا لأحد إلا أنفسهم بعضهم مع بعض كما قالوا عليهم السلام ((إن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله أحد لا الملك المقرب ولا النبي المرسل ولا المؤمن الذي امتحن الله قلبه للإيمان قيل فمن يحتمله قال عليه السلام نحن نحتمله)) فانقطع طمع الخلق كلهم عن هذا ولا يطمع في إدراكه طامع ، وهكذا نسبة كل رتبة إلى ما دونها وهذا لا سبيل له إلى الإظهار ولا يجوز ذلك بل لا يمكن أيضا إلا إذا انقلبت الحقائق فيكون

---

[1] الحج ٤٥

التابع متبوعا والشعاع منيرا والفرع أصلا وهو باطل بالضرورة، نعم بذلك العلم يتكلم بعضهم عليهم السلام مع بعض في الأمور المشتركة، وأما في الأمور المختصة فيختصون عليهم السلام بحروف من العلم في باب التوحيد والمعرفة لا يتحملها بعض آخر منهم عليهم السلام كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يختص بحرف من العلم لم يعلمه علي عليه السلام ولا يتحمله وكذا علي عليه السلام بالنسبة إلى سيدنا الحسن عليه السلام وكذلك الحسن عليه السلام وبالنسبة إلى مولانا الحسين عليه السلام وكذلك الحسين عليه السلام بالنسبة إلى القائم المنتظر عجل الله فرجه عليه السلام وكذلك القائم بالنسبة إلى الأئمة الثمانية عليهم السلام وكذلك الأئمة الثمانية بالنسبة إلى فاطمة عليها السلام، وذلك الحرف هو سر التقدم والتأخر فالمقدم عنده حرف يقصر عنه المتأخر في سر التوحيد، و أما في الأحوال المتعلقة بالخلق فكلهم سواء ليس واحد منهم أعلم من الآخر في ذلك، وكذلك علمهم عليهم السلام لم يظهر للأنبياء ولن يظهر أبدا كيف وقد ظهر لموسى عليه السلام قدر من مثقال الذرّ من نور علمهم عليهم السلام في الرتبة الثانية لكن في أعلى مراتبها ما قدر أن يطيقه حتى وقع مغشيا عليه، وأيوب لما ظهر له عليه السلام نور من صفة علم علي عليه السلام في رتبة أيوب ما قدر أن يصبر حتى شك وبكى وقال هذا أمر عظيم وخطب جسيم، و آدم عليه السلام لما ظهر له سر علم القائم عليه السلام في مقامه تحير وتوقف وهكذا سائر الأنبياء فكيف يطيقون علمهم عليهم السلام، لا ما

يطيقون أبدا ولا يتحملونها سرمدا فلا يجوز لهم الإظهار بوجه أبدا ، وكذلك سر بواطن القرآن الظاهر في حجاب العالمين وإليه أشار ما قال سيد العابدين عليه السلام حجة الله على العالمين في الشعر المنسوب إليه عليه السلام شعرا :

إني لأكتم من علمي جواهره	كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبوحسن	إلى الحسين ووصى قبله الحسنا
ورب جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال المسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وليس هذا النوع من العلم هوالمراد من قول أمير المؤمنين عليه السلام ((ألا فعوا ولا تضجوا .. إلخ)) وإن كان يمكن تطبيق هذه الأبيات على المراد ، وأما النوع فليست بمراد قطعا لأنه عليه السلام لا يظهر للخلق ما ليس في مقامهم ويشهد بما قلت قوله عليه السلام ((لأخبرتكم بما كانوا وما أنتم فيه)) بل المراد هوالعلم الثاني الواقع في السلسلة العرضية .

وبيانه بالإجمال هو أن الله عز وجل لما خلق الإنسان جعل له ثلاثة خزائن لثلاثة علوم وهي كليّات تجمع الخزائن كلها والعلوم بأسرها ، فالخزينة الأولى هي الفؤاد على مشاعر الإنسان وهذه خزينة واسعة لا نهاية لها وهي أشرف الخزائن وأصل الخزينة هي واحدة وبابها واحد ومفتاحها بيد الله سبحانه لا سواه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، ولكن في

أطراف هذه الخزينة بيوتات متصلة بها أبوابها متصلة بتلك الخزينة الواحدة لا طريق إليها إلا من الباب الأعظم الذي مفتاحه عند الله سبحانه ومخزون في هذه الخزينة علم الحقيقة أي معرفة الله سبحانه ومعرفة حقائق الأشياء كما هي مما قال النبي ﷺ ((اللهم أرني الأشياء كما هي)) وفيها دليل الحكمة ، والخزينة الثانية هي القلب ومفتاحه عند الملائكة العالين الأربعة الذين يستمد منهم جبرائيل وميكائيل و إسرافيل وعزرائيل والمفتاح الأعظم بيد الملك الأعظم روح القدس وهي خزينة واحدة مشتملة على أربع بيوت وهي القبة التي دخلها محمد ﷺ ليلة المعراج وكان مفتاحها بسم الله الرحمن الرحيم ورأى فيها أربعة أنهار تجري من أربعة حروف من البسملة وفي هذه الخزينة علم الطريقة وتهذيب الأخلاق والعلوم المعنوية والأحكام اليقينية والمعاني الكلية ولتلك الخزينة حجرات كثيرة كل مسألة منها موضوعة في حجرة منها ومقفل عليها بقفل من النور وموكل عليها ملك خاص بها ، والخزينة الثالثة هي الصدر إلى الجسم وهذه الخزينة مشتملة على أبواب وبيوتات كثيرة وحجرات عديدة لكن أبوابها يجمعها عشرون بابا وبيوتها ثلاث مائة وستون بيتا وحجراتها لا تحصى كثرة ومفتاحها بيد إسرافيل وعزرائيل وفيها علم الشريعة وعلوم الصور المجادلات بالتي هي أحسن كل مسألة من مسائلها في حجرة من الحجرات مقفلة بقفل من الفضة والحديد وموكل عليها ملك من الملائكة الخاص بها ، والعلوم كلها ترد عليه من

الخزائن الثلاثة المذكورة والشخص في القوس النزولي لما تنزل إلى الجماد ثم أخذ في القوس الصعودي فمهما وقف في موقف من هذه المواقف الثلاثة احتجب عن العلوم المخزونة في الخزانة التي هي أعلى منها ، فإذا ورد عليه شيء من العلوم المكنونة في تلك الخزينة العليا التي بابها قد انسد عليه ولم يفتح له ولم يشاهد ملكوت ذلك العالم يبادر بالأفكار ويسرع إلى الرد والإبطال ويلج في العناد والجدال ، ولما كان الناس في الأغلب واقفين على باب الخزينة الثالثة ولم يملكوا الباب ولم يأخذوا المفتاح بل إذا ورد عليهم شيء يقفون بقابلية عملهم وفكرهم على باب تلك المسألة الخاصة ويلتمسون فتحها ، فإذا أراد الله عز وجل تفهيمهم إيّاها خاصة أمر الموكل على ذلك الباب بفتحه فيعلمونها وهكذا ، والذين ملكوا المفتاح لمن القليلين ولم يبلغوا إلى الخزينة الثانية العليا وإن وصلوا وبلغوا إليها لم يستقروا فيها ، ولما كان وقوفهم في هذه المواقف السفلية إذا ذكر لهم شيء من أسرار الولاية الظاهرة في مولانا علي عليه السلام أوسائر الأئمة عليهم السلام أو سر حقيقة من حقائق الكون ، مثل ما إذا قيل لهم أن الألفاظ كلها حقائق لا مجاز فيها وأنّ القابليّات مساوقة للمقبولات في الظهر ومتأخر عنها في الوجود وأن الخلق كلهم أمثال و أدلة بعضها على بعض وأن الوجود كله نقطة واحدة قد ظهرت بأطوار وأكوار وأدوار و أن كل شيء فيه بيان كل شيء وأن الأشياء يدور عودها على بدئها وبدؤها على عودها وأن جميع الخلق كرات مستديرة

صحيحة الاستدارة ومع ذلك شكلان مخروطان متوازيا السطحين وما انوجد شيء في التكوين والتشريع في الذات والصفة إلا بالاختيار وأن كل ذرة من ذرات الوجود ما وجدت إلا بالولادة بالنكاح الصحيح على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأمثال ذلك من أسرار المشتقات والمبادئ واسم الفاعل واسم المفعول ومقامات المسمى في الاسم وسائر ما لم يجر على قلمي ولم ينطق به فمي من أسرار الوجه السفلي من الخزينة العليا لبادروا إلى الانكار ولقد أخبر الله عز وجل عن حالهم بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾[1] هذا حال من لم يصل إلى تلك المرتبة ، وأما الواصلون أيضا فتختلف أحوالهم لأن تلك الخزينة تمتلئ على قدر سعتها فكلما تتسع يكثر النور فيها فتزيد المعرفة وهذا الاتساع إنما يكون بكثرة المرور عليها وقلته وشدة الإخلاص والتوجه في العمل وقلته فكلما ازداد نورا وضياء ازداد معرفة وعلما بخلاف الآخر الواقف في مقام التكوين فإنه لم يبلغ مقام الزيادة وهكذا ، فلم يزل الخلق تختلف علومهم بشدة سيرهم وضعفه وقوة طلبهم وعلمها إلا أن الواصلين إلى تلك الخزينة ارتفع عنهم الإنكار وخلص عملهم التسليم والانقياد إذ شاهدوا عيانا قوله تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ

---

[1] الأحقاف ١١

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] ومن هذه الجهة قال أمير المؤمنين عليه السلام ((اندمجت على مكنون علم لوبحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة))[2] وقال مولانا الصادق عليه السلام ((ما كل ما يعلم يقال ولا كل ما يقال حان وقته ولا كل ما حان وقته حضر أهله))[3] وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((ما كل العلم يقدر العالم أن يفسره فإن من العلوم ما يحتمل ومنه ما لا يحتمل ومن الناس من يحتمل ومنهم من لا يحتمل)) وقال سلمان لعلي عليه السلام ((يا قتيل كوفان والله لولا أن يقول الناس وا شوقاه رحم الله قاتل سلمان لقلت فيك مقالا تشمئز منه النفوس)) إلى قوله ((وأنت قصة أيوب))[4] الحديث وأمثالها من الأخبار كثيرة والوجه واضح ظاهر .

وأما المؤمن الممتحن الذي شرح الله صدره للإسلام ونور قلبه وهداه للإيمان إذا ورد عليه شيء من ذلك إن عرفه فهو المطلوب والمنى و إن لم يعرفه يسهل عليه التصديق ولا يستنكف أن يقول لا أعلم ويسلم ولا يعترض فبقدر التسليم يوفقه الله للفهم والمعرفة القطعية الغير المشوبة بشيء من الشكوك والشبهات حتى لا يرتاب والناس في ريبهم يترددون وهم في كمال الراحة في دنياهم و آخرتهم ولذا ترى أحاديث أهل البيت عليهم السلام مشحونة

---

[1] الإسراء ٨٥ [2] البحار ٣٥/ ٤ ح ٢ [3] البحار ٥٣/ ١١٥
[4] البحار ٢٦/ ٢٩٢

بأن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وفي رواية أخرى ومدينة حصينة قيل وما المدينة الحصينة قال عليه السلام القلب المجتمع ، وقال عليه السلام في وصفهم ((المتّبعون لقادة الدين الأئمة الهادين الذين يتأدّبون بآدابهم وينهجون نهجهم فعند ذلك يهجم بهم العلم على حقيقة الإيمان فتستجيب أرواحهم لقادة العلم ويستلينون من حديثهم ما استوعر على غيرهم ويأنسون بما استوحش منه المكذّبون وأباه المسرفون أولئك أتباع العلماء صحبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالى وأولياءه ودانوا بالتقيّة عن دينهم والخوف من عدوّهم فأرواحهم معلّقة بالمحل الأعلى فعلماؤهم وأتباعهم خرس صمت في دولة الباطل منتظرون لدولة الحق وسيحق الله الحق بكلماته ويمحق الباطل ها ها طوبى لهم))[1] الحديث .

فتمحض لك من هذا الكلام أن العلوم كلها مما يتعلق بها الإدراك لمن هو تحت المشيئة على أربعة وجوه ، وجه منها يعم الكل من أهل تلك المرتبة أدناها وأعلاها وأسفلها ، وفي مقام الافتراق والاختصاص والامتياز يختص به الأدنى والأسفل من أهلها ، والعالي إذا نظر إليه فإنما هو بعد تنزله بظهوره ونوره أو بتطوره وشئونه إلى الأسفل وهو الوجه الظاهر المشتمل

---

[1] الكافي ١/ ٣٣٥

على اللب والقشر وقشر القشر المعبر عنها بالوبر والصوف والشعر كما في قوله تعالى ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾[1] .

والوجه الثاني منها ما يختص به الخواص من أهل الباطن في علم الأسرار الباطنية اللدنية كما في مقام الإنسان معرفة أن الصلاة هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والزكاة هي البراءة من أعدائه والشجرة طيبة والكلمة الطيبة والمثل الأعلى والكتاب المبين والآيات والصراط والقسطاس المستقيم وسبيل الله علي عليه السلام والطيّبون من أولاده والصديقة الطاهرة عليها السلام ومقابلات ما ذكرنا لمقابليهم ومعانديهم ، ومعرفة أن إطلاق هذه الألفاظ عليهم عليهم السلام ليس من باب المجاز لقوة المناسبة ودلالة القرينة وإنما هو من باب الحقيقة الأولية وإطلاقها على المعاني المعروفة مجاز على الحقيقة وحقيقة على المجاز .

والوجه الثالث منها ما يختص به الخصيص من أهل باطن الباطن الذين قد وقفوا مقام نقطة العلم التي كثرها الجاهلون وفرقوا بين الفعل اللازم والفعل المتعدي فعرفوا معنى اسم الفاعل وكيفية اشتقاقه من المصدر و اشتقاق المصدر من الفعل وكيفية انبعاث الفعل إلى سبعة أطوار من

---

[1] النحل ٨٠

الماضي والمضارع والأمر والنهي والجحد والنفي والاستفهام ، وتطور كل من هذه السبعة إلى أربعة عشر طورا ، أو انبعاث الفعل إلى تسعة لتجعل الاسم الفاعل واسم المفعول مما انبعث عنه و إن كان بواسطة المصدر ، فظهر لهم حقيقة شكل المثلث المشفوع بالمربع المستخرج منه شكل الاستدارة والمخروط فرأوا ظهور الجميع في اليد فلاحظوا الخمس الأصابع في العقود الأربعة عشر فاستنطق لهم منها كلمة كن فعرفوا بذلك اسم علي عليه السلام لا معناه بملاحظة ما هوالحق المقرر في الأسماء إن الحرف الأول من الاسم عليه المدار وباقي حروف الاسم شرح لإجمال ذلك الحرف ولذا قال في قصيدته شعرا :

حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها عن ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت بين المعالم والطلوع الخضّع

ولا تتوهم أن مرادي من هذه الكلمات اللغز والتعمية وإنما أردت بها حفظ السر على ما قال الشاعر :

ومستخبر عن سر ليلى أجبته بعمياء من ليلى بلا تعيين
يقولون خبرنا فأنت أمينها وما أنا إن خبرتهم بأمين

و أهل هذه المرتبة هم المؤمنون الممتحنون الذين يتحملون أسرارهم كما في أخبارهم عليهم السلام .

والوجه الرابع ما يختص به من شاءوا وأرادوا عليهم السلام بإرادة خاصة من الخصيصين وليس هذا لهم مهما أرادوا أو طلبوا بل إنما هو لفضل وعطية

يمنون به على من سبقت له من الله الحسنى وبذلك تتفاضل درجاتهم وإليه الإشارة في قولهم عليهم السلام ((إن حديثنا صعب مستصعب شريف كريم ذكوان ذكي وعر لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن ، قلت : فمن يحتمله جعلت فداك ، قال عليه السلام : من شئنا))[1] وهؤلاء ممن تعلقت بهم عناية خاصة من الله بهم لأن الله سبحانه يؤتي كل ذي فضل فضله ، والعلوم كلها لا تخلو من هذه الأربعة .

ولما كانت المراتب الطولية ثمانية كما ذكرنا مرارا تكون مراتب العلم بملاحظة هذه الأربعة في تلك الثمانية اثنين وثلاثين مرتبة و إن أضفت عالم المشيئة إلى المراتب الطولية وجعلتها عالما مستقلا تكون المراتب ستة وثلاثين و إن ثلثت هذه المراتب الأربعة كل مرتبة منها بملاحظة الأعلى والأوسط والأسفل تكون اثني عشر مرتبة ، فإذا لاحظتها مع الثمانية تكون ستة وتسعين ، ومع التسعة تكون مائة وثمانية ، وفي الاثني والسبعين منها للإنسان فيها حظ والباقي يخلص لغيره من المراتب العالية ، وكل هذه المراتب التي للإنسان بالنسبة إلى الدائرة المحيطة بها كالنقطة في الدائرة العظيمة ، وكل مرتبة إذا نسبتها إلى الرتبة التي تقابلها تتسع الدائرة وتنفرج الكرة وإن كانتا في النوع متساويتين لكن ما عند العالي أوسع مما عند السافل بما لا نهاية له وإلى هذه الدقيقة في باطن الأمر ولب السر أشار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في

---

[1] بصائر الدرجات ٢٢

حديث زينب العطّارة إن الأرض بما فيها ومن عليها بالنسبة إلى الأرض الثانية كحلقة ملقة في فلاة قيّ وهكذا إلى الأرض السابعة وإلى البحر وإلى الثرى كل واحدة بالنسبة إلى الأخرى كحلقة ملقة في فلاة قيّ ثم قال ﷺ والثرى ومن عليها ومن فيها بالنسبة إلى السماء الدنيا كحلقة ملقاة في فلاة قيّ والمجموع بالنسبة إلى السماء الثانية كحلقة ملقة في فلاة قيّ وهكذا إلى الكرسي وهو وما فيه بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقة في فلاة قيّ.

ويريد ﷺ بالحلقة في فلاة قيّ النقطة في الدائرة وهذا هوحكم كل سافل بالنسبة إلى عاليه وهوكما ذكرنا لك من نسبة المراتب بعضها مع بعض، وستة من هذه المراتب حظ العوام وبها يتخاطبون ويخاطبون ولا يراد منهم في مقامهم غيرها، والباقي حظ الخواص والخصيص فتختلف أحوال العوام عند استماع تلك المراتب فهم فيها بين عارف بكلفة شديدة ودقة عظيمة وبين مجوّز لها على جهة الرجحان مع احتمالهم خلافها وبين محتمل غير منكر وبين منكر وبين مكذب حاكم للقائل بالفسق وبين مكذب حاكم للقائل بالكفر مع قبول التوبة وحاكم بالكفر والارتداد مع عدم قبول التوبة، وتختلف أحوالهم في مراتبهم في أنفسهم ومراتبهم في مراتب العلوم.

ولكل رأيت منهم مقاما   شرحه في الكلام مما يطول

فإذا عرفت ما سطرنا لك عرفت مراتب الخلق ومقاماتهم في العلـوم فلا يشتبه عليك شيء من أحوالهم ووقوفهم في مقاماتهم ومواقفهم إن سلدك التوفيق وقادك التأييد ، ولما كانت العناية الإلـهية جرت في اصطلاح القوابـل السفلية وتمكينها لتحمل الأنوار العلويـة المشـرقة مـن شمس فلـك القـدرة بإنضاجها وطبخها لتتقوى لهـا وتتـهيأ لتحملـها وإلا لاحـترقت لأن مـا مـن الفاعل في غاية الحرارة وما من القابل في غاية البرودة واليبوسة فلـو ألقيـت الحرارة على البرودة دفعة واحدة على حد الكمال لأفنتها وعدمتـها وأحرقتـها فلم يتحقق الشيء فلا بد من إلقاء الحرارة شيئا فشـيئا حتـى يحصـل النضـج وتتحقق المناسبة التّامة بين تلك القوابل وتلك الأنوار حتـى تكـون صـابرة ومتحملة عند إشراقها عليها ، وبرهان هذا على التفصيل في العلـم المكتـوم سيّما عند ظهور القاضي الذي هوالأنفحـة باصطلاحـهم أي النوشـاذر إذ في أول الأمر يوقدون تحته نارا حرارتها كحرارة جناح الطائر ثم يزيدون في النـار كل يوم ضعف ما كان في اليوم الأول إلى سبعة أيّـام فتبلـغ الحـرارة في اليـوم السابع إلى مقدار حرارة نار السبك ، فلو كانت الحرارة الحاصلة بعد السـبعة في اليوم الأول لاحترق الثفل وفنى ذلك تقدير العزيز العليم .

و إذا فهمت هذا فاعلم أن عـالم الشـهادة آيـات و أمثـال لمـا في عـالم الغيـب كمـا قـال عـز وجـل ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ

﴿يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1] فكما أن في عالم الأجسام لم يتحقق إلا بحلّين وعقدين ففي الحل الأول والعقد الأول الغلبة والاستيلاء للرطوبة والبرودة والحرارة ضعيفة مغلوبة ، وفي الحل الثاني والعقد الثاني بعكس الأول بل الاستيلاء والغلبة للحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة ضعيفة مغلوبة ، فكذلك الأمر في خلق الأرواح وقد قلنا سابقا أن الذين خلقوا على الصورة الإنسانية على ثلاثة أقسام ، أحدها من خلق ظاهرهم وباطنهم على الصورة الإنسانية وهؤلاء الخصيص والخواص على اختلاف مراتبهم ، وثانيها من خلق ظاهرهم على الصورة الإنسانية وباطنهم أي روحهم على الصورة الشيطانية من صور البهائم وحشرات الأرض وهؤلاء المعاندون من الكفار والمنافقين ، وهاتان الطائفتان قد قضيت لهم الأمور وصبغوا على ما قبلوا من فيض الفيّاض فلا يكون هؤلاء من هؤلاء ولا هؤلاء من هؤلاء ، وثالثها من خلق ظاهرهم على الصورة الإنسانية وباطنهم بعد لم يخلق و إنما هو ساذج قابل للطرفين حيث غلبت عليهم الرطوبات البلغمية فثقلت مداركهم عن استماع الأمر الإلهي حتى يقبلوا أو ينكروا وهؤلاء العوام الذين لم يذوقوا حلاوة المحبة ولم يردوا ماء المعرفة ، ولما كان الأنبياء والرسل والكتب والأوصياء والعلماء إنما هم لتتميم قوابل الأرواح وتمكينهم للنصح والإصلاح ليستأهلوا للخطاب ويصاغوا بعد الخطاب بما نطق به

---

[1] فصلت ٥٣

الكتاب ، ولقد قلنا أن هذا التمكين لا يحصل إلا بالحلين والعقدين ، جرت عادتهم عليهم السلام مع العوام بذلك إن لم يكونوا من المعاندين فإن كانوا قاطعين عالمين بشيء بالجهل المركب وهو غير مطلوب منهم بالكينونة الأولية وهم لا يعلمون ذلك فأولا يوردون عليهم السلام عليهم عليهم السلام ما يبطل به قطعهم ويقينهم وينزلونهم منزلة الاحتمال والتجويز هذا أول الحل الأول ، ثم بعد ذلك ينزلونهم إلى مقام الشك عما كانوا قاطعين به وهذا تمام الحل الأول وعقله ، ثم بعد ذلك يظهرون عليهم السلام لهم الحق الواقعي على جهة البرهان اللائق بهم وهوالحل الثاني ، ثم يلزمونهم عليه وهو العقد الثاني ، فإذا تتبعت كلماتهم عليهم السلام وسلوكهم مع العوام من هذا القسم لا تجد إلا كما ذكرنا ولقد أوضح مولانا الصادق عليه السلام الأمر كما شرحت لك في احتجاجه مع ذلك الزنديق الشامي حتى جعله بتوفيق الله مؤمنا خالصا وهومذكور في الكافي في أول كتاب التوحيد ، وكذلك فعل الله سبحانه مع المنكرين للبعث حيث قالوا ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴾[1] قال الله عز وجل ﴿ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ ﴾ فتنزلوا منزلة الاحتمال والتجويز حيث قالوا ﴿ من يُعِيدُنَاۖ ﴾

---

[1] الإسراء ٩٨ ٢ الإسراء ٥٠ - ٥٢

فقال الله ﴿ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ثم تنبهوا و احتملوا وجوزوا ذلك ثم سألوا عن وقته كما أخبرهم عنهم سبحانه ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢]، وهذا هونمطهم وديدنهم عليهم السلام مع المخالفين الغير المعاندين و إن كانوا جهالا لا يعلمون ما يريدون عليهم السلام أن يلقوا إليهم ويعلمونهم فكما فعل أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المقام فقال عليه السلام ((ألا فعوا ولا تضجوا ولا ترتجوا)) لأنه عليه السلام أراد أن يلقي إليهم أسرار الولاية الظاهرة في كينونات ذواتهم المخزونة في أعلى مراتب قلوبهم وأفئدتهم وهم في مقام الجسم واقفون وبباب الجدال والقيل والقال لائذون فأمرهم بالوعي وعدم الاضطراب وفي هذا تمام الحل الأول في الخلق الأول، لأن ما ألقي إليهم من أسرار هذه الخطبة هو نار وجعلها الله في الشجر الأخضر الشجرة الزيتونة التي ليست بشرقية ولا غربية وبهذه النار نضجت ثمار الجنة التي هي علوم الولاية، ولما كانت القرائح جامدة والطبائع خامدة وغلبت الرطوبات الباردة وخفيت بل انطفت الشعلات الغيبية الواردة فلا يمكنها الصعود إلى الدرجات العالية جعل عليه السلام في روعهم قبسة من قبسات النور على جبل الطور الظاهرة في

الشجرة المذكورة فأمرهم بعد الإلقاء بوعيها وحفظها بالسكون والاطمئنان لتستقر تلك الشعلة وتجفف الرطوبة فلو اضطربوا وارتجوا واستغربوا واستبعدوا تفتح مسام القابلية فتخرج حرارة تلك الشعلة من خلالها فلا تؤثر فيها ولا تنضج القابلية بها ، ومن هذه الجهة كثرت الثلوج في فصل الشتاء وانسدت المسام لتوجه الحرارة إلى الباطن وتستخن القوى والجوارح بها لتمام نضجها وطبخها وإلا لفسدت القوى و اضمحلت الأشياء ، فأول باب المعرفة والحكمة القبول والانقياد والسكون والاطمئنان ، فلولا السكون لم يستقر القبول ولولا القبول لم ينفع السكون بل لم يتحقق وهذا الاستيهال لإفاضة الفيض على تلك القوابل الباردة الفاسدة ، وإلى هذا الإشارة بقوله عز وجل ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] فذكر سبحانه وتعالى لتحقق الإيمان أمرين ، أحدهما الأخذ من علي عليه السلام لا غير ، وثانيهما عدم الحرج والاضطراب بل التسليم والتصديق فيهما يتحقق الإيمان الذي لما تجسد في عالم الأجساد والأجسام ظهر بالصورة الإنسانية ، فبالأمرين يتم نضج طبيعة الإيمان ولذا قال مولانا الصادق عليه السلام على ما في الكافي ((إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفوا حتى

---

[1] النساء ٦٥

تصدقوا ولا تصدقوا حتى تسلموا أبوابا أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها ضل أصحاب الثلاثة وتاهوا تيها بعيدا))[1] الحديث ، فجعل عليه السلام التسليم هو أول باب المعرفة واليقين فلا يكمل اليقين ولا تتم المعرفة ولا تستقر الحكمة إلا به ، والتسليم كما فسره عليه السلام هو استماع الحق ووعيه بإذن قلبه وعدم اضطرابه وعدم القول فيه لم وكيف و أين وعلى بل لا يجد في نفسه شيئا ويسلم الأمر لأهله ، فإن وجدوه أهلا أبانوا له وكشفوا عن الحقيقة له فسيعرف بما عرّفوه إياه وإلا فلا يطلب ما ليس له بمصلحة ، فالمؤمن المخلص هوالمسلم وهو الذي يعرف بحقيقة الإيمان أن الخلائق بأسرها عند آل محمد عليهم السلام كالدرهم في يد أحدكم وهم عليهم السلام مطّلعون بجميع أحوالها وأطوارها وأوطارها ، فإذا ورد على أحد من الخلق حديث من أحاديثهم عليهم السلام فهم الذين أجروه على لسان القائل وسببوا الأسباب حتى أصغى إليه المخاطب أو نظر إلى المكتوب لحكم ومصالح اقتضت ذلك ، فإذا اقتضت الحكمة أن يعرفوه هيئوا له أسبابها على مقتضى ما يريدون بمقتضى استدعاء الدواعي وإن اقتضت إنكاره مع أنه هوالحق في الواقعي الأولي لا النفس الأمر الذي هوالواقع الثانوي سببوا له أسباب الإنكار إما بأحاديث أخر تعارضه أو بأدلة عقلية أو بإجماع وشهرة وإشارة في لحن الخطاب وفحواه ومفهومه وأمثال ذلك ، وإن اقتضت الجهل به في حقه أبقوه على حاله فلا يذكرون له معارضا

---

[1] الكافي ١ / ١٨١

ولا يجعلون قرائن وأدلة موضحـــة ففرضـه حينئـذ التسـليم والـرد إلى أهلـه والوقوف عنده والعمل بما استقر عليه المذهب ودلت عليـه الأخبـار المحكمـة ولا يخوض في لجج المتشابهات ولا يطرح الأخبار ولا ينكرها فإنّ صاحبها أولى بها لعلهم أرادوا بها ما لا يخالف المذهــب ونحـن لا نعـرف ولا نـدرك وجـه التطبيق وهذا هو سلوك سبيل الرب ذللا ، فإذا واظب بالذي ذكرنــا وتحقـق الذي سطرنا وآمن قلبا بالذي قلنا فهو المؤمن الممتحن وقد دخل البيت مــن بابه ويفتح له إنشاء الله أبواب الحكمة ويرزق المعرفـة ولكـن الموفقـين لهـذه المعرفة قليلون ، ومن هذه الجهة تراهم في كل واد يهيمون حيث أعرضوا عن أئمـة الهـدى عليهم السلام بلسـان أعمـالهم وأرادوا فتـح بـاب الشـريعة بعقولهــم ومداركهم فضّلوا وأضلّوا كثيرا وضلّوا عن سواء السبيل .

قوله عليه السلام ولولا خوفي عليكم أن تقولوا جنّ أو ارتد

وإليه الإشارة ما روي عنهم عليهم السلام ((لم يبلغ الرجل كمال الإيمان حتى يشهد ألف صديق بأنه زنديق)) وهذا الحديث ما روي مسندا في كتاب من الكتب المعروفة ولكني وجدته في حاشية من حواشي بعض الكتب مرسلا ومقطوعا، لكن تعاضدت الأخبار ويشهد بصحته صحيح الاعتبار وقوله عليه السلام ((لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فما ظنكم بسائر الخلق))[1] دليل على ذلك، وكذا في قول علي ابن الحسين عليهما السلام .

ورب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال المسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

---

[1] الكافي ١/ ٤٠١

وكذلك قوله عليه السلام ((لوعمل سلمان عمل المقداد لكفر ولوعمل المقداد عمل سلمان لكفر)) وقول الصادق عليه السلام لمحمد بن هلال وإلى المدينة في سر حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام لكسر الأصنام إلى أن قال عليه السلام ما معناه ((لو أني بينت لك ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حمل علي عليه السلام لقلت جنّ جعفر بن محمد)) الحديث.

وقول سلمان لعلي عليه السلام ((يا قتيل كوفان لوقال الناس واشوقاه رحم الله قاتل سلمان لقلت فيك مقالاتشمئز منه النفوس لأنك حجة الله الذي به تاب على آدم وبك أنجى يوسف من الجب وأنت قصة أيوب وسبب تغير نعمة الله عليه ، فقال عليه السلام : أتدري ما قصة أيوب وسبب تغير نعمة الله عليه ، قال : الله أعلم وأنت يا أمير المؤمنين ، قال عليه السلام : لما كان عند الانبعاث للنطق شك أيوب في ملكي فقال هذا خطب جليل وأمر جسيم قال الله عز وجل : يا أيوب أتشك في صورة أقمته أنا إني ابتليت آدم عليه السلام بالبلاء فوهبته له وصفحت عنه بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين وأنت تقول خطب جليل وأمر جسيم فوعزتي لأذيقنك من عذابي أو تتوب إلي بالطاعة لأمير المؤمنين عليه السلام ثم أدركته السعادة بي))[1] و أمثال هذه من الأخبار كثيرة ، وليس معنى شهادة ألف صدّيق بأنه زنديق أنه يظهر منه كلمات

---

[1] البحار ٢٦/٢٩٣

توجب ذلك حاشاه لأنه من أهل السر وهو بنور التوسم يعرف المتحمل عن غيره فلا يذيع سر أهل البيت عليهم السلام المأمور بكتمانه عند غير أهله فلم يبلغ إذاً كمال الإيمان فإن مخالفتهم عليهم السلام في إذاعة سرارهم من أفسق الفسق كما دلت عليه الأخبار المتكثرة ، فلا يراد منه أن المؤمن البالغ في الإيمان حد الكمال يظهر تلك الأسرار بل المراد أن عنده ما لو أظهره للناس لشهد ألف صدّيق بأنه زنديق حيث ينزه الحق سبحانه عن كل أوصافهم وهم إنما أثبتوا تلك الأوصاف زعما منهم بأن الربوبية لا تكون بغيرها والذات الكاملة يمتنع أن لا يكون لها صفات كمالية فإذا وجدوا عنده مخالف معتقدهم وأنه سبحانه منزه عما يقولون قدّروا بأنه كافر زنديق مع أن قوله هو الحق والله عز وجل يقول ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[1] ، فإذا أتى العارف الكامل البالغ وقال أنه سبحانه منزه عن التنزيه وليس مقام التنزيه مقام التوحيد فقدّر أهل التنزيه بأن ذلك كفر وزندقة ، وكذا إذا ذكرت لأهل هذه المرتبة ما لا ينطق به فمي ولا يجري به قلمي يقدّرون أن هذا تشبيه وكفر بل يحكمون علي السفاهة والجنون كما قال روحي فداه ، فإن العقل وقواه وجنوده ومشاعره ومداركه وكل الآلات البدنية والقوى الروحانية لم تبلغ تلك الدرجة والفوز بتلك الأسرار وإنما هو سر بينهم وبين بارئهم في مكمن الغيب على سرير الحب فلا يسع ذلك المقام ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فإن

---

[1] الصافات ١٨٠

أقصى مقامات النبوة مقام العقل والملائكة من إشـراقاته وعكوسـات أنـواره
وحوامـل ظـــهورات آثـاره ، وذلــك المقــام ينحــط دونــه مقــام النبــوة
والملائكة ، والمراد بالنبوة مطلقا في كل مقام بحسبه من الكليـة والجزئيـة فـإن
عقل كل أحد نبي بالنسبة إليه كما دلت عليه الروايات المتكـاثرة فـإذا خـرج
ذلك السر عن مقتضى العقل و إنما ظهر بطور الشهود في عالم اللانهاية مـن
غير مستقر البداعة في مقام النقطة الســرمدية الجامعـة بـين النفـي والإثبـات
والجمع والتفريق الجامعة للمتفرقات المفرقة للمجتمعات فيحكم على الليل
بأنه نهار في عين كونه ليـلا وبـالعكس ، فيحكـم العـاقل الواقـف في مقـام
العقل بأن ذلك جنون وسفاهة لكونــه خارجـا عـن مقتضـى العقـل وليـس
لذلك الواقف سبيل إلى ما رواه ليحكم بأن ذلك حقيقة وما حكم به العقـل
وما دونه من المشاعر بالنسبة إليه مجاز فيحمل على السفاهة والجنـون فـيرون
أقبح ما يأتونه حسنا ، ومن هذه الجهة بقيت العلوم كلها مكتومة لأن الإنسان
الأكبر الذي هوالعالم في القوس الصعودي وصل إلى مقام البهائم والحيوانات
مقام النفس الأمارة بالسوء وقد تسلطت النفس وأغلب أهل الدنيا في ذلك
المقـام واقفـون وبذلـك البـاب لائـذون فـلا يسـعهم إدراك تلـك المقامـات
والوصول إلى تلك الدرجـات فـلا يقبلـون مـن الواصلـين ولا يقبلـون مـن
الكامل وهوقول مولانا الحجة المنتظر عجل الله فرجه في بعض توقيعاته ((لا

لأمر الله تعقلون ولا من أوليائه تقبلون حكمة بالغة فما تغن النذر))[1] نعم إذا بلغ في القوس الصعودي مقام البلوغ الذي هو رتبة العقل فهناك يكمل إدراكه وتقوى مشاعره فيستغني كل عن علم صاحبه كما قال مولانا علي عليه السلام ثم قال عليه السلام وهذا تأويل قوله ﴿ يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[2]. فهناك تبدو الأسرار وتفشو الأخبار فلا ينكر أحد علم صاحبه لأن هناك وإن كان مقام العقل لكن فيه نور الفؤاد.

ثم اعلم أن الممكن لما لم يتم له الوجود إلا بالتركيب وهو لا يتحقق إلا من ضدين جرت الحكمة الإلهية أن يكون لكل شيء ضد كما قال الرضا عليه السلام ((لم يخلق فردا قائما بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه))[3] وهوقوله تعالى ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4] وهذا يقتضي أن يكون كل حق يقابله باطل في مقامه وإن كان في عالم الشهود يكون ضده فيه وإن كان في عالم الغيب فكذلك أيضا، وقد عرفت سابقا أن الخزائن العلوية مهابط الأنوار القدسية من الملكية والملكوتية والجبروتية ثلاثة، فكذلك الخزائن السفلية في مقام التقابل على العكس، فالخزينة السوأى السفلى في مقابلة الأعلى في تحت الثرى فيها من

---

[1] البحار ٥٣ / ١٧١
[2] النساء ١٣٠
[3] عيون أخبار الرضا ١ / ١٧٦
[4] الذاريات ٤٩

أحكام الإنكار وتلبيس الباطن على الحق بقدر ما في الأولى الأعلى من المعرفة والمحبة وإظهار الحق ، والخزينة السوأى السفلى في مقابلة الثانية في الثرى وفيها من أحكام الشكوك والظنون والوساوس بقدر ما في مقابلها من اليقين ومفتاحها بيد الجهل ، والخزينة السوأى السفلى في مقابلة الثالثة الأعلى في الطمطام أو جهنم وتمتد إلى الأرض الثانية أرض العادات ومفتاحها بيد الشياطين الثلاثة ، ولا منزلة ولا واسطة بين الحق والباطل فماذا بعد الحق إلا الظلال ، والإنسان لقلبه عينان وأذنان فباليمنى ناظر إلى العليا وباليسرى ناظر إلى السفلى فإذا أعرض عن النظر إلى الحق في العليا فلا بد أن ينظر إلى السفلى فإذا مال إليها و استقر ميله و استمر وعمل بمقتضاه وقلل الأكل والشرب وسائر المقتضيات من الرياضات المقررة عندهم اتصل بأولئك الشياطين على مقتضى عمله فمنهم من يتصل بشياطين الأرض الثانية ومنهم من يتنزل إلى الطمطام وجهنم وبئس المصير ومنهم من يتنزل إلى تحت الثرى وهؤلاء سيّما الأخيرتين منهم لا خير فيهم ظلمة محضة تجري عليهم أحكام الإنكار والجحود لا يرغبون إلى الخير أبدا ناكسوا رؤوسهم عند ربّهم ، لكن جميع أحوالهم مشابهة ومماثلة في الصورة الظاهرة بادئ الأمر لأحوال أهل الحق وعلماء الدين كالشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة وهؤلاء مثل فرق أهل الضلال من الكفار والجمهور والصوفية وتراهم يتكلّمون بالأسرار والحقائق ويفعلون خوارق العادات كل ذلك ﴿ كَسَرَابٍ

بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾[1] وهـــم ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2] فهؤلاء عندهم من العلوم الباطلة من أحكام الطغيان والكفر والصد عن سبيل الحق بقدر ما عند أهل الحق من العلـوم والأسـرار الإلهية من مقتضيات الإيمان وحدود الإسلام ، وفيهم يقع الإشتباه للجهال لأنـهم في أنفسهم لكون كل منهم سائر إلى جهة غير جهة الآخر وكلا الســيرين على الاستقامة بـلا إقامـة ولا رجـوع وذلـك يصعـد وذلـك يـهبط فـأين موضـع الاشتباه .

وأما إذا مال الشخص إلى الباطل ميلا كليا وعرض عن الحق إعراضا حقيقيا لكنه لم يعمل ما يقتضي اتصاله بالشياطين وهذا بقي جمـادا لا يعـرف شيئا إذا ما اكتسبه ببعض الكسب من الأمـور الصناعيـة إجـراء للمسـببات على نهج الأسباب مثل حكام أهل الباطل وخلفاء الجور ، وقد يتوســط بـين الأمرين مع الميل الكلي إلى الباطل وهو مثل علمائهم وقضاتهم وهؤلاء على أقسام مختلفة حسب قربهم إلى مبدئهم من الجهل الكلي وبعدهم عنه ، وقـد يكتسب البعيد من أحكام الباطل المنطبع في أسفل السافلين بالكســب وهـو لا يفتح له إلا بعض الأبـواب الجزئيـة مـن تلـك الخزائـن السـوأى كـأكثر

---

[1] النور ٣٩ [2] الكهف ١٠٤

علمائهم وفضلائهم إذ ليس لهم يد طولي وباع طويـل في باطلـهم بـاختلاف المتشبثين بأذيال أولئك الشياطين والمترددين كالصوفية فإن لهم يد طولى وبـاع طويل في باطلهم فمن اطّلع علـى مـع هذيانـات ابـن عربـي في الفتوحـات والفصوص وإحياء العلوم للغـزالي والإنسـان الكـامل أي الشـيطان المظـل لعبدالكريم الجيلاني وجامع الأسرار أي الأشرار للسيد حيـدر الآملـي يـرى صدق ما ذكرنا وسطرنا من شدّة تفوّرهم في باطلهم ، ولما كان كل باطل كمـا ذكرنا يشابه الحق وهم أيضا زيّنوا ظواهر كلماتـهم بزخـرف القـول فاشـتبه الأمر على أغلب الجهال من أهل الحق بل كلهم حيث لم يردوا على حـوض ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده الطيبين الطاهرين عليهم السلام وما عرفوا حقائق مراداتهم عليهم السلام في مخاطباتهم ومحاوراتـهم ومكالماتـهم و أفعـالهم و أقوالهـم وسائر أعمالهم عليهم السلام ، ورأوا هذا السراب يلوح كأنه ماء سيما مـع تشـبث أولئك الأباطيل بمثل كلمات الأئمة عليهم السلام من مثل هذه الخطبة ((لولا خوفي عليكم أن تقولوا جن أو ارتد)) وقول الصادق عليه السلام ((ما كلما يعلم يقال ولا كلما يقال حان وقته ولا كلما حان وقته حضر أهله)) وقـول علـي ابـن الحسين عليه السلام ((لوعلم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله)) و أمثالها مما تقـدم بعض منها فيقولون أن الذي أظهرنا ما فيه توّهم الكفر هو مما قالوا عليهم السلام

إنـي لأكتـم مـن علمـي جواهـره كيـلا يـرى الحق ذو جـهل فيفتتنـا
وقـد تقـدم في هـذا أبوحسـن إلى الحسين ووصـى قبلـه الحسـنا

ورب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال المسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

ولما سمعوا مثل هذه الكلمات منهم وما عرفوا أن قولهم هذا من إلقاء الشياطين في أمنييته الرسول والنبي والمحدث كما في قوله عز وجل ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾[1] حكموا بحقية مقالهم وصدقوهم بأفعالهم وأقوالهم فضلوا وضلوا كثيرا ، والآخرون من الجهال حيث رأوا ما ظهر من أولئك الضلال من قبائح معتقداتهم ومنكرات أعمالهم وأفعالهم ولم يكن لهم ضرس قاطع حتى يتبين لهم الغث من السمّين والظن من اليقين ولم يتعلق بهم اتصال إلى الملائكة ولا الشياطين ولم يتهنّأوا بحظ وافر في الدين فحكموا على كل من تكلم بالباطن وبعض الأسرار بالكفر والتّزندق لأنه لم يتميز بين القولين ولم يعرف الماء والبول الصّافيين وتعين أحدهما من البين ، فإذا ألقيت عليهم الأخبار المتقدمة فهم بين طارح ومنكر لها وبين مؤوّل إيّاها وبين متوقف فيها ، والأصل في ذلك كلّه وقوفهم على باب الخزينة الأولى وهوباب ضيّق حرج لا يهتدي الواقف عليه إلى سعة وفسحة أبدا ، ولكن لما كان لله الحجة البالغة والدلائل الظاهرة والآيات

---

[1] الحج ٥٢

الباهرة والأنوار الساطعة والنجوم المضيئة ولم يدع الخلق في ظلمة عمياء ولا دهمة بهماء وجعل للخلق علم هداية ودليل رشد وميزان قويم يعرف به الحق من الباطل والغث من السمين وهم الأئمة الهداة عليهم السلام وما ظهر من الكتاب والسنّة بأوضح دلالة حتّى لا يبقى لمحتج حجّة ولولا ذلك لما قامت حجة الله على الخلق ولكن للخلق على الله حجة وهو سبحانه يقول ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾[1] وقال عز وجل ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾ وقال قبله ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ﴾[2] فوجب أن نذكر بعض العلامات المأخوذة من سادات البريّات عليهم السلام لبيان الفريقين وامتياز كل منهما عن الآخر لقطع حجة المعاند ورفع شبهة الجاهل .

فنقول اعلم أن لأهل الحق علامات بها يمتازون عن غيرهم فإذا وجدتها في أحد فاعلم أنه القرية الظاهرة التي قد أمرت بالسير فيها إلى القرية المباركة وتلك العلامات على وجهين منها ما يتعلق بعلمهم ومنها ما يتعلق بعملهم .

---

[1] النساء ١٦٥ — [2] المائدة ٣

أمّا الأولى فاعلم أنهم إذا نظروا في مسألة من المسائل لا ينظرون فيها حتى ترتفع ثلاث خصال وتجتمع خمس خصال ، أما الأولى فأولها أن يتمحض قصدهم ونيتهم في معرفة تلك المسألة من العلم لله سبحانه ليتوصل بها إلى طاعته ورضاه من عمل أو قول أو ظهور قدرة وعظمة يوجب كمال الخوف أو نعمة وإحسان يوجب الرّجاء والطّمع وجلال يقهره عن نفسه أو جمال يجذبه إليه ويفقده عن نفسه لينقطع إلى ربه وأمثال ذلك من الأحوال الرّاجعة إلى الحق سبحانه ولا يطلبها ليعاند بها العلماء ويمار بها السفهاء ويصرف إليه وجوه الناس أو ليعزز علمه ليعرف بذلك ويشتهر به و أمثال ذلك من أنواع العصبية والجدال والمراء كما ترى في أغلب أحوال الناس .

وثانيها أن لا يكون حين النظر مأنوسا بطائفة من أهل العلم أو غيره ليميل قلبه إليهم وإلى ما يقولون فإن حبك للشيء يعم ويضم وقد يكون على باطل وخطأ فيقع فيما وقعوا فيه بل يكون أنسه بالله وميله فيما عند الله ورغبته فيما اختاره الله سبحانه ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾[1] .

وثالثها أن لا يكون عنده قاعدة قد أخذها من غير أهل بيت العلم على النمط الذي نذكره إنشاء الله تعالى ، فإن من عنده قاعدة لا يأمن أن

---

[1] النساء ١٣٤

يركن إليها ويصرف العلم إليها وقد تكون باطلة فاسدة فيقع في الخطأ والغلط كما ترى لأن أغلب الناس يطرحون الأخبار الصحيحة المتكثّرة وينكرونها لمخالفتها لقاعدتهم وقد تكون القاعدة باطلة .

وأما الثانية من الخصال الوجوديّة فأولها أن يكون باقيا على الفطرة الأصلية الأولية غير مغير لها بمتابعة الشيطان فلم تسبقه الشكوك والشبهات ، وعلامته أن يكون دائم النظر والتفكر في خلق الله من السموات والأرض وخلق نفسه وأحواله وعظيم التحير حين ما ينظر إليها ، وعلامة ذلك صفاء طويّته وذكاء سريرته وعلامته أن لا يشغله علم عن الآخر بل تكون الأشياء عنده بعضها دليلا للآخر فلا يقال فيه أنه كامل في علم دون العلم الآخر بل العلوم كلها عنده على حد سواء ، لأن الباقي على الفطرة يرى آية الوحدة في كل شيء فعين بصيرته مفتوحة فلا فرق عنده في الرؤية بين شيء وشيء كما في الغير الجسمي إذا كانت مفتوحة يرى الأجسام على اختلاف ألوانها وأحوالها وكذا عين القلب إذا كانت مفتوحة ، وأما الذي يقتصر على شيء فلا يعرف الآخر فهو كالأعمى الذي يعلّمونه بعض الأشياء فلا يعلم إلا الذي علم ، وقولي كل العلوم عنده على حد سواء مرادي أنه علم اللطيفة السارية في العلوم كلها وهي النقطة التي قالهاعليه السلام ولا يلزم أن يكون ظهورات تلك النقطة على التفصيل كلها حاضرة عنده ، بلى إذا

طلب كلما أراد منها وجد بمشاهدة تلك النقطة فيها ويستدل بكلها على كلها كما مرّ فهم من فهم .

وثانيها أن يجد لها دليلا من كتاب الله سبحانه من الآيات المحكمات التي هنّ أم الكتاب بحيث لا يمكن إنكارها ولا اعتذارها للمنصف ، وأما المعاند فلا يقطعه ألف حجة ، ولا يتثبّت في الاستدلال بالمتشابهات وهي التي لم تظهر دلالتها والمراد منها إما بنفسها أو بأمر خارج منها كالأخبار الموضّحة لها المعيّنة للمراد منها و إن كانت هي على الظاهر مجملة فإنها حينئذ ليست من المتشابهات .

وثالثها أن يجد لها دليلا من أحاديث أهل البيت عليهم السلام كما ذكرنا في الكتاب ويتجنّب عن الأحاديث التي لم يقبلها الأصحاب إلا إذا كانت راجعة إليها وأن لا يكون لها معارض أقوى بل لا يجد معارضا أصلا إذ التعارض في الأخبار أمر صوري لا حقيقة له ، وأما تغير المغيّرين والمبدلين وسهو الساهين والناسين في الرواية وأمثالها ، فجعلوا عليهم السلام في إرشاداتهم قرائن وأدلة تنفيها وتثبت الأمر الواقعي المراد ولولا ذلك لما استقام قولهم عليهم السلام ((إن لنا أوعية من العلم نملؤها علما لننقله إلى شيعتنا فخذوها وصفّوها تجدوها نقيّة صافية وإياكم والأوعية فنكبوها فإنها أوعية سوء))[1] هذا معنى

---

[1] ذكر المصنف هذه الرواية بالمعنى ونحن نذكرها هنا بالنص ففي البحار ٢/ ٩٣ ح ٢٦ قال أبو جعفر عليه السلام ((إن لنا أوعية نملأها علما وحكما وليست لها بأهل فما نملأها إلا لتنقل إلى شيعتنا ،

الحديث ، فلولا القرائن الناصة لما تتأتى التصفية فإن الخلق جهال لا يعلمون شيئا إلا ما علموهم إياه كما قال صلى الله عليه وآله ما معناه ((يا بن عباس لا تجد في يد أحد حقا إلا بتعليمي وتعليم علي عليه السلام))[1] ، والكلام في هذا المقام طويل والإشارة كافية لمن اهتدى إلى السبيل ولم يتعود بالقال والقيل ، فمجمل القول أنه لا يتمسك برواية على خلاف القانون الذي جرت العادة بين الفرقة المحقة في التمسك بها فإن هذه الطائفة لا تزال على الحق حتى تقوم الساعة .

ورابعها أن يدل عليها العقل المستنير بنور الله والمستوقد بضياء أئمة الهدى عليهم السلام ومعناه أنه تربى وتشافى شدة الإعتناء والنظر في أخبارهم مع الاعتقاد الجازم بأنهم عليهم السلام لا يهملون رعاياهم وغنمهم وعالما بأنه حينما ينظر ويلاحظ الأخبار وهو بين يدي إمامه وسيده يتعلم منه عليه السلام كما قالوا عليهم السلام ((نحن العلماء وشيعتنا المتعلّمون وسائر الناس غثاء))[2] وهو عليه السلام لا تمنع غيبته عن مشاهدة رعيّته و إصلاح أحوالهم وطرد الشياطين والباطل

فانظروا إلى ما في الأوعية فخذوها ثم صفوها من الكدورة تأخذوها بيضاء نقية صافية ، وإياكم والأوعية فإنها وعاء سوء فتنكبوها)) .

[1] ذكر المصنف أعلى الله مقامه وأنار الله في الدارين أعلامه هذا الحديث بالمعنى ، ونحن نورده هنا بالنص تيمنا كما ورد في البحار ٢٦ / ٣٤٥ ح ١٨ ((وكل شيء يسبح لله ويكبره ويهلله بتعليمي وتعليم علي عليه السلام)) والحديث طويل وجليل أخذنا منه موضع الحاجة فمن أراد الزيادة فليراجع .

[2] الكافي ١ / ٣٤

عنهم كما قال تعالى ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾[1] وقال رسول الله ﷺ كلما كان في الأمم الماضية يكون في هذه الأمة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة))[2] وهذا هوالعقل المستنير فيجب أن يكون له دليل عقلي عليها أي على المسألة زائدا عما دل عليه الكتاب والسنة ليكون على بصيرة ومعرفة .

وخامسها أن يجد لها دليلا عيانيا شهوديا في العالم فإنه كتاب أكبر كتبه الله بيده وبناه بحكمته ورباه بقدرته وحفظه بصنعه وجعله من أعظم آياته وحث الناس بقراءته حيث يقول ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[3] ويقول ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[4] ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا

---

[1] القصص ١٥

[2] لم نقف على هذا الحديث بعينه ولكن وجدنا ما يقرب منه باللفظ والمعنى ففي البحار ٢١/٢٥٧ ح ٧ قال صلى الله عليه وآله ((لتسلكن سبل من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه)) .

[3] يونس ١٠١ [4] العنكبوت ٤٣

مُعۡرِضُونَ ﴾[1] ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾[2] ثم أن الله سبحانه بين كيفية الاستدلال بتلك الآيات فقال ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴾ فهذا هوالمدعى ثم جعل لهذا آية ودليلا ليعرف الخلق كيفية هذا الحشر والعود بعد موت الخلق و اضمحلالهم فقال سبحانه ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبًّا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ ﴾[3] الآية ثم شرح هذه الآية في سورة ق حيث قال سبحانه ﴿ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ (٩) وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلۡعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزۡقًا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴾[4] والقرآن مشحون ببيان هذه الأحوال .

وبالجملة ما خلق الله سبحانه شيئا وما كلف العباد بأمر إلا وقد بينه بأكمل التبيان ، والبيان الكامل إنما يتم بالبيان الحالي والمقالي فالبيان الحالي هوالعالم والمقالي هوالكتاب والسنة وكل منهما شرح وبيان للآخر ومطابق له ، وفي صورة المخالفة يظهر بطلان الاستدلال فلا تخالف السنة الكتاب أبدا

---

[1] يوسف ١٠٥ — [2] فصلت ٥٣ — [3] يس ٣٢ – ٣٤ — [4] ق ٩ – ١١

ولا العكس ولا العالم الأمرين ، فإذا تطابقت هـذه لأدلة الأربعة مع عدم مخالفة الفرقة المحقة التي لا زال الحق فيهم ففي مخالفتهم عدول عن الحق والعادل عن الحق لا ينجو ، ومع بقاء الفطرة الأصلية الغير المعوجة ومع رفع تلك الخصال وجب أن يكون حقا وإلا كان الحق سبحانه مغريا بالباطل أو مخلفا للوعد تعالى ربي عن ذلك علوا كبيرا ، أما الوعد فقد قال الله عز وجل ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1] والمجاهدة في الله ما تحقق على أكمل المراتب إلا كما ذكرنا لأنه هوالطريق المؤدي إلى الحق قطعا ، ولا تصح أن تكون المجاهدة بالإدبار والإعراض عن الحق سبحانه كما في مقابلات ما ذكرنا فيجب على الله سبحانه الهداية ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾[2] ، وأما الإغراء بالباطل فلا يمكن فرض وقوعه بالنسبة إلى الله سبحانه مع أن الله سبحانه نصّ بوفاء العهد الذي عاهد من هداية المحسنين حيث قال﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[3] فأثبت الهداية للمؤمنين ثم شرح الإيمان وأوضح حقيقته فيما يتعلق بالعلم أو مع العمل بقوله الحق ﴿ فَلَا

[1] العنكبوت ٦٩ ٢ إبراهيم ٤٧ ٣ البقرة ٢١٣

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1] ، والمخاطب في الظاهر هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي الباطن هو أمير المؤمنين عليه السلام ، والإخلاص في حكم أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي ذكرنا لك من ملاحظة الأدلة الأربعة ، ثم بين الله سبحانه إصابة المؤمنين فيما صاروا إليه من معتقداتهم وأعمالهم وعدم خطئهم فيما ينسبون إلى الله عز وجل بقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[2] وقال مولانا الباقر عليه السلام ((نحن القرى التي بارك الله فيها والقرى الظاهرة شيعتنا))[3] فنصّ سبحانه وتعالى باتباع الشيعة المؤمنين الذين هداهم الله للحق مع اختلاف الناس في الأداء ، ونصّ أيضا على أنهم لا يخطأون إذ حكم للسائرين فيهم الآخذين عنهم بالأمن ولا يكون إلا الأمن من الخطاء ، فأثبت صحة مجاهدتهم في الله لترتب الآثار عليهم وهي الهداية

---

[1] النساء ٦٥ [2] سبأ ١٨

[3] لم نقف على هذه الرواية بعينها ولكن وجدنا ما يقرب منها وهو ما روي في الاحتجاج ٣٢٧ حيث قال عليه السلام ((فنحن القرى التي بارك الله فيها وذلك قول الله عز وجل ، فمن أقر بفضلنا حيث بينهم وبين شيعتهم القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة ، والقرى الظاهرة الرسل والنقلة عنا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا)) .

وقد قلنا أن المجاهدة في العلم لا تكون إلا كما ذكرنا وكلما سواه طريق الهلاك والبوار وسبيل الخسران والنار .

ثم إن كل شيء لما كان له ثلاث جهات جهة إلى الحق وجهة إلى نفسه من حيث أنه أثر لغيره وجهة إلى غيره من حيث ارتباطاته لترتب نظام معيشته في دنياه وآخرته عليه ، ولكل مقام أحكام واقتضاءات تجري على ذلك المقام ولكل مرتبة دليل خاص بتلك المرتبة ، فللثالثة دليل المجادلة وللثانية دليل الموعظة الحسنة وللأولى دليل الحكمة ، وفي كل مقام يجب تحقق تلك الخصال كلها من الوجودية والعدمية ، فيكون للعارف من المؤمنين الممتحنين والشيعة المخلصين أربعة وعشرين دليلا وميزانا في معرفة كل شيء ، وفي كل شيء واحد ربما يتطرق فيه الخطأ ، وأما إذا اجتمعت فيمتنع ذلك لما ذكرنا ، فإذا عجز عن إتيان هذه الأمور كلها في شيء من الأشياء وإن تمكن عنه في أغلبها وأكثرها فذلك لا يوثق به ، وأما إذا كان في كل شيء بحيث لا يشذ عنه شيء أتى بالمذكورات فهو المؤمن الذي امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام ووجب على الخلق اتباعه والاقتداء به فيما يجهلون من أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم وعقباهم وهوالقليل من المؤمنين وهو أعز من الكبريت الأحمر ، وهؤلاء الذين عندهم من الأسرار ما لا يتحمله إلا الصديقون والأبرار فإذا سمعت منهم شيئا فلا تقابله بالإنكار وسلم الأمر له تسلم بشرط تحقق الأمر الثاني فيهم كما نذكره إنشاء الله ، فإذا رأيت فيهم ما

يخالف ذلك فتبرأ منهم فإنهم أعداء الدين وخصماء النبيين وخلفاء الشياطين هذا الذي ذكرنا هوعلامة أهل الحق في العلم .

وأما العلامة الثانية وهي العمل وهو أن تكون جميع أعماله وأقواله كلها مطابقة لما عليه الشريعة الغراء النبوية العامة للمخلوقين كلهم فلا ينكر شيئا منها بادعاء أن الباطن غير الظاهر وأن هذه الأعمال لأهل الظاهر وأما المطلوب من العارفين فإخلاص القلب ولطافة السر لا هذه الأعمال المشترك فيها العوام وسائر الخلق فإن ذلك من صفات الفسقة أهل الجور حيث تثاقلوا عن الطاعات ، بل يكون المؤمن كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بعض صفاتهم لهمام وأنا أذكر الحديث إنشاء الله بطوله لما فيه من المنافع الجليلة وإظهار أهل الحق وامتيازه عن أهل الباطل روى الكليني بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال ((قام رجل يقال له همام وكان عابدا ناسكا مجتهدا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهويخطب فقال يا أمير المؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه فقال عليه السلام يا همام المؤمن هوالكيس الفطن بشره في وجهه وحزنه في قلبه أوسع شيء صدرا وأذل شيء نفسا زاجر عن كل فان حاض على كل حسن لا حقود ولا حسود ولا وثّاب ولا سباب ولا عيّاب ولا مغتاب يكره الرفعة ويشنأ السمعة طويل الغم بعيد الهم كثير الصمت وقور ذكور صبور شكور مغموم بفكره مسرور بفقره سهل الخليقة لين العريكة رصين الوفاء قليل الأذى لا متأفك ولا متهتك إن ضحك لم يخرق وإن غضب لم ينزق

ضحكه تبسم واستفهامه تعلم ومراجعته تفهم كثير علمه عظيم حلمه كثير الرحمة لا يبخل ولا يعجل ولا يضجر ولا يبطر ولا يحيف في حكمه ولا يجور في علمه نفسه أصلب من الصلد ومكادحته أحلى من الشهد لا جشع ولا هلع ولا عنف ولا صلف ولا متكلف ولا متعمق جميل المنازعة كريم المراجعة عدل إن غضب رفيق إن طلب لا يتهور ولا يتهتك ولا يتجبر خالص الود وثيق العهد وفيّ العقد شفيق وصول حليم خمول قليل الفضول راض عن الله عز وجل مخالف لهواه لا يغلض على من دونه ولا يخوض فيما لا يعنيه ناصر للدين محام عن المؤمنين كهف للمسلمين لا يخرق الثناء سمعه ولا ينكي الطمع قلبه ولا يصرف اللعب حكمه ولا يطلع الجاهل علمه قوال عمّال عالم حازم لا بفحّاش ولا بطيّاش وصول في غير عنف بذول في غير سرف ولا بختّال ولا بغدّار ولا يقتفي أثرا ولا يحيف بشرا رفيق بالخلق ساع في الأرض عون للضعيف غوث للملهوف لا يهتك سترا ولا يكشف سرا كثير البلوى قليل الشكوى إن رأى خيرا ذكره وإن عاين شرا ستره يستر العيب ويحفظ الغيب ويقيل العثرة ويغفر الزلة لا يطلع على نصح فيذره ولا يدع جنح حيف فيصلحه أمين رصين تقي نقي زكي رضي يقبل العذر ويجمل الذكر ويحسن بّالناس الظن ويتهم على العيب نفسه يحب في الله بفقه وعلم ويقطع في الله بحزم وعزم لا يخرق به فرح ولا يطيش به مرح مذكر للعالم معلم للجاهل لا يتوقع له بائقة ولا يخاف له غائلة كل سعي أخلص عنده من سعيه وكل نفس

أصلح عنده من نفسه عالم بعيبه شاغل بغمه لا يثق بغير ربـه غريـب وحيـد جريد حزين يحب في الله ويجاهد في الله ليتبع رضاه ولا ينتقم لنفسه بنفسه ولا يوالي في سخط ربه مجالس لأهل الفقر مصادق لأهـل الصـدق مـؤازر لأهـل الحق عون للغريب أب لليتيم بعل للأرملة حفي بـأهل المسكنة مرجولكـل كريهة مأمول لكل شدة هشّاش بشاش لا بعباس ولا بجسـاس صليـب كظـام بسام دقيق النظر عظيم الحذر لا يجهل وإن جهل عليـه يحلـم ولا يبخـل و إن بخل عليه صبر عقل فاستحيا وقنع فاستغنى حياءه يعلـوا شـهوته ووده يعلـوا حسده وعفوه يعلوا حقده ولا ينطق بغير صواب ولا يلبس إلا الاقتصاد مشيه التواضع خاضع لربه بطاعته راض عنه في كل حالاتـه نيتـه خالصـة أعمالـه ليس فيها غش ولا خديعة نظره عبرة وسكوته فكرة وكلامه حكمـة مناصحـا متباذلا متواخيا ناصح في السر والعلانية لا يهجر أخاه ولا يغتابه ولا يمكر بـه ولا يأسف على ما فاته ولا يحزن على ما أصابه ولا يرجو مالا يجوز له الرجـاء ولا يفشل في الشدة ولا يبطر في الرخاء يمزج الحلم بـالعلم والعقـل بالصـبر تراه بعيدا كسله دائما نشاطه قريبا أمله قليلا زللـه متوقّعا لأجله خاشعا قلبه ذاكرا ربه قانعة نفسه منفيا جهله سهلا أمره حزينا لذنبه ميّتة شـهوته كظومـا غيظه صافيا خلقه آمنا منه جاره ضعيفا كبره قانعا بالذي قـدّر لـه متينـا صـبره محكما أمره كثيرا ذكره يخالط الناس ليعلـم ويصمـت ليسـلم ويسـأل ليفـهم ويتجر ليغنم لا ينصب للخير ليفخر به ولا يتكلّم ليتجبر به على من سـواه

نفسه منه في عناء والناس منه في راحة أتعب نفسه لآخرته فأراح الناس من نفسه إن بغي عليه صبر حتى يكون الله الذي ينتصر له بعده ممن تباعد منه بغضٌ ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده تكبرا ولا عظمة ولا دنوه خديعة ولا خلابة بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير فهو إمام لمن بعده من أهل البر ، قال فصاح همّام صيحتة ثمّ وقع مغشيا عليه فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما والله لقد كنت أخافها عليه ، وقال هكذا تصنع الموعظة البالغة بأهلها ، فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ، فقال عليه السلام : إن لكل أجل لن يعدوه وسبب لا يجاوزه فمهلا لا تعد فإنما نفث على لسانك الشيطان))[1] ، فهذه الأوصاف هي علامات لإيمان المؤمن العارف بالله عز وجل ، فبهذه الأوصاف والأعمال تصفو قابليته وتزكو سريرته فيشرق على قلبه نور اليقين وعلى فؤاده نور المحبة وعلى صدره نور العلم فكلما ازداد حبا ويقينا وعلما ازداد عملا وتوجها وإقبالا فازداد استنارة واستضاءة لأن الله عز وجل قريب المسافة فمن دعاه أجابه ومن سأله أعطاه ، فإذا استنارت قابليته تحملت لظهورات المثال ، وتلك الظهورات ليست عند من كثفت قابليته وخبثت أعماله ، فإذا تكلم مثل هذا الشخص بشيء من الأسرار فيصلق ولا ينكر عليه لأنه لا يقول شيئا يخالف ما عليه عامة المسلمين الموحّدين و إن لم يدركوا وجه المطابقة كما أن مولانا وسيدنا القائم عجل الله فرجه يخبر

---

[1] الكافي ٢ / ٢٢٦

أصحابه بتلك الكلمة فيتفرّقون عنه عليه السلام سوى الوزير و أحد عشر نقيبا فإذا تفرّقوا وجالوا الأرض ولم يجدوا ملجأ غيره يأتونه مسلّمين قابلين لعلمهم بأنه عليه السلام معصوم لا يخطأ ، فكذلك إذا وجدت شيعتهم يتخلّقون بأخلاقهم ويتأدّبون بآدابهم ولا يخالفونهم بأقوالهم وأعمالهم فتظهر فيهم نقطة مثالهم فيصدر عنهم مثل أقوالهم وأعمالهم في مقام (لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك) وهذا التصديق لا يكون إلا بعد الاختبار بالعلامات المذكورة ، مع أن المخلصين من الشيعة لم يظهر منهم ما هوصريح مخالفة عقول الخلق ولا يظهرون الحكمة لغير أهلها كيف وإن إذاعة سرّهم عليهم السلام من أفسق الفسق وهم لا يتجرّؤن إلى مثل ذلك ، وأما الصوفية فيأبى الله إلا أن يفضحهم ويظهر للناس شناعة أحوالهم ومكابرتهم مع الله وإدبارهم عنه لئلا يتسلط المنافقون على المؤمنين ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ، و إذا أردت أذكر شناعة أمرهم ووقاحتهم وفضائحهم عموما وخصوصا يطول به الكلام فعليك بمطالعة كتب العلماء المدوّنة فيهم وفي صفاتهم و أعمالهم و إن تكتّموا وتستّروا وأخفوا قبائح أمرهم فعلى الله سبحانه أن يظهرها ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة ، إلا أن الذين غضت الشبهات أعينهم وأبصارهم بسوء أعمالهم ورداعة ميولاتهم فلا يرون تلك القبائح ولا يرونها قبائح يرون أقبح ما يأتونه حسنا ، فلا يعتمد إذاً في ما يقولون ويجب الإعراض عما يصفون فإن ما عندهم إنما أتى

من الخزائن السوأى من سجين قد تصاعد إليهم بمعونة الشياطين ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾[1] ﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴾[2] فظهر لك بعون الله أن الصوفية أو المتصوّفة أو غيرهم من المتعسفين لا يمكنهم الاحتجاج لباطلهم بمثل تلك الأخبار السالفة وبقوله عليه السلام في هذه الخطبة ((ولولا خوفي عليكم)).

---

[1] الأنعام ١٢١

[2] الأنعام ١١٣

وقوله عليه السلام لأخبرتكم بما كانوا وما أنتم فيه وما تلقونه إلى يوم القيامة

يريد عليه السلام بذلك أحوال المبدأ والمعاد والمآل وضمير الجمع يعود إلى من تقدم مع آدم الأول ، وهذا سر غزير وباب غامض لا يطلع عليه على الواقع سواهم عليهم السلام لكن المنقطعين إليهم والطارقين لأبوابهم قد تعلموا منهم عليهم السلام شيئا يسيرا من ذلك الباب وهوجزء من مائة ألف جزء من رأس الشعير مما ظهر لأهل الرتبة الثالثة أي الرتبة الإنسانية ، فاعلم أنا قد ذكرنا سابقا أن العالم الأول عالم الوجود المطلق وآدم الأول المشيئة وحواء أرض الإمكان الرّاجح وأول الأولاد أو الظهورات أو الهابط الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم فكانت المشيئة هي العرش والحقيقة هي الماء فكان مستويا عليه ، أي كانت المشيئة ظاهرة في الحقيقة المحمدية لأن المشيئة هي محل الإمدادات والفيوضات والتكاليف التكوينية والتشريعية فكانت هي الدين والحقيقة على الماء الذي به كل شيء حي ، وهي العلم الساري المتعلق بكل معلوم موجود من غيب

وشهود كما قالواعليهم السلام ((نحن معانيه ونحن علمه ونحن حقه)) الحديث ، فبقي العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض أي سموات عالم الوجود المطلق وأرضه لأنّ كل عالم فيه العرش والكرسي والسماء والأرض والبر والبحر ، ففي عالم الوجود المطلق العرش هوالمشيئة وبحر الصاد والمزن والنون الذي تحت العرش هوالحقيقة المقدسة النبويةصلى الله عليه وآله وسلم ولذا أتاه الوحي ليلة المعراج ((ادن من صاد وتوضأ لصلاة الظهر)) لأن الظهر أول الظهور وبدء لمعان النور والسموات هم الأئمة الاثنى عشرعليهم السلام حملة فيوضات العرش وإمداداته كما قالواعليهم السلام ((نحن محالّ مشيئة الله وألسنة إرادته وتراجمة وحيه)) والأرض هي فاطمة الصديقة الطاهرة عليها السلام لأنها محل تلك الأنوار ومثبت تلك الأزهار فهؤلاءعليهم السلام أول من تقدم مع آدم الأول فكان العرش على الماء قبل خلق السماوات والأرض في المشارق ، روي أن رجلا قال لأمير المؤمنين عليه السلام ((كم كان العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض قال عليه السلام : أتحسن أن تحسب ، قال : بلى ، قال عليه السلام : أخاف أن لا تحسن ، قال : بلى ، فقال عليه السلام : لو صب خردل في الهواء بحيث سد الفضاء و ملأ ما بين الأرض والسماء ثم لو عمرت مع ضعفك أن تنقل حبة حبة من المشرق إلى المغرب حتى ينفد لكان ذلك أقل من جزء من المائة ألف جزء من رأس الشعير مما بقي العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض

وأستغفر الله عن التحديد بالقليل))[1] فإن أردت بالعرش والسموات والأرض ما ذكرنا فيكون هذا التقدير تقريب ثمانين ألف سنة من سني مبادئ الوجود المقيد في السنين والأعوام المعروفة بين العوام ، وفي الحقيقة هذا تقريب للنوع ويحق الاستغفار بالقليل لأن كل السنين والأعوام من الوجود المقيد الذي عندنا كلها منقطعة عند نقطة من تلك السنين والأعوام فأين تقدّر تلك السعة والفسحة بهذه الأمور التي هي كالنقطة الفانية بالنسبة إلى سعة العرش الذي كل السموات والأرض بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة قي والكرسي مع المجموع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة قي و أستغفر الله عن التحديد بالقليل ، ثم هذا العرش الظاهر بالماء تنزل في أطواره وشئوناته بمشيئة الله وقدرته إلى ما لا يحصى من المراتب ولا يتناهى من العدد وقد أشير إلى نوع هذه التنزلات والكسر والصوغ الواقفين في مراتب الوجود بقوله عليه السلام على ما رواه في جامع الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله قال

[1] لم نعثر على هذه الرواية بهذا النص ولكن وجدنا ما يقرب منها وهي ما ذكر في إرشاد القلوب ٢٧٧ ((قال الرجل : فكم مقدار ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ، قال علي عليه السلام : أتحسن أن تحسب ، قال نعم ، قال للرجل : لعلك لا تحسن أن تحسب ، قال : بلى إني لأحسن أن أحسب ، قال علي عليه السلام : أرأيت إن صب خردل في الأرض حتى سد الهواء وما بين الأرض والسماء ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من مقدار المشرق والمغرب وفي مد عمرك وأعطيت القوة على ذلك حتى تنقله وأحصيته لكان ذلك أيسر من أن أحصي عدد أعوام ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ، وإنما وصفت منقصة عشر عشر لعشر من جزء من مائة ألف جزء ، وأستغفر الله عن التقليل والتحديد))

: قال رسول الله ﷺ ((إن موسى سأل ربه أن يعرفه بدء الدنيا منذ خلقت ، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام : تسألني عن غوامض علمي ، فقال : يا رب أحب أن أعلم ذلك ، فقال : يا موسى خلقت الدنيا منذ مائة ألف ألف عام عشر مرّات وكانت خرابا خمسين ألف عام ، ثم بدأت في عمارتها فعمرتها خمسين ألف عام ، ثم خلقت فيها خلقا على مثال البقرة يأكلون رزقي ويعبدون غيري خمسين ألف عام ، ثمّ أمتّهم في ساعة واحدة ثم خربت الدنيا خمسين ألف عام ثم بدأت في عمارتها فعمرتها خمسين ألف عام فمكثت عامرة خمسين ألف عام ، ثم خلقت فيها بحرا فمكث البحر خمسين ألف عام لا شيء مجاجا من الدنيا يشربه ، ثم خلقت دابة وسلّطتها على ذلك البحر فشربته بنفس واحد ، ثم خلقت خلقا أصغر من الزنبور وأكبر من البقّ فسلطت ذلك الخلق على هذه الدابة فلدغها وقتلها فمكثت الدنيا خرابا خمسين ألف عام ، ثم بدأت في عمارتها فمكثت خمسين ألف سنة ، ثم جعلت الدنيا كلّها آجام القصب وخلقت السلاحف وسلّطتها عليها فأكلتها حتى لم يبق منها شيء ثم أهلكتها في ساعة واحدة فمكثت الدنيا خرابا خمسين ألف عام ، ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام ، ثم خلقت ثلاثين آدم ومن آدم إلى آدم ألف سنة فأفنيتهم كلهم بقضائي وقدري ، ثم خلقت فيها خمسين ألف ألف مدينة من الفضة البيضاء وخلقت في كل مدينة مائة ألف ألف قصر من الذهب الأحمر فملأت المدن خردلا إلى الهواء

والخردل يومئذ ألذّ من الشهد وأحلى من العسل وأبيض من الثلج ، ثم خلقت طيرا واحدا أعمى وجعلت طعامه في كل سنة حبة من الخردل أكلها حتى فنيت ، ثم خرّبتها فمكثت خرابا خمسين ألف عام ، ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة ألف عام ، ثم خلقت أباك آدم بيدي يوم الجمعة وقت الظهر ولم أخلق من الطين غيره و أخرجت من صلبه النبي محمدا عليه الصلاة والسلام))[1] وهذه المراتب هي مراتب تنزلات الوجود وشئونات أطوار آدم الأوّل .

قوله تعالى ((خلقت الدنيا منذ ألف ألف عام عشرّ مرات)) يريد به والله أعلم ما ذكرناه سابقا في كيفية تعدد العوالم والآدميين إلى ألف ألف من ضبط نسب تلك المراتب أو لمجرد الكثرة على ما مضى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في مدّة إقامة العرش على الماء قبل خلق الأرض والسماء ، وقوله تعالى ((فكانت خرابا خمسين ألف عام)) يريد بالخراب حل الشيء مقام الخلق الأول قبل نشوء الصّورة وتمام الهيئة بل رتبة الحلّ وصلوح النسبة قبل التعين والتشخص ، وبالخمسين ظهور الهاء في الياء لأن مقام التعلق والارتباط مقام النون في كن أي مقام الابداع لا الاختراع لأنه محل النشء والتفصيل فالمتعلَّق على حسب المتعلِّق بكسر اللام فيحكى مثاله ، وأما عدد الألف فلظهور تمام التربيع فيه وهو شكل الائتلاف

[1] جامع الأخبار ١٢٥ - ١٢٦

والائتلاف إنما يتحقق بالابداع ، فالمربع شكل الابتداع والمثلث شكل الاختراع والجامع لرتبة مقام الابتداع في العدد هوالألف فلذا وقع التعبير عن هذه الحقيقة بخمسين ألف عام وهذا إشارة إلى إقبال العقل وإدباره ، فأشار سبحانه وتعالى إلى كيفية بدء الوجود المقيد لظهور التركيب فيه يمكن تقدير الأوقات والأزمنة والابتداء والانتهاء فيه بخلاف الوجود المطلق فإنه صرف البساطة فأول تنزل العقل إلى مقام الروح قبل أن يكمل مقام الروح بل قبل أن يكمل العقد الأوّل من الحل الأوّل والخراب إشارة إلى محض الحلّ الأول ، وقوله تعالى ((ثم بدأت في عمارتها فعمرتها خمسين ألف عام)) يريد بالعمارة العقد الأول والمدة كما ذكرنا لك ، وقوله تعالى ((ثم خلقت فيها خلقا على مثال البقر)) وهو تمام الحل والعقد الثانيين و إكمال حقيقة الرّوح وهو البقرة الصفراء التي فاقع لونها تسرّ الناظرين وقد قال عليه السلام ((إن البقرة خلقت من زعفران الجنة)) وذلك المقام في الطبيعة حارّ رطب ومقتضى لونه الصّفرة كما هوالحق ، وقوله تعالى ((يأكلون رزقي ويعبدون غيري)) وذلك لأنه في مقام التنزل وقوس الإدبار ونظر التنزل المدبر إلى الإنية المشتركة والماهية الكافرة ، قوله تعالى ((ثمّ أمتهم في ساعة واحدة)) هو أمر العقل بالتّنزّل من مقام الروح إلى الآخر والموت والوفاة هوالانتقال من دار إلى دار كما قال تعالى ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[1] الآية ،

---

[1] آل عمران ٥٥

قوله تعالى ((ثم خربت خمسين ألف عام ثم مكثت عامرة خمسين ألف عام)) على ما مضى من حكاية الحلّ والعقد الأولين ، وقوله تعالى ((ثم خلقت فيها بحرا)) وهوالبحر الأخضر أواسط الملكوت وهو بحر النفوس عالم الذرّ الأول قبل وقوع التكليف عليهم كانت بحرا واحدا غير ممتازة بالصورة والخلقة الظاهرية والباطنية وقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[1] ، وقوله تعالى ((ثم خلقت دابة)) وهي الصورة التميّزية وبها يدب الشيء ويدرج ويسعى إلى وكره ومستقره ويستحق له اسما ورسما وصفة و أحوالا وهي التي جففت البحر الذي هوالذوبان والسيلان والصلوح لكل صورة وكل واحد فتجفف واختصت كل حصة منه بما ليس من الصورة من السعادة أو الشقاوة ، وقوله تعالى ((ثم خلقت خلقا أصغر من الزنبور وأكبر من البقّ)) يريد به سبحانه عالم الطبيعة إنما كان أصغر من الزنبور ولأن المراد به النحل وهو الخلق الأول منتحل العلم والمعرفة والإدراك وعالم الطبيعة تحت الخلق الأول ومقام فقدان الإدراك والشعور فتكون أصغر من الزنبور ، وأكبر من البق لأن المراد به عالم الأجسام أدنى الموجودات والعوالم بقاء وأكثرها اضمحلالا و انقطاعا وعالم الطبيعة فوق عالم الأجسام وهي من أعالي أسافل الدهر ، قوله تعالى ((فسلّطتها عليها))

---

[1] يونس ١٩

يريد به بطلان تركيب النفوس و اضمحلال صورها وتشخّصاتها ورجعت كما كان أوّلا إما بحر الماء أو بحر التراب ، قوله تعالى ثم ((جعلت الدنيا كلها آجام قصب)) يريد به عالم المواد وجوهر الهباء و إنما هي أجمة لأنها آخر المجردات ليست بتجرد الأرواح والعقول ولا بكثافة الأجسام كالأجمة ليس بكثافة الأرض ولا بلطافة ماء الخالص والقصب هو ذكر الصور والهيئات الكامنة فيها المستأهلة لظهورها لكن لما كانت جهة التجرد فيها غالبة خرجت على هيئة القصب من الميل إلى الأعلى والظهور بالعقود التي نقوش مراتب ما مضى عليها من الأحوال ولما كان الاختلاف الصوري فيها منتفيا ظهرت كلها قصبات ، قوله تعالى ((ثم خلقت السلاحف وسلّطتها عليها فأكلتها)) ذلك عالم المثال لغلظة ظاهره وقشره لارتباطه بعالم الأجسام مقام النقش والارتسام وهوحجاب أسود غليظ ورقة باطنه لكونه متوجها إلى العالم الأعلى بذاته وحقيقته وكيفية الأكل كما ذكرنا آنفا من غيبة كل مادة في بطن الصورة ، قوله تعالى ((ثم أهلكتها في ساعة واحدة)) يريد به تمام حكم اضمحلال تأثيره من حيث نفسه والصعود إلى رتبة أعلى وهو مقام التركيب الأول في الحلّين والعقدين ، قوله تعالى ((ثم خلقت ثلاثين آدم من آدم إلى آدم ألف سنة)) يريد به ظهورات المراتب التي كانت في القوس النزولي وكانت مستجنة في المادة فهي الأصول التي عليها مدار الوجود وهي القلب والصدر والعقل والعلم والوهم والوجود والخيال والفكر والحياة والجسد

كل منها في ثلاث مراتب عليا ووسطى وسفلى أي نسبته إلى مبدئه وإلى نفسه وإلى غيره وكل أصل آدم له أولاد تشعب منه كما ذكرنا فيما تقدم مفصلا ، قوله تعالى ((فأفنيتهم كلهم)) يريد به اضمحلال ذكرهم ونسيان أمرهم حيث ابتدأ بخلق الأجساد والقشور فلا ذكر لها فيها فإن ذلك مراتب الأقطاب وما بعدهم مراتب الدوائر والكرات المستديرة عليها ، قوله تعالى ((ثم خلقت فيها خمسين ألف ألف مدينة .. إلخ)) يريد به خلق السموات والأرض لأنها مدينة للآدميين كلّهم وإنما كانت خمسين لاشتمال كل من السموات على المتممين والخارج المركز والتدوير المثل الذي هو المجموع وهذه الخمسة إذا ضربت في نفسها عند ملاحظة نسبها وأوضاعها تكون خمسة وعشرين وهي إذا ثنيت بالغيب والشهادة تكون خمسين ، وأما الألف فلما ذكرنا من أن هذه السموات مظاهر الابتداع وشكله التربيع والجامع لهذه الرتبة هوالألف في الأعداد ولذا قال من الفضة البيضاء ، قوله تعالى ((فملأت المدن خردلا)) والخردل هومواد الفيوضات والإمدادات الجسمانية الكامنة في المبادئ العالية من السموات ، والطير الأعمى هوالحد الجسمي المفني بظهور تلك الحبوب فتغيب الحبة بحكمها وظهورها في ذلك الحد وكونه أعمى لجموده وعدم مشاهدته للأنوار العالية لأنه مظهر الاسم المميت ، قوله تعالى ((ثم خربتها)) إشارة إلى الحل للتركيب الثانوي في مقام التوليد الجمادي والنباتي والحيواني والإنساني فالعمارة هي العقل

الأول من ذلك الحل ، قوله تعالى ((ثم خلقت أباك آدم .. إلخ)) يريد به أول ما نشأ وظهر من التركيب الثانوي في الحد الجسمي في الكون النوري ، ويداه سبحانه فاليمنى بها مبدأ النور والخير واليسرى بها مبدأ الظلمة ، وهما قد عجنت في طينة أدم عليه السلام ، وقت الظهر هو ظهور المبدأ وبدء وجود الشيء ، وقوله تعالى ((ولم أخلق من الطين غيره)) هو دليل ما ذكرنا من التفسير بعد ملاحظة الترتيب فتلك المراتب المتقدمة كلها أنوار وأرواح مجردة والماديّات أيضا أنوار لم تخلق من الطين والمراد منه الطين المركب من العناصر الأربعة المعروفة لا المجرّدات من عناصر هورقليا وجابلصا وجابلقا وهذه المراتب هي مراتب أطوار آدم الأول في عالم الوجود المقيد .

وأما آدم الأول في عالم الوجود المطلق حامل الاسم الأعظم فقد تطوّر بحمل الأسماء من القدس والإضافة والخلق ثم ظهر في اسم الرحمن فكان عرشا لاستوائه عليه ثم ظهر في حجاب الملائكة العالين ثم تجلى للكرّوبيين فظهر لهم بهم حتى عرفوه وتلقوا منه ولقنهم ما حمله ربه من أسرار الرئاسة الكلية والجزئية ثم لبس لباس الأنبياء وذلك اللباس هوالمثال الملقى في هويتهم وذلك بدن نوراني لا روح له ، ثم ظهر في الحجاب الأسفل رتبة الإنسان وتقلب في صورهم حيث شاء الله من أول ظهور آدم إلى خاتم الأنبياء عليه وعليهم أفضل الثناء والصلاة فصارت الهياكل هياكله والأشباح أشباحه والصور صوره والمواد مواده والإضافة في هذه الأشياء كلها لاميّة ، وأريد بها

التمليك والاختصاص لا الحقيقة كما أن السراج المتجلي في المرايا يكون كل تلك الصور والأشباح الظاهرة فيها للسراج ، ثم ظهر لفرعون لابسا لباس الذهب وقابضا برمح من الذهب لما أراد فرعون أن يقتل موسى وهارون فمنعه عن قتلهما ، ثم ظهر لسلمان في حال طفوليته لما أراد السبع أن يفترسه فنجاه منه بإذن الله ، ثم ظهر لفاطمة بنت أسد قبل بلوغها وحال طفوليتها ونجاها من السبع ، ثم ظهر لطلحة بن عبدالله بما ظهر وقتله حتى قال طلحة لمن كان عنده أما تراه كيف يصعد إلى السماء وينزل إلى الأرض ويذهب إلى المشرق والمغرب ويقاتل بالسيف ويرمي بالنبل ويقول مت يا عدوالله فيموت في ساعته ، ثم ظهر لجبرائيل عليه السلام حين سأله ربه من أنا ومن أنت وما اسمي وما اسمك ولم يدر الجواب فقال له قل أنت ربي وأنا عبدك اسمك الجليل واسمي جبرائيل ، ثم ظهر بالكوكب الذي يطلع بعد ثلاثين ألف سنة وقد رآه جبرائيل ثلاثين ألف مرة في جبهته الشريفة ، ثم تلك العوالم والمراتب المتقدمة في الحديث من المخرب لها والعامر لها في تلك المدد المتطاولة والله سبحانه لا يباشر الأشياء لأنه مكرم عن ذلك ، وأخبر الله سبحانه بالمقوم المباشر حيث قال ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[1] القبضة باليد وهي علي عليه السلام

---

[1] الزمر ٦٧

واليمين هو علي عليه السلام ، فإذا كانت السموات والأرض مقهورة ومضمحلة ومطوية عنده ولديه فما ينكر منه مثل ما ذكرنا لا بل الأمر أعظم وأعظم وأعظم فلا ينكر ما ذكرنا إلا المنكر لقدرة الله وعظمته وكرامة الله في أوليائه منّة من الله سبحانه عليه وكرامة منه إليه لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وما طوينا وكتمنا من الأسرار خوفا من الأشرار أكثر مما سطرنا تذكرة لأولي الأبصار وتنبيها لأهل الاعتبار .

وهذا و أشباهه من المراد من قوله عليه السلام ((لأخبرتكم بما كانوا)) أي آدم الأول ((مع من تقدم)) وقد أشرنا إلى نوع ما صاروا إليه مجملا في عالم الذرّات وقس عليه الصفات وحكم الوجودات الشرعية من الأعمال وإجراؤها حسب الأحكام وأجزاء الأحكام حسب القوابل وإظهار نقطة العلم اللّدني العرفاني في مرتبة الشرائع فكانت ستة كلية تشهد بمثناها على تمام حروف لا إله إلا الله وتمام الدورة الشمسية في البروج والسنة القمرية في الشهور فالشريعة واحدة والنبي واحد والوصي واحد والكتاب واحد والاختلاف بالقابليّات كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1] ، والأنبياء نوّاب وكلّهم لإتمام الكلمة وإتمام ظهور النعمة التي إن تعدّوها لا تحصوها ، والكلمة هي الكلمات التي لو كان ما فيه الأرض

---

[1] الرعد ١١

من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله وهي الكلمات التّامات التي لا يجاوزهم بر ولا فاجر وهي الكلمات التي تلقاها آدم فقبلت توبته وهي الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم فأتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماما ، وهكذا الكلام في مقامات كيفية خلق آدم أبينا وحواء أمّنا ودخولهما الجنّة وسجود الملائكة لآدم و إنكار إبليس وإغوائه إياهما وإخراجهما عن الجنة وقتل قابيل هابيل وتزويج الجنية والحورية من شيث ويافث ابني آدم وهلمّ جرّا من الأحوال الواقعة إلى زمان ظهوره ، وكل ذلك آيات وأدلة له عليه السلام أقامها الله سبحانه لأنه روحي فداه يد الله الباسطة ورحمته الواسعة ونعمته السابغة ونقمته الدّامغة وعينه الباصرة وأذنه السميعة ولسانه النّاطق المعبّر عنه واسمه الرضي ووجهه المضي وصراطه العلي وركنه القوي ولطفه الخفي وسره المخفي وعبده المرضي ، فإذا كان كذلك فلا يبعد منه ما ذكرنا عنه تلويحا وإشارة وتصريحا بل الأمر أعظم فقوله عليه السلام ((وما أنتم فيه)) أي الآن من المحن والابتلاء واستيلاء الجور وإخفاء الحق وشيوع الباطل وكثرة الاختلاف وأصله وفرعه ومبدؤه ومنتهاه .

أما أصله فاعلم أن الله عز وجل خلق أصل الفطرة في غاية الصفاء واللطافة لأنها المقصود للإيجاد وأول ما وقع عليه فعل الله سبحانه فوجب أن تكون في اللطافة غايتها وفي الشّرافة نهايتها وفي البهاء أعلاه وفي المجد أسناه ، ثم لما حكم الله على خلقه بالإدبار لتتميم الإقبال فأنزلهم إلى الدّركات

والمهابط ولمّا كانت جهة التعيّن ومقام الإنية تكاثفت كلما نزلت إلى أن انتهت إلى الجماد ثم أمرها بالإقبال فأخذت تصعد إلى الدرجات وتطوي المقامات فأخذت تصعد إلى النبات ثم إلى الحيوان ثم إلى الإنسان فوجد أبونا آدم في هذه المرتبة ، ثم لما كان الكمال كمالين والصوغ صوغين صوغ الأبدان وصوغ الأرواح ولمّا كمل صوغ الأبدان في عالم الظهور أخذ في صوغ الأرواح وهي لما تنزّلت إلى المرتبة الجمادية بمقتضى مقامها أخذت تصعد من أول كونها نطفة إلى علقة إلى مضغة فتمت الرتبة الأولى في شريعة آدمعليه السلام والرتبة الثانية في شريعة نوحعليه السلام والرتبة الثالثة في شريعة إبراهيمعليه السلام والرابعة التي هي رتبة العظام في شريعة موسىعليه السلام والخامسة التي هي رتبة اكتساء اللحم في شريعة عيسىعليه السلام التي هي مقام إنشاء الخلق الآخر الذي هومقام الحيلة من فلك القمر في شريعة محمدصلى الله عليه وآله وسلم ، ولهذه الرتبة مقامات تختلف الأحوال فيها وتتبدل وتتغير تبدلا سيّالا من كون الولد في بطن الأم إلى أن يخرج إلى كونه رضيعا إلى كونه فطيما إلى كونه صبيا إلى كونه مراهقا إلى كونه بالغا إلى كونه تاما في مقام البلوغ وهو ثلاثون سنة إلى كونه كاملا في البلوغ وهو أربعون سنة ، فإذا كان أول ظهوره صلى الله عليه وآله وسلم بشريعته أول مقام ظهور الحيلة وبينه وبين البلوغ الواقعي الكامل الذي هو أربعون سنة تلك المراتب المتقدمة وهي دائمة السيلان والتبدل وتختلف الأحكام بهما فوجب النسخ والاختلاف والتغير والتبديل والزيادة والنقصان وغلبة الرطوبات التي

هي الميولات الشهوانية وبها استيلاء الجور والخلاف وظهور القبائح والشنائع وخفاء العقل وتسلط النفس الأمارة بالسوء وتوجه الحرارة الغريزية التي هي الإمدادات الإلهية والإنبعاثات الشوقية والتوجهات الحقية إلى الباطن أي إلى الاختفاء وعدم الظهور وسكون الجوارح والآلات الغيبية والشهودية عن الارتقاء إلى معالي الدرجات وظهور فصل الشتاء وجمود القرائح وخمود الطبائع وسد المسام وكل ذلك بتقدير الحكيم وتدبير العليم ، ولولا هذا الاختلاف والأوضاع المتشتتة المتفرقة لاحترقت الطبائع وفنيت أو انجمدت وخمدت وما استوت فجرى الأمر بين الأمرين لتنضج الطبائع وتبلغ إلى غاياتها الكمالية وتصير إنسانا وتخرج عن الظلمات البهيمية ، فلو أخبرهم الإمام عليه السلام بهذه الدقيقة والسبب الذي به جرى هذا الاختلاف ولو أراد لجمعهم على كلمة واحدة بحيث لم يختلف اثنان ولكن في ذلك خلاف الاستقامة وخلاف العدل ولأنكروا ولم يقبلوا لما ذكرنا من جمود قرائحهم وخمود طبائعهم ولقالوا كما قال عليه السلام ((لولا خوفي عليكم أن تقولوا جنّ أو ارتد)) فافهم .

وأما مبدأ الاختلاف فاعلم أن الله عز وجل لما خلق النور انعكس عنه الظل الذي هو الظلمة فاستدار النور على التوالي واستدارت الظلمة على خلاف التوالي وهذه المخالفة جرت بينهما فاستدار النور هابطا والظلمة صاعدة لحكم العكس المستوي إلى هذه الدنيا فالتقت الكرتان بنقطة وظهرت

آثار كل في الآخر فاختلط ما حاذى النقطتين من الكرتين بعضها مع الآخر فصارت كل واحدة من الفريقين طبيعتان أصلية وعرضية كلّ تخالف ذاتية الأخرى ، فالميل إلى العرضي يضاد الميل إلى الذاتي فمن هنا جاء الاختلاف والأحكام تجري على مقتضاه إلى أن تفترق النقطتان بالكلية وذلك إذا مات الشخص وتميل النقطتان عن مستقرهما وإن لم يحصل الافتراق التام وهو في قيام القائم عليه السلام، والرجعة والافتراق التام إنما يكون في القيامة وأكمل إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذلك منتهاه ، والخلق قبل أن يقوم القائم عليه السلام في الابتلاء والامتحان ليميز الخبيث من الطيب وليعلم أهل الطبيعة العرضية من الذاتية والعكس وهوقوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1] وقال عز وجل ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[2] وقال عز وجل ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[3] وعن أمير المؤمنين عليه السلام ((لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطنّ سوطة القدر حتى يعود أسفلكم

---

[1] آل عمران ١٤٢ [2] البقرة ١٥٥ – ١٥٦ [3] العنكبوت ١ – ٢

أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقنّ سباقون كانوا قصّروا))[1] الحديث والخلق الآن في أشد ظلمة من الليل الدامس من غلبة الظلم والجور ولكن المصلّين بالليل هم الفائزون وهو قوله تعالى ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾[2] أي النفوس التي تنشأ بالليل لذكر الله سبحانه ولإقامة الصلاة هذا الذي ذكرنا هونوع أحوال الخلق في هذه الأزمان وقبلها وهويريد عليه السلام بقوله ((وما أنتم فيه)) الذي ذكرنا على جهة العموم والكلي ، ويريد به خصوصيات أحوالهم في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم وآدابهم وأطوارهم وما استجن في سرائرهم واستكن في ضمائرهم وما انعقد عليه ضمائرهم وما قويت به عزيمتهم والأسباب والأحوال التي تهيّجت لهم نيران الشوق إلى مآربهم ومطالبهم وحوائجهم ، وما أهل الكوفة عليه من النفاق والشقاق عازمون بذلك المعاندة مع الله رب العالمين وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم .

وأما فرع هذا الاختلاف فهو التقية وتعدد الأحكام الواقعية الثانوية والنفس الأمرية وظهور خباثة الظالمين وبروز بواطن المنافقين المعاندين وهلاك الفاسقين وتخليص المؤمنين من كيد الكافرين وتصفية المخلصين عن شوب لطخ الجاحدين وخروج الشّيعة من أصلاب الفاسقين وخلصوا الأمر

---

[1] الكافي ٨/٦٧ [2] المزمل ٦

لله رب العالمين واللعن والبوار على أعداء الدين وهلاك خلفاء الشّياطين وتطهير الأرض من كل رجس نجس لعين وتخليصها للقوم الصالحين إن الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين فافهم مجمل الأحوال .و

قوله عليه السلام ((وما تلقونه إلى يوم القيامة)) وقد ذكر عليه السلام شرذمة من ذلك في خطبة البيان ولكن ما أظهر لهم فيها السر الذي لوسمعوه لقالوا أنه جنّ أو ارتد وهو مقلب تلك الأحوال ومدبر تلك التدابير والآمر والناهي الذي بيده أزمة التقدير وسيبين لك في هذه الخطبة قليلا من كثير مما يلقونه إلى يوم القيامة ونؤخر شرحه إلى ذلك المقام .

ثم اعلم أن المخاطب بهذه الخطابات كما مرّ في قوله عليه السلام ((أيها الناس)) كل الموجودات لا اختصاص بالمشافهين ولا بالإنسان في كل أفراده بل هو عامّ للأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والإنسان والجن والحيوان والبهائم وحشرات الأرض والجماد والنبات ، وتلك الأحوال الثلاثة جارية للكل إلا أن لكل بنسبة مقامه ، ألا ترى فساد الثمار وقلة الأمطار وتعاور الليل والنهار وعدم إعشاب البراري والقفار وتراكم السحب وأمثال ذلك مع أن في الفطرة الأولى والكينونة الحقيقية خلق الله الدنيا والكواكب كانت في أشرافها وطالع الدنيا سرطان فالشمس في بيت الوتد في الحمل في الدرجة التاسعة عشر والوقت الظهر وقت الصلاة وإسماع صوت الملك ((قوموا على نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم)) وهذا

هو الفطرة الأولى والمقصد الأقصى ، ولما تحركت الأفلاك ومالت الآفاق وخفي نور الشمس عن الإشراق وتراكمت السحب المكفهرة وتصاعدت الأدخنة والأبخرة الفاسدة المدلهمّة وتكاثفت الأجزاء الأرضية وحجبت الشمس عن إشراقها وتلألؤها ولمعانها فتحققت بها الظلمة وسرت في كل شيء من البقول والثمار في الحيوان والإنسان فتولّد بذلك أبدانهم وهكذا في عالم الأرواح والأشباح والبقول والثمار في تلك الأطوار ، والحاصل كل شيء الآن من الغيب والشهادة والروح والجسد مما في الدنيا الوجه السفلي من عالم المثال إلى الأرض الأولى كلّها مشوب مختلّ لا يصفو إلا بين النفختين .

قال عليه الصلاة والسلام ولقد ستر علمه عن جميع النبيين إلا صاحب شريعتكم هذه صلى عليه وآله فعلمني علمه وعلمته علمي

أقول أما الأخبار الدّالة على أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع ما عند الأنبياء عليهم السلام فكثيرة ومن الأنبياء في عالم الظهور محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولاشك أنه صلى الله عليه وآله وسلم أعلم الأنبياء بأجمعهم فيكون ما عندهم مستورا عن الأنبياء كلاً سوى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، روي في الكافي عن عبدالله بن جندب أنه كتب إليه الرضا عليه السلام ((أما بعد فإن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كان أمين الله في خلقه فلما قبض كنّا أهل البيت ورثته فنحن أمناء الله في أرضه عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام ، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق ، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم أخذ الله علينا وعليهم الميثاق يردون موردنا ويدخلون مدخلنا ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم ، ونحن النجباء النجاة ونحن أفراط الأنبياء ونحن أبناء الأوصياء ونحن المخصوصون في كتاب الله عز وجل ونحن أولى الناس بكتاب الله ونحن أولى

النّاس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن الذين شرع الله لنا دينه فقال في كتابه ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم ﴾ يا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ قد وصانا بما وصى به نوحا ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا و استودعنا علمهم ، نحن ورثة أولي العزم من الرسل ﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ ﴾ يا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ وكونوا على جماعة ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ من أشرك بولاية علي عليه السلام ﴿ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ﴾ من ولاية علي عليه السلام إن الله يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ من يجيبك إلى ولاية علي عليه السلام))[1] .

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم وما من نبي مضى إلا وله وصي وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبي وعشرون ألف نبي منهم خمسة أولوا العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإن علي بن أبي طالب عليه السلام كان

[1] الكافي ١/ ٢٢٣ - ٢٢٤

هبة الله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وورث علم الأوصياء وعلم ما كان قبله، أما إن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ورث علم ما كان قبله من الأنبياء والمرسلين على قائمة العرش مكتوب حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء وفي ذؤابة العرش علي أمير المؤمنين عليه السلام فهذه حجتنا على ما أنكر حقّنا وجحد ميراثنا وما منعنا من الكلام وأمامنا اليقين فأي حجة تكون أبلغ من هذا))[1] .

عن أبي عبد الله عليه السلام ((إن سليمان ورث داود وإن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ورث سليمان، وإنا ورثنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم و إن عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور وتبيان ما في الألواح، قال : قلت : إن هذا لهوالعلم، قال : ليس هذا هوالعلم، إن العلم الذي يحدث يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة))[2] .

وعنه عليه السلام ((إن داود ورث علم الأنبياء وإن سليمان ورث داود وإن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ورث سليمان وإنا ورثنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وإن عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى ، فقال أبو بصير : إن هذا لهوالعلم، فقال : يا أبا محمد ليس هذا هوالعلم إنما العلم ما يحدث بالليل يوما بيوم وساعة بساعة))[3] .

---

[1] الكافي ١ / ٢٢٤
[2] الكافي ١ / ٢٢٤ – ٢٢٥
[3] الكافي ١ / ٢٢٥

وعنه عليه السلام ((إن الله عز وجل لم يعط الأنبياء شيئا إلا وقد أعطاه محمدا صلى الله عليه وآله قال وقد أعطى محمد صلى الله عليه وآله جميع ما أعطى الأنبياء وعندنا الصحف التي قال الله عز وجل ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[1]))[2].

وعنه عليه السلام في قوله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾[3] ((الذكر عند الله والزبور الذي أنزل على داود وكل كتاب نزل فهو عند أهل العلم ونحن هم))[4].

وعن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أنه ((سئل عن النبي صلى الله عليه وآله ورث النبيين كلهم ، قال : نعم ، قال السائل : من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه ، قال : ما بعث الله نبيا إلا ومحمد صلى الله عليه وآله أعلم منه ، قال : قلت : إن عيسى بن مريم عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله ، قال : صدقت وسليمان ابن داود كان يفهم منطق الطير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل ، قال : فقال : إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره ﴿ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ حين فقده فغضب عليه

---

[1] الأعلى ١٩
[2] الكافي ١ / ٢٢٥
[3] الأنبياء ١٠٥
[4] الكافي ١ / ٢٢٥ - ٢٢٦

فقال ﴿ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ وإنما غضب لأنه كان يدله على الماء فهذا وهوطائر قد أعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والإنس والجن والشياطين والمردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه وإن الله يقول في كتابه ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان وتحيا به الموتى ، ونحن نعرف الماء تحت الهواء ، وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون جعله الله لنا في أم الكتاب إن الله يقول ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ثم قال ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فنحن الذين اصطفانا الله عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء))[1] .

اعلم أن معنى وراثة أئمتنا عليهم السلام لعلم الأنبياء عليهم السلام هومعنى وراثة الله الأرض حيث يقول عز وجل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾[2] ، ومعنى هذه الوراثة رجوع كل شيء إلى مبدئه وأهله ، وليس أنها

---

[1] الكافي ١ / ٢٢٦   [2] مريم ٤٠   [3] الأعراف ١٢٨

ترجع إلى ذات الله عز وجل وإنما ترجع إلى آثار فعل الله ومحال مشيئته وألسنة إرادته ، وبيّن هذا المعنى في موضع آخر من القرآن حيث يقول عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ والأرض هي العلم والعباد هم المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهم الذين عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، فعلوم الأنبياء والمرسلين كلها تنتهي إليهم عليهم السلام حين ما تبدأ منهم إليهم فمنهم إليهم عين ما إليهم منهم فابتدائها منهم عليهم السلام إلى الأنبياء هو عين انتهائها ورجوعها عنهم إليهم عليهم السلام فحين ما رجعت إليهم لم تخرج عن الأنبياء وحين ما بدأت منهم إلى الأنبياء عليهم السلام لم تخرج منهم كالشمس فنورها منها بدء وإليها يعود ، فعلوم الأنبياء وإن كانت هي علمهم لكنها ليس علمهم حقيقة وإن كان صافي تلك العلوم علمهم في مقام (أنا بشر مثلكم يوحى إلي) ، فنسبة علمهم في هذا المقام إلى علم الأنبياء عليهم السلام نسبة الإكسير الصافي الخالص إلى الحجرة الكدرة الغير الصيقلية ، ومعنى علمهم أي ملكهم وفي قبضتهم كالشعاع الذي هو في ملك السراج والشمس ، وليس تلك العلوم علومهم حقيقة في مراتبهم ومقاماتهم فما عندهم عليهم السلام ستر على غيرهم من الأنبياء والمرسلين والخلق أجمعين وذلك لأن ما عندهم من الاسم الأعظم الذي به مواد العلم وقوامه كما روي أن

بلعم بن باعور قد تعلم اسما واحدا من الاسم الأعظم وكان يملي على أربعة آلاف كاتب كلهم يكتبون من علومه المنشعبة من ذلك الاسم سمعت هذا من شيخي أطال الله بقاه وجعلني فداه ، وقد عبّر الله سبحانه عن الاسم الأعظم بالعلم حيث قال ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وذلك آصف ابن برخيا كان عنده حرف من الاسم الأعظم وقد دلّ العقل والنقل على أنهم عليهم السلام حووا الأسماء العظام كلها ما خلى الاسم الواحد المختص بالله سبحانه ، ومن الأخبار ما روي في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال ((إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفا وحرف واحد عند الله تبارك وتعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم))[1] .

وعن أبي عبد الله عليه السلام ((إن عيسى بن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما ، وأعطي موسى أربعة أحرف ، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف ، وأعطي نوح خمسة عشر حرفا ، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفا ، وإن الله تبارك وتعالى جمع ذلك كله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن اسم الله الأعظم ثلاثة

---

[1] الكافي ١ / ٢٣٠

وسبعون حرفا أعطى محمدا صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفا وحجب عنه حرف واحد))[1] .

وعن أبي الحسن العسكري عليه السلام ((اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفا كان عند آصف حرف فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيّره إلى سليمان ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين ، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفا وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب))[2] .

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال عليه السلام ((إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخر كأنه في كفّي فيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر ما كان وما هوكائن قال الله عز وجل (فيه تبيان كل شيء)))[3] .

وعنه عليه السلام قال ((﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ففرج أبوعبد الله بين أصابعه فوضعها في صدره ثم قال وعندنا والله علم الكتاب كله))[4] .

---

[1] الكافي ١ / ٢٣٠
[2] الكافي ١ / ٢٣٠
[3] الكافي ١ / ٢٢٩
[4] الكافي ١ / ٢٢٩

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ((إيّانا عنى وعلي عليه السلام أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي عليه السلام))[1] .

وعن أبي عبد الله عليه السلام يقول ((إن عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس و إن الناس ليحتاجون إلينا وإن عندنا كتابا إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ علي عليه السلام صحيفة فيها كل حلال وحرام ، وإنكم لتأتون بالأمر إذا أخذتم به ونعرف إذا تركتموه))[2] .

وعن معمر بن خلاد قال سأل أبا الحسن عليه السلام رجل من أهل فارس فقال له ((أتعلمون الغيب فقال قال أبوجعفر عليه السلام يبسط لنا العلم فنعلم ويقبض عنا فلا نعلم ، وقال : سر الله عز وجل أسره إلى جبرائيل عليه السلام وأسره جبرائيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأسره محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى من شاء الله))[3] .

وقال أبوجعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ ((فإن الله عز وجل عالم بما غاب عن خلقه فيما يقدر من شيء ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يقضيه إلى الملائكة فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشيئة فيقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلا

---

[1] الكافي ١/٢٢٩ [2] الكافي ١/٢٤١ [3] الكافي ١/٢٥٦

يمضيه ، فأما العلم الذي يقدره الله عز وجل فيقضيه ويمضيه فهوالعلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم إلينا))[1] .

فإذا أتقنت هذه الأخبار ونظرت إليها بصحيح الاعتبار علمت أن ما عند أئمة الهدى عليهم السلام من العلوم مستور مخفي عند كل الأنبياء والمرسلين كما قال مولانا الصادق عليه السلام ((لوكنت بين موسى والخضر لأنبأتهما أني أعلم منهما))[2] و أخبرني شيخي أطال الله بقاه عمّن رواه عن أحدهم عليهم السلام (إن موسى وخضر كانا قاعدين على ساحل البحر إذ أتى طير فأخذ بمنقاره قطرة من الماء فرمى بها إلى نحوالمشرق ثم أخذ قطرة أخرى فرمى بها نحو المغرب ثم أخذ قطرة أخرى فرمى بها نحوالسماء ثم أخذ قطرة أخرى فرمى بها في البحر فتحير موسى وخضر عمّا فعل الطير ولم يدريا ما تأويله إذ جاء صياد فقال ما لكما متحيرين قالا تحيرنا مما صنع هذا الطير ولم ندر ما أراد فقال الصياد إنه يقول يبعث الله سبحانه نبيا في آخر الزمان وله وصي يكون علمكما وعلم من في المشرق والمغرب ومن في السماء كالقطرة بالنسبة إلى هذا البحر) انتهى ما نقلت من معنى الحديث .

وأنت لوتأملّت في ما حققنا لك سابقا في حقيقة العلم لعلمت بأن الأنبياء ما يمكنهم اللحوق إلى مراتب علومهم عليهم السلام بل يمتنع ذلك في حقهم إلا أن ينقلبوا عن حقائقهم ويغير الله خلقهم وهوعلى كل شيء قدير .

---

[1] الكافي ١ / ٢٥٦   [2] الكافي ١ / ٢٦٠

قوله عليه السلام ((ولقد ستر علمه عن جميع النّبيين)) الضمير في علمه يرجع إلى أحوال آدم الأول والذين معه وما صاروا إليه وما ينتهي إليه أمرهم ، يريد عليه السلام بآدم الأول هو على أحد الوجوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذين معه هم الأئمة الاثنى عشر البروج الثانية في الكرسي الليلة المباركة التي هي فاطمة عليها السلام وما صاروا إليه من بدء كينونتهم في القدم في عالم اللاّنهاية وكانوا يعبدون الله سبحانه ألف.دهر وكل دهر مائة ألف سنة إلى أن خلقت الملائكة الأربعة العالون فبقيت هذه الملائكة يعبدون الله سبحانه معهم عليهم السلام ألف دهر إلى أن خلق الله سبحانه الكرّوبيين وبالكروبيين خلقت الأنبياء وتقوّموا بهم فهم باب فيضهم من الله سبحانه بالملائكة العالين والمنتهى إلى تلك المبادئ أيضا لقوله تعالى ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1] وتلك المراتب فوق ذكر الأنبياء وفوق ذاتهم ، ولا شك أن الشيء لا يتجاوز ما وراء مبدئه فلا ريب أن تلك العلوم كانت مخفية عليهم ومستورة عنهم ، ثم لما كان الأنبياء ليس كل واحد منهم علّة مستقلة لما تحتهم بل المجموع علّة للمجموع من المراتب النّازلة فلا يكون لكل واحد السعة العامة المحيطة بكل ما تحته من أحوال الذوات والصفات والكينونات ، ولأهل البيت عليهم السلام تلك السعة والإحاطة فعلموا عليهم السلام حقيقة آدم الثانية أي الماء الثاني الذي صعد

[1] الأعراف ٢٩

منه دخان فكان مبدأ الأفلاك وزبده صار مبدأ الأرضين فتولد الأنبياء عليهم السلام من دوران تلك الأفلاك على تلك الأرضين ، فإذا كانوا عليهم السلام من جزئيات ذلك العالم فلا يحيطون بحقيقته وذلك خاص بمن خصه الله سبحانه بالاسم الأكبر الأعظم وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام والأئمة الطاهرين عليهم السلام .

هذا الإشكال فيه لأن البدل يجب أن يكون قائما مقام المبدل منه وذلك لا يكون إلا أن يكون مساويا له في أحواله وإلا لم يكن بدلا ، مع أن مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقام الإجمال والبساطة ومقام الوصي عليه السلام مقام التفصيل والكثرة فلا تزال العلوم تظهر من مقام الإجمال إلى مقام التفصيل ولذا قال عليه السلام ((ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم)) لأن الباء مقام الكثرة والتفصيل ولذا اختص اسم الله بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم واسم الرحمن بالوصي عليه السلام كالعرش والكرسي فإن الفيوضات ترد على العرش مجملة بسيطة كلية فمنه تفاض على الكرسي مفصلة متمايزة منقسمة في البروج والمنازل وسائر الكواكب .

في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال ((إن جبرائيل أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برمّانتين فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إحداهما وكسر الأخرى بنصفين فأكل نصفا وأطعم عليا نصفا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أخي هل تدري ما هاتان الرمانتان ، قال : لا ، قال : أما الأولى فالنبوة ليس لك فيها نصيب وأما الأخرى فالعلم أنت شريكي فيه ، فقلت أصلحك الله كيف كان يكون

شريكه فيه ، قال عليه السلام : لم يعلّم الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم علما إلا وأمره أن يعلّم علياً عليه السلام))[1] .

وفيه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال ((نزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برمانتين من الجنة فأعطاها إيّاهما فأكل واحدة وكسر الأخرى بنصفين فأعطى علياً عليه السلام نصفها فأكلها فقال يا علي أما الرمانة الأولى التي أكلتها فالنبوة ليس لك فيها شيء وأما الأخرى فهوالعلم فأنت شريكي فيه))[2] .

وفيه أيضا عنه عليه السلام ((نزل جبرائيل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم برمانتين من الجنة فلقيه علي عليه السلام فقال ما هاتان الرمانتان اللتان في يدك فقال أما هذه فالنبوة ليس لك فيها نصيب وأما هذه فالعلم ثم فلقها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنصفين فأعطاه نصفها وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصفها ثم قال أنت شريكي فيه وأنا شريكك فيه قال فلم يعلم والله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرفا مما علمه الله عز وجل إلا وقد علمه علياً عليه السلام ثم انتهى العلم إلينا ثم وضع يده على صدره))[3] .

وقد دلّت الأخبار المتكثرة بل المتواترة معنى على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علّم عليّاً عليه السلام ألف باب من العلم ينفتح من كل باب ألف باب

---

[1] الكافي ١/٢٦٣ [2] الكافي ١/٢٦٣ [3] الكافي ١/٢٦٣

وكل باب إشارة إلى سر عالم من العوالم وتتضمّن أبوابـا كثيرة ، فإن العـالم ألف ألف فالألف هوالأصل ونشأ من كل واحد من الألف ألف وقد علّمها إيـاه ﷺ مجمـلا بالكينونـة والـذات وبالبيـان بالصفـات وعنـد علي عليه السلام فصلت تلك الأبواب لأنه عليه السلام الكتاب الذي أحكمت آياتـه ثـم فصلت من لدن حكيم خبير ، فلا يمكن إحصاء تلك الأبواب إلا للذي يسبح في لجة اللاّنهاية على جهة الكلي لا الجزئي ، ثم إن هذا التعليم لا انقطاع له ولا نفاد لأن العلم دائما يجري من بحر القدر الذي تحته شمس تضيء لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد ، فلم يزل ينزل من ذلك البحر المحيط بحور وإن كانت خلجان بالنسبة إلى البحـر الأول ، فـالبحر الأول المظلـم كـالليل الدامس هو بحر العين المستنطق من (ك هـ ي ا) أي من الكاف الظـاهر في الهاء والياء فإن الكاف هي الظاهرة المستنطقة من البسملة لأنها تسـعة عشـر وهي استنطاق الواحد ، فإذا نظرت ظهور الأحـد في الواحـد كـانت الكـاف فالكاف هي هاء قد كررت أربع مرات مرة في البسم والثانيـة في الله والثالثـة في الرحمن والرابعة في الرحيم ، والهاء في مقام التكرير تظهر منـها اليـاء وفي مقام التربيع تظهر منها ، النون فالهاء هوالسر والأمر في الكاف والنون ، وإذا جمعت الكاف والنون استنطقت العين ، وإذا ظهرت الكاف في العين ظهرت الصاد ، ففي الباطن على أعلى مقاماتها يكون الصـاد هـي الحقيقـة المحمديـة ﷺ والعين هي مقام القيومية ومرتبة المشيئة الكليّة والعمـق الأكـبر علـى

الحقيقي وهوالعلم الذي لا يحيطون بشيء منه إلا بما شاء وظهر في بحر الصاد كما روي أن الصاد بحر تحت العرش ينزل منه الماء الذي به حياة كل شيء ، ولقد أمر رسول الله ﷺ بالتوضؤ منه لصلاة الظهر ليلة المعراج فأتى النداء (ادن يا محمد من صاد وتوضأ لصلاة الظهر) ولما كانت الصلاة معراج المؤمن والتوضؤ هوالتطهير والاستعداد لملاقاة الرب وهو وجه التوجه إلى الله تعالى وتوجه السافل إلى العالي بكينونة ذاته لا بصفاته و آثاره علمنا أن الصاد هوحقيقته ﷺ حيث توجه بها إلى ربه في مقام الدنو بدليل صلاة الظهر لأنها صفة ظهور المبدأ ولذا كانت أول صلاة فرضها الله عز وجل على عباده برحمته فلم تزل العلوم والأسرار تفاض من بحر العين إلى بحر الصاد بلا انقطاع فلو انقطع آنا واحدا بل أقل انقطع الوجود كله وهوقوله تعالى ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1] فهذه الاستزادة لا انقطاع لها والإفاضة كذلك لأن الله عز وجل يقول ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[2] فالاستجابة مقترنة بالدعاء والاستزادة دعاء فوجب الاستجابة ولذا قال عز وجل ((وليس لمحبتي غاية ولا نهاية وكلما رفعت لهم علما وضعت لهم حلما))[3] لا في البدء ولا في العود لأن العود نفس البدء ، وهذا العلم الجاري من بحر العين له شعبتان وخليجان فخليج يجري من بحر الكاف والآخر من بحر النون والآخر من بحر

---

[1] طه ١١٤   [2] غافر ٦٠   [3] إرشاد القلوب ١٩٩

العين ، والذي من بحر الكاف له أربعة أنهار نهر يجري من البسم والآخر من الله والآخر من الرحمن والآخر من الرحيم ، وفي كل نهر خمسة جداول جدول النقطة والألف والحروف والكلمة التّامة والدلالة ، وهذه العلوم كلّها علم التوحيد الصّرف والتعدد باختلاف الحال والمهابط للتجلي وفي كل مقام وتجلي لا يرى إلا الواحد بنفي الكثرات وسلب الإضافات والامتيازات وعند العلم يقال أنها خمسة وعند العمل هو واحد لا بالعدد ، والعلم الذي يتصور فيه التعدد عند جميع شئونات الكينونة لمن أشهده الله خلق نفسه ، وأما عند الصعود إلى ذروة المجد والعلى فيتحد العلم والعمل و إن كانا متّحدين في كل مقام ، فالجدول الأول من النهر الأول من الخليج الأول هوالذي يختص به النبي صلى الله عليه وآله لا يشترك فيه معه علي عليه السلام وذلك علم لم يعلمه إيّاه عليهما السلام يعني لا يمكن ذلك إلا أن تنقلب الحقائق فيرتفع الامتياز حينئذ وهذا خلف وبذلك العلم كان أفضل و أعلى فلوتساويا لما كان أحدهما عليهما السلام أفضل لئلا يستلزم الترجيح من غير مرجح وقد قال عز وجل ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾[1] ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] ، ولما صحّ أن يكون النبي صلى الله عليه وآله واسطة بين الأمر وبين علي عليه السلام لأن المساوي لا يكون واسطة بالضرورة فوجب أن يكون عند النبي

---

[1] المجادلة ١١ [2] الزمر ٩

صلى الله عليه وآله علم في التوحيد لم يكن عند علي عليه السلام وبذلك كان كما قال علي عليه السلام ((أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله)).

فقوله عليه السلام ((وعلمني علمه)) وإن كان العلم مصدرا مضافا يفيد العموم إلا أن ذلك العلم ليس داخلا لأنه عين حقيقة ذاته والتعليم فعل والفعل متأخر عن مرتبة الذات فيتعين أن يكون المراد بالعلم هوما تحت مرتبة الذات فعلى هذا فلا إحاطة لعلي عليه السلام في مقام الحقيقة النبوية صلى الله عليه وآله فقوله صلى الله عليه وآله ((ياعلي ما عرف الله إلا أنا و أنت)) يريد المعرفة الحاصلة لسائر المخلوقين لا مساواتهما عليهما السلام في المعرفة وكذا قوله صلى الله عليه وآله ((وما عرفني إلا الله وأنت)) أما الله سبحانه وتعالى فهو بالكنه والحقيقة وأما علي عليه السلام فهو بالبيان والصفة لا الحقيقة وكذا قوله صلى الله عليه وآله ((ما عرفك الله إلا الله و أنا)) يريد المعرفة بالكنه في المقامين ، وفصل القول أن في هذا المقام مباحث هي مفتاح للأبواب المقفلة وحل الرموز المشكلة فلا يعرف حقيقة الأمر في هذا المقام إلا بها و أنا أشير بها مجملا .

الأول : ما العلم وحقيقته ؟ والثاني : ما العلم المنسوب إلى الله المختص به والمنسوب إلى محمد صلى الله عليه وآله كذلك والمنسوب إلى علي عليه السلام كذلك ؟ والثالث : ما كيفية التعليم وربط هذه العلوم بعضها ببعض ؟ والرابع : ما كيفية تعليم محمد صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام وتعليم علي عليه السلام لمحمد

ﷺ ؟ وينكشف لك الأمر ويتضح لك السر بعد معرفة هذه الأبواب إنشاء الله تعالى .

أما الأول فاعلم أن العلم نور من عند الله سبحانه وتعالى يقذفه في قلب من يحب فيشاهد الغيب وينشرح فيحتمل البلاء ، ومبدأ هذا القذف هو المثال الذي ألقى سبحانه في هويات الأشياء كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الملأ الأعلى ((صور عارية عن المواد خالية عن القوة والاستعداد تجلى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت فألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله))[1] وهذا المثال هو سر كن في فيكون وهو السائل الآمر بالله سبحانه القائل كن وهو المجيب الممتثل من قبل نفسه بالله سبحانه الفاعل ليكون ، وقد ورد عنهم عليهم السلام في بيان قوله تعالى بين النفختين خطابا للأرض أين الجبّارون وأين المتكبرون وأين الذين يأكلون رزقي ويعبدون غيري لمن الملك اليوم ثم قال سبحانه لله الواحد القهار وقالوا عليهم السلام ((نحن السائلون ونحن المجيبون)) لأنهم وجه الله الذي لا يهلك وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((بل تجلى لها بها)) ولا تستغرب من ذلك فإنك تراه بالعيان فإنك إذا قرأت القرآن وقرأت قوله تعالى ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[2] فلا يتوهم أحد أنّك تدعي الربوبية والألوهية لأنك حينئذ حاك

---

[1] البحار ٤٠ / ١٦٥

[2] طه ١٤

ولسان له تعالى ثم يستحب لك أن تقول إذا قرأت أمثال هذه الآيات بلى يا رب أنت الله لا إله إلا أنت لا نعبد إلا إياك مخلصين لك الدين فأنت الذي أجبت فكنت في الحالة الأولى لسان المخاطِب وفي الحالة الثانية لسان المخاطَب وهذا آية ما ذكرنا لك ودليله فافهم ، فذلك المثال هوالعلم والهوية هي القلب وهي أول ما ظهرت به كينونة الخلق الذي أحبه الله للإيجاد لأن يعرف كما قال ((كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف)) فقذف الله سبحانه هذا النور في قلب من أحب ، وقد علمت أنه تعالى أحب كل الخلق من حيث الخلقة فقذف هذا النور في قلب كل أحد من المخلوقين وقد مثّل سبحانه لهذا النور ونسبته مع القلب مثالا قريبا لا تفنى عجائبه ولا تنفد غرائبه حيث يقول سبحانه ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾[1] النور الظاهر في هذا المصباح الذي في الزجاجة التي كأنها كوكب درّي هو المستوقد من الشجرة المباركة الزيتونة التي ليست شرقية ولا غربية فالنار منها كزيتها ذلك هوالعلم ، فلما استضاء المصباح الذي هو العلم الظاهر في القلب صار له وجهان وجه إلى الحرارة المحضة واليبوسة من النار ووجه إلى البرودة واليبوسة التي هي ثقل الزيت ونفسه ووجهه إلى الحرارة والرطوبة من توجه النار إلى الدهن ووجه إلى البرودة والرطوبة من توجه الدهن إلى النار ، ولذا كان لون النار هوالنور الظاهر في الدهن أصفرا برّاقا شفافا وبهذه الصفرة ينير لتحقق

---

[1] النور ٣٥

المناسبة التّامة وتلك الصفـرة هـي المصـدر الـذي يشتق منه اسـم الفـاعل والمفعول ، ولذا وضع لذلك النور اسما وهو المصدر فقيل علم ونور وكلاهما مصدران .

وتوضيح الكلام أن العلم هو نقطـة الكـون المنبسـطة علـى حقـائق الأكوان الوجودية والحروف الكونية والوصفية والشرعية واللفظيـة ، وتلـك النقطة بظاهرها تحكي ظاهر الأكوان وباطنها تحكي باطن الأكـوان والأعيـان وبكينونتها وذاتها تحكي المبدأ الذي هو الأصل في الكلام الذي ينشعب منـه أصول ، وكل أصل ينشعب إلى أصول وهكذا ، وبسرّها المسـتودع في هويتـها تحكي سر الأسماء والصفات الجلالية والجمالية ، وبسر سـرّها تحكـي الوحـدة الحقيقية البسيطة كل ذلك في مقام (انتهى المخلوق إلى مثلـه وألجأه الطلـب إلى شكله) فالعلم ظل نورانـي وشـبح منفصـل ليشـرق علـى كـل مـذروء ومبروء وعلى التجليات الذاري البارئ الصور التي هـي نفسـه وعلـى نـور هيكل التوحيد وشبح التجريد والتفريد ، ولذا وضع له المصـدر كمـا ذكرنـا فإن المصدر هوالواقف على الطتنجين والبرزخ بين على العالمين عالم الفـاعل وعالم المفعول وعالم الفعـل والأسمـاء دليـل المسـميات وصفاتـها ، ولمـا كـان الظهور هيكل التوحيد في الهـاء الـتي ظاهرهـا عـين باطنـها كمـا قـال صلى الله عليه وآله وسلم ((التوحيد ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره ، ظاهره موصوف لا يرى وباطنـه

موجود لا يخفى))[1] وهورتبة التوحيد ولما كانت الأسماء رتبة التعلقات فوجب إشباع الهاء فظهر به سر الأسماء وموصوفها ومسمّاها وأصلها وهو الهوية التي تقوم بها الألوهية ، ولما كانت الظهورات الخاصة لها ارتباطا أكثر وأقوى فلو خطّت بيّناتها مع زبرها فاستنطقت منها الواحد ، والواحد إذا أضيف إليه الأحد كان عشرين فاستنطق منه الكاف فكانت الكاف هي تمام مقامات الأسماء والصفات والتجليات الإلهية من العامة والخاصة والظاهرة والباطنة وبقي مقام التعلق الخاص والربط المتعلق ولا يتم ذلك إلا بانضمام النون لأن الهاء إذا كررت تكون منه الياء و إذا كعبت الهاء في الياء تظهر النون وهما تمام كلمة كن ، وكذا قال سبحانه بعد البسملة ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[2] فالكاف إنما حصلت من إشباع الهاء والنون من تكريرها و إذا جمعتا تستنطق من المجموع العين ، فالعين إشارة إلى عالم الوجود المطلق وعالم الأمر بجميع تفاصيله وأحواله ، ولذا كانت السبعة هي العدد الكامل بنفسها وبتكريرها وتنزيلها ، وهي مشتملة على مراتب الاسم الأعظم الظاهرة في المخلوقين والغير الظاهرة وهي أسرار مبادئ الوجود وعلله الفاعلية ومبادئ العلل المادية والسر الأعظم الأعظم السرّ المقنّع بالسرّ من رتبة التوحيد الظاهرة للمخلوقين بجميع أنحائها وأطوارها وتجدد الفيوضات والإمدادات من بحر

---

[1] معاني الأخبار ١٠

[2] مريم ١

القدرة إلى طتنج المشيئة ومنها إلى جدول الحقيقة ومنها إلى مستسرّات سـرائر الأكوان ومستوضحات شهادة الأعيان وهكذا إلى ما شاء الله ، ولما كانت العين تحكي تلك الأسرار ومنها تظهر تلك الأنوار وهي الوجه الأعلى من النقطة بمراتبه وجب أن توضع في أول حرف اسم تلك النقطة ملاحظا للنظم الطبيعي في العالم التكويني والتدويني كما جعلت في أول اسم حاملها كما قال تعالى((لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن))[1] وقال عز وجل ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾[2] و أشهد أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله ، ولما كان الوجه السفلي لتلك النقطة ظهورها في الألف وانعطاف الألف بالحروف وتشعّبها منها وهومقام الخلق والخلق إنما يتحقق بيكون عند خطاب كن وذلك له مقامان مقام صلوحه واستيهاله لوقوع الخطاب عليه والمقام الثاني مقام وقوع الخطاب عليه ، فالأول نسميه بالقابلية والثاني نسميه بظهور المقبول في القابل وقد تطلق عليه المقبول على جهة الإجمال ، ولا يصلح المخلوق ولا يستأهل لوقوع خطاب كن عليه ظاهرا وباطنا على جهة الكمال والتمام فيهما إلا بعد أن يستودع في سره بالتجلي ثلاثون اسما من الأسماء الحسنى فإذا استودعت فيها وعمل كل اسم فعله وتمت البنية ونضجت الطبيعة فهناك تنضج الطبيعة ويقوم الشيء رافعا

---

[1] البحار ٥٨/٣٩ ح ٦١

[2] البقرة ٢٣

صوته بالتلبية ويظهر فاعل يكون بعد وقوع خطاب كن عند الخطاب ، والسر في هذا الثلاثين هو أن المبدأ كما ذكرنا مرارا هو المثلث وهو إذا جذر يكون تسعة فإذا تمت التسعة بظهور الأحد يكون تمام العشرة وهذه العشرة لها ظهورات في كل العوالم و إنما تختلف بالأجمال والتفصيل والظهور والإخفاء والبساطة والتركيب ولها مقامان مقام نزول ومقام صعود فالنزول هي تلك ثلاثة إلى أن تصير عشرة والصعود هوظهور سرّ تلك الثلاثة في كل من العشرة وهوتمام الثلثين وإليه الإشارة في قوله تعالى ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[1] ومعنى ما ذكرناه هو أن الشيء لما بدأ من فعله تعالى له ثلاثة وجوه وجه إلى مبدئه ووجه إلى نفسه ووجه إلى غيره ، ولكل منها ثلاث حالات حالة عليا وحالة وسطى وحالة سفلى والعاشر هوالوحدة الجامعة لتلك الحالات كلها ، أما الصعود فهو ظهور الأحوال الثلاثة الأسفل فالأسفل إلى الأعلى فالأول ظهور الحالة السفلى في المجموع وهناك مقام الجماد ، والثاني ظهور الحالة الوسطى وظهور ربط المبدأ وهيجانه إلى جهة المبدأ والاستمداد وهو مقام المعدن ، والثالث ظهور الحالة العليا من ظهور الربط الكلي وهو مقام النبات وهناك مقام فكسونا العظام لحما وذلك تمام الثلاثين ، فالأربعون من

---

[1] الأعراف ١٤٢

ظهور الحالة الرابعة وهي سر الثلاثة الجامع لها بأطوارها في كل هذه الثلاثة في كل مقام بحسبه وفي مقام الوحدة والجامعية فلها مقام مع كل واحد منها ومقام منفرد متوحّدة فيها وهي تمام الأربعين ، فمقام الخلق يتم في مقامين على اختلاف مراتبه مقام القابل وهوالثلاثون ومقام المقبول وهوالأربعون ومن هذه الجهة كان في مبدأ الكتاب الكريم ومفتتح سورة البقرة ﴿الٓمٓ﴾ فالألف لبيان المبدأ واللام والميم لمقام رتبة الخلق في أطوار القابليات والمقبولات ، ولما كانت الأسماء صفات المسميات ووجب بينهما المطابقة في كل الجهات اللازمة فوجب أن يجعل ثاني أحرف اسم تلك النقطة اللام لأنها متقدّمة في الظهور وكذا في الوجود وثالثها الميم لبيان تمام المراتب واجتماع العلل مع المعلولات والأسباب والمسببات واللوازم والملزومات والشرائط والمشروطات وهو يوم الجمعة في أيام الأسبوع ، ولم تكن هنا رتبة أخرى ليزاد حرف آخر فانحصرت أحرف الاسم في الثلاثة فصارت على مقتضى الترتيب علم (ع ل م) ثم دلّت بصفاتها إلى معان أخر فالعين من عالم الغيب ولأنها من حروف الجبروت واللام من عالم الأوسط لأنه من عالم الملكوت والميم من عالم الأسفل لأنه من عالم الملك ، وكل من الأحرف ثلاثيّة فتكون تسعة والمجموع واحد فتكون عشرة مع التفصيل الذي أشرنا آنفا و أشار سبحانه وتعالى إلى هذا الصوغ والتأليف في كتابه العزيز ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾أي منتحل

العلم ﴿ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ ﴾ أي من العرب وهي المبادئ العالية وأطوار كن والعوالم الغيبية والإشارة إليها العين في الظاهر والباطن كما ذكرنا ﴿ وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ﴾ وهي أطوار عالم الشهادة والمقامات الخلقية لظهورات الجهات التفصيلية والكثرات فيها وتشعبها إلى الأغصان وأغصان الأغصان والأوراق وهكذا والإشارة إليها الميم ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ من الأحوال البرزخية بين الغيب والشهادة والظاهر والباطن والإشارة إليها اللام لأنها من حروف الأوسط ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[1] هي الأطوار الحاصلة من القرانات والإضافات والروابط وأنحاء الحيثيات ، فالعلم هي نقطة الوجود السارية في الغيب والشهادة وبها ظهر المعبود بأحواله وأفعاله وهو بحر دائم الفوران يصعد ماؤه من الأرض وينزل إليه من السماء ونداء ﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾[2] لا يقع على هذا البحر لأن ذلك للرحمة وهذا للغضب وشتّان ما بينهما ﴿ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾[3] فشهد لفظ العلم بسر معناه ودلّ شهادته على غيبه ذلك تقدير العزيز العليم هذا مجمل بعض أحوال العلم .

---

[1] النحل ٦٨ – ٦٩　　[2] هود ٤٤　　[3] ص ٥٤

و أما الأمر الثاني فاعلم أن تلك النقطة هي السر الذي لا يحيط بكينونتها وأصلها وفرعها ومبدئها ومنتهاها ولوازمها وشرائط ظهوراتها وأطور كينونات نشأتها وإمداداتها وكلما لها ومنها وإليها وعنها وبها وعليها وعندها ولديها وسائر أحوالها وأوضاعها وإن كان لا وضع لها ولا حال لها على جهة الحقيقة والإحاطة القيّومية بنحو الشهود والظهور لا يحيط بها إلا الله سبحانه وتعالى لأن تلك النقطة هي الاسم الذي رواه في الكافي أن الله سبحانه خلق اسما ليس بالحروف مصوّت وباللفظ منطق وبالشخص مجسّد وباللون مصبوغ وبالتشبيه موصوف برئ من الحدود منفي عنه الأقطار محجوب عنه حسّ كل متوهّم مستتر غير مستور وهذا هوالسر المخزون عند الله والاسم الأعظم الأعظم والذكر الأعلى الأعلى وهوالشمس المضيئة في قعر بحر القدر وفيه مصدر البداء وعلل الأشياء ومن ذلك يستزاد خاتم الأنبياء وكذلك صفوة ذرّيته وعترته عليهم السلام حيث أمرهم الله سبحانه بذلك بقوله تعالى﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1] وقال صلى الله عليه وآله ((اللهم زدني فيك تحيّرا)) وهذا العلم هو حقيقة الكائنات والممكنات والمكوّنات وليس فيه تجدد ولا تغير ولا تبدّل ولا مضي ولا حال ولا استقبال ولا اضمحلال ولا نقصان ولا زوال ولا تحول ولا انتقال ولا حركة ولا سكون ولا ظهور ولا خفاء وإنما هي نقطة عند الحق القديم المحيط بالأشياء كلها وهي

---

[1] طه ١١٤

حاضرة عنده سبحانه وتعالى والله سبحانه عالم بها قبل الخلق وبعد الخلق ومع الخلق ولا يصل إلى هذه المرتبة أحد من المخلوقين إلا أن يكون خارجا عن صقع الإمكان فيختص بالله سبحانه فالممكن ليس عنده إلا نفسه وما تحته وأما التجدّدات الواردة لحفظ بقاء ذاته فليست حاضرة عنده وأما القديم سبحانه فليس عنده تجدد إذ ليس مستندا إلى الغير ولا متقوّما بسواه سبحانه وتعالى ، وهذا هو العلم الذي لا يحيطون بشيء منه إلا بما شاء وهذا هو علمه سبحانه بالأشياء بها وهو الذي قال عليه السلام ((علمه بالأشياء قبل كونها كعلمه بها بعد كونها))[1] وهذا العلم خاص بالله سبحانه ليس لأحد فيه نصيب كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد فمن تطلّع عليها فقد ضادّ الله في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن سره وستره وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير))[2] ومن هذا العلم جفّ القلم بما هو كائن فافهم ، وإليه الإشارة فيما ورد عنهم عليهم السلام أن الاسم الأعظم ثلاثة وسبعون اسما اثنان وسبعون اسما عندنا وواحد تفرّد به الحي القيوم سبحانه وتعالى ، ثم ظهر في الأكوان من غيب الإمكان بعلم الله سبحانه في مقامين مقام النقطة الكونية والحقيقة الوجودية أي السر

---

[1] في التوحيد ص ٤١ ما يقرب من هذا الحديث وهو قوله عليه السلام ((أحاط بالأشياء قبل كونها فلم يزدد بكونها علما ، علمه بها قبل أن يكونها كعلمه بعد تكوينها)) .

[2] البحار ٥/٩٧

المستسرّ في كل الغيوب والأحوال والظاهر في كل شيء بالتفصيل في مقام الإجمال إما بذاته أو بصفاته أو بشؤنات آثاره أو بظهورات أنواره على جهة البساطة وعدم الكثرة ومقامه الاختراع ، ولها القيّومية والهيمنة على كل الأكوان وكل شيء تحت هيمنته تسلّطه مضمحلّون لدا سطوع نوره وبهائه وهوالعلة المادية لكل الموجودات فظهرت في تلك النقطة من الحقائق الإلهية والذوات السرمدية والأزلية الثانية على جهة الوحدة والبساطة ، فالأسماء كلها من الأسماء الكونية والظاهرة في ذلك المقام اسم واحد والذوات ذات واحدة والحقائق حقيقة واحدة ليس هناك اختلاف وتعدد وتغير وتبدّل وظهور وخفاء وظلمة وعماء وأوليّة وآخرية وتقدم وتأخر لأنه مقام الربوبية إذ مربوب ذكرا لا عينا وهو مقام الواحد وأول ظهور الأحد لا الواحد المقابل للثاني بل الواحد الذي ليس له ثاني يجتمع مع الأعداد بكلها بصفاته وبعددها ويفارقها بذاته والأعداد تكثر وتزيد بظهور أمثاله ولذا لا تصعد مقاما في العدد إلا وترى الواحد قدّامه لن يبلغ إليه العدد وإن صعد إلى ما صعد وبلغ إلى ما بلغ فهذه النقطة هي القطب الذي تدور عليه الأكوان الوجودية من الأزل إلى الأبد الذي هو عين ذلك الأزل ولا يحيط بهذا العلم على جهة الحقيقة إلا النبي الأمي محمد بن عبد الله ﷺ خاصة وهو ﷺ الواسطة الكبرى والبرزخية العظمى وله الرسالة المطلقة ، وهذه الوساطة والرسالة المطلقة ، وهذه الرسالة والوساطة أعلى مقاما من الولاية

إذ شملته جهة الوحدة واضمحلّت له الإنية حتى لا يبقى في مقام الفرق إلا الواسطة المحضة كما ذكرنا سابقا وهذا بحر لا يساحل وطمطام لا يحاول فلا نهاية له ولا بداية ودائما يفاض على هذا البحر من بحر القدر الذي في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد ولا نهاية لذلك الفيضان ، ثم يفور ذلك البحر بورود ذلك الفيض بسر ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[1] ولا غاية لهذا الفوران ، وذلك البحر هوحقيقة المحبة ولذا لقّبه تعالى بالحبيب ووجود الكائنات كلها تدور على المحبة لقوله تعالى ((فأحببت أن أعرف)) ، وهوبحر صاد وتمام ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[2] وبحر المزن ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾[3] وبحر النون وبحر المعرفة وسر الوجود وبحر النون وجنان الصاقورة التي ذاق روح القدس منها الباكورة وبحر الماء الذي به كل شيء حي وبحر العلم الذي منه يغترف كل خلق ولا ينقص منه شيء وأمر الله الذي لا ترى فيه اختلاف ، وبالجملة هو نقطة بسيطة غير ظاهرة إلا بصفاتها تدور عليها المكونات بأسرها وهي حقيقة العلم وينبوعه وأصله ومعدنه وهذا هو المقام الأول مما ظهر من العلم الأول .

وأما المقام الثاني منه فهو مقام التفصيل وشرح العلل والأسباب وظهور تلك النقطة في الشئونات والأطوار وظهور الأسماء المتقابلة والأحوال

---

[1] النور ٣٥ [2] مريم ١ [3] الواقعة ٦٨ – ٦٩

المتضادة وهو مقام الربوبية إذ مربوب كونا وعينا وهناك محل ظهور الاختلاف وتمايز الخلق بعضهم عن بعض بالحدود والصور والهيئات وتفاصيل ذلك الإجمال كالمداد والكتابة المتمايزة مما تختلف به الأحكام والمعاني مع صلوح الكل للكل ومقام استواء الرحمن على العرش وإعطاء كل ذي حق حقه والسوق إلى كل مخلوق رزقه ومقام إعطاء كل ذي فضل فضله وتمايز الأركان الأربعة في العرش من الركن الأبيض ركن الرزق والركن الأصفر ركن الحياة والركن الأخضر ركن الممات والركن الأحمر ركن الخلق، وظهر في الركن الأول اسم الله المحيي وفي الثاني اسم الله الحي وفي الثالث اسم الله المميت وفي الرابع اسم الله القابض، فهو مقام أول انقسام الوجود وتشعّب الملائكة حملة الأسماء الظاهرة بالتدبير والتأليف والتكييف والتصوير، وفي المقام الأول لم يكن انقسام ولا تمايز ولا اختلاف وإنما التمايز حصل في هذا المقام إذ الوجود كله له مقامان مقام الإجمال ومقام التفصيل ومقام البساطة ومقام الكثرة، فلما كان حامل العلم الأول هو محمد صلى الله عليه وآله كان حامل العلم الثاني هو مولانا علي عليه السلام ولذا نسب الاختلاف كله إليه عليه السلام كما قال تعالى ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾[1] وقال عليه السلام ((ما لله آية هي أكبر مني وما لله نبأ هو أعظم مني))[2] وقال

---

[1] النبأ ١ – ٣ [2] تأويل الآيات ٧٣٣

ﷺ ((ياعلي ما اختلف في الله ولا فيّ و إنما الاختلاف فيك يا علي))
وذلك لأن مقام الله سبحانه هي الربوبية إذ لا مربوب فليس هناك شيء حتى يتصور الاختلاف ، ومقام النبي ﷺ هوالربوبية إذ لا مربوب عينا وليس للكثرات هناك ظهور حتى يتصور الاختلاف ، فانحصر الأمر في هذا المقام أي مقام الربوبية إذ مربوب ذكرا وعينا فهناك يتحقق الاختلاف وتظهر الأشياء كلها على مثال المبدأ وتنسى نفسها واضمحلالها وتدعي فوق مقام رتبتها فمن متوقّف جاهل ومن منكر معاند ومن موافق صادق ولذا ترى الاختلاف في مقام الرحمانية لا الألوهية وهوقوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾[1] إلى أن قال تعالى ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾[2] فافهم المراد ، فعلي عليه السلام هو مبدأ العلة الصورية بظهوره كما أن محمدا ﷺ مبدأ العلة المادية بشعاعه وقد تقدّم مرارا أن مثاله

---

[1] مريم ٨٥ – ٨٨

[2] مريم ٩٣ – ٩٥

صلى الله عليه وآله العرش ووجهه الشمس ومثال علي عليه السلام الكرسي ووجهه القمر ، ولذا تسير الشمس وتقطع دورة بعد أن سار القمر وقطع اثنا عشر دورة ولذا كانت منطقة البروج منقسمة على اثني عشر اسما لكل قسم برج فمقامه عليه السلام مقام الابتداع فمقام النبي صلى الله عليه وآله في العالم الأول الاختراع الأول والولي عليه السلام فيه الابتداع ، والنبي صلى الله عليه وآله في العالم الثاني الاختراع الثاني والولي عليه السلام الابتداع الثاني ، والنبي صلى الله عليه وآله في عالم الوجود المقيد مثاله العقل الكلي والولي عليه السلام مثاله النفس الكلية ، والنبي صلى الله عليه وآله الألف في عالم الصفات والولي عليه السلام الباء فيها ، والنبي صلى الله عليه وآله النقطة والولي النفس الرحماني الأولي ، والنبي صلى الله عليه وآله محل المشيئة والولي عليه السلام محل الإرادة والقدر والقضاء والإمضاء ، والنبي صلى الله عليه وآله حامل ظهور الألوهية ويدعو باسم الله والولي عليه السلام حامل آثار الرحمانية ويدعوه الله باسم الرحمن ، والنبي صلى الله عليه وآله مبدأ العلة المادية والولي عليه السلام مبدأ العلة الصورية ، والنبي صلى الله عليه وآله ظاهر بالإنذار والولي عليه السلام ظاهر بالهداية ، والنبي صلى الله عليه وآله أبو القاسم والولي عليه السلام أبو تراب وأبو الحسنين ، والنبي صلى الله عليه وآله نور الله مثل نوره والولي عليه السلام مشكاة ، والنبي صلى الله عليه وآله فضل الله والولي عليه السلام رحمة الله ، والنبي صلى الله عليه وآله أمر الله والولي عليه السلام قدرة الله ، والنبي صلى الله عليه وآله رسول الله والولي عليه السلام آية الله وروح الله وعظمة الله ويد الله ولسان الله وعين الله وجنب الله ونفس الله

وذات الله ووجه الله وحامل فيض الله ومظهر أمر الله ونهيه ، فالعلم المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام المختص به هو علم الولاية الظاهرة بالتفصيل وكل علوم الربوبية إذ مربوب مطلقا فهو عليه السلام معدنه وينبوعه منه بدؤه وإليه ينتهي ويعود وهوقوله تعالى ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ ﴾[1] قال عليه السلام ((الضمير في إليه يرجع يعود إلى الولي عليه السلام وفي فاعبده يرجع إلى الله يعني اعبد الله بهذا الاعتقاد)) ويكفيك في هذا المعنى كونه عليه السلام قسيم الجنة والنار لأن الخلق بأجمعهم إما من أهل الجنة والكرامة أو من أهل النار والإهانة كما قال عز وجل ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[2] فافهم .

وأما الأمر الثالث فاعلم أن العلم على المعنى الذي ذكرت كله عند الله عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[3] وما عند الله لو كان في ذاته تعالى لاختلف فإن تلك النقطة التي قلنا أنها العلم وهي و إن كانت واحدة لكن لها شئونات علوية وسفلية وهذا لا يصح أن يكون صفة القديم تعالى شأنه فإن الذي وجوده من ذاته لا تكون له جهتان ولا يفرض ذلك فإن الجهتين انقسام والانقسام منفعل ومتأثر عن المقسّم الفاعل وذلك لا ريب فيه ، فما عند الله من الأحوال الخلقية كلها في ملكه عز وجل كما قال سبحانه ﴿ أَلَمْ

---

[1] هود ١٢٣ [2] التغابن ٢ [3] الملك ٢٦

تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ ﴾[1] وقال عز وجل ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴾[2] وقال تعالى أيضا ﴿ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[3] وأمثالها من الآيات كثيرة ، فعلمه سبحانه ذاته والتعلق جهات خلقية في الخلق فالعلم المتعلق لو كان عين العلم القديم لكان له حالتان حالة التعلق وحالة عدمه وورود الحالتين لا يكون إلا بمرجحات خارجية وإلا استحال الانفكاك وامتنع التعاقب ، لأن ذات الشيء لا تتخلف عنه والمرجحات الخارجية دليل عدم استكمال الشيء في نفسه وافتقاره إلى أمور خارجية لإظهار شئوناته الذاتية ، ثم لا تتحقق الشئونات والأحوال إلا لحادث ممكن تكون له جهتان متضادتان فتحصل جهة من مبدئه والأخرى عنه به ، فأما الذي لا يستند إلى الغير فليس له إلا جهة واحدة ، فثبت أن يكون العلم المتعلق غير العلم القديم سبحانه وتعالى وقد صرح بالأمر مولانا الصادق عليه السلام على ما في الكافي عنه عليه السلام ((لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم)) إلى أن قال عليه السلام ((فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع))[4] الحديث ، انظر في قوله عليه السلام ((وقع)) فإنه فعل لا يجوز استناده إلى الذات مع ما ثبت من مذهبه عليه السلام من امتناع ورود الحالتين على الحي القيوم سبحانه وتعالى ، فعلمه المتعلق بالمعلومات في خزائنه الإمكانية التي هي

---

[1] الحج ٧٠ — [2] ق ٤ — [3] طه ٥٢ — [4] الكافي ١/١٠٧

مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو وأصلها ومنشؤها في الخزانة العليا الأولى وهي لا وجود لها في الكون عند أهله فلا إحاطة لأهل الكون بشيء من تلك العلوم، ولما كان فيض الله سبحانه واسعا وإمداده متجددا ونعمته شاملة بالغة فلا يزال يمد الخلق سبحانه وتعالى بفاضل جوده وتلك الإمدادات إنما هي من تلك الخزينة بها فترد أولا إلى الحقيقة المحمدية ﷺ جملا جملا على جهة الكلية والشمول والبساطة إذ الأثر على صفة فعل المؤثر ولما كان الفعل لا حدّ له فيكون الأثر أيضا كذلك يظهر كعموم قدرة الله سبحانه صالحا للأحوال الغير المتناهية من جهة الحدود والإضافات والقرانات، والخزانة الأولى أيضا ليست مستقلة و إنما هي دائما يفاض عليها من بحر الجود والعطاء بها نفسها، وفي الواقع وحقيقة الأمر الخزانة العليا غيب للثانية وليست شيئا غيرها وإلا لكانت الثانية معلولا وهو لا يصح وإنما هما شيء واحد له وجهان وجه فيه ذكر الأشياء ووجه فيه حقيقتها إما بذاتها أو بصفاتها أو بظهورات آثارها، ألا ترى كيف جعل الله سبحانه الاسم الأعظم ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[٢] اسما واحدا وكلمة واحدة فالصاد هو الخزينة الثانية والعين هي الأولى والهاء والياء والكاف هي تفاصيل العين على ما فصلنا سابقا، فمن الأعلى ينزل إلى الأسفل ومن الغيب يأتي إلى الشهادة، لست أريد بالشهادة الأجسام الظاهرية أو النفوس المصورة ولا العقول المحدودة وإنما أريد بالشهادة الظاهر الذي هوعين الظهور بعدما كان في مكمن الخفاء وذلك

المخفي هوعلم الغيب الخاص بالله سبحانه ، فإن قلت فعلى ما ذكـرت يلـزم أن لا يجهلوا شيئا لأن الغيب هو وجههم الأعلى والشيء إذا أشهده الله خلق نفسه يحيط بحقيقة ذاته على ما هي عليه ، قلت نعم يعلمونه على ما هوعليه بأن ذلك الوجه بعد ما لبس حلة الكون فيعلمونه ممكنا ولا يعلمونـه مكوّنـا إلا حين كوّن ولذا قـال تعـالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[1] أي حين شاء كيف شاء بالمشيئة الكونية وتلك المشيئة هـي ظـهور تلـك الحقيقـة لنفسها بنفسها أي من حيث كونها حاملة لظهور الله سبحانه لهـا بـها ، وأمـا الذي لم يكن فيعلمونه كذلك ، أما الله سبحانه فلما كان ليس له حالتـان ولا ينتظر وجهان فليس له علمان فلا يقال له تعالى أكوان وإمكان يعلم الأكـوان بعد الإمكان فإن ذلك باطل واعتقاده كفـر ، وأمـا النـبي صلى الله عليه وآله فـهو مصـدر الفيض وله مقامات وأحوال ففـي كـل حـال منـها يحكـي وجـها مـن وجـوه التجليات الإلهية والأحكام الصمدانية ويكفيك في ذلك قول أمير المؤمنين فيه صلى الله عليه وآله ((أقامه مقامه في سائر عالمـه في الأداء إذ كـان لا تدركـه الأبصـار ولا تحويـه خواطـر الأفكـار))[2] ولمـا كـان الفيـض والمـدد دائـم الفيضـان عليـه عليه السلام وذلك يعيّن ويشخّص تلك الأذكار فدائما يظهر من مكمن الخفـاء إلى الإعلان والإظهار ﴿ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾[3] فكل إفاضة يظهر ما لا نهاية

---

[1] البقرة ٢٥٥ [2] الإقبال ٤٦١ [3] ص ٥٤

من الأحكام الإمكانية لكنها جملا تفصّل عند الولي عليه السلام فكلما سيوجد عندنا وجد عندهم عليهم السلام وكلما سيوجد عند الله وجد عند الله فالذي لم يوجد عندهم هو علم الغيب وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[1] وهو محمد صلى الله عليه وآله على أحد التفاسير .

وكيفية ذلك التعليم هو إشراق ما عند الله فيه له به فعلمه تعالى فيه به قبله بما لا يتناهى لأنه النور المشرق من صبح الأزل وهو أيضا الصبح أو صبح الأزل وفيه ظهرت شمس الأزل ، والتعليم إشراق المعلم على المتعلم بما فيه من نور العلم فيستنير المتعلم بذلك مع حفظ الأصل للمعلم وفي ذلك المقام اتحدت الأحوال واضطربت الأقوال ولم يبق للمقال مجال فإن الإشراق ظهور المشرق به والمشرق هو الظاهر بالإشراق والأصل محفوظ عند المشرق وهو ظاهر بالإشراق فإليه يرجع الأمر كله قال عليه السلام ((رجع من الوصف إلى الوصف ودوام الملك في الملك)) وهو قوله تعالى ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ﴾[2] فافهم فإني قد أشرت إلى مخزون العلوم ومكنون السر فهو عليه السلام علم الله ومشيئته مشيئة الله ، أما سمعت في الزيارة الخارجة عن

---

[1] الجن ٢٦ – ٢٧ [2] الحج ٧٠

الناحية المقدسة حرسها الله تعالى في زيارة الحجة عجل الله فرجه إلى أن قال عليه السلام ((مجاهدتك في الله ذات مشية الله ومقارعتك في الله ذات انتقام الله))[1] الزيارة .

وإياك واسم العامرية إنني	أخاف عليها من فم المتكلم
أخاف عليك من غيري ومني	ومنك ومن مكانك والزمان
فلو أني جعلتك في عيوني	إلى يوم القيامة ما كفاني

هذا بيان كيفية مجمل تعليم الله لمحمد ، فإذا فهمت ما قررنا وحررنا من مكنون العلم علمت أن نبينا صلى الله عليه وآله هومعدن العلم وأصله وينبوعه لأن عنده صلى الله عليه وآله الأصل وكلما لغيره وعند غيره فروع وحدود وصور وقد نشأت منه صلى الله عليه وآله فلا يقال لغيره العالم إلا بالإضافة لأن قوام الشيء بمادته وصورته والمادة هي الأصل في الشيء بل لا أصل سواها والصورة هي الحدود والأعراض والإضافات والنهايات فلا تقوم لها إلا بها ، فلما كانت الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله هي نور الأنوار والنور الذي تنورت منه الأنوار وهي مادة المواد و اسطقس الاسطقسات كان هو صلى الله عليه وآله ينبوع العلم وأصله ومعدنه كما قال روحي فداه ((أنا مدينة العلم وعلي بابها))[2] وفي رواية أخرى ((أنا مدينة الحكمة وعلي بابها))[3] والحكمة وإن كانت هي العلم إلا أنها أشرقت

---

[1] البحار ٩١ / ٣٦

[2] عيون أخبار الرضا ٢ / ٦٦

[3] وسائل الشيعة ٢٧ / ٧٧

مراتبه أي كل مراتبه بوجهها الأشرف فإن الحكمة عبارة عن السين المكتنفة بالأحدية فالأحدية هي المحيطة بجميع أطوارها والسين هي المحاط فإن الكاف والميم إذا استنطقتها يتولد منها السين وهو أعظم أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن اسمه يطابق مسماه فإن زبره عين بيناته ولفظه عين معناه ومن هذه الجهة كانت السورة المباركة قلب القرآن وهوعلي عليه السلام في مقام ظهوره عليه السلام في عالم التفصيل بالتكرير وهوالسين في بسم الله الرحمن الرحيم وهوالاسم الأعظم وهو إشارة إلى كل مراتب الموجودات على كمال التفصيل فإنا قد ذكرنا أن مراتب القابليات ثلاثون والشيء له مقامان مقام الإجمال ومقام التفصيل ومقام الغيب والشهادة فيكون الحاصل ستين وهوالسين ، وكل قابلية فلا يتخلف عنه المقبول فيلزمها مع دلالة الأحد عليه والحاء والهاء إذا مزجتهما واستنطقتهما يتولد منهما أحد وهوالجامع الأصل لمرتبتي الوجود صعودا ونزولا وجميع أحوال القوسين و أطوارهما ومقتضياتهما ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هوالمدينة لها لفظا ومعنى أما اللفظ فلأن ميم المدينة مثال ميم محمد صلى الله عليه وآله وسلم والدال داله وبالتكرير حاؤه وبالإضافة إلى الياء الميم الثاني والنون إشارة إلى الميم الثالث المدغم ومن هذه الجهة أشير إليها بينات الميم التي هي النون دون زبرها لبيان أنها غائبة في الخط ومذكورة في اللفظ كالبينات فإنها غائبة في الخط ومذكورة في اللفظ في بعض الأحوال فاستنطق من المدينة من دون الهاء اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن الهاء اسم الباب لفظا ومعنى أي لفظ معناه ، أما اللفظ

فلأن الهاء خمسة كما هي قوى الباب فالهاء نطق البـاب فالمدينـة بلفظـها تـدل على محمد صلى الله عليه وآله وبابه علي عليه السلام ويتعين الباب باسمه إذا أشبعت الهاء لتظهر منه الواوثم نزلتها إلى الرتبة الثانية فيستنطق اسم علي عليه السلام فظهر الأصـل والفرع كليهما من لفظ المدينة ، ولما كان الناس لا يعرفون تلك الدقـائق ولا يستشعرون بتلك الحقائق كشف صلى الله عليه وآله عن حقيقة الأمر وأوضح السر وقـال صلى الله عليه وآله ((أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن يأت المدينة فليأتـها مـن بابـها)) فكشـف صلى الله عليه وآله عـن قـول الله تعـالى ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ ﴾[1] وإنما كـان علي عليه السلام هو الباب لأنه عليه السلام مبدأ العلـة الصوريـة والصـورة بـاب المـواد فـلا يوصل إليها إلا بها في القوس الصعودي ،ولذا تـرى فلـك القمـر ككوكبـه أقرب الأفلاك والكواكب إلينا وهـي بـاب للآثـار والإمـدادات والإفاضـات الشمسية فلا يوصل إليها إلا بالقمر في كل مقام ولذا تراهم في الحـل الأول يأخذون جزء مـن الحـرارة وجـزء مـن اليبوسـة وأربعـة أجـزاء مـن الـبرودة والرطوبة ولهذا السر جعلوا في اسم العلم من اسم علي عليه السلام حرفين ومـن اسم محمد صلى الله عليه وآله حرفا واحدا للسر أن مقامه صلى الله عليه وآله مقام العقل ورتبة الإجمال ومقام علي عليه السلام مقام التفصيل والنفس الكلية والجسم من قشـور النفـس

---

[1] البقرة ١٨٩

فاقتضى أن يكون حرفان من اسمه وحرف واحد من اسم أخيه صلى الله عليه وآله وسلم حتى يتحقق أنه المدينة وأنه الباب والسافل لا يتوجه إلى العالي إلا من الباب التي بينه وبينه ، وكلما كان عند محمد صلى الله عليه وآله وسلم على جهة الإجمال فيلقى إلى علي عليه السلام كذلك فيفصل هناك ولذا كان يعلمه عليه السلام من العلم أبوابا أي قواعد كليات لا حدودا جزئية إذ ليس ذلك شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك ما كان ينبغي أن ينشد الشعر كما أخبر سبحانه ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾[1] لأن الشعر والنظم ترتيب وتصوير ومقامه عليه السلام فوق مقام الصورة والفرق والامتياز .

وأما الأمر الرابع فاعلم أنه قد ظهر مما بينا كيفية تعليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام من أنها إفاضة مادية أصلية كالعرش بالنسبة إلى الكرسي فإن الفيوضات ترد على العرش مجملا ومن العرش ترد على الكرسي فيفصل هناك إلى الكواكب وهي إلى البروج والمنازل ، وكالعقل والنفس فإن العلوم والفيوضات كلها ترد أولا إلى العقل بعلما وردت إلى الفؤاد وهي في العقل مجملة بسيطة كثرتها معنوية صلوحية لقد فصلت في النفس و انتشرت وكتبت في اللوح فالكتاب هوالمشية بيدها وهي الفؤاد والقلم العقل والنفس واللوح فهذه كتابة أبدية لا تنقطع لأن الكاتب لا يعجز واليد لا تقصر والمدد

---

[1] يس ٦٩

لا ينقطع والقلم لا يجف واللوح لا يخلص ولا يقصر ، فارتفعت الموانع وبقي المقتضى والمفروض عدم بخل الكاتب الكريم وعدم جهله فعلم القلم في الكتاب وكذا علم الكاتب فيما لا يظهر في الكتابة في الكتاب والكتاب هو الإمام عليه السلام والقلم هو النبي صلى الله عليه وآله في تفسير الباطن في الظاهر وقد قال عز وجل ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾[1] ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[2] ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[3] ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[4] وقال تعالى ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[5] ، وأما سر باطن الباطن وباطنه وباطنه فإن ذلك أبى الله إلا أن يستره و أن لا يكتب ، فالعلم المنسوب إلى محمد صلى الله عليه وآله هو العلم الإجمالي ورتبة الربوبية إذ لا مربوب عينا وكونا ومقام الوحدة الظاهرة في الواحد للظهور في الأعداد ومقام إقامة مقامه في سائر عوالمه في الأداء ، ومقامه نقطة العلم الظاهرة المنبسطة على أطوار ظواهر الكائنات وبواطنها المقتضية لرفع الاختلاف وظهور الائتلاف ولذا قال صلى الله عليه وآله ((ما اختلف في الله ولا في)) ، والعلم المنسوب إلى مولانا علي عليه السلام هو العلم التفصيلي ورتبة تجلي الربوبية إذ مربوب عينا وذكرا ومقام ظهور استواء الرحمن على العرش

---

[1] النبأ ٢٩ [2] يس ١٢ [3] يوسف ١١١ [4] الأنعام ٥٩ [5] الجاثية ٢٩

و إعطاء كل ذي حق حقه والإيصال إلى كل مخلوق رزقه ومقام الواحد الظاهر في الأعداد ومقام الاختلاف ورتبة الألف الظاهرة بالحروف والكلمات ولـذا قال ﷺ ((وإنما الاختلاف فيك يا علـي)) وقـال عـز وجـل ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾[1] وقال عليه السلام ((مـا لله آية هي أكبر مني وما لله نبأ هوأعظم مني))[2]، ولما كانت الأشـياء لها مراتـب ومقامات منها مقام العلّيّة والمعلولية والأثرية والمؤثرية ففي هذا المقام يعلـم العالي علة السافل المعلول بأحواله في مرتبة ذات السافل فحقيقة السافل هي عين علم العالي بالسافل به ، فالعالي وإن علم السافل به لكن لا يقال أن هذا تعليم أي السافل المعلول علم العالي نفسه أي أعطاه علمه به إذ علمه بـه في مقامه لأن التعليم تأثير للمعلم في المتعلم وليس هـذا العلـم في ذات العلّـة حتى تكون مستكمته بعلمها بأثرها وإنما هو في رتبة الأثر بل هو عـين الأثـر وإنما التعليم حينئذ من جهة العلة حيث أن وجوده مـن فيـض جودهـا ونـور وجودها فلا زاد علم العالي للسافل شيئا للعالي في ذاتـه شـيئا لأنـه لم يصـل إليها بوجه أبدا وإلا لتغيّرت الذات بأثرها وذلك مستحيل ، بـل السـافل لم يزل متعلما من العالي من فاضل علمـه الظّـاهري فـهو قـابل لذلـك العلـم بكينونته وذاته ومنها مقام الترتب في القوس الصعودي والـنزولي وذلـك لما

[1] النبأ ١ – ٣

[2] تأويل ٧٣٣

كان من جهة الاستكمال والاستتمام يجري فيه التعليم ، وبيانه مجملا هو أن الشيء لما بدأ من فعل الله تعالى خرج حاكيا لمثاله فظهر بلا كيف ولا كم ولا وضع ولا عين ولا جهة ولا رتبة ولا تحديد ولا تقييد ولا توصيف ولا تكييف فكانت له عين واحدة يرى بها التوحيد المحض الخالص ، ولما كانت الألوهية تقتضي الظهور بكل وجه من طور الوحدة والكثرة الأسمائية والصفاتية ومقام الأسماء لم يكن يجتمع مع مقام التوحيد وذلك المقام أيضا لا يكون إلا بالظهور بالأثر فنزّل سبحانه الشيء المخلوق من عالمه إلى أطوار تعيناته وتنزلاته فقال له أدبر عني وأقبل إلى الخلق فسبّح في لجّة تلك الغمرات وانغمس في بحر الإنيّات حتى استكمل ما أراد سبحانه به إظهار أسمائه وصفاته وجلاله وجماله ، ولما أن المطلوب والمقصود لذاته هوالتوحيد وحده وما سواه من المراتب لإثبات تحققه عند المخلوق وأمره سبحانه بعد الإدبار إلى الإقبال فقال له أقبل فأقبل إلى أن بلغ أشده واستوى فحصل للشيء بطء مسافة هذين القوسين علمان علم الوحدة والائتلاف وعلم الكثرة والاختلاف وعلم الإجمال وعلم التفصيل ، فعلم الوحدة هوالذي يدركه في كينونة ذاته بذاته من غير توسط أمر آخر ، وعلم الكثرة يدركه بظهور ذاته في مقام التفصيل لا في مرتبة الذات ، ومقام التفصيل لا يتحقق إلا بظهور مقام الوحدة وعالم الإجمال فيه فلا يزال ينزل العلم من المبدأ مجملا فيفصل ويتشعب في مقام التعلق ، فلما كان العقل في الإنسان هوحامل العلم الإجمالي الكلي المعنوي

والنفس هي حامل العلم التفصيلي الصوري الشخصي فلا يزال العقل يمد النفس ويعلمها بالمدد والعلم الحقيقي الإجمالي والنفس أيضا تعلم العقل العلم التفصيلي الشخصي الصوري ، فإذا أراد العقل شيئا من أحكام التفصيل نظر إلى رتبة النفس فعلمها كما أن الحواس الباطنية تعلم النفس أحكام الظهورات الخاصة التفصيلية ، يعني أن النفس إذا أرادت معرفة شيء من تلك الوجوه نظرت إليه بتلك القوة فهي تعلم النفس علمها وذلك العلم من النفس وللقوة حظّ الخصوصية ، وكما أن الحواس الظاهرة تعلّم الباطنية أحكام الأجسام الشهودية إذ لولاها لما تمكّنت الأرواح الباطنية استعلام الأحوال الجسمانية الشهودية ، وكما أن الملائكة تعلم الأنبياء والرسل أحكام التشريعي والتفصيلي وكذلك التكويني كذلك ، فتقول النفس مثلا علمني العقل علمه من العلم المعنوي والقواعد الكلّية المبهمة وعلّمته علمي من الصور الجزئية والتفاصيل الشخصية والأحكام المحدودة ، وإن كانت هذه التفاصيل لا قوام لها إلا بتلك المجملات والمبهمات ولكن تلك الخصوصيات إنما ظهرت هنا دون تلك الرتبة فيتناولها العقل عندي لا عنده ولا نقص في ذلك له بل إنما هو لغاية الكمال والتمام ، وكذلك تقول الحواس علّمت النّفس إياي علمها وعلّمتها علمي وكذلك سائر القوى والمشاعر والآلات فإن لكل واحد منها علما خاصا بها ينظر العقل إليه به ، وكذلك جبرائيل علّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما علّمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إيّاه لكن بطور آخر فإنه كان يأخذ من ميكائيل وهو من إسـرافيل وهـو مـن روح القدس وقد سمعت مرارا ما قاله العسكري عليه السلام في روح القـدس أنـه ذاق من حدائقهم الباكورة .

فعلى هذا تبين لك معنى قول علـي عليه السلام ((علّمتـه علمـي)) لأن عليّا عليه السلام في مقام الولاية وهي مقام التفصيل فالأحكام التفصيليّة ما وصـل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ بواسطة علي عليه السلام وذلك الوصول إنما كان بـالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كان طائفا حول جلال القدرة أي الولايـة المطلقـة قبـل خلـق نـور علـيّ عليه السلام عند جلال العظمة وهي النبـوة ، فلمّـا خلـق عليّـا عليه السلام بقـي نـور علي عليه السلام يطوف حول جلال القدرة أي الولاية ونـور محمـد صلى الله عليه وآله وسلم يطـوف حول جلال العظمة ، فإذا كان كذلك فكلّ المقامات والمراتب التي فيها التّعلّق والتكييف والتوصيـف والتعريـف والتفريـق والامتيـاز لا يصـل إلى النـبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا بعلي عليه السلام وهو بابه فيما يصدر منه إلى غيره وفيما يصل إليه من غيره فهو بابه عليه السلام إلى غيره وباب غيره إليه ، ولما كانا عليهما السلام حقيقـة واحـدة صحّ نسبة تعليم أحدهما إلى الآخر وإن كان أحدهما بالأصالة والآخر بالقشر والصورة ، فمن التّعليـم ظـهور النـبي صلى الله عليه وآله وسلم بالكينونـة البشـرية الظاهريـة الصورية في الهيكل الإنساني فـإن هـذه الصـورة و إن كـانت علـى مقتضـى كينونة النبوة في الشكل التّثليثي في الواحد لكـن كـانت غـير ظـاهرة وغـير

متمايزة الأضلاع والحدود وإنما تمايزت بالصور في رتبة الابتداع ، ولما كان علي عليه السلام هوحامل ركن الإبداع كما أن نبيّنا صلى الله عليه وآله حامل ركن الاختراع فالإرادة منسوبة إلى الولي عليه السلام كما أن المشيئة منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله فالكاف للنبي صلى الله عليه وآله والنّون للولي عليه السلام ، وكذلك ظهور الكاف في النون ولذا كان مجموع الكاف والنون استنطاق أول حرف اسم الولي عليه السلام فالأشياء المتمايزة نسبتها إلى الإرادة والإرادة نسبتها إلى الولي ، وأما الأول فلقوله عليه السلام في الدعاء ((ومضت على إرادتك الأشياء))[1] ، وأما الثاني فلقوله عليه السلام في الزيارة ((إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم ويصدر من بيوتكم الصادرة لما فصّل من أحكام العباد))[2] الزيارة ، فالكينونة البشرية للنبي صلى الله عليه وآله مما علّمها إياه الولي عليه السلام بالترجمان وإن كان من النبي صلى الله عليه وآله وإليه ومن الولي وإليه صلى الله عليه وآله فافهم .

ومن التعليم ظهور النبي ببعث الأنبياء والرسل فإن تعدد الأنبياء بحسب ظهورات الأسماء في مرايا التعلّقات ، وتلك إنما نشأت من حكم الابداع بالإرادة وحاملها الولي كما أن المشيئة حاملها النبي صلى الله عليه وآله وبالمشيئة كانت الإرادة ، والأنبياء حكاية ظهورات تلك الأسماء فافهم .

---

[1] البحار ٩٥/١٩ [2] كامل الزيارات ٢٠٠

ومن التعليم إنزال القرآن الكتاب الذي فيه تفصيل كل شيء من الأسرار الغيبية والشهودية مما كان أو يكون إلى ما لا نهاية له فإن الكتاب التكويني حقيقة هوالولي عليه السلام والكتاب التدويني صفة الكتاب التكويني وقد دلّ العقل والنقل على أن الكتاب هو علي عليه السلام وهوالكتاب الذي كتبه الله بيده وهوالهيكل الذي بناه بحكمته وهومجمع صور العالمين وهوالصراط المستقيم وهو الصراط الممدود بين الجنة والنار وقد قال تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[1] وقال عز وجل ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾[2] وقال ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ﴾[3] وهو علي عليه السلام وهذا لا إشكال فيه لمن نظر وتدبّر وأنصف واعتبر والله سبحانه أخبر عن ذلك بقوله ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4] وقد اتفق المفسرون أن هذا الروح هو القرآن وقال عليه السلام ((أنا الروح من أمر ربي وأنا كتاب الله الناطق والقرآن كتاب الله الصامت)) فالولي هوالكتاب الذي أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله فعلم به ما كان وما يكون

---

[1] يس ١٢ [2] النبأ ٢٩ [3] الجاثية ٢٩ [4] الشورى ٥٢

كما أنه يعلم بالقرآن مع أنه أشرف وأعظم من القرآن فافهم ضرب المثل فكم من خبايا في زوايا .

ومن التعليم الأسماء الحسنى التي كان النبي صلى الله عليه وآله يدعو بها الله سبحانه فإن النبي صلى الله عليه وآله إنما علم عليّا عليه السلام الاسم الأعظم الله وهو الاسم الواسع العظيم الجامع فعلّمه علي عليه السلام الاسم الرحمن وما سواه من الأسماء الخاصة المتفاوتة المختلفة المتقابلة لأنها كلها إنما نشأت من اسم الرحمن حين استوائه على العرش وقد ظهرت كلها بعلي عليه السلام ولذا كان النبي صلى الله عليه وآله يدعوالله بعلي عليه السلام على ما روي عن ابن مسعود وعائشة ، وعلي عليه السلام يدعوالله بمحمد صلى الله عليه وآله ، وهوالسر في قوله عليه السلام ((وعلّمني علمه وعلّمته علمي)) فافهم .

ومن التعليم بعثة الأنبياء بالشرائع والسنن فإن الشرائع كلها من شريعة أبينا آدم عليه السلام إلى شريعتنا الموجودة الآن كلها من حدود القرآن كتاب الله الذي فيه تفصيل كل شيء ، وقد علمت أن القرآن هوصفة الولي عليه السلام وتلك الشرائع صفة القرآن على الحقيقة أو نسخة منه على الظاهر فيرجع إلى الولي عليه السلام أمرها قال تعالى ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ ﴾[1] قال عليه السلام إن الضمير يرجع إلى الولي عليه السلام وقد ورد من طريقنا وطريقهم في

---

[1] هود ١٢٣

تفسير قوله تعالى ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾[1] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ليلة أسري بي إلى السماء اجتمعت في مسجد الأقصى مع كل الأنبياء والمرسلين فأتاني جبرائيل وقال يا محمد اسألهم بماذا بعثوا فسألتهم فقالوا بعثنا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أن عليا ولي الله)) وهذا التعليم والإلهام في الكل إنما كان بعلي عليه السلام بمثاله في هويّاتهم وفي نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لكونه علمه ولسانه ونفسه ، أما علمت أن النبي كسر الأصنام وهدمها لكن بعلي عليه السلام لما علا على ظهره صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن التعليم إنزال الملائكة وحفظة الوحي وحملة الإلهام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن ذلك كان بالولي عليه السلام أما علمت أن جبرائيل سيد الملائكة وقد علّمه علي عليه السلام شرائع دينه ومعرفته بربّه و اسمه ، وهذا دليل على أنه عليه السلام ما يمكنه أن يتعلّم ويأخذ من الله سبحانه إلا بواسطة علي عليه السلام لأن الملائكة حملة التدابير الخاصة المتعلّقة الناشئة من الإرادة التي يحملها الولي عليه السلام وتهبط إليه والكرّوبيون الذين هم سادة الملائكة حيث أن موسى النبي عليه السلام الذي من أولي العزم قد خرّ مغشيا عليه عند ظهور نور رجل منهم بقدر سمّ الإبرة كلّهم من شيعة علي عليه السلام على ما رواه الصّفار في بصائر الدرجات ، والشيعة إنما مشتقّة من الشعاع أومن المشايعة كما ورد

---

[1] الزخرف ٤٥ [2] الأنبياء ٢٩

عنهم عليهم السلام وكلا المعنيين يستلزم أخذهم في كل ما لهم وعليهم ومنهم وإليهم عن علي عليه السلام ولذا قال عليه السلام في حديث البساط ((والله إنه لا يخطو ملك خطوة إلا بإذني وأمري)) كيف وهو عليه السلام أمر الله الذي قامت به السموات والأرض وقام به كل شيء كما قال عليه السلام ((كل شيء سواك قام بأمرك))[1] وقد نص الله تعالى على ذلك في كتابه العزيز بقوله ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[2] وقد قال عليه السلام أنا الروح من أمر ربي فالملائكة إنما تنزّل به عليه السلام على من يشاء من عباده من الأنبياء والمرسلين والخلفاء والصالحين والمؤمنين الممتحنين في حياتهم وبعد مماتهم، وقد سمعت ممن أخبرني عنهم عن أحد الأئمة عليهم السلام أنه قال ((إن جبرائيل ما دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرة إلا وقد استأذن من علي عليه السلام فكان يدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإذن علي عليه السلام)) وهذا الحديث وإن كان مرسلا لكنه مؤيد بالأخبار الأخر والآيات كما أشرنا إلى بعض منها.

وبالجملة أنحاء هذا التعليم كثرة و أسرارها غريبة ولذا ورد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج ما مر على مقام من المقامات إلا وقد رأى عليا عليه السلام فيه

---

[1] البحار ٩٠/١٤٨   [2] النحل ٢

ولما وصل إلى مقام قاب قوسين فخاطبه الله سبحانه خاطبه بلسان علي عليه السلام لأن العالم كله مثل وهياكل لعلـي عليه السلام لأنـه نـور أشـرق مـن صبـح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره فما تجد ذرة من ذرات الكون إلا وهو متقـوم بذلك الهيكل ولذا كان يجله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند كـل ذرة ، ولما صعـد المقامـات الغيرية ووصل إلى المقامات الذاتية ففي المقامات التفصيلية يجـد عليـا عليه السلام بذاته فيها حتى إذا وصل إلى مقامات تجلي ربه فهناك انقطع ذكر علـي عليه السلام لأنه صلى الله عليه وآله وسلم إذ ذاك في مقام النقطة ورتبة علي عليه السلام مقام الألف فالواصل في مقام النقطة ينقطع عندها الألف بخلاف العكس لكن جميـع أحـوال النقطـة وسريانها في الحروف إنما هي بالألف فلا فارق بينـهما ولا تقـدم النقطـة وإن كان لها التقدم في كل مقام لكن بحسب الظـهور والوجـود وترتـب الآثـار لا يفارقان إلا إذا قطعت مسافة الألف فهناك انقطع الاسم والرسم والذكـر ولا تعرف النقطة ولا تشاهد لها أثر ولا ظهور ، فكانت الألف هـي آيـة النقطـة وظهور سلطانها ولذا قال علي عليه السلام ((أنا آية محمد صلى الله عليه وآله وسلم)) فلـولا علـي عليه السلام لم يظهر لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ذكر بوجه أبدا فعلي عليه السلام مظـهر آثـاره وناشـر أخباره ومعلمه أسرار الولاية الظاهرة بما جعل الله فيه عليه السلام كما مثلنـا لـك بالعقل والنفس فإن الأحـوال والأسـرار والقـوة والشـئونات العقلانيـة مـا ظهرت إلا بالنفس وما أحاط العقل بالعلوم التفصيلية إلا بالنفس فقد تعلم

منها عملها لكن هذا علم قشري هو جعله وديعة في النفس ليشاهده فيها إذا تحتاج إليه ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم ((أعطيت لواء الحمد وعلى حامله)) .

ومجمل القول أن جميع الأحوال الثابتة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مما فيه اقتران وتعلق وارتباط كل ذلك كان بعلي عليه السلام ، كما أن رؤوس المشيئة الظاهرة في الأشياء في المشاء إنما هي بالإرادة لأن كلمة كن بها قد استقام الخلق فالكاف صاحب الإجمال والنون صاحب التفصيل ، فأحكام التفصيل إذا لحقت الكاف بأي نحو كانت فإنما هي بالنون وأحكام الإجمال إذا لحقت النون بأي نحو كانت فإنما هو بالكاف ، فظهور الكاف في النون هي الولاية الظاهرة في الأكوان ومستجنات غيوب الإمكان وقد أشار عليه السلام إلى ما ذكرناه من التصريح بتلويح قوله عليه السلام ((علمني علمه وعلمته علمي)) على تفسير ظاهر الظاهر الذي يشير إلى باطن الباطن فإنه قال صلى الله عليه وآله وسلم ((علمني)) فأتى بمتعلق التعليم الياء للإشارة إلى أنها تكرير الهاء وهومقام علي عليه السلام ، لأنه عليه السلام بالنسبة إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم نسبة الإجمال إلى أول مقام التفصيل لذا كان مقامه عليه السلام الياء لأنه أول تكرير الألف وميلها إلى الانبساط ثم أتى بنون الوقاية للإشارة إلى المراد وهو ظهور الهاء في الياء وهو رتبة مقام علي عليه السلام فالذي علم النبي علياً عليه السلام هو الهاء وهي مقامات التوحيد ومراتب التفريد ووجوه المبدأ وكف الحكيم ، ولذا أشير إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رقوم الاسم

الأعظم بخاتم خماسي الأركان هكذا ( ) والهاء لما استدارت في أربعة أدوار لكمال الاعتدال إذ لظهور سر الأحد في الواحد ظهرت الكاف فكان العلم المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله أسرار المشيئة المتلقاة عن الله بنفسها قبل تعلقها ولذا كان أثرها الهاء لأنها أول مقامات الظهور وموضوع علم البيان الذي علمه الله الإنسان وسر مقام أقامه مقامه في سائر عالمه في الأداء، فهذا العلم عن النبي صلى الله عليه وآله خاص به لا يشاركه فيه علي عليه السلام وهو غاية مقامات الظهور ونهاية مقصد القاصدين وغاية آمال العارفين وقد حد ذلك المقام في المقام الزماني من أول زوال الشمس إلى مضي مقدار أربع ركعات بإزاء اسم محمد صلى الله عليه وآله المربع وذلك الوقت خاص بصلاة الظهر لا يجوز فيه العصر سهوا ولا عمدا وهو المختص لا المشترك ولذا كان النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج قيل له (ادن من صاد وتوضأ لصلاة الظهر) وهوالوقت المختص لا المشترك ولذا كانت صلاة الظهر منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله لأن مقامه مقام الظهور المطلق والوحدة الصرفة الغير مشوبة بشيء من تعلقات الكثرة لتظهر الظلمة من جهتها وهو أول ظهور نقطة الهاء وعند التجذير أول الخمسة من الخمسة والهاء هي سر مقام جلال القدرة، فعلم النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام أسرار الهاء ولذا قال عليه السلام ((علمني علمه)) لكن هذه الهاء لا إشباع فيها ومع الإشباع تكون عين علي عليه السلام وروحي له الفداء فحقيقته عليه السلام علم

محمد ﷺ علمه إياه ، وتلك الحقيقة الصرفة هي الهاء فلما أشبعت بالتكرير والتفصيل والظهور والتحديد اشتق من الهاء بعد الإشباع له عليه السلام اسمه فكان جامعا للأسماء الحسنى كلها ومعنى هذا الاسم هو الله ومعنى الله الهاء هو وهي التي علمها عليا عليه السلام .

ثم قوله عليه السلام ((وعلمته علمي)) إشارة واضحة إلى أن الهاء والمعبر عنه بالهاء حقيقة بسيطة صرفة لا تكثر فيها من حيث ذاتها وإنما تكثرها بتكريرها وتفصيلها وأقل تكريرها الياء فهي منشأ الكثرات ومبدأ العثرات ، وعلي عليه السلام هو الواقف في هذا المقام وهو الباب لذلك الجناب فإذا أراد النظر إلى مقام الكثرات والتعلقات ومشاهدة الأسماء والصفات فإنما ينظر المعبر عنه بالهاء إلى مقام المعبر عنه بالياء فذلك علمه أسرار الهاء وذلك علمه أسرار الياء وهي أول ظهور الهاء في مقام التعلق فعند إتمام ظهور الهاء في الياء هوالمقام المختص بعلي عليه السلام من حيث مقامه ورتبته ولذا كانت صلاة العصر مخصوصة بعلي عليه السلام لأنها أول تكرير صلاة الظهر فالمختص بها هو المحدود في الوقت الزماني مقدار بقاء أربعة ركعات إلى غروب الشمس لأن عليا عليه السلام هو نفس رسول الله ﷺ ومقامه المختص مقام كثرة التعلقات المورثة للظلمة ولما كان منتهى الظلمة مقام السكون وهو مقام مفعول البارد اليابس والفعل و إن كان فيه التعلق إلا أن جهة الوحدة فيه غالبة فقبل التعلق مقامه مقام الكاف وهوالمختص بصلاة الظهر وبعد

التعلق مقامه مقام النون أي ظهور الهاء في الياء وهوالمختص بصلاة العصر لقرب النون بكمال الكثرة التعلقية إلى المفعول المظلم المتكثر من حيث كونه مفعولا وما بينهما أي عند الميل إلى التعلق هوالوقت المشترك وهو السر ما بين الكاف والنون وذلك السر في هذا المقام فاطمة الصديقة عليها السلام لأنها الجهة الجامعة بين الكاف التي هي رسول الله صلى الله عليه وآله والنون التي هي مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، فمن هذا السر ظهر ذلك السر في الواو والغائب بين الكاف والنون لإتمام الاثني عشر بمثناها فتمت الكلمة بتمام الأربعة عشر يد الله ووجه الله وهوقوله عليه السلام في الزيارة ((بكم تمت الكلمة))[1] وهي كلمة كن على بعض الوجوه ، فافهم فإني قد كشفت السر وأوضحت الأمر ولا قوة إلا بالله .

ولهذا الكلام بيان آخر وهو أنك اعلم أن لهما عليه السلام مقامين مقام في العالم الأول في الخلق الأول في رتبة الاختراع الأول والابتداع كما قال مولانا الرضا عليه السلام ((إن الله سبحانه أول ما خلق الاختراع والابتداع ثم خلق الحروف فجعلها فعلا منه يقول للشيء كن فيكون)) فلهما مقام هناك فهما عليهما السلام هناك أخوان قد رضعا من ثدي واحد من مشيئة الله سبحانه بنفسها بنفسها فمحمد صلى الله عليه وآله هوالاختراع الأول وهو الأخ الأكبر وعلي عليه السلام

---

[1] الزيارة الجامعة الكبيرة

هوالابتداع الأول وهو الأخ الأصغر ، كالعرش والكرسي فإنـهما أخـوان إلا أن الكرسي هو الأخ الأصغر والعـرش هـو الأكـبر ، ولا شـك أن الكرسـي مستمد من العرش ولم تزل الفيوضـات والإمـدادات مـن العـرش تجـري إلى الكرسي فتفصل هناك بالنجوم والكواكب والبروج وأمثالها من الأحوال ومـا ذكرنا من حكم التعليمـين كلـه يجري في هـذا المقـام علـى تفـاوت درجاتـه ومقاماته فراجع تفهم إنشاء الله تعالى .

والمقام الثاني في رتبة الحروف من الوجود المقيد ظهرا متنزلين في هذا المقام لتكميل الناقصين وإرشاد المسترشـدين علـى المعـاني كلـها كالشـمس والقمر المتنزلين من العرش والكرسي وهما عليهما السلام في هذا المقام يقتضـي أن يكونا ابني عم فإن الشمس قد تولدت من ضوء العـرش بواسـطة الكرسـي والقمر من الكرسي بالعرش ، ولا شك أن الشمس في هـذا المقـام مسـتملة من الكرسي ولذا لا تفارق في سيرها منطقة الـبروج أبـدا لاسـتمدادها منـها كما قال عليه السلام ((الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي والكرسـي جزء من سبعين جزء من نور العرش))[1] فالعرش يعلم الكرسـي والكرسـي يعلم الشمس العرش فيحتمل أن يكون المراد ((علمني علمــه)) في العـالم الأول من حيث ذلك العالم من العلوم وأسرار الولاية الظاهرة في الأكـوان لا أسرار النبوة الأولية فإنها أشرف وأعظم من الولاية المطلقة وتلك خاصة بـه

---

[1] الكافي ١/٩٨

ﷺ لا يشترك فيها معه علي عليه السلام كما دلت عليه الروايات كحديث الرمانتين وأشباهه كما مر ، والعقل المستنير أيضا يدل على ذلك ولا إشكال فيه للفطن ، ويكون المراد من قوله عليه السلام ((وعلمته علمي)) أي في العالم الثاني الظاهر بالنبوة الظاهرة والأحكام والشرائع فإن ذلك في هذا العالم مستمد من الابتداع وقد قلنا أن عليا عليه السلام حامله فيكون في هذا المقام مستمدا منه عليه السلام بما أمد به في المقام الأول ، وذلك كجبريل وسائر الملائكة فإنهم يأخذون من غيبهم ويؤدون إلى شهادتهم عليهم السلام لأن الملائكة روابط بين الغيب والشهادة ، وكذلك علي عليه السلام علم رسول الله ﷺ في مقام الشهادة ما أخذه منه ﷺ وعلمه إياه في عالم الغيب في الخلق الأول ولا منافاة بين هذا وبين كون النبي ﷺ أشرف وأفضل من علي عليه السلام كما ذكرنا غير مرة ﷺ وعلى أولادهما الطيبين وعلى الصديقة الطاهرة المعصومة المظلومة المغصوبة المطهرة .

قال روحي فداه وعليه الصلاة والسلام ألا و إنا نحن النذر الأولى ونحن الآخرة والأولى ونذر كل زمان و أوان وبنا هلك من هلك ونجى من نجى

ولما أشار عليه السلام بل صرح بانحصار العلم المطلق على الوجه المطلق في محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيه عليه السلام و إنّ ما عندهما مستور عن كل الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وكل ذي وجود من الخلق أجمعين ، أراد عليه السلام أن يزيل ما عسى أن يختلج في وهم بعض القاصرين الغافلين الذّاهلين عمّا سبق في بيان مقاماته عليه السلام ما يوجب انحصار العلم فيهما عليهما السلام ولكن للغفلة والذهول ربما يتخيلون كيف يكونان أعلم و أعظم و أشرف من غيرهما مع أنهما ما وجدا إلا بعد الأنبياء و إن كل سابق في كل صقع ومقام أعلم وأشرف من اللاحق لبطلان الطفرة فلا يسبق السابق إلا لكونه أشرف من اللاحق ولا يكون أشرف إلا إذا كان أعلم ، فأجاب عليه السلام بأن الطفرة في الوجود باطلة وأن الفيض متسق غير معطل لكن لا كل سابق في الظهور سابق في الوجود بل

السابق في الوجود يجب أن يكون لاحقا في الظهور لأن كل موجود لا بد له من قطع قوسي النزول والصعود وفي النزول كل سابق أشرف وفي الصعود بالعكس فيكون ما ظهر آخرا فهو أشرف الكل ، ألا ترى أن الإنسان في الولادة الجسمانية أول ما يظهر منه النطفة ثم العلقة وهي أشرف من النطفة ثم المضغة وهي أشرف منهما ثم العظام ثم اكتساء اللحم ثم تظهر الروح الحيوانية ثم يتولد ويظهر العقل كاملا سويا من أول بلوغه خمسة عشر سنة إلى أربعين وليست رتبة أعلى من رتبة العقل في الوجود المقيد ، انظر كيف ظهر آخرا وليس لعاقل أن يقول أن العقل ما خلق إلا ذلك الوقت لأن الله سبحانه أجل و أعظم من أن يختار الكثيف على الشريف والظلمة على النور والليل على النهار مع ما دلت الأخبار وشهد بصحتها صحيح النظر والاعتبار أن العقل أول ما خلقه الله سبحانه .

فإذا فهمت هذا علمت أن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم هو أول النبيين وأشرفهم وأفضلهم و أعلمهم وخاتم الوصيين هو أول الوصيين بعد خاتم النبيين لأن الوصي المطلق العام الكلي يجب أن يكون من سنخ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليكون بدلا قائما مقامه وبالغا مبلغه وظهور الختم هو دليل البدء وقد قال عز وجل ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1] ، فإذا كان خاتم النبيين هو الأول وهو واحد بدليل أنه في العود واحد فتكون الشريعة شريعته والسنة سنته والدين دينه

---

[1] الأعراف ٢٩

والحكم حكمه والأمر أمره ووجود سائر الأنبياء مقدمة وتوطئة لظهوره ﷺ بل سائر الأنبياء عليهم السلام قشور وظواهر متقومة بالأصل واللب الذين هما هو ﷺ على المعاني كلها ولولا خوفي من أشباه العلماء لصرحت بالمراد ولكن أقول كما قال الشاعر:

تعرضت في قولي بليلى وتارة بهند   فلا ليلى عنيت ولا هندا

وسيدنا ومولانا جعلني الله فداه قد أشار إلى كل ذلك بأتم الإشارة بأنحاء شتى فنحن إنشاء الله نقف بأثره ونتبع أمره فقال عليه السلام ((ألا ونحن النذر الأولى)).

أتى عليه السلام بكلمة العرض للتنبيه والتبيين و إظهار ما كان مستجنا في طبائع الأكوان من مستودعات أسرار الإنسان لغيب البيان ، فخفيت تلك الأسرار بإحتجاب تلك الأنوار بتراكم الأبخرة والأدخنة الأرضية الكثيفة فتلاءمت بالرطوبات الغريبة والحرارة الغريبية فانجمدت القرائح وخمدت الطبائع لوقوع هذا الحجاب الغليظ الأسود ، فأراد عليه السلام كشف هذا الحجاب وفتح ذلك الباب على جهة الحكمة مستدرجا لا دفعة ليفسد بمزج هذا الحجاب العرضي وأخلاطه بالأجزاء الذاتية فلو نزع الحجاب دفعة واحدة لانتزعت منه الأجزاء الذاتية فتفسد الطبيعة وتجمد القريحة وهو خلاف الحكمة ، فمن هذه الجهة أتى عليه السلام بكلمة العرض وهي اللام المكتنفة بالألفين في أولها و آخرها أشار إلى أنه ليس فيه إثبات إلزامي كما

لوحذف الألف الثاني ولا نهي تحريمي كما لوحذف الألف فهو إثبات مع النفي أي الأمر بين الأمرين والسر بين العالمين ، ولذا كان حرف التنبيه لا أمر ولا نهي ولذا يجوز له الفعل والترك يعني لا يعاقب على الترك و إن كان الفعل مطلوبا بدليل إصدارها بالهمزة ، وهذه إشارة إلى ظهور نور الولاية في الكون على جهة الاختيار وسطوع ذلك النور مشروح العلل مبين الأسباب وشرح حقيقي لقوله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى (ألست بربكم) ولذا وضعت لها هذه الحروف المخصوصة ، فاللام في هذه الكلمة رشح لام علي عليه السلام لما بينا من أن اسمه عليه السلام اللام والألفان رشح لاسم محمد صلى الله عليه وآله لما ذكرناه من أن اسم محمد صلى الله عليه وآله الألف المكررة ، فالألف واللام إذا اجتمعتا فإن تقدمت الألف كان إثباتا لأن مقامه صلى الله عليه وآله مقام المدد والمادة والعطية والسكون والاطمئنان والثبات والبيان والتأدية ، وإن تأخرت الألف في الظهور في مقام (وعلمته علمي) كان نفيا لأن مقام علي عليه السلام مقام القهر والغلبة والاستيلاء والتسليط والسلب والنفي ، مع مناسبة الألف مع الوحدة الثابتة واللام مع الكثرة النافية ، ودليل ما ذكرنا ووجهه يطول به الكلام والإشارة كافية لأولي الأفهام ، فإذا ظهرت الألف أولا و آخرا مع اللام كان تنبيها وتبليغا لا حكما وتثبيتا وهوالمقام الذي وقف فيه النبي صلى الله عليه وآله كما

قال عز وجل ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[2] والهادي هو علي عليه السلام الذي يعطي كل ذي حق حقه من حكم الإجابة والإنكار ، ومن هذه الجهة وجب أن يكون في هذه الكلمة مثال محمد صلى الله عليه وآله أكثر من مثال علي عليه السلام ، وجعل مثاله صلى الله عليه وآله في الطرفين لبيان أنه صلى الله عليه وآله محيط وأول وآخر وظاهر وباطن وعلي عليه السلام محاط بالنسبة إليه وهو الفرع الكريم بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله والأصل القديم بالنسبة إلى غيره ، فهذه الكلمة أي كلمة العرض من تعليم النبي صلى الله عليه وآله إياه هذا هوالوضع الأولي ، بهذه الكلمة أشار إلى سريان نور الولاية من الولي المطلق من البدء إلى العود الذي هوعين ذلك البدو ولذلك كررت الألف أولا وآخرا ، فأثبت بهذه اللفظة ما أراد إظهاره وبيانه روحي فداه ، ثم أتى علي عليه السلام فبالضمير المتكلم المنفرد لبيان الحصر والحقيقة و أكده مع ذلك بحرف التأكيد المثقلة ثم أدغم أحد النونين بالآخر حرصاً للمبلوغ إلى المراد وخروجاً من المقدمة إلى ذي المقدمة ، وقد علمت أن الضمير المتكلم معه غيره له صيغتان أحدهما للمنفصل وهي نحن والثانية للمتصل وهي نا ، وجمع عليه السلام في هذا المقام بين الصيغتين ، وإنما اختصتا بهذه الحروف المخصوصة على الهيئة المخصوصة لأن الألف هي دليل الوحدة والنون هي دليل الكثرة لأنها

---

[1] العنكبوت ١٨ [2] الرعد ٧

مقام الإرادة في كن فيكون ، ولما كانت الضمائر في نفسها متكثرة و إن أشير بها إلى الواحد لأن تعريفها بالتقييد لا بالذات فلها جهة وحلة وجهة كثرة من جهة الحدود والقيود ، ولذا فرقوا بين الضمائر وبين الأعلام أن الأعلام تعين المسمى من حيث هو بخلاف الضمائر فإنها بالقيد كما قال ابن مالك

اسم يعين المسمى مطلقا علمه كجعفر وخرنقا

فمن هذه الجهة وجب في الضمائر ما يدل على الكثرة كالواو في ضمير الغائب والنون في ضمير المخاطب والنون في ضمير المتكلم ، ولما أرادوا المتكلم وحده زادوا الألف قبل النون وبعدها مبالغة في الوحدة و إنما هي المقصودة لا الكثرة ، وقد قلنا لك أن الألف اسم محمد ﷺ فالمتكلم وحده ينسب إليه حقيقة دون الخلق كما قال ﷺ ((أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر وكان يطوف حول جلال القدرة ثمانين ألف سنة)) وكان في هذه المقامات متكلما وحده لا شريك معه إلا ذكر ظهور نور علي عليه السلام ولما لم يكن إلا الذكر كان حرف اسم النبي ﷺ غالبا وجهة الوحدة فيه ظاهرة كما ذكرنا ، فوجب أن يكون ضمير المتكلم وحده (إنا) في الوضع الأول الأصلي و إنما اختيرت النون لأنها أول كلمة وقعت في الوجود من الحروف كما قال مولانا الرضا عليه السلام ((ثم خلق الحروف فجعلها فعلا منه يقول للشيء كن فيكون)) فالكاف والنون هما أول ما نطق بهما الرحمن عند استوائه على العرش والمتكلم أعرف الضمائر وقبلها وأعظمها فلختيرت لها النون وهي

مشتملة على سر الكاف بخلاف العكس ، وذكر المجموع مستلزم للتطويل ولا فائدة في ذلك فافهم الإشارة ، وأما في المتكلم معه غيره فحيث كان المطلوب فيه الكثرة دون الوحدة قدموا النون على الألف لأن النون اسم علي عليه السلام فتأخرت الألف في هذا المقام لأنها اسم محمد صلى الله عليه وآله فيجب التأخير كما قال صلى الله عليه وآله في تتمة الحديث المتقدم ((حتى بلغت إلى مقام جلال العظمة فخلق نور علي عليه السلام فكان نوري يطوف حول جلال العظمة ونور علي عليه السلام يطوف حول جلال القدرة)) ، وقد علمت أن المتكلم مع الغير إنما تحقق عند خلق علي عليه السلام فكان مبدأ الضمير فنص النبي صلى الله عليه وآله على السر حيث قال ((فكان نوري يطوف حول جلال العظمة)) فوجب حينئذ تقديم النون وتأخير الألف للإشارة إلى هذه المرتبة ، فمن هذه الجهة كان ضمير المتكلم مع الغير المتصل(نا) من غير الألف الأولى مع أن الاختصار والوحدة مطلوبة في المتصل لكونه بمنزلة الكلمة الواحدة مع ما يتصل به ، وأما في المنفصل فلما كان مطلوبية الكثرة وظهور التعدد والحصر والتأكيد في ذلك فيه أشد وأكثر فكرروا النون في الأول والآخر للإشارة إلى مقصودية الكثرة لذاتها في هذا المقام وظهور الولي في الأول والآخر والظاهر والباطن ، فالمتكلم معه غيره في مقام الولاية والقيومية وإن كان للتعظيم فإن العظمة من آثار ظهور

سلطان الولاية كما قال عـز وج ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾[1] بخلاف المتكلـم وحده فإنه في مقام التوحيد والتفريد والتقديس كما قال عز وجل ((يا إنسان اعرف نفسك تعـرف ربـك ظـاهرك للفنـاء وبـاطنك أنـا)) وهـو الظـهور بالتوحيد لا بالذات البحت تعالى عما يقوله الظالمون علوا كبـيرا وقـال عـز وجل ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾[2] الآية وقال في مقام الولاية والسلطنة ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ ﴾[3] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ ﴾[4] الآيـــــة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ ﴾[5] الآية ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾[6] الآيـة وهكـذا أمثالهـا ، ولـما أن الوجود لا يسـتقيم إلا بمثـال محمـد صلى الله عليه وآله وسلم وعلـي عليه السلام ولا يسـتقر الكـون بواحد منهما وجب مثالهما في كل شيء إلا أنه يلاحظ في المقام حكم الغائب في الظهور وفي هذا المقام و إن كان المطلوب ظهور مثال علـي عليه السلام لكنـه لا يستقر إلا بمثال سيله ومولاه نبي الرحمة ، فزادوا الحاء لبيان نسبة تقدم المتكلـم وحده على المتكلم معه غيره يعني نسبة تقدم نفسه الشريفة على نفس علـي عليه السلام ولما كانت تلك النسبة في الرتبة الثانية تبلغ الثمانية إلى الثمانين فمـا

---

[1] الكهف ٤٤ ٢ القصص ٣٠ ٣ الزخرف ٣٢
٤ الحجر ٢٣ – ٢٤ ٥ يس ١٢ ٦ نوح ١

منه صلى الله عليه وآله جهة الوحدة وينبسط وينتشر في مقام علي عليه السلام فأبان سبحانه وتعالى بوضع الضميرين مرتبة كل واحد منهما عليهما السلام على كمال التفصيل ولا كلما يعلم الإنسان يقدر أن يسطر وهذا الذي ذكرنا إشارة إلى نوع المسألة في هذا الباب ، نعم بالمشافهة ربما ينال بعض المأمول والله الموفق للسداد .

فإذا أتقنت ما ذكرنا فاعلم أن الإمام عليه السلام عدل عن الضمير المتكلم وحده إلى المتكلم معه غيره في هذا المقام ، ثم عدل عن الضمير المنفصل إلى المتصل ثم أكده بالضمير المنفصل ، أما الوجه في العدول الأول فلأنه عليه السلام فيما تقدم في المقامات في صدد بيان ظهور الولاية الكبرى والسلطنة العظمى والغاية القصوى وهو روحي فداه في تلك المقامات متفرد بالأصالة لما ذكرنا مرارا عديدة من أن النبي صلى الله عليه وآله مقامه النقطة الحقيقية فلا ظهور لها إلا بالألف وهو مقام علي عليه السلام وباقي الأئمة عليهم السلام مقامهم مقام الحروف والكلمة التامة فلا قوام لهم إلا بالألف فيها تقومت الحروف ولذا كان أمير المؤمنين عليه السلام وحده من غير مشاركة أحد إياه في هذا الاسم لأن المؤمنين حقيقة هم الأئمة عليهم السلام وهو عليه السلام يميرهم العلم ، ففي مقامات الولاية هو عليه السلام متفرد مستقل بالله سبحانه والأئمة عليهم السلام كلهم مشاركون معه في الولاية بالبدلية والوراثة وهوالأصل القديم ، فمن هذه الجهة أفرد عليه السلام

ضمير المتكلم في تلك المقامات ، وأما في هذا المقام يريد أن يبين عليه السلام الأحكام المشتركة الحاصلة لكل واحد منهم من غير اختصاص أحد منهم بذلك ، لأن لهم عليهم السلام مقام جمع ومقام فرق وفصل ، ففي مقام الجمع يشتركون في الأحوال الثابتة فيه ولذا قالوا عليهم السلام كلنا محمد صلى الله عليه وآله أولنا محمد وأوسطنا محمد وهذا من ذلك المقام .

و أما الوجه في الأمر الثاني فاعلم أن الله سبحانه خلق محمدا صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام في عالم مستقل منفرد ليس معهم سواهم كما قال مولانا الصادق عليه السلام ((إن الله سبحانه خلقنا من طينة مكنونة مخزونة عنده ولم يجعل في مثل الذي خلقنا منه نصيبا))[1] لأحد وفي الزيارة الجامعة ((فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأشرف درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع))[2] الزيارة ، فعالمهم غير عالم المخلوقين وطورهم غير طور المربوبين المصنوعين فلما خلقهم الله وأكمل خلقتهم أعطاهم ما يستقيم به معاشهم ومعادهم

---

[1] لم نقف على هذا الحديث كما ذكره المصنف أعلى الله مقامه ولمن وجدنا ما يقرب منه وهو قوله عليه السلام ((إن الله خلقنا من نور عظمته ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش ، فأسكن ذلك النور فيه ، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا)) الكافي ١ /٣٨٩ .

[2] الزيارة الجامعة الكبيرة

ومن ذلك وضع الألفاظ حيث يحتاجون في مقام إظهار الكمالات إلى المحاورات وأنحاء المخاطبات ، فوضع سبحانه لهم الألفاظ كيف ما أرادوا مما اقتضت كينوناتهم الذاتية والوصفية والأصلية والعرضية ، ولما كانت الألفاظ على طبق الذوات والكينونات وكان الأصل فيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام فيجب أن يكون الأصل في الألفاظ كلها اسمهما واللفظ الدال عليهما فكل لفظ بكل معنى بكل حقيقة ينبئ صفة من صفاتها الظاهرة في الهياكل الأربعة عشر عليهم السلام ، ثم لما كان سائر المخلوقات من أشعة أنوارهم ومن عكوسات آثارهم ظهرت تلك الحقائق والأنوار في الرتبة الثانية على طبقها في الأولى وهكذا في الثالثة والرابعة والخامسة إلى ما لا نهاية له ، فلهم الألفاظ والمعاني ولهم الحدود والمباني ولكن لما كان الناس في القوس الصعودي أكثرهم بقوا في مقام الانجماد وما بلغوا المراد في مقام الفؤاد فرأوا تقدم الأنبياء والملائكة وسائر الأمم عليهم عليهم السلام وعلى أممهم ورعاياهم ظنوا السبق الحقيقي والتقدم الواقعي فخصوا الألفاظ بما عرفوا من اللغات والصفات والاقتضاءات بما ظهر لهم من مقتضيات تلك المقتضيات فحرموا عن معرفتهم عليهم السلام ، ولما أن الله سبحانه أبان عن شرفهم وفضلهم حيث قال تعالى ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾

□□□□□□□□ □□□□□□□□□□

﴾[1] ما عرفوا المراد من ذلك وحملوا النذر الأولى على الأنبياء وقالوا أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من نوع الأنبياء ومن سنخهم أو أنه من النذر الأولى يعني أنه كان نبيا و آدم بين الماء والطين وليس هذا هو المراد الحقيقي من قوله عز وجل وإن كان يراد ظاهرا على حسب متفاهم العوام ، فبين عليه السلام حقيقة المراد مع غاية التأكيد الذي يفهمونه تأكيدا وإلا فكل حرف من كلامه عليه السلام تأسيس وتأصيل فأتى عليه السلام بالألف في قوله عليه السلام ((إنّا)) لبيان أنه عليه السلام هوالنقطة تحت الباء فإنها الألف فقوام الباء بالألف لا النقطة التي يتقوم بها الألف ثم أتى عليه السلام بالنون للإشارة إلى تمام كلمة كن فمهما تحققت النون فقد تحققت الكاف ثم أتى بالنون الثاني لبيان ظهور الابداع في العالمين في العالم الأول عالم الغيب والشهادة ثم أدغم أحدهما في الثانية لبيان أنهما ليسا عالمين متمايزين منفصلين و إنما هما واحد مع كونهما اثنين ومن هذه الجهة صار لفظ أنّ حرف التأكيد والتثبيت لاجتماع مرتبة المقبول ورتبتي القابليات فيها فتقرر مدخولها وتثبت ثم وصلها عليه السلام بالضمير المتصل (نا) فأدغم النونين لبيان كمال الوحدة المعتبرة في هذا المقام ، وهذا وإن كان مقام الفصل والتعدد ولكنه مقام الجمع والاتحاد لمكان الادغامين ، ثم أراد أن يشير

---

[1] النجم ٥٦

إلى مقام الفرق والفصل متمايز الأحكام فأتى بنحن فيشير عليه السلام بإنا إلى مقام محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونفسه الشريفة لأنهما صلوات الله عليهما في كمال الاتحاد و إن كان بالمغايرة ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم ((يا علي أنت نفسي التي بين جنبي أنت مني بمنزلة الرأس من الجسد وبمنزلة الروح من البدن ولحمك لحمي ودمك دمي والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي)) وهذه الأحكام وإن كانت تجري في سائر الأئمة عليهم السلام إلا أنه بالتبعية البدنية لأنهم شعب نشأت من علي عليه السلام وهوالأصل القديم وإن كان هوالفرع الكريم بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأشار عليه السلام بنحن إلى مقام سائر الأئمة عليهم السلام لأنه عليه السلام كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أن لا تعبدوا إلا الله ، ولذا جرت الحكمة أن تكون كلمة التوحيد لا إله إلا الله اثنا عشر حرفا وهي تفصيل الكتاب إلى الآيات البينات والدلائل الظاهرات والحجج البالغات عليهم السلام ما دامت الأرضون والسماوات ، فبين عليه السلام بالتأكيد البالغ حسب متفاهم العوام والتأصيل الواقع حسب متفاهم الخواص أنهم عليهم السلام أي قصبة الياقوت وحجاب الله في الملك والملكوت وظهور سلطانه في القدرة والجبروت هم النذر الأولى وهم المراد من قوله تعالى ﴿ ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾ □□□□□□□□

□□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□

□□□□□□□□□□ ﴾[1] ومؤدى (من) السنخية يعني أن محمداً صلى الله عليه وآله منهم ومن حقيقتهم وطينتهم لا فرق بينه وبينهم وذلك بخلاف الأنبياء إذ لا يصح القول بأن نبينا صلى الله عليه وآله منهم أي من سنخهم إلا مجازا أو نظرا إلى ظاهر الهيكل البشري وذلك غير ملحوظ في هذا المقام بل في كل المقامات والأحوال ، ولما كان الناس ربما يستشكلون في كون فاطمة سلام الله عليها نذيرا بخلاف سائر الأئمة عليهم السلام فإنهم لا إشكال في كونهم نذرا أزاح الله سبحانه هذا الإشكال وأوضح هذا الإجمال بصريح المقال في قوله عز وجل ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾[2] في تفسير علي بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام ((يعني فاطمة سلام الله عليها))[2] لإحدى الكبر وهم الأئمة عليهم السلام وهي نذير للبشر ، فهم أي الأربعة عشر المعصومون الطيبون الطاهرون عليهم السلام النذر الأولى قد خلقهم الله سبحانه في العالم الأولي وأقامهم أشباحا تحت عرشه إلى أن خلق الخلق فصاروا نذرا لهم

---

[1] النجم ٥٦

[2] المدثر ٣٢ – ٣٧

٢ تفسير القمي ٢ / ٣٩٦

من الله عز وجل ، وأما الأنبياء فهم أشباحهم و أمثالهم و أشعة أنوارهم وهياكل آثارهم فلهم معهم عليهم السلام مقام لا فرق بينهم وبينهم ففي ذلك المقام ينتمون إليهم وينسبون بهم كما في قوله عليه السلام ((أنا آدم أنا نوح أنا إبراهيم أنا موسى وأنا عيسى)) إلى غير ذلك من الأنبياء لأن الأنبياء صفاتهم كما يقول زيد أنا القائم أنا القاعد أنا الآكل أنا الشارب إلى غير ذلك من الأسماء إذ كلها صفات زيد لا فرق بينه وبينها إلا أنها عبده وخلقه ، فعلى هذا يصح لك أن تقول أنهم عليهم السلام هم النذر الأولى على هذا المعنى الثاني فهم آدم وهم شيث وهم إدريس وهم نوح وهكذا إلى آخر الأنبياء ، وذلك لأنه قد دل العقل والنقل على أن الأنبياء خلقوا من شعاع أنوارهم فنسبتهم إليهم نسبة الشعاع إلى الشمس ولا شك أن الشعاع على مثال المنير وهيئة جار على طبق صورته كما ترى أنه إذا وقع شعاع الشمس على المرآة أوالماء أو أمثالهما من الأجسام الصيقلية تراه بعينه على هيئتها ومثالها لا تفرق بينهما أبدا إلا بالحاجة والفناء والاضمحلال الاستقلال وذلك حكم صورتك في المرآة إذا نظرت إليها فإنك تجدها على هيكلك وتحكم عليها بما تحكم عليك فتقول أنا ذا مع أنّ تلك الصورة ليست عين حقيقتك ولا جزؤها ولا تعود إليها وتصل إليها وإنما أقمتها في مقامها وأمدتها في ظلها هذا هو حكم الأثر والنور من حيث هو أثر ونور إذا بقي على ما هوعليه ، وأما إذا تغير على حسب القابليات فيحكم على التغيير بنهج ذلك التغيير كما إذا

ظهرت صورتك في المرآة العوجاء والمحل الغير المصيقل فإنك لا تحكم عليها بما يجري عليك من ظهوراتك في أطوارك وكذلك الكلام في هذا المقام فإن شعاع آل محمد عليهم السلام لما تشعشع وتلألأ ووقع على الأراضي الطيبة وقابليات الأنبياء عليهم السلام فبقي ذلك الشعاع على ما هوعليه من حكاية وصف الكينونة فصحّ توصيفهم بالأنبياء وحمل الأنبياء عليهم فتقول علي عليه السلام مثلا أو أحد الأئمة عليهم السلام هو نوح وإبراهيم كما تقول زيد قائم فإن القائم ليس عين زيد ولا ضميره يعود إليه و إنما هوصفة تدل على ظهور زيد ومثاله وبذلك حملته على زيد في مقام لا فرق بينك وبينها فالموضوع والمحمول وإن كانا من حيث المقصود متغايرين ولكنهما من حيث الحقيقة الواقعية متّحدان أي الموصوف بكونه قائما هوالوجه الأعلى من القائم فإن زيدا ظهر في الوجه الأعلى على نحوعموم قدرته فمن حيث الظهور كل الصفات تحكي زيدا بل لا تسمى إلا زيدا ومن حيث الخصوصية تختص بالوجه الخاص كقولك زيد قائم وقاعد فقولك زيد قائم فزيد هو عين القائم وكذلك بالعكس مع أن القائم ليس حقيقة زيد ولا ذاته وإنما هو صفة من صفاته وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام ((لشهادة كل صفة على أنها غير الموصوف وشهادة الموصوف على أنه غير الصفة))[1] ((وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران))[2] ويريد عليه السلام بهذا الموصوف هو المقصود من الصفة والذي نقول هو الظاهر في الصفة وإن كان

---

[1] البحار ٤ / ٢٨٤ ح ١٧ [2] البحار ٤ /٢٢٧ ح ٣

الظاهر في الصفة أيضا هو غير الصفة فافهم هـذه الكلمـات فـإن التصريـح بالمراد مما لا يمكن وإلا فصريح العبارة غير ذلك فإذا وفقـت لفـهم مـا ذكرنـا علمت معنى ما قال الإمام عليه السلام ((أنا الأمل والمأمول)) كما تقدم ((ونحن النذر الأولى)) إذا جعلت النذر الأولى هم الأنبياء عليهم السلام ويكون المـراد مـن الأئمة عليهم السلام وقوفهم في مقام الأصلي من غير ملاحظة نزولهم في صقع مـن الأصقاع ومقام من المقامات حسب تنزلات الأشياء فإنهم عليهم السلام لهم مقـام في رتبة ذواتهم وكينوناتهم وصعودهم ونزولهم الذاتيّين من مراتبهم الحقيقة من أفئدتـهم وعقولهـم وأرواحـهم ونفوسـهم وطبائعـهم وموادهـم وهياكلـهم وأجسامهم وأجسادهم وهم عليهم السلام في هذه المقامات علـة فاعليـة لكـل ذرات حقـائق الكائنـات وذوات الموجـودات وكـل الخلـق أشـعة أنوارهـم في كـل مقاماتهم ، وعلى هذا فكل الذرات صفاتهم وكل الذوات أمثال ظهوراتـهم وهياكل آثارهم وصفاتهم فيصـح حينئـذ توصيفـهم عليهم السلام بتلـك الصفـات وهذا باب غامض وسر مشكل لكني أبين حديثين وفيهما كل المراد يجله أهـل الاستعداد من أصحاب الفؤاد في الإنجيل ((يا إنسان اعـرف نفسـك تعـرف ربك ظاهرك للفناء وباطنك أنا)) ، وهذا الضمير هو الضمير المتكلـم وقـد ذكرنا فيما سبق ونذكر إنشاء الله فيما يأتي أن المتكلم ظهور الذات بـالكلام والضمير ظهور المتكلم بالصفة والمجموع بمعزل عن الذات المقدسـة القديمـة سبحانه وتعالى بينهما بينونة صفة لا بينونة عزلة وقال عليه السلام في تفسير قوله

تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾[1] أنه نور رجل من الكروبيين وقال النبي ﷺ في جواب اليهود إلى أن قال ﷺ ((لا ينبغي أن أصغّر ما عظمه الله من قدري إن الله تعالى أوحى إلي إن فضلك على الأنبياء كفضلي وأنا رب العزّة على كل الخلق))[2] وقال الصادق عليه السلام في وصف الكروبيين على ما تقدم ((قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لوقسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ، ثم قال : أن موسى لما سأل ربه ما سأل أمر واحدا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا))٢ اجمع بين هذه الأخبار وما ذكرنا في هذا الشرح من الأصول الكلية تعرف بذلك أن كل ذرة من ذرات الكون منقوش في حقيقتها وذات كينونتها محمد وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام بأسمائهم وأشخاصهم كتابة لا يشتبه أحدهم بصاحبه وهوالذي أشار إليه عليه السلام في الزيارة الجامعة ((حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا خلق فيما بين

---

[1] الأعراف ١٤٣

[2] لم نقف على هذه الرواية كما ذكرها المصنف أعلى الله مقامه ولكن وجدنا ما يقرب منها ، قال ﷺ ((قل ربي يا محمد إن فضلك على جميع النبيين والمرسلين والملائكة المقربين كفضلي وأنا رب العزة على سائر الخلق أجمعين)) البحار ٩/٣٠٩ ح ١٠

٢ بصائر الدرجات ٦٩ ٣ الزيارة الجامعة الكبيرة

ذلك شهيد إلا عرفهم جلالة أمركم وعظم خطركم وكبر شأنكم وتمام نوركم))٣ الزيارة ، وهذه المعرفة بما كتب في ذواتهم ما نطقوا به عليهم السلام بلسانهم كما نقش وكتب صورتك في المرآة ، بل أقول إن حقيقة ذوات الأشياء هي عين تلك الكتابة المرسومة بقلم الاختراع على لوح الإبداع فإذن كل الأشياء بلسان كينوناتهم وحقائقهم يحكون كلام علي عليه السلام عندما قال لهم حين ما أشهده الله خلقهم ((أنا علي الولي ووصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأمي)) لأن الربوبية الظاهرة في المربوبين هي نوره وشعاعه عليه السلام وذلك كما يحكمون عن الله عز وجل عند تلاوة كتابه ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾[1] وكما حكى علي عليه السلام عن الله في الشجرة لموسى ، فحقيقة الخلائق هي رسم أنا العلي الأعلى وذلك خطاب ومثال ألقاه عليه السلام في هويتهم وذلك هو أنا الظاهر في ضمير المتكلم وهو في الأشياء كلها ، لكن ذلك المثال لما وقع في هويات الكائنات فإن كانت الهوية مستقيمة معتدلة غير معوجة وقريبة إلى المبدأ في الخلق الأول ظهر على ما هوعليه وإن كان بتغيير لكنه لا يرفع حكمه كشمس واحدة أشرقت على ألف مرآة في كلها تجد مثالها على ما هو عليه من دون تغيير وإن كانت بعيلة أو معوجة غير مستقيمة لا يظهر ذلك المثال ولا تحكي نور الجلال ، ففي الأول ينتسب إلى المنير وفي الثاني

---

[1] طه ١٤

لا ، فالأول هوحكم الأنبياء عليهم السلام لقربهم من المبدأ واستشراقهم من شوارق أنوار أهل البيت عليهم السلام من غير واسطة واستقامتهم وعدم اضطرابهم وعدم اغتشاشهم حكوا مثالهم من العصمة والطهارة والنزاهة الحكمة وغيرها فصحّ استنادهم إليهم عليهم السلام بخلاف سائر الخلق من الرعايا وإن كانت حقائقهم تلك الكتابة لكنها خفيت واستولت عليها أحكام الإنية المدبرة الغير المقبلة فبقيت لا تحكي لبعدها عن فوّارة النور فلا يصح الاستناد ما دام حكم الفرق باقيا أو حكم الخلط ظاهرا في هذه الدنيا وإذا ارتفعت الموانع يعود الحكم كما كان سابقا أي على الواقعي الأولي ولذا لما أصيب طلحة ابن عبد الله يوم الجمل قيل له من رماك يا طلحة قال ((رماني علي بن أبي طالب قيل له يا ويلك إنه ما يرمي بالنبل و إنما يقاتل بالسيف قال ألا تنظر كيف يصعد إلى السماء وينزل إلى الأرض ويسير إلى المشرق والمغرب ويقاتل بالسيف والنبل ويقول مت يا عدو الله فيموت في ساعته)) وكان الرامي له مروان بن الحكم لعنه الله ، انظر إلى هذا الحديث فتجد ما لا تحيط به العبارة ولا تدرك بالإشارة وإنما هو تلويح وربما تصريح بما ذكرنا فإن ذلك الذي رأى كله أمثال وأشباح لتلك الحقيقة المقدسة ظهرت عندما صار بصره حديدا ورفع الغرائب والأعراض وما رأى الحقيقة ولا أدركها كيف لا وهو يقول عليه السلام ((ظاهري إمامة)) وفي رواية أخرى ((ولاية وباطني غيب لا يدرك)) ولكن الأنبياء لما حكوا ذلك المثال وصف نفسه الشريفة بهم في هذه

الدنيا ، وفي الآخرة يكون كل شيء صفته وآيته يعني يظهر ذلك وإلا ففي كل حال تكون الأشياء صفاتا وأظلة فافهم وقد قال مولانا الصادق عليه السلام في زيارته إياه عليه السلام ((السلام على شجرة طوبى وسدرة المنتهى السلام على آدم صفوة الله ونوح نبي الله وإبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله صلى الله عليه وآله ومن بينهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا السلام على نور الأنوار وسليل الأطهار وعناصر الأخيار السلام على والد الأئمة الأطهار))[1] الزيارة ، وهذا كما تقول السلام على القائم القاعد الضارب الناصر السميع البصير المحيي المميت وأمثالها من الصفات من غير فرق أبدا ، وأما عدم انتساب سائر الخلق إليهم وإليه عليه السلام فلما قلنا من عدم الحكاية التامة مع أنه عليه السلام أشار إلى ما لوحنا بقوله ((والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)) وعلى هذا يظهر لك معنى كون علي عليه السلام في وقت واحد في ليلة واحدة في أربعين موضعا ، وحضورهم عليهم السلام عند كل ميت من المؤمنين الممتحنين أو ماحض الكفر من المنافقين وقد يتفق موت ألوف في وقت واحد ودقيقة واحدة من الطرفين يظهر لكل على هيكل اعتقادهم فيه إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، والأصل في ذلك أن عليا عليه السلام هو نفس رسول الله

---

[1] البحار ٩٧ / ٣٠٥ الزيارة الخامسة المروية عن مولانا أبي عبدالله الصادق عليه السلام

[2] آل عمران ٢٨ [3] البحار ٩٧ / ٣٣٠ الزيارة المعروفة بزيارة صفوان

ﷺ كما في الآية الشريفة وهو أيضا نفس الله كما في قوله تعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾ □

□□□□□□□□□□

□□□□□□□□□□ ﴾٢ وفي الزيارة السلام على نفس الله تعالى القائمة فيه بالسنن))٢ وهو عليه السلام ذات الله كما في قوله روحي فداه في بيان النفس الملكوتية الإلهية أنها ((هي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى ومن عرفها لم يشق أبدا ومن جهلها ضل وغوى)) وهذه هي الذات المخلوقة لا القديمة تعالت وتقدست ، والمخلوقة هي الذات الظاهرة في المخلوقين في مقام لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وكما أن عليا عليه السلام هو ذات الله بالمعنى الذي ذكرنا كانت كذلك الموجودات كلها ذات علي عليه السلام أو قل أن عليا عليه السلام ذاتهم كما قال عليه السلام ((أنا ذات الذوات أنا الذات في الذوات للذوات)) والمعنيان واحد ، وإذا كان هو ذات الأشياء لا بذاته بل بظهوراته و أشباحه وأمثاله فكل الأشياء حكايات له ولأحواله ، ففي مقام الحقيقة بعد الحقيقة هو ، وفي مقام المجاز غيره وهنا مقامات يقصر عن بيانها اللسان يضيق صدري بإظهارها ولا يضيق بكتمانها ولا تفهم مما ذكرت غلوّا

ورفعا لمقام علي عليه السلام إلى مقام الربوبية وإنما ذلك شرح لكمال عبوديته وخضوعه لله سبحانه واضمحلاله في نفسه وعدم شيئيته واستقلاله لا كما يقول أصحاب وحدة الوجود فإن الله سبحانه بريء من القول به وأصحابه، ولا تتوهم أني أقول أن عليا عليه السلام هوذات الأشياء بحقيقة ذاته المقدسة فإن ذلك كفر بالله العلي العظيم بل أقول أن الخلق أمثاله وأشباحه والمثل هو الذات الظاهرة في المشتق لا البحت فالذات المعبرة في القائم مثال هي المثال والآية والمقام اسمها اسم زيد وصفتها صفته لا فرق بينها وبينه إلا أنها عبده وخلقه، وعلي عليه السلام هوالمثل الأعلى لله سبحانه كما قال عليه السلام ((نحن الأعراف الذي لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا))[1] وفي الزيارة ((من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم))[2] فافهم فإن شرح هذه الأحوال يحتاج إلى بسط في المقال بتمهيد بعض المقدمات وقد مضى بعضها فراجع، ويأتي إنشاء الله بيان أكثرها فترقب.

فإن كنت ذا فهم تشاهد ما قلنا وإن لم يكن فهم فتأخذه عنا
فما ثم إلا ما ذكرناه فاعتمد عليه وكن في الحال كما كنا

فعلى ما قررنا ظهر لك وجها واحدا من معنى قوله عليه السلام ((نحن النذر الأولى)) بجعل النذر الأولى هم الأنبياء عليهم السلام وأوصياؤهم وسائر

---

[1] الكافي ١ / ١٨٤ ح ٩ [2] الزيارة الجامعة الكبيرة [3] الروم ٢٥ [4] البحار ٩٠ / ١٤٨

رسل والنذر من الملائكة والجن والإنس والعلماء الراشدين والمؤمنين الممتحنين والصلحاء الفاضلين فتدبر فيه .

والوجه الثاني في مقامهم الثاني عليهم السلام في رتبة القطبية فإنهم في كل عالم وكل مقام قطب لأهل ذلك العالم وذلك المقام ، والقطب هو وجه الفعل إلى المفعول ووجه المفعول إلى الفعل وهو المفعول المطلق وهو أمر الله الذي قامت الأشياء كلها به كما في قوله تعالى﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾[٣] وقال الصادق عليه السلام ((كل شيء سواك قام بأمرك))[٤] وذلك الأمر هوالمفعول الأول كما قال تعالى﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[1] وهوالقدر الذي يرى في أفعال العباد وأعمالهم في الكينونة والذات والأعراض والصفات سريان الروح في الجسد كما قال سيد الساجدين عليه السلام ((أن القدر في أفعال العباد كالروح في الجسد)) فلولا الروح لا قوام ولا حراك للجسد كما ولولا الجسد لا ظهور للروح وكذلك لولا القدر لا يتحقق العمل ولولا العمل لا يظهر القدر وهذا معنى الحديث و إنما أخذ عليه السلام من قوله تعالى ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾

---

[1] النساء ٤٧ ٢ الأحزاب ٣٨

□□□□□□□□□□

□□□□□□□□□□

□□□□□□□□□□

□□□□□□□□□□□ ﴾[2] وقيام الأشياء بهذا الأمر والقدر المفعولين قيام ركني عضدي لا صدوري إيجادي ، نعم بالأمر الفعلي وهوالمقام الأول من مقاماتهم عليهم السلام وهذا القطب هوالمقصود بالذات في الإيجاد وعليه تعلق الجعل الأدنى وبه قامت المحبة في قوله تعالى ((فأحببت أن أعرف)) ، ولكن لما قيل لذلك الأمر أدبر فأدبر حصلت الكثرات والإضافات والجهات فاحتجب ذلك النور بكل جهة وإضافة بل ربما ظهرت آثار تلك الإضافة والجهة مما اقتدرت عليه بقوة ذلك النور الساطع الظاهر المستجن فيه ولكن لا قوام للشيء في ذلك المقام باعتبار تلك الجهة إلا بذلك الأمر والنور ، بل ليس للشيء حقيقة سواه فإن الإضافات إعراض وأحوال ما تقوم إلا بذلك الأصل تقوم القشر باللب ، فإذا فهمت ذلك وتنبهت للحديث الوارد عن أهل البيت عليهم السلام أن الله سبحانه أول ما خلق الله سبحانه هو محمد صلى الله عليه وآله بقي يسبح الله ويقدسه ألف دهر ثم خلق سبحانه إثني عشر بحراً فأمره بالسباحة فيها ثم عشرين بحراً آخر فأمره سبحانه

بالسباحة فما أتم السباحة في تلك الأبحر خرج منها وقطر منه صلى الله عليه وآله مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة خلق الله من كل قطرة روح نبي من الأنبياء عرفت المراد إذ لاشك أن نبينا صلى الله عليه وآله من ذلك العدد، نعم تلك القطرة الخاصة بنبينا صلى الله عليه وآله من بين الأنبياء عليهم السلام هي قطب رحى وجوداتهم وإن كانت من سنخهم ولكن نسبتها إليهم نسبه الروح إلى البدن ونسبة الإكسير إلى الحجارة المرمية، ثم استجنت تلك القطرات وكمنت في تلك القطرة كمون القشر في اللب لا العكس و إن كان المعروف هو ذلك ومعنى كمون القشر في اللب ذكر صلوحه لتلك القشور لا غير فيه إلى أن كمل هذا العدد أي مائة ألف وأربعة وعشرون ألف باعتبار ملاحظة قران بعض أحواله مع الأحوال الأخر فعند حصول تلك القشور استجنّ اللب فيها، والقشر لا قوام له إلا باللب والأغصان لا تحقق لها إلا بالشجرة بل ليست غيرها ولا حول لها إلا بها، ثم استجنت تلك القشور المكتنفة باللب الأصلي والقطب الحقيقي في الإنسان فكل الرتبة الإنسانية قشرا لتلك القشور، فاستجنّت تلك في القوس النزولي في مقام القطبية في الحيوانات وهي استجنت في النباتات وهي في الجمادات فالنبات صافي الجماد والحيوان صافي النبات والإنسان صافي الحيوان والأنبياء صافي الإنسان وأهل البيت عليهم السلام صافي الأنبياء، فهم عليهم السلام صفوة المرسلين وهم صفوة الصفوة من صفوة الصفوة ولما كان الصافي هو اللب والسافل هو القشر كان لا يقوم القشر إلا بوجود

اللب إما ظاهرا مشهورا أومكتتما مستورا ، ففي حال النزول اختفى اللب في القشر وفي حال الصعود يظهر اللب من القشر مع وجود القشر متقوّما ومتأصلا بذلك اللب ، فلهم أي لهذه المراتب مقامان مقام العلية الفاعلية ومقام القطبية والأصلية ، ففي المقام الثاني فالمتأصل الثابت هو القطب والدائرة تطوراته بأطوار شئوناته ثم لا قوام لها في حال من أحوالها إلا بالقطب فلك أن تقول أن القطب هي الدائرة ولك أن تقول بالعكس ولك أن تجعل لكل منهما حكمة لكن لا يجري الحكم على الدائرة في حال من الأحوال إلا بالقطب ، وذلك كالقلب فإن الإنسان حقيقة هو القلب وهوالأصل المؤثر المدبر في البدن وكل الآلات البدنية شئونات للقلب تبدأ منه وتعود إليه ، ولذا إذا وجد صدر الميت الآدمي وجب عليه ما يجب على الكل من التغسيل والتكفين والتدفين والصلاة عليه و أمثالها من الأحوال والأحكام .

فإذا فهمت ذلك علمت المراد في لحن المقال كما قالوا عليهم السلام ((إنا لا نعد الرجل من شيعتنا فقيها حتى يلحن له ويعرف اللحن))[1] فلما قال الله سبحانه للعقل الكلي الظاهر في أطوار الكروبيين أقبل إلى الخلق أو أدبر عني إلى الخلق فتنزل بالتشأن والتّطوّر إلى أن وصل مقام الجماد ثم قال له أقبل إلي أو أدبر عن الخلق فأخذ في الصعود فظهر في صفو المعدن وبقيت

[1] مستدرك الوسائل ١٧ / ٣٤٤

المعادن كلها تدور على وجه ذلك الصفو الظاهر فيها ثمّ لما استعدّت البنية وصفت طبيعة العالم واعتدلت ظهرت تلك الصفوة بوجهها ونورها فكانت قطبا لدائرة كون النباتات ثم ظهرت في صفو الحيوان فكانت قطبا لها تدور عليها في جميع أحوالها ثم ظهرت في صفو الإنسان وكان آدم عليه السلام حامل تلك الصفوة بل هي ذات تقومت بنية آدم بها فتشعب من ذلك القشر قشور كثيرة وهي أولاد آدم عليه السلام إلى أن صار أصفاها وأعلاها حاملا لتلك الصفوة المنتقلة لآدم عليه السلام إليه، وهكذا كانت القشور حاملة لتلك الصفوة ومحلا للقطب إلى أن استعد العالم لظهوره ولإشراق نوره من غير حجاب فظهر القطب أي تلك الصفوة الطاهرة قد انسلت من تلك القشور، وبالجملة ضاع الكلام فلا سكوت معجب، واعلم أني ما يمكنني أن أظهر ما أريد من هذه الكلمات وأبينه صريحا بظاهر العبارات من جهة عدم احتمال الناس من أهل الطبائع الغير الناضجة والطبائع الخامدة والقلوب القاسية فيسارعون إلى الإنكار وقد قالوا عليهم السلام ((لا تتكلم بما تسارع العقول إلى إنكاره وإن كان عندك اعتذاره، وليس كل ما تسمعه نكرا أوسعته عذرا))[1] وقال مولانا الصادق عليه السلام ((ما كل ما يعلم يقال، ولا كلما يقال حان وقته، ولا كلما

---

[1] لم نجد الرواية كما هي في هذا الشرح المبارك، ووجدنا هذه الرواية ((إياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره، فليس كل من تسمعه نكرا يمكنك لأن توسعه عذرا)) البحار ٧١/٢٢٩ ح ٦.

حان وقته حضر أهله))[1] فإذا لا يجوز الكلام في أمثال هذا المقام إلا مرموزا أومستورا مقنعا بالأستار والحجب لينتفع به العالم الفطن ويصون عن الجهّال و أشباه العلماء ولو أذن لنا في الكلام لكان البيان على غير هذا النمط قال مجنون العامري:

ومستخبر عن سرّ ليلى أجبته بعمياء من ليلى بلا تعيين
يقولون خبّرنا وأنت أمينها وما أنا إن خبّرتهم بأمين

ولكني أقول إذا فهمت أن الأئمة عليهم السلام سيما فخرهم وأميرهم وسيدهم أمير المؤمنين عليه السلام أمر الله الذي قامت به الأشياء كلها قياما عضديا ركنيا والأشياء حقيقتها مركبة من نور ذلك الأمر ومن الحدود المعينة المشخصة سهل لك معرفة المراد ويتمحض لك التصديق لقوله عليه السلام في الدعاء ((لا يرى فيه نور إلا نورك ولا يسمع فيها صوت إلا صوتك))[2] وقد علمت إن أيدك الله ووفقك لمعرفة أئمتك عليهم السلام أن ليس لله نور سواهم وليس له صوت إلا صوتهم لأن الله سبحانه قرنهم بنفسه وأقامهم مقامه وقال بلطيف الإشارة إشارة إلى هذا المقام ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا

---

[1] البحار ٥٣ / ١١٥ ح ١٣٨
[2] البحار ٨٧ / ٢٠٣ ٢ الزمر ٦٧ ٣ المائدة ٦٤ ٤ طه ١٠٨

يُشْرِكُونَ ﴾[2] ولا ريب أن يمين الله تعالى ليست إلا علي عليه السلام وهو يد الله اتفاقا من الفرق الناجية من الشيعة وقد قال عز وجل ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[3] فإذا كان الإنفاق باليد فليس في الموجدات إلا أثر اليد ونورها فالأشياء كلها لديها متقدمة معدومة والاختلاف هناك يرجع إلى كمال الوحدة بل تبطل ولا حس لها إلا بها وإليه الإشارة في قوله عز وجل ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾[4] وهذا معنى ما ورد أن مولانا عليّا عليه السلام يوم العرض الأكبر تقف الخلائق كلها جاثية بين يديه عند الحساب وهو عليه السلام يتكلم بكلام واحد يجري ذلك الكلام الواحد في كل شخص مما هوعليه من الأحوال السعيدة أو الردية من أصحاب اليمين وأصحاب الشمال وكل منهم يرى أنه عليه السلام يقرأ صحيفة عمله ، ومعنى ذلك في هذا المقام هو ظهور ذلك النور الواحد المشرق من صبح الأزل على هياكل الكائنات وحقائق الموجودات من الممكنات والمكونات وذلك النور يظهر في كل حقيقة على ما هي عليه كالوجه الواحد المقابل للمرايا الكثيرة وكالنفس الخارج من الجوف المنقطع بالقلع والقرع والضغط بالحروف وكالمداد الظاهر بالكتابة والواحد المتشأن بالأعداد وذلك النور أثر من شعاع

علي عليه السلام في الإنسان وشعاعه عليه السلام في الكروبيين فافهم إن كنت تفهم وإلا فاسلم تسلم ولا تنكر قدرة الله في أوليائه.

فظهر لك معنى قوله عليه السلام ((نحن النذر الأولى)) بالوجوه الثلاثة إحداها أنهم النذر حقيقة أولية وما سواهم نذر بالحقيقة الثانية التي هي بعد الحقيقة، فالأنبياء نذر من الله بواسطتهم ومؤدون عن الله تعالى بشريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخلق بواسطتهم كما في باطن قوله تعالى أي في باطن الباطن ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾[1] وإذا لاحظت تفسير ظاهر الظاهر انكشف لك سر باطن الباطن وتلك الملاحظة في الضمائر، والدليل على هذا التفسير كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أقامه مقامه في سائر عالمه في الأداء إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار))[2] فعلى هذا من ادعى أحد من الأنبياء أنهم يؤدون عن الله سبحانه ويأخذون بدون واسطة محمد وآله فقد ادعوا الربوبية والألوهية لأنفسهم حيث أعرضوا عن الله سبحانه ورأوا أنفسهم مستقلين قال تعالى

---

[1] الأنبياء ٢٦ – ٢٩ [2] الإقبال ٤٦١ [3] غافر ١٥

[4] البحار ٩٧ / ٣٠١

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾٣ وقد قالوا أن اسم رفيع الدرجات هوالإمام عليه السلام لأنه اسم الله كما في الزيارة ((السلام على اسم الله الرضي))٤ وقد قال علي عليه السلام ((أنا الروح من أمر ربي)) فقد ثبت هنا مقامان مقام البيان ومقام المعاني .

وثانيهما أن النذر هم الأنبياء المتقدمون وهم أشباح آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمثالهم يحكون عنهم وهم عليهم السلام يوصفون بهم كما مرّ .

وثالثها أنهم هم الأنبياء ولكنهم متقومون بهم أي بمثالهم أي ليسوا إلا ذلك المثال ولا حقيقة لهم مستقلة في حال من الأحوال كما مثلت لك بالقلب والإنسان والمداد والحروف والنفس وأمثال ذلك من الأمثال مما ضربه الله للخلق ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حي عن بينه وقد أشار إلى تلك الدقيقة الشريفة بقوله عليه السلام فيما تقدم ((أنا الأمل والمأمول)) ولو أردنا شرح حقيقة الحال في هذه الوجوه الثلاثة سيما الوجه الثالث لأدى إلى بسط عظيم في المقام بتمهيد مقدمات لا ينبغي إظهارها وإبرازها لعامة الناس فتركناها وإن أشرنا إلى شيء منها لئلا يحرم أهله .

قوله عليه السلام نحن الآخره والأولى

الآخرة هي العود والأولى هي البدأ ولما كان العود هو البدأ وكانت الآخرة هي الأولى كما كما قال عز وجل ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1] إنما أنث الصيغة لبيان أنهما صفتان للدار أي الدار الآخرة والدار الأولى وقد دل العقل والنقل على أن عليا عليه السلام والأئمة عليهم السلام هم البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما في قوله تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[2] على قراءة المبني للمجهول في يسبح فيكون رجال خبر لمبتدأ محذوف أي تلك البيوت رجال وهم الأئمة عليه السلام وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي عن الأصبغ بن نباته قال ((كنت عند أمير المؤمنين

---

[1] الأعراف ٢٩

[2] النور ٣٦ – ٣٧

عليه السلام فجاء ابن الكوّاء فقال : يا أمير المؤمنين من البيوت في قول الله عزّ وجل ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ ﴾[1] قال علي عليه السلام : نحن والله البيوت التي أمر الله بها أن تؤتى من أبوابها ، نحن باب الله وبيوته التي يؤتى منه فمن تابعنا وأقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ومن خالفنا وفضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها))[2] فإذا كان الأئمة عليهم السلام هم البيوت فقد جاء تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] وعلي عليه السلام هو أول البيوت وقد وضع في الكعبة المشرفة زادها الله شرفا وتعظيما ، وإنما كانوا بيوتا لأنهم عليهم السلام حووا آثار الربوبية وجمعوا أحكام الألوهية وعندهم اجتمعت الخيرات كلها وخزنت الأنوار بأسرها وحفظوا أسرار العلوم الإلهية ووَسِعوا ظهورات رب البرية كما قال عز وجل ((لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن))[4] والعبد المؤمن هومحمد صلى الله عليه وآله وسلم أصالة وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام بالبدلية ، فلما أفيضت الأنوار والأسرار والفيوضات الواردة على ذرّات الكائنات ظهرت فيهم

---

[1] البقرة ١٨٩ [2] الاحتجاج ٢٢٧ [3] آل عمران ٩٦

[4] البحار ٥٨/٣٩ ح ٦١

عليهم السلام وهم محل تلك الأنوار ومهبط تلك الأسرار فسماهم الله سبحانه بيتا لكونهم مسكن علومه و أسراره ، فإطلاق البيت عليهم حقيقة لا مجازا ثم لما ظهر ذلك المعنى في هذه المساكن المعروفة سميت بها مجازا أو حقيقة ثانية بعد تلك الحقيقة الأولية وإنما هي حقيقة مجازا ومجاز حقيقة ، فهم عليهم السلام هم الدار الأولى لأنهم البدء حيث خلقهم الله سبحانه قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف دهر والأحوال الثابتة في رتبة الخلق كلها لهم في مقام التفصيل والعقل الكلي بأطواره وشئوناته الذاتية والعرضية الذي قد حصل البدء في كل مرتبة ومقام بإقباله إلى الخلق هو تفصيل من تفاصيل أحوالهم وآثارهم وهو أول من ذاق الباكورة في حدائقهم وهو أول فتق وقع في الجوالمرتوق من صفاتهم وأنوارهم ، فهم عليهم السلام إذن بالمبدئية أولى وبالأولية أحرى ، ولما كانت الموجودات كلّها أوعية رحمة الله سبحانه وخزائن فيضه وهم عليهم السلام أوسع الأوعية وأشرف الخزائن بل لا خزينة معهم ولا وعاء غيرهم عندهم فكانوا هم الدار الأولى ، وكل أول هوالآخر لأن الآخر هو عود الشيء إلى الكمال والكمال هو القرب إلى المبدأ وليس أقرب إلى المبدأ بالنسبة إلى الشيء من مبدأ ذاته فإذن عوده هو عين ظهور بدئه ، فالآخرة هي الأولى حقيقة ، وذلك أن الله سبحانه لما خلق الخلق خلقهم في الخلق الأول على أكمل ما تقتضي كينونتهم وتستدعي هويتهم ولا يمكن رتبة فوقها وغيرها ، ولما أمرهم بالأدبار ظهرت فيهم ظلمة الإدبار وكثافة تصرف الأغيار

وكدورة دوران الليل والنهار ، فلما بلغ الكتاب أجله ووصل الأمـر مسـتقره أمره بالإقبال ومعناه رفع تلك الظلمة ورفع تلك الشبهة فيعود كما كـان قـد بدأ فيلحق ببدئه فبدؤه هو عين عوده ، فالدار الآخرة التي هي في الظاهر الجنة ونعيمها والنار وأليمها هي بعينها هي الدار الأولى التي هي أول تنزل العقل الكلي إلى آخر مقامات الإدبار إلى نهايات مقامات الإقبال الجسماني الدنياوي فعود الأجسام إلى بدئها الجسماني وهوعين عودها وكذلك الأرواح والنفوس والطبـائع والمـواد وآل محمـد عليهم السلام هـم المبـدأ علـى جهـة الإطـلاق وهـم المنتهى ، أما في أنفسهم عند أنفسهم فظاهر لأنهم عليهم السلام قد بدءوا مـن نـور العظمة ونور الذات وهما عين حقيقتهم لأن الله سبحانه ما حل فيهم العيـاذ بالله ولا تعين وتصور بصورهم وهياكلـهم وإنمـا خلقـهم لا مـن شـيء بـل خلقهم بهم وأقامهم في أظلتهم وأسكنهم في دار محبته ورضاه التي هـي عـين هويتهم كما قال عليه السلام في النفس الملكوتية الإلهية أنها ((هي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى)) فتلـك الـذات هـي الجنـة وهـي الشجرة ، وأما عودهم فهوعروجهم إلى تلك النقطة الـتي هـي عـين بدئـهم وصعودهم إلى تلك الذروة التي هي ذاتهم ، فكـانوا عليهم السلام هـم الأولى وهـم الآخرة ولا شك أن الشيء لا ينتهي إلى الذات البحت القديمة فإنـها متعاليـة عن الاقتران ومنزهة عن الاتصال ، فعود الشيء إلى ما بـدأ منـه مـن حقيقـة ذاته ، ولما كانت تلك الحقيقة مثال الله الملقى في هويات الكائنات وذلك المثال

لا تذوت له بذاته وإنما هوحكاية وصفة وآية لغيره قيل أن الأشـياء تعـود إلى الله وتصير إليه كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[1] وإلا فقد قال عليه السلام ((انتهى المخلوق إلى مثله والجاه الطلـب إلى شـكله)) وقـال عليه السلام ((رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك)) .

وأما أنهم بدأ الأشياء وعودها فلأن الأشياء كلها قد خلقت من شعاع أنوارهم وفاضل آثارهم فذاتهم لمعة من نور أجسامهم عليهم السلام وتلـك اللمعـة قد تطورت بأطوار مختلفة قد ظـهرت في كـل طـور بظـهورها في مرتبـة فـإذا خلص الشيء عن مرارات شلة الإدبار رجع إلى الإقبال وهوالوصول إلى تلـك الحقيقة واللمعة فلا يتعداها أبدا وهي لا تحكي غير مثـالهم وصفتـهم ، فبـدأ الأشياء منهم أي من نورهم وعودها إلى ذلك النور ، ومن جهة أن ذلك النور إنما هو وصفهم ومثالهم كان بدؤها وعودها إليهم لأن ذلك المثـال لا يـدل إلا عليهم ولا يرجع إلا إليهم ، وأما الكفار وأصحاب النار فإنهم قد خلقوا مـن الظلمة الحاصلة من عكس أنوارهم والإعراض عن آثارهـم وكما قـال تعـالى ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[2] وعود الظلمة إلى نفس النور من حيـث هـو نـور ﴿ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[3] فـلا قـوام لهـا إلا بـالنور ولا قـوام للنـور إلا بالمنـير ولا منـير بـالوجود

---

[1] البقرة ١٥٦ ٢ الحديد ١٣ ٣ النمل ٢٤

سواهم عليهم السلام أما سمعت ما فسر مولانا الصادق عليه السلام لفظ الجلالة فقال عليه السلام ((آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا واللام إلزام خلقه ولايتنا والهاء هوان لمن خالف محمدا وآل محمد))[1] ، وهوقوله عليه السلام في الزيارة ((بكم فتح الله وبكم يختم))[2] ، فهم عليهم السلام الفاتح وهم الخاتم والخاتم هو عين الفاتح وبالعكس كما أن الختم هو عين الفتح وبالعكس .

والدار الآخرة هي رجوع الأشياء في العالم الكلي إلى مبادئها في اليوم الذي خلقه الله عليها أما سمعت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل الجنة والنار ليلة المعراج وتلك الدار هي ظهور شأن من شئون علي عليه السلام وطور من أطواره فسميت باسمه وقيل لها الآخرة وكذلك الدنيا والأولى قد يراد بهما الترادف أي يراد بهما معنى واحد وهو العالم الكلي أيضا بعد كمال الإدبار وقبل نهاية الإقبال ، إنما قيل لها الدار لما ذكرنا من أنها مجمع الشؤون الربوبية ومخزن أسرارها ، وإنما قيل لها الأولى لأنها المبدأ والدنيا لأنها أدنى من الدنو بمعنى القرب ، وقد يراد بالأولى ما ذكرنا وهو دنيا البلاغ ، وبالدنيا الدنيا الملعونة وهي مقتضيات الإدبار وظهورات أشباح المدبر الحقيقي ، ولما كانت الدنيا في أغلب أحوالها يراد بها المعنى الثاني ما نسبوها إلى أنفسهم الشريفة عليهم السلام لأنها حينئذ ظل كينونتهم تدور على خلاف جهتهم وتشتهي خلاف

---

[1] التوحيد ٢٣٠

[2] الزيارة الجامعة الكبيرة

مراداتهم فهي حينئذ الشجرة الخبيثة المجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار ولذا كانت تنسب في أغلب الاستعمالات وأكثر الموارد إلى الأعداء كما في قوله تعالى ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[1] وهي ولاية الأول والثاني وأتباعهما ﴿ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[2] وهي ولاية علي عليه السلام وقوله تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾[3] وهي ولاية الأعداء ﴿

﴿ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ | □□□□

□□□□□□□□□□ ﴾[4] □ وهي ولاية علي عليه السلام

وقوله تعالى ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[5].

وبالجملة فالآخرة في كل موضع من القرآن يريد بها عليا عليه السلام وولاية الأئمة عليهم السلام، والدنيا أغلبها دنيا ملعونة وكلها يريد بها ولاية

---

[1] الأعلى ١٦ — [2] الأعلى ١٧ — [3] القيامة ٢٠

[4] القيامة ٢١ — [5] الإسراء ١٨ – ١٩

مخالفيهم وظالميهم لعنهم الله ، فمن هذه الجهة ما نسب إلى أنفسهم الشريفة الدنيا لمكان هذه الشبهة ، و إنما ذكر الأولى لكونها أعم حيث تشمل بدأ كينوناتهم عليهم السلام في القابلية الأولى في الخلق الأول بل قبلها في أطوار اللانهاية وأحوال اللابداية إلى أزل الآزال وأبد الآباد حيثما أراد الله وشاء في مكنون علمه ومخزون سره بغيب محبته إلى أول التعين والتقييد ظهور العقل الأول وأول الإدبار والنزول إلى نهاياته وآخره في مقام الجماد ، ويشمل أيضاً صعوده إلى أول الدنيا وهي محدودة بخلق أبينا آدم عليه السلام ونزوله إلى هذه الأرض إلى فناء العالم أي موت الإنسان الكبير أي رجوعه إلى ما كان قبل خلق آدم عليه السلام ، ومجموع هذين الحدين على ما في بعض الأخبار مائة ألف سنة ، عشرون ألف سنة دولة الباطل وثمانون ألف سنة دولة أهل الحق عليهم السلام ، فعلى هذا تدخل الرجعة وقيام القائم عليه السلام في الدنيا كما تدل عليه الأخبار الكثيرة ويشهد بصحتها صحيح الاعتبار الإ أن هذه الدنيا كما تدل عليه الأخبار الكثيرة ويشهد بصحتها صحيح الاعتبار إلا أن هذه الدنيا دنيا بلاغ لا دنيا ملعونة مما قال عليه السلام ((الدنيا مزعه الآخرة))[1] وقال تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾[2] ، فلو اقتصر عليه السلام بذكر الدنيا لتبادر إلى غير ما يراد مع أنه ليس فيها دلالة على هذا

---

[1] إرشاد القلوب ١/ ٨٩

[2] النساء ١٣٤

العموم المراد في هذا المقام مع ما في لفظ الأولى من الإشارة إلى الأولية والقطبية وغيرها من المحسنات التي يطول بذكرها الكلام وبما ذكرنا كفاية لأولي الألباب من أولي الأفهام .

والآخرة تشمل ما بعد الموت الأكبر للإنسان الأكبر ووصول كل شيء إلى محله ورجوع كل فرع إلى أصله ولحوق كل مسبب لسببه من أول مقام الفرق في آخر مراتبه المزج والخلط في أول الحشر إلى أن يتصفى من الخلط والمزج بوصول أهل الجنة إليها وأهل النار إليها ، ثم في مقامات الفرق في الجنة من أول اغتسالهم في عين الكافور وشربهم من ماء السلسبيل ووقوفهم على الكثيب الأحمر واستراحتهم في الرفرف الأخضر وسلوكهم في أرض الزعفران وقيامهم مقام الأعراف وسيرهم فيه إلى أن ينقطع بهم السير في مقام الفرق وجاء حكم الوصول والاتصال في مقامات الجمع بظهورات المحبوب وتجليات المطلوب وفناء المحب في محبوبه والطالب في مطلوبه في الوجدان والوجود وهو مقام الرضوان الذي هو أكبر ثم سيرهم في تلك المقامات بتكرار التجلي والظهور والصحوبعد المحو والمحوبعد الصحو والحضور بعد الحضور والقرب بعد القرب والوصل بعد الوصل كما قال عزّ وجلّ ((وليس لمحبتي غاية ولا نهاية ، وكلما رفعت لهم علما وضعت لهم حلما))[1] وهوقوله عليه السلام ((إن الله أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا

---

[1] إرشاد القلوب ١٩٩

أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))[1] فإنه يريد عليه السلام ما ذكرنا من حكم اللانهاية فوق رتبة القيود من عالم الوجود المقيد حيث يقول عليه السلام ((ولا خطر على قلب بشر)) فإنه القلب هو أعلى مقامات الوجود المقيد وهو أنا وهو أول زوج تركب .

وبالجملة كل ذلك مقامات الآخرة ومراتبها وكلها علي عليه السلام والأئمة الطاهرون عليهم السلام لوجهين بل لثلاثة وجوه .

أحدها : أن الآخرة هي الأئمة عليهم السلام حقيقة لأنهم هم الأولى حقيقة وهذه الأولى والآخرة المعروفتان حقيقة ثانية عرضية لأنهما شعاعهم وهو لا يلحق المنير ، ألا ترى أنك تقول إن في البيت سراجا ولا تقول أن فيها سراجاً و أشعة مع أن الأشعة لا شك أنها موجودة لكنها لا تجامع السراج ولا تدخل معه في عدّ ولا حساب ، وكذلك الآخرة والأولى هم الأئمة عليهم السلام حقيقة لأنهم المبدأ لكل شيء وأنهم المنتهى كما في الزيارة ليس وراء الله ووراءكم يا سادتي منتهى))[2] وإنهم عليهم السلام الدار والبيت التي سكنت فيها الفيوضات الربانية والتجليات الصمدانية وهم عيبة علم الله ومخزن سر الله ومهبط نور

---

[1] لم نقف على هذه الرواية التي ذكرها المصنف أعلى الله مقامه ولكن وجدنا ما يقرب منه وهو كثير منه ما في التهذيب ٦/١٠٧ قوله صلى الله عليه وآله ((فأبشر يا علي وبشر أولياءك ومحبيك من النعيم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))

[2] البحار ٩٧/٣٠٨ ٢ كامل الزيارات ٢٠٠

الله ومحل مشيئة الله وموضع إرادة الله كما في الزيارة ((إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم ويصدر من بيوتكم الصادرة لما فصّل من أحكام العباد))٢ وهم بيت معرفة الله وهم البيوت التي قد اتخذت في الجبال والشجر كما في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ وهو رسول الله ﷺ لأنه منتحل العلم والدين والمعرفة والمحبة والتوحيد ﴿ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ ﴾[١] وهم الأئمة عليهم السلام لأنهم أوتاد أرض القابليات وأعلام الحق والهداية لأهل الأرضين والسموات وحاملوا الحرارات الواردة من المبدأ الأول من الفيض الأول الواصلة إليهم بواسطة سماء النبوة ونجوم خصوصيات الإلهامات النبوية بصلابة القوة والحفظ والعزيمة وعدم نفوذ الغير فيها بميل أو هوى وعدم ظهورها للغير منهم وبهذا كانوا عليهم السلام كما وصفهم الله سبحانه ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[٢] قال الشاعر :

فالقصر مجدهم الذي لا يرتقى   والبئر علمهم الذي لا ينزف

ولذا كانوا جبالا كما قال الخضر عليه السلام في مرثيته لأمير المؤمنين عليه السلام كنت كالجبل لا تحركه العواصف قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ

---

[١] النحل ٦٨   [٢] الحج ٤٥

كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[1] فالجبال في الباطن هم الأئمة عليهم السلام ﴿ بُيُوتًا ﴾ أي مسكنا ومحلا للعلوم التفصيلية كما ذكرنا سابقا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الإجمال والولي والوصي عليه السلام صاحب التفصيل، كما أن الصدر بيت علم الغيب والنفس بيت علم العقل كذلك الوصي بيت علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكرنا في قوله عليه السلام ((وعلمته علمي وعلمني علمه)) فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كالقلب وعلي عليه السلام كالصدر والأئمة عليهم السلام كالحواس والقوى والمشاعر وفاطمة الصديقة الطاهرة عليها السلام كالجسد الحاوي للكل والواعي للجل والقم، فهم عليهم السلام بيوت علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أن النفس والقوى والحواس بيوت علم القلب ومخزن العلوم التفصيلية وذلك ظاهر إنشاء الله، ﴿ وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ﴾ وهو علي عليه السلام لأنه شجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى وقد ورد أن شجرة الخلد وسدرة المنتهى في بيت علي عليه السلام وليس في الجنة بيت إلا وفيه غصن من أغصانها، إنما كان شجرة لأنه قد ظهر منه اثنا عشر غصنا من الأغصان الكلية في الولاية الكلية، ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[2] وهي

---

[1] الغاشية ١٧ - ٢٠

[2] النحل ٦٨

فاطمة الطاهرة الصديقة على أبيها وبعلها وبنيها وعليها الصلاة والسلام لأنها الصلاة الوسطى الراتبة بين النبوة والولاية وهنا ظهر ما في ليلة المعراج حين ما قال جبريل عليه السلام له عليه السلام يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم ((قد وطأت موطأ ما وطأه قبل لا ملك مقرب ولا نبي مرسل قف فإن ربك يصلي وقال صلى الله عليه وآله وسلم وكيف يصلي قال يقول سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح أنا رب الملائكة)) ومن معاني هذه الصلاة هي وصل النبوة بالولاية وذلك الوصل كان منها تزويج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام فهي العرشية الرابطة بين الجدارين جدار النبوة وجدار الولاية فكان أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من علي عليه السلام بفاطمة عليها السلام ويظهر مما ذكرنا تأويل تمام الآية إذ بالبيان مشروحا يطول به الكلام والإشارة كافية .

فظهر لك بعون الله أنهم البيوت حقيقة وأنهم الآخرة والأولى على الوجه الأول وذلك كالصلاة فإن الصلاة حقيقة اسمهم عليهم السلام كما قال تعالى ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ هي علي عليه السلام أمير المؤمنين ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ أي ولاية علي عليه السلام لكبيرة ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾[1] الآية ، وقال عليه السلام ((أنا صلاة المؤمنين وصيامهم)) وقال الصادق عليه السلام على ما رواه في بصائر الدرجات للصفار ((نحن الصلاة ونحن الزكاة ونحن

---

[1] البقرة ٤٥

صوم شهر رمضان))[1] الحديث ، فالصلاة وغيرها من الأسماء الطيبة كلها حقيقة اسمهم اللفظي حقيقة كما في الزيارة ((إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه مأواه ومنتهاه))[2] وهذه الصلاة المعروفة ذات الأركان والأوضاع هي صفتهم وآيتهم سميت باسمهم من حيث حكايتها لذلك المسمى بتلك الجهة فلا يقوم فرع إلا بأصله ولاتتحقق صفة إلا بموصوفها ولا يكون موصوف إلا بالصفة فلا ولاية لهم عليهم السلام إلا بهذه الأفعال وكذلك لا ظهور لهم إلا بها ، فالصلاة اسم لهم عليهم السلام حقيقة ثم وضعت لحقيقتك حقيقة ثانية ثم وضعت لفعلك الخاص حقيقة ثالثة ثم وضعت للدعاء حقيقة رابعة أومن باب التشكيك فافهم أرشدك الله للصواب .

وهكذا حكم كل خير ونور وكذلك الأولى والآخرة فإنهما لهم حقيقة لكنها لما ظهرتا في مقام التفصيل الظهوري بتلك الأطوار والأحوال سميت بهما بنحو من الاعتبار لما دل عليه الدليل العقلي والنقلي ، إنما في السافل تفاصيل ظهورات العالي فكلما في السافل مفصلا كان في العالي مجملا ، ولما كان الاسم جهة التمييز والبيان فإذا ميز كان الاسم للعالي حقيقة وللسافل إما

---

[1] لم نعثر على هذا الحديث في النسخة التي عندنا من بصائر الدرجات ووجدناها في البحار ٢٤/٣٠٣ بزيادة نحب أن نوردها تبركا وتيمنا ((نحن الصلاة في كتاب الله عز وجل ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله ونحن وجه الله)) ، والحديث مذكور أيضا في تأويل الآيات ٢١

[2] الزيارة الجامعة الكبيرة

مجازا أو حقيقة ثانية كما ذكرنا ، واعلم أني ربما أردد الكلام للتفهيم والبيان لغموض المسألة وصعوبتها .

وثانيها أن نحمل الأولى والأخرى على معنييهما المعروفين كما تقدم فكونهم عليهم السلام حينئذ الأولى والآخرة كما تقدم في قوله عليه السلام ((ونحن النذر الأولى)) لأن الخلق كلهم بجميع أحوالهم وشئونهم وأطوارهم الحسنة الجميلة صفاتهم وأسماءهم ولباسهم فيسمون بأي اسم شاءوا ويصفون بأي صفة أرادوا ويلبسون أي لباس اختاروا لهم الأمر والحكم ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[1] ، لكنهم عليهم السلام يجرون الصفات والأسماء على حسب الحكم والمصالح ومقتضى المصلحة والوقت والجهة والرتبة وسائر الشرائط والمكملات والمتمات من اللوازم والأسباب وسائر حدود القابلية كما إذا كان لك صفات كثيرة كالعالم والعادل والطيب والقائم والضارب والناصر وأمثالها تصف نفسك بأي صفة أردت أو شئت مما اقتضت المصلحة فكذلك الخلق كلهم صفات لهم إما بالذات أو بالتأويل ، وبعبارة أخرى كل الخلق يحكون إما توصيفهم بصفات الكمال أو تنزيههم عن صفات النقصان ، فلهم عليهم السلام مقامان وكذا كل عال مع سافله إما أن يرقوا السافل إلى مقام الصفتية فيتصفون بها أي يصفون أنفسهم بها كما في أمثال هذه الخطبة

---

[1] ص ٣٩

الشريفة ، وإنما قلت هكذا تعمية عن الأغيار وإلا ففي كل شيء يوجد ذلك التوصيف وقد وصفوا عليهم السلام بذلك أنفسهم إلا أن بالتصريح يرتاب الجاهلون ويستظهر المعاندون ، أو أن ينزلوا إلى مقام السافل فيجرون على أنفسهم الشريفة أحكامهم وأحوالهم كما قال علي عليه السلام في حديث الطشت والإبريق الذين أوتي بهما له عليه السلام من الجنة ليتوضأ حين شك في وضوئه قال عليه السلام ((شككت في وضوئي فذهبت أتوضأ وألحق صلاة الجماعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)) وهكذا أحكام الخلق مما يوهم الشك أو السهو أو النسيان أو المعصية أو التعليم من الملائكة أو الغفلة أو سائر الأحوال فإن كل ذلك أحوال السافلين أجروها على أنفسهم إما كرامة لهم كما قال تعالى لموسى ((يا موسى مرضت فلا تعودني)) وكان المريض ولي من أولياء الله وقوله تعالى في حديث برخ الأعور ((إنه يضحكني كل يوم ثلاث مرات)) أي يضحك أوليائي وإلى هذا ناظر قوله تعالى ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[1] فإنه صلى الله عليه وآله وسلم جعل ذنوب شيعة علي عليه السلام ذنوبه فاستغفر لذلك وبكى وتضرع تتميما لقابلياتهم فغفر الله سبحانه له ذلك الذنب الذي نسبه إلى نفسه الشريفة وإلا فحاشاه عن الذنب صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى هذا

---

[1] الفتح ٢

الجاهلون ويستظهر المعاندون ، أو أن ينزلوا إلى مقام السافل فيجرون على أنفسهم الشريفة أحكامهم وأحوالهم كما قال علي عليه السلام في حديث الطشت والإبريق الذين أوتي بهما له عليه السلام من الجنة ليتوضأ حين شك في وضوئه قال عليه السلام ((شككت في وضوئي فذهبت أتوضأ وألحق صلاة الجماعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)) وهكذا أحكام الخلق مما يوهم الشك أو السهو أو النسيان أو المعصية أو التعليم من الملائكة أو الغفلة أو سائر الأحوال فإن كل ذلك أحوال السافلين أجروها على أنفسهم إما كرامة لهم كما قال تعالى لموسى ((يا موسى مرضت فلا تعودني)) وكان المريض ولي من أولياء الله وقوله تعالى في حديث برخ الأعور ((إنه يضحكني كل يوم ثلاث مرات)) أي يضحك أوليائي وإلى هذا ناظر قوله تعالى ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[1] فإنه صلى الله عليه وآله وسلم جعل ذنوب شيعة علي عليه السلام ذنوبه فاستغفر لذلك وبكى وتضرع تتميما لقابلياتهم فغفر الله سبحانه له ذلك الذنب الذي نسبه إلى نفسه الشريفة وإلا فحاشاه عن الذنب صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى هذا سهل عليك معرفة أن طلحة أصيب من مروان بن الحكم لعنه الله مع أنه قال رماني علي بن أبي طالب لأنه عليه السلام أجرى فعله بيد ذلك الخبيث لقوة

---

[1] الفتح ٢

المناسبة بين القاتل والمقتول ولشدة التبكيت والتشكيك ، ولكن لما كانت دار الآخرة دار العود إلى الله سبحانه انقطعت ملاحظة الأسباب ويشاهد المسبب وقطع نظر طلحة إلى المسبب وهو المثال الملقى منه في هويات الكائنات وحقائق الموجودات في كل الذرات وقطع النظر عن الحامل واليد ولآلة على المعاني الذي عندنا لا كما تقوله الأشاعرة ، وقتل علي عليه السلام طلحة بذلك الخبيث كقتل الله سبحانه بني إسرائيل ببخت نصر فإن الله سبحانه انتصر بذلك الكافر دينه وأخذ به ثار يحيى المظلوم الشهيد المقتول ، وهذا مثاله في هذه الأمة ، وأما حقيقة الأمر فالذي أجرى فعله بيد مروان بن الحكم هو الذي أجرى فعله بيد بخت نصر لأن عليا عليه السلام وروحي فداه يد الله العليا وكلمته الحسنى ووجهه الأعلى ومقام الذي لا تعطيل له في كل مكان فلا قوام للشيء إلا بالوجه كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه يرجعون وهوالعلي الكبير وقال سيد الساجدين عليه السلام في دعاء الحريق ((وإن كل معبود مما دون عرشك إلى قرار أرضيك السابعة السفلى باطل مضمحل ما خلا وجهك الكريم فإنه أعز وأجل من أن يصف الواصفون كنه صفته أوتهتدي العقول إلى كنه عظمته))[1] الدعاء فإذا كان كذلك فلا استبعاد فيما قلنا ولا استعجاب فيما ذكرنا ، أما سمعت حديث جبريل عليه السلام إذ دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل علي عليه السلام فقام جبرائيل لعظمته و إجلاله فقال له النبي

---

[1] مصباح المتهجد ٢٢٠

وكيف قال ﷺ أتقوم لهذا الفتى قال كيف لا أقوم وله حق التعليم قال ﷺ وكيف كان ذلك فقال لما خلقني الله سبحانه وسألني من أنا ومن أنت ما اسمي وما اسمك قلت أنت أنت و أنا أنا اسمك اسمك و اسمي اسمي فاشتعلت علي حرارة الغضب فاحترقت أجنحتي وبقيت إلى ثلاثين ألف سنة ثم ناداني الله سبحانه بما ناداني أولا فأجبت ثانيا بالجواب الأول فاحترقت أجنحتي ثانيا فلما أتت النوبة في المرة الثالثة أن يسألني ربي أتاني هذا الفتى عليه السلام وقال لي إذا سألك الله سبحانه فقل في جوابه أنت الرب الجليل وأنا عبدك الذليل اسمك الجليل و اسمي جبرائيل ثم سأله النبي ﷺ كم مضى عليك من العمر فقال ما أحسبه إلا أني أعلم أن كوكبا يطلع بعد ثلاثين ألف سنة وقد رأيته ثلاثين ألف مرة ثم إن عليا عليه السلام رفع عمامته الشريفة وأظهر ناصيته المباركة فقال عليه السلام هذا ذاك الكوكب يا جبرائيل فقال هو ذاته بعينه والله))

نقلت الحديث بالمعنى إذ لم أحفظه بلفظه وذلك الكوكب ظهور من ظهورات علي عليه السلام بالهيمنة والتسلط والخلق والحرارة والبعث والإرسال والإنزال ويظهر ذلك فيما يشاء كيف يشاء بما يشاء وذلك الإظهار كما قلنا لك من حكم التنزل في رتبة المعلول وإلا فالذي أرى جبرائيل هو مما يناسب مقامه وأين هو من مقام الأنبياء وأين الأنبياء من مقامهم وأين الثرى من يد المتناول وقد نص رسول الله ﷺ أن سلمان أفضل من جبرائيل في الحديث المشهور ، ولم يزل مثال علي عليه السلام مع كل الخلق من الأنبياء والمرسلين

والملائكة المقربين والمؤمنين الممتحنين وسائر الخلق من الجن والإنس أجمعين إلا أن الأنبياء لما كان وجههم الأعلى دائم الإلتفات إلى مبدئهم وكذلك الملائكة تتمكن لهم مشاهدة تلك الأمثال وأما سائر الخلق فلا يتأتى لهم إلا حين الموت أوفي رؤيا أو بعد انسلاخ شديد من الدنيا وإذا أرادوا ذلك عليهم السلام بالخصوص لحكم ومصالح كثيرة والمثال هو آية الممثل بل لا فرق بينه وبينه إلا أنه عبده وخلقه فإذن يصح أن يقول أنا ذاك كما يقول زيد أنا القائم فافهم .

وثالثها أن نحمل الأولى والأخرى على معنييهما المعروفين عند العامة ونجعل المراد من الضمير المنفصل (نحن) مقام القطبية وظهور العلة المادية فإنهم عليهم السلام بما ظهروا في الهياكل المعروفة للخلق قلب الإنسان الكبير وسائر الأعضاء كلها من القلب وإليه وكلها قشور له لا قوام لها إلا به ولذا إذا فقدت تلك الهياكل عن وجه الأرض فسد الكون وانهدم النظام كالقلب إذا أفسدته الحرارة الغريزية ، ولذا إذا رفعهم الله سبحانه إلى السماء في الرجعة بعدما بلغ الكتاب أجله يفسد العالم ويبقى في هرج ومرج أربعين يوما إلى الفساد الأعظم والهلاك الأكبر وفقدان الشعور والإحساس بالمرة ، وهذا الوجه هوبعينه الوجه الثالث الذي ذكرناه عند بيان قوله عليه السلام ((نحن النذر الأولى)) فراجع كما ذكرنا إذ لا يمكن الكلام عن هذا المقام إلا مرموزا مستورا فكم من خبايا في زوايا فتدبر فيما ذكرنا فإنك تجد صحوا بلا غبار .

قوله عليه السلام ونذر كل زمان و أوان

لأن كل ما سواهم عليهم السلام بجميع المراتب إنما خلقوا ووجدوا من شعاع أنوارهم وظهور فاضل آثارهم وتقوموا بهم عليهم السلام قيام صدور وقيام عضد وركن ، ولما كان الممكن لا يستغني عن المدد في حال من الأحوال لمكان الاضمحلال وعدم الاستقلال ، والفيض دائما يرد عليهم من المبدأ المفيض جل جلاله ، والخلائق دائما يقبلونه وإلا لانعدموا وبطلوا ، ولما كان الفيض في ذاته له اقتضاء وآثار وفي قابلياتهم اقتضاء وآثار وفيها بالنسبة إلى المبدأ له اقتضاء وآثار وبالنسبة إلى نفسه له اقتضاء وآثار وبالنسبه إلى نفسه له اقتضاء و آثار ، وكانت قابليات الخلق كلها على قسمين قابلية توافق هيكل التوحيد وقابلية توافق هيئة الشرك بل القابليات هما نفس الهيكلين ، ظهر الفيض في نفس قابلية الشرك بالنسبة إلى مبدئه في حكم ذلك الشيء بصورة الغضب فأثر في الشيء في نفسه القساوة والطبع والعماء والصمم والذل والفقر والمسكنة والأذية بأنحائها وأحوالها وأهوالها ، وبالنسبة إلى حكم مبدئه

فيه في الحكم الأولي قبل وقوع الخطاب والأمر هي تقيد الفيض بالحدود المشخصة اللازمة ، ظهر ذلك الفيض من المبدأ المفيض بطور النذير فذلك الفيض الإلهي نذير من عذاب الله وسخطه عند وقوعه في الحل الظلمات من جهة كونه حاملا للخطاب الإلهي لا من حيث وقوعه في الهيكل الظلماني وغضب من الله سبحانه حسب جريانه على مقتضى ذلك الهيكل بملاحظة نفسه المدبرة المقبلة إلى وجهه الأعلى من حيث نفسه ، ولما كان ذلك الهيكل غير ناضج وغير متصل بالحرارة الغريزية الأصلية وإنما هوبارد يابس من جهة النظر إلى نفسه وفيه رطوبة للميل إلى مبدئه من حيث نفسه لا من حيث مبدئه ، فلما أثرت تلك الحرارة أظهرت نتنها وخبثها وكثافتها وخبث رائحتها ومجموع ذلك الفيض والقابيلة هوالشيء المدبر القاسي الغاسق المعرض المدبر ، فتحقق النذير عند وجود هذا الهيكل الشرير وقبله عند ذكره ، فلولا وجود هذا الهيكل ولا ذكره ولا إمكانه ولا إمكان حدوثه باقتضاء الطلبات ولا ذكر أسبابه ولا وجودها ولا تحققها لم يكن النذير أيضا ولكن لا يمكن عدم وجوده ولا عدم إمكانه وذكره وإلا لم يوجد الشيء بل لم يمكن ، فإن الحادث إذا حدث حصلت له جهتان جهة إلى ربه وجهة إلى نفسه فإنك تشير إليه وتقول هو حادث ولا شك أن جهة هويته غير جهة حدوثه ، فلوكان عينه بكل جهة لما صح حمله عليه ولما جاز أن تقول هوحادث فإن الحمل لا بد فيه من المغايرة و إن كان بالاعتبار لأن النسبة لا بد من تحقيقها بين الموضوع

والمحمول فلوكان الموضوع عين المحمول حقيقة انتفت النسبة بارتفاع الاثنينية فلا يصح قولك هو حادث أو هو ممكن وهذا لا شك فيه وليس من هذا القبيل قولك هو الله أو هو واجب أوغير ذلك من الحمليات وإن كان من هذا القبيل فافهم فإنا لو تصدينا لبيان وجه الفرق لأخرجنا عما نحن فيه .

وبالجملة إذا تحققت الجهتان كانت جهة الهوية نوعين نوع يوافق الجهة الأولى في مقام الفرق والمقام الثاني ، وإلا ففي الجهة الأولى لا ذكر لشيء فيها حتى يصح التوافق أو التخالف وتلك الموافقة في مقام الهوية باقتران ذلك الفيض ، وتلك الجهة العليا هي هيكل التوحيد لأن الحادث المخلوق يجب أن يكون دائم النظر إلى مبدئه إما بقيامه بامتثال أوامره ونواهيه و إجراء سائر أحكامه وإما بخضوعه وخشوعه وذله وفقره ومسكنته له وطلب الحوائج من عنده ، وإما ببينونيته عما سواه والدنو إلى مولاه وطلب القرب إليه والوصول بخدمته ، وليس هذا الترديد من باب منع الجمل بل من باب منع الخلو ، ولكل جهة ومقام من هذه المقامات الثلاثة أحوال و اقتضاءات يصعب حصرها وذكرها ولذا شرعت الصلاة التي هي عمود الدين على هذا الهيكل فإن فيها قيام يشار به إلى قيام العبد بخدمة مولاه والامتثال لأمره ونهيه وفيها ركوعا يشار به إلى خضوع العبد وخشوعه وذله ومسكنته والإشارة إلى أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وفيها سجود يشار به إلى مقام الدنو والبينونة عن الخلق والفناء في ذكر مولاه

والاضمحلال عند جلال عظمته، وبهذه الحدود الثلاثة يتم هيكل الإيمان وهومرادنا بهيكل التوحيد، وبهذا يظهر (أنا) في قوله عليه السلام ((إلهي كيف أدعوك وأنا أنا وكيف لا أدعوك وأنت أنت))[1] ولما تحققت هذه الجهات الثلاثة النورانية ظهرت لكل جهة جهة ضدها في إمكان وجودها في الخزانة السفلية الإمكانية فكان ضد الجهة الأولى الكساله والامتناع عن الخدمة وطلب الراحة كما قال عز وجل ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ ﴾[2] الآية وقال عز وجل ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3]، وكان ضد الجهة الثانية الاستكبار وارتكاب القبائح والمناهي كما قال عز وجل ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾[4] وقال عز وجل ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾[5] الآية، وكان ضد الجهة الثالثة الإعراض عن الله سبحانه وعدم التوجه إليه ونسيان ذكره وحرمته عن مناجاته وقربه والاشتغال بغيره كما قال

---

[1] البحار ٩١/ ١٣٨   [2] التوبة ٣٨   [3] النساء ١٤٢

[4] ص ٧٥   [5] الجاثية ٢٣

عز وجل ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾[1] ، وبإتمام هذه الحدود يتم هيكل الكفر والشرك والنفاق والشقاق ، ولما كان الله سبحانه حكيما يجري الأشياء على مقتضياتها وأسبابها ويضعها في موضعها وهوسبحانه سريع الحساب اقتضت حكمته سبحانه في فيض الرحمة الواسعة أن يلزم على أهل هذا الهيكل نتن ذاته وقبح صفاته ورداءة أعماله المقتضية للجحيم والحميم والعذاب الأليم نعوذ بالله من سخط الله ، وهكذا اقتضت حكمته البالغة أن يلزم على أهل هيكل التوحيد ثمرات أعماله وحسن توجه ذاته لأنه طيب لاتصاله بالأصل الثالث فجميع الأحوال الناشئة منه كلها على وجه الصفاء والنورانية والتمامية والكمالية في كل مقام يفرض وعلى كل حال يتصور وذلك هو النعيم والجنة ، فلما خلق الله سبحانه إمكان هذين الهيكلين وإمكان مقتضيات هاتين النشأتين أراد سبحانه أن يظهر مستجنات غيب الإمكان إلى عالم ظهور الأكوان والأعيان ، ولما كانت الجهتان في ذلك العالم ذكريتين يجب أن تكونا في عالم الوجود وجوديتين كونيتين ، فلذا خلق الله سبحانه الخلق في عالم التكوين من مزج هذين الهيكلين فالماء العذب الفرات من هيكل الأولي النوراني والماء المالح الأجاج من الهيكل الثاني الظلماني ، فتحقق لكل شيء حينئذ ميلان ميل إلى الخير والرشد والنور وميل إلى السوء والقبح والظلمة ، ولما أن الوجه الأعلى هو الأعلى

---

[1] التكاثر ١ – ٢

وهوالمقصود لذاته والجهة السفلى هي السفلى وهو المقصـود بـالعرض مـن باب المقدمة كـان الميـل إلى الأعلـى هوالمطلـوب في خلـق الأكـوان وإظـهار مستودعات غيوب الإمكان ، ولما كان الشيء صار مختارا بتلك الجهتين واختيار أحد المتساويين من غير جهة مرجح خارجي مستحيل كما برهنا عليه في سـائر رسائلنا سيما الرسالة الموضوعة للرد على منكري القائل بالمناسبة الذاتية بين اللفظ والمعنـى ، جعـل الله سـبحانه لكـل مـن الجـهتين أسـبابا ومرجحـات خارجية ، أما الأولى عن جهة أنها الأصل والمقصود لذاته ، وأما للثانيـة فمـن جهة أنها متممة للأولى ولا تقوم في عالم الظهور إلا بـها ومـن جهـة أن مـآل الأولى إلى النور ومآل الثانية إلى الظلمة وطلب النـور هـو المطلـوب وطلـب الظلمة هوالعذاب والألم ، فبين الله سبحانه لهـم ذلـك حـين بـرء كينوناتـهم بواسطة من برء وخلق حقائقهم وذواتهم به وتلك الواسطة هي ظهور نـور المبـين علـى مثالـه للمبـين لـه في رتبـة المبـين لـه فـهو ذاتـه المـردودة إليـه فافهم ، وذلك المبين والواسطة في العالم الأول هو محمـد ﷺ فظـهر بشـيرا ﷺ لكل أحد ترتب مقتضيات الجهة الأولى أن عملوا على مقتضاها ونذير لكل أحد ترتب مقتضيات الجهة الثانيـة عليـهم أن عملـوا بمقتضاهـا وهـو الفرقان في مقـام البشـارة والإنـذار وهـو قولـه عـز وجـل ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ

ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[1] فهو ﷺ نذير للعالمين جميعا والعالم هو ما سوى الله فيكون نذيرا لكل ما سوى الله ترتب أحوال تلك الجهة وآثارها عليهم وقال أيضا سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[2] فلما خلق الله سبحانه الخلق وحشرهم في محشر واحد وأوقفهم في مجمع واحد ثم استخلص نبيه ﷺ بحقيقة ما هو أهله و انتجبه آمرا وناهيا وأقامه مقامه في سائر عوالمه في الأداء مقامه إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه الخواطر والأفكار فقال لهم عن الله عز وجل ألست بربكم ومحمد ﷺ نبيكم وعلي عليه السلام وليكم والأئمة الأحد عشر من ولده وفاطمة الصديقة عليها السلام أئمتكم وهداتكم ثم ، بشرهم ﷺ بما يلزم هذا الإقرار من النعيم واللذة والحلاوة والمحبة والمسرة بأن كشف لهم عن باطن الكرسي على المعاني كلها وأراهم وأشهدهم أنفسهم وما يؤول إليه أمورهم من النعيم والمغفرة والخير والبركة و إن لم يتركوا مقتضى الجهة العليا الأولى ، وأراهم صور أعمالهم من الحور والقصور وصور اعتقادهم من الإيصال إلى التجلي بعد التجلي من النور الأعظم والركن الأقوم ، ثم أنظرهم عما يترتب عليهم من مقتضيات الجهة

---

[1] الفرقان ١

[2] الأحزاب ٤٥ – ٤٦

السفلى الثانية أن علموا بمقتضاها بأن كشف لهم عن باطن الصخرة أسفل السافلين وأراهم صور تلك الأعمال الرديئة والأفعال القبيحة من أنواع الحيات والعقارب وسائر المؤذيات وبين لهم أن هذه الصور والحدود لمن أنكر وعمل مقتضى تلك الجهة السفلى وقوله تعالى ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[3] فلما عرض ﷺ عليهم التكليف وبشرهم بمرجو ثوابه وأنذرهم عن محذور عقابه فقبله ﷺ أولا عن نفسه الشريفة فأجاب أولا فقال يا ربنا قبلت جميع ما كلفتني وأمرتني بلسان وحيك فصدقه الله سبحانه بذلك لما خرج الإقرار عن كينونة ذاته ومستسرات سرائر غيب حقيقته بأبي هو و أمي و ﷺ وأنزل سبحانه قوله تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾[4] فزاده سبحانه نورا على نور وسرورا على سرور فأعطاه الوسيلة والحوض والشفاعة والجنة والنار وجعل أمر الخلق إليه ومرجعهم لديه وقال﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[5] وقال عز وجل﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ

---

[1] الإنسان ٣ ٢ الإنسان ٢ ٣ البلد ١٠

٤ البقرة ٢٨٥ ٥ ص ٣٩

فَٱنتَهُواْ ﴾[1] وذلك بعدما امتحنه بالتكليف ووجد منه صدق العبودية ثم وصفه سبحانه بأعظم الصفات وقال ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] ثم قال عز وجل ﴿ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[3] ولا تستبعد من أنه صلى الله عليه وآله وسلم كيف سأل وكيف أجاب لأن الله عز وجل قد أوضح الأمر وبين الحقيقة لمن نظر إلى الدقيقة فقال عز وجل ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[4] وقد ذكرنا مرارا أن المراد بالآية الشريفة هو أن البدء هو عين العود وبينهما التطابق الكامل إن أبيت عن المعنى الأول ، وقد دلت أخبارهم عليهم السلام بأن عند فناء العالم وهلاك الخلائق يسأل الله سبحانه بلسانهم أين الجبارون وأين المتكبرون وأين الذين أكلوا رزقي وعبدوا غيري لمن الملك اليوم ثم يرد على نفسه فيقول لله الواحد القهار وقد ورد في علة أخبار عنهم عليهم السلام أنهم قالوا ((نحن السائلون ونحن المجيبون)) ، وهذا إشارة إلى البدء فلا يبقى أخيرا إلا ما كان مخلوقا أولا وما خلق إلا بالتكليف وما كلف إلا بالمكلف الواسطة ولا مكلف في القدم والأزل فيكون في الإمكان وليس سوى المخلوق الأول فعنده اجتمع الحكمان والتقى البحران قال تعالى لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي

---

[1] الحشر ٧ [2] القلم ٤ [3] الأنعام ١٢٤

[4] الأعراف ٢٩

المؤمن))[1] والمثال الظاهري هو الذي مثلنا به مرارا من حالك عند تلاوتك القرآن على فرض أنك مخاطب به الآن إلا أنه خاص بالحاضرين مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنك حين التلاوة لسان الله يخاطب الله نفسك بك ولذا تأمر أولا ثم تقبل وهكذا هناك بعينه ، فإن قلت كيف يقر لنفسه بالنبوة وللأئمة عليهم السلام بالولاية ، قلت الشيء إذا لم يقر بواسطة الفيض بين المفيض والمفاض عليه لم يوجد ولم يتحقق وعلى هذا يحمل قوله عليه السلام في ((الزيارة طأطأ كل شريف لشرفكم وبخع كل متكبر لطاعتكم وخضع كل جبار لفضلكم وذل كل شيء لكم وأشرقت الأرض بنوركم وفاز الفائزون بولايتكم))[2] فإن ذلك خضوع تكويني وإقرار وخضوع غريزي ذاتي ضرورة إن كثيرا منهم ما أقروا لسانا ولا جنانا على حسب الظاهر ، ولما كانت الوسائط كلها منتفية عنده صلى الله عليه وآله وسلم سوى نفسه الشريفة فتكون هي الواسطة والرابطة وهذا سر جار في كل شيء من الأشياء كما قال عليه السلام ((لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها))[3] وقال الكاظم عليه السلام ((ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور))[4] فيجب الإقرار لنفسه بأنه نبي ورسول من الله إليه في مقام (رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك انتهى المخلوق إلى مثله والجأه الطلب إلى شكله) ، أما الولاية لعلي عليه السلام

---

[1] إرشاد القلوب ١٩٩
[2] الزيارة الجامعة الكبيرة
[3] البحار ٤ / ٢٦١
[4] البحار ٣ / ٣٢٧

والأئمة عليهم السلام لأنهم علموه علمهم بعدما تعلموا منه علمه على ما فصلت عند قوله عليه السلام ((وعلمني علمه وعلمته علمي)) ، ثم بعد إقراره وقبوله وإظهاره لهيكل التوحيد على أكمل ما يمكن في الإمكان أقر وأقبل علي أمير المؤمنين عليه السلام بمثل إقرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرفا بحرف بحقيقة الكينونة ولب الهوية فلما قابل بكله فوارة النور والفيض أحاط النور بكله وجزئه وكل ذرات وجوده فقام محتذيا مثال النبوة فحكى ما كان يحكي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا نفس التقدم ولذا لم يكن نبيا وكان وصيا ووليا فظهر بشيرا ونذيرا كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهكذا على هذا النهج أولاده الطيبون وأحفاده المعصومون عليهم السلام كلهم من جهة ذلك القبول الواسع العام والمقابلة الكلية ظهرت فيهم الأحكام الظاهرية فيهما وجرى لهم ما كان جاريا لهما فظهروا مبشرين ومنذرين لأنفسهم بأنفسهم وما كان خلق سواهم ولا حادث غيرهم ، فلما خلق الله الأنبياء(عليهم السلام من شعاع أنوارهم وفاضل آثارهم عليهم السلام فكلمهم الله بلسان وحيه بما ذكرنا وظهر منهم صدق العبودية والطاعة ظهر فيهم مثالهم وحكوا بحقيقة ذاتهم صفاتهم وكانوا بذلك أنبياء الله وخلفاء الله عز وجل لظهور ذلك المثال المستدعي لخلافة الله سبحانه فيهم فاختلفوا بشدة المقابلة وضعفها إلى إخلاص الولاء لهم والانقياد لأمرهم وعدم الإخلاص التام فاختلفت مراتبهم ومقاماتهم عند الله وعند الخلق فمنهم من صار أولي العزم ومنهم من لم يبلغ ذلك وهوقول العسكري عليه السلام ((قد صدنا ذرى

الحقائق بأقدام النبوة والولاية)) إلى أن قال عليه السلام فالكليم ألبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة))[1] فكان الأنبياء عليهم السلام لقربهم إلى أنور أئمتنا عليهم السلام وشدة الإخلاص في طاعتهم ومحبتهم مبشرين ومنذرين أحكام الجهتين على ما ذكرنا وقررنا ، ولكن حكم الإنذار لا مكان الوقوع وإلا فمقتضى تلك الجهة السفلية غير واقعة وغير متحققة والأنبياء حينئذ تابعون ومتلقون الأحكام الإلهية منهم في حجاب الكروبيين والحكم حكمهم والدين دينهم والشريعة شريعتهم وكلهم عاملون بتلك الشريعة ولم يكن فيها اختلاف لجريانها على تمام الشرائط والمكملات والمتممات ، وكان الأنبياء عليهم السلام هنالك رعاياهم وشيعتهم ويدل العقل المستنير بنور الله أنهم حين نزولهم إلى الدنيا ما تجري أحوالهم المختصة بهم الغير المشوبة بشيء من رعاياهم إلا بشريعة نبينا صلى الله عليه وآله المعروفة عندنا وتشير إليها بواطن الأخبار ولكن لم أقف على حديث صريح يدل على الذي ذكرنا ولذا لا أقول بذلك كغيره وإلا إني سمعت ممن أثق به أنه وجد حديثا بهذا المعنى صريحا والعلم عند الله ، ولكن لا ينبغي التشكيك أنهم عليهم السلام ما خرجوا من شريعة نبينا صلى الله عليه وآله المحفوظة عند أئمتنا عليهم السلام أبدا ، ولما خلق الله سبحانه سائر المخلوقين وكلفهم بلسان وحيه بما

[1] البحار ٢٦/ ٢٦٤

كلف الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام فهم بين مقر ومنكر فظهرت في هذه المرتبة آثار الهيكلين ومزاج البحرين وسر العالمين فبعث الله سبحانه للأنبياء (عليهم السلام نذر إليهم على حكم شريعة محمد صلى الله عليه وآله ونظم طريقته ، فالأنبياء عليهم السلام وإن كانوا نذرا لكنهم بواسطتهم وتبعيتهم بل من جهتهم وعلى ولايتهم ، فالنذر على الحقيقة هم الأئمة عليهم السلام في كل زمان وأوان والأنبياء عليهم السلام وسائر الخلق أيضا إن صفت لهم القابلية وظهر فيهم نور الكينونة ليكونوا نذرا جزئية كلهم آلسنة لآل محمد صلى الله عليه وآله وتراجمة لما نطقوا به للخلق ، ولما كان الخلق في أول الخلقة ما نضجت طبائعهم وما صفت هوياتهم فلم يقدروا أن يصلوا إلى أهل البيت عليهم السلام فجعل الأنبياء أبوابا وحجبا وأستارا فهم المتكلمون من وراء الحجب كما تكلم الله مع موسى وراء الحجاب الذي هوعلي عليه السلام وتكلم علي عليه السلام مع موسى عليه السلام من وراء الحجاب الذي هو رجل من الكروبيين وكما تكلم ذلك الكروبي مع موسى من وراء ذلك الحجاب الذي هو الشجرة ، فالمتكلم هو الله سبحانه حقيقة والوسائط كلها مرتفعة منقطعة مضمحلة هذا في ما يختص به سبحانه ، وأما فيما يختص به السفرة والوسائط فالأصل والحقيقة فيه هونبينا صلى الله عليه وآله و أئمتنا عليهم السلام وسائر الوسائط والحجب كلها مرتفعة منقطعة وذلك لأهل دليل الحكمة فإنهم لا يرون في الوجود متكلما وناطقا عن الله سبحانه سواهم عليهم السلام ويرون الأنبياء

عليهم السلام ألسنة حاكية محضة فلا ينسبون إلى اللسان شيئا أبدا وينظرون إلى قوله عز وجل ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾[1] وفي زيارة مولانا علي عليه السلام ((السلام على ميزان الأعمال ومقلب الأحوال وسيف ذي الجلال))[2] فهم عليهم السلام عندهم نذر كل زمان وأوان من بدأ الوجود إلى نهاية انقطاع الأكوار والأدوار في مقامات الليل والنهار بعد انقطاعهما إلى انقطاع الأطوار والأوطار إلى مالا نهاية له فلا يرون لشيء استقلالا أبدا بحال من الأحوال سواهم ، وهو المراد من قوله عليه السلام ((لا يرى فيه نور إلا نورك ولا يسمع صوت إلا صوتك))[3] ومن البين أنهم عليهم السلام نور الله وصوتهم صوت الله أو هم صوت الله ، فعلى هذا ما أسخف قول من قال بجواز تقليد الميت من المجتهدين فإن المجتهد مثال ومرآة لتجلي حكم الإمام عليه السلام فإذا مات وانكسرت المرآة وانقطع اللسان فمن أين المقال فلا سبيل إليه بوجهه أبدا لا بدوا ولا استمرارا لأن المكلف يجب أن يأخذ حكمه من إمامه وسيده عليه السلام وهويخاطبه بهذا اللسان فإذا لم يكن هذا اللسان فلا بد من الإصغاء إلى اللسان الآخر في الأعمال التي توردها وتفعلها بعد قطع ذلك اللسان .

---

[1] الكهف ١٨ ‏ ٢ البحار ٩٧ / ٢٨٧ ‏ ٣ البحار ٨٧ / ٢٠٣

وبالجملة فلا نذر عن الله سبحانه سواهم وكلما سواهم ألسنة إنذارهم كما ذكرنا مرددا لأجل التفهيم ، وأهل الموعظة الحسنة يرون أن الأنبياء لما كانوا آخذين عنهم والعاملين بشريعتهم فإنذارهم تابع لإنذارهم فهم المنذرون على الأصالة والذات وغيرهم بالتبعية ، ولما كان التابع عند وجود المتبوع منقطعا ومعدوما كان إثبات الإنذار لهم عليهم السلام حقيقة وهو المراد من قوله عليه السلام ((ونحن نذر كل زمان وأوان)) ، وأهل المجادلة لاحظ لهم في معرفة هذه الخطبة المباركة ولو بالوجه الأسفل لأنهم لا يمكنهم النظر إلى الشيء من جهة الوحدة الحقيقية ولا يأتي لهم النظر إلى المتقدم بنظر التأخر ولا إلى المتأخر بنظر التقدم وإلى السافل بنظر العالي وإلى العالي بنظر السافل وإلى الواحد بنظر الكثير وإلى الكثير بنظر الواحد وإلى المركب بنظر البسيط وإلى البسيط بنظر المركب وإلى القريب بنظر البعيد وإلى البعيد بنظر القريب وإلى المتفرق بنظر المجتمع وإلى المجتمع بنظر المتفرق وإلى الجامد بنظر الذائب والذوبان وإلى الذائب بنظر الجامد وإلى السماء بنظر الأرض وإلى الأرض بنظر السماء وأن ينظروا كل شيء في كل شيء ليتمكن لهم الاستدلال على المسألة الفقهية مثلا بمسألة نجومية وعليها بمسألة نحوية وعليها بمسألة طبيعية فلا يحجبهم علم شيء عن علم شيء ولا شهود شيء عن شهود شيء ، فمهما لم يكن الشخص الناظر في العلم بهذه المثابة لم يقف على مخ الحكمة ولباب المعرفة ولم تنفتح له مغالق أبواب هذه الخطبة

المباركة ، ومن هذه الجهة تراهم ينكرونها وينسبونها إلى وضع الغلاة وإذا لم يهتدوا بهذا فسيقولون هذا أفك قديم .

وقوله عليه السلام ((كل زمان و أوان)) لا يريد به عليه السلام ما هوالمصطلح عند الحكماء من كون الزمان ظرفا ووقتا للأجسام ليشمل شمول كونهم نزر عالم الأجسام خاصة ، بل يريد بالزمان الوقت المطلق مع قطع النظر عن كونه ظرفا للأجسام أو ظرفا للمجردات المصورة وغير المصورة أو ظرفا لعالم الأمر ووجود المطلق وهذه الكلية في قوله عليه السلام ((كل زمان)) كلية عامة شاملة لا اختصاص لها بشيء دون شيء بل تشتمل المراتب التي لكل مرتبة فإن زمان العالم الأول عالم الأمر عالم كن وعالم الأمر قبل الأمر المسمى عندنا بالسرمد له مراتب كثيرة و أحوال عديلة عجيبة ، فإن عالم الأمر الذي هو عالم كن ينقسم إلى عالمين عالم الكاف وعالم النون ويتولد منهما عالم آخر ثالث وهو عالم الواو ، وكل هذه المراتب لها مراتب في نفسها ومراتب في غيرها ، فمن مراتب الكلمة في نفسها النقطة والألف والحروف وتمام الكلمة التامة التي انزجر لها العمق الأكبر ، ومن مراتب التعلقات المشيئة والإرادة والقدر والقضاء والإذن والأجل والكتاب ، ومراتب كل واحد منها في نفسها الحاصلة بظهور الطبائع الأربعة التي هي الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة المتآلفة عنها الأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والتراب ، وهكذا مراتب محال المشيئة والإرادة الأربعة عشر ، وكذا مراتب

الدلالة الظاهرة من الكلمة التامة بعد إتمام كلمة كن بمراتبها الثلاثة من الوجه الأعلى المنتسب إلى الكلمة والوجه الأوسط المتحصل به نفسها والوجه الأسفل المقترن بالأشياء وغيرها من المراتب التي لا يسع الوقت لبيانها وإنما ذكرت إشارة إلى نوع المسألة ، ولا شك أن كل هذه المراتب لا تخلو من زمان وتشمله الكلية ولذا قالوا أن الزمان نهر يجري تحت جبل الأزل ويسير إلى ما لا نهاية له والمكان سفينة هذا البحر والخلائق ركاب قال الشاعر:

انظر إلى العرش إلى مائه	سفينة تجري بأسمائه
واعجب له من مركب دائر	قد أودع الخلق بأحشائه
يسبح في لج بلا ساحل	في جندل الغيب بظلمائه
وموجه أحوال عشاقه	وريحه أنفاس أبنائه
فلو تراه بالورى سائرا	من ألف الخط إلى بائه
ومرجع العود إلى بدئه	ولانهايات لإبدائه
يكور الليل على صبحه	وصبحه يفنى بأسمائه

وكذلك مراتب الخلق أي عالم الوجود المقيد فله مراتب كثيرة من العقل في مراتبه الثلاثة بأكواره الأربعة ، والروح كذلك والنفس الطبيعية والمادة والمثال كذلك ، والعرش والكرسي وسائر الأفلاك والعناصر متولدات المتولدات والحاصلة من القرانات ومتولدات المتولدات وهكذا إلى ما لا نهاية

له ، والزمان سار في كل تلك المراتب مما سميناها وما لم نسمها أكثر ، ولما ثبت بالأدلة القطعية من العقلية والنقلية أن كل شيء وكل ذرة من أفراد الكائنات قد بدأ عن فعل الله سبحانه بالاختيار فجرى في كل ذرات التكليف كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم حين استخلصه في القدم على سائر الأمم ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1] وهذه الدعوة أعم من التكويني والتشريعي والذاتي والصفاتي والقلبي والإيجابي ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم الداعي إلى الله أي إلى سبيله هو علي عليه السلام كما قال الباقر عليه السلام لجابر ((ما من مؤمن يؤمن بهذه الآية إلا وله قتلة وميتة وهي قوله تعالى ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾[2] قال عليه السلام يؤمن بأن سبيل الله هو علي عليه السلام والقتل في سبيل الله هو القتل في سبيل علي عليه السلام))[3] الحديث ، و النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الخلق إلى ولاية علي عليه السلام وينذرهم ويحذرهم

---

[1] النحل ١٢٥ [2] آل عمران ٥٧

[3] لم نقف على هذا الحديث كما ذكره المصنف أعلى الله مقامه ولكن وجدنا ما يقرب منه في المعنى ففي البحار ٥٣ / ٤٠ عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال ((سئل عن قول الله عز وجل ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم ، فقال : يا جابر أتدري ما سبيل الله ، قلت : لا والله إلا إذا سمعت منك ، فقال : القتل في سبيل علي عليه السلام وذريته ، فمن قتل في ولايته قتل في سبيل الله ، وليس أحد يؤمن بهذه الآية إلا وله قتلة وميتة ، إنه من قتل ينشر حتى يموت ومن مات ينشر حتى يقتل))

عن مخالفته كما قال تعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾[1] وهو علي عليه السلام هو نفس الله القائمة فيه بالسنن وولايته عليه السلام هي دين الله الذي لا يقبل عملا إلا به وهي الصراط المستقيم المرشد إلى كل خير ونور وصواب وحكمة وسداد .

وبالجملة في كل تلك المراتب يجري حكم البعث والإرسال والبشارة والإنذار وقد علمت أن الأصل والحقيقة في البعث والإرسال والبشارة والإنذار هو آل محمد المختار عليهم سلام الله الواحد القهار وعلي عليه السلام هو أميرهم وسيدهم وفخرهم في كل مقام ورتبة فيكونون عليهم السلام هم النذر من قبل الله على كافة الخلق في كل زمان وأوان من السرمد والدهر والزمان بجميع مراتبها وأحوالها من المدد الذاتية السرمدية والمدد الذاتية الزمانية والمدد الذاتية الدهرية ، وهذه المدد كلها ذوات متأصلة متحققة وهم سلام الله عليهم نذر من الله لها والسابحين في لجها والواقفين في عرضها ، ومعنى ما ورد أن عليا عليه السلام نصر الأنبياء كلها سرا ونصر محمدا صلى الله عليه وآله جهرا هو الذي قلنا أن الأنبياء ألسنة لهم عليهم السلام يتكلمون بها مع من أرادوا من خلق الله وينذرونهم لقاء الله ، وله الوجهان الآخران أيضا على طبق ما ذكرنا في النذر الأولى فراجع تفهم إنشاء الله .

---

[1] آل عمران ٢٨

بقي النكتة والوجه في أنه عليه السلام لم أتى بلفظ نذير ولم يأتي بلفظ البشير ؟ وهي المتابعة لكلام الله المجيد فإنه سبحانه ما وصف الرسل بالبشير وحده فأي موضع ذكر البشير ذكر معه النذير مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[2] وغيرها من الآيات ولكنه سبحانه إذا أتى بالنذير ربما اكتفى به وحده من غير ذكر البشير كما في كثير من الآيات من قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[5] وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾[6] وقوله تعالى ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾[7] وأمثالها من الآيات كثيرة .

---

[1] الأحزاب ٤٥   ٢ النساء ١٦٥   ٣ فاطر ٢٤   ٤ فاطر ٣٧

٥ الفرقان ١   ٦ الأنعام ١٣٠   ٧ النجم ٥٦

والوجه فيه بالإجمال إنا قد ذكرنا أن كل شـــيء وكـل فـرد مـن أفـراد المكلفين له داعيان وجهتان جهة إلى الخير والنور وهي الجهة اليمنـى والملـك الموكل بتلك الجهة على ذلك الجانب اسمه البشير بشيره إلى الخيرات والنعيـم إذا التفت إليها وعمل بمقتضاها ، والجهـة الثانيـة إلى الشـر والظلمـة وهـي الجهة اليسرى والملك الموكل بتلك الجهة وذلك الجناب اسمه النذير ، والأنبياء عليهم السلام ظهروا عن الله سبحانه على حكم تلك الجهتين من البشارة والإنـذار ولكن لما أمر الله سبحانه الخلق بالإدبار والنزول إلى المقامات السـفلية لحكـم ومصالح يطول بذكرها الكلام ، ولاشك أن الشيء كلما يبعد من النور تكـثر فيه الظلمة وتتقوى جهة الماهية فتضعف جهة الخير والوجود حتى يبلـغ بـهم الأمر أنهم بالطبيعة والكينونة لا يميلون إلى الخير أبدا حتى إذا قطعوا مسـافة الإدبار وبلغوا أقصاه وهومقام الجماد نـاداهم إلى الإقبـال ، ولا ريـب أنـه في صعوده لا بد أن يمر على تلك المقامات السافلة حتى يصل إلى المنزل الحقيقـي والوطن الواقعي الذي حبه إيمان وبغضه كفر ، فإذا صعد مقاما رآه أحسن من الذي كان فيه سابقا استحسنه ورآه مسكنا و اتخذه موطنـا وهـو مـن مقامـات الماهية وظلمات الجهل فيأتيه النذير من قبل الرب العلـي الكبـير بانزجاعـه عن ذلك المنزل وتصميمه على الارتحال إلى منتـهى المطلـب إلى أن يصـل إلى المنزل فهناك يأتيه البشير كما قـال في قولـه تعـالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا

ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[1] في هذه البشارة في مقام الاستقامة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قال الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[2] قال ((شيبتني هذه الآية)) فإن مقام الاستقامة مقام السكون والاطمئنان بعد وصوله إلى أعلى مقامات الأكوان والإمكان ، وأما قبل الوصول إلى ذلك في كل مقام كان الغالب فيه النفس الأمارة بالسوء المظهر للجهة الثانية السوأى السفلى فالمناسب في ذلك المقام النذير لا البشير ، ولما كان العالم بعد في أسفل الدرجات في مراتب الصعود فإنه الآن في الرتبة الدنية مقام النفس الأمارة بالسوء التي فعلها الظلم والغشم ومطلوبها الشهوة والرئاسة وغيرها من الشهوات الباطلة ، ولذا ترى أكثر أهل الدنيا في غفلة عما يراد منهم وفي سهو عما يطلب منهم وكثر فيهم الظلم والغشم وركوب الشهوات وفعل المناهي والمحرمات همهم إخفاء الحق وأهله وإظهار الباطل وأهله ولا يميل الشخص إلى الطاعة إلا بصعوبة ولا يفعلها إلا بمشقة بخلاف المعصية فإنه يميل إليها بالطبيعة ويجد في فعلها لذة وشهوة ولا يتركها إلا بمرارة

---

[1] فصلت ٣٠ – ٣١ [2] هود ١١٢

ومشقة ، ولذا ورد إن ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))[1] والمنافق وهـذا كله لأن الدنيا في مقام النفس الحيوانية ، وبعدما صعدت إلى مقام النفس الإنسانية وأول صعودها إليها أول ظهور مولانا وسيدنا القائم المنتظر عجل الله فرجة إلى آخر الرجعات المباركة فينقلب الأمر والحال بعكس الآن فلا يكون للمؤمن ميل إلى المعصية أبدا وتظهر شناعتها وقباحتها لكل أحد والحق يظهر والباطل يخفى والنور يتلألأ والباطل يطفى ويعدم فهنالك يظهر الأنبياء مبشرين وإن كانوا منذرين إلا أن جهة البشارة أقوى كما في هذه الدنيا تكون جهة الإنذار أقوى فهم منذرون وإن كانوا مبشرين فافهم السر ، وعلى هذا اتضح لك السر والوجه في ما ورد في القرآن وأحاديث أهل العصمة عليهم السلام في منمة الكثرة كما في قوله تعالى ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[4] و أمثالها من الآيات كثيرة ، وفي الحديث

---

[1] الفقيه ٤ / ٣٦٢ [2] الفرقان ٤٤ [3] الأعراف ١٧٩ [4] يوسف ١٠٦

عن الباقر عليه السلام ((الناس كلهم بهائم إلا المؤمن والمؤمن قليل والمؤمن قليل))[1] وقال تعالى ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[2] ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[3] ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾[4] وغيرها من الآيات التي مدح فيها القلة وذلك للسر الذي ذكرنا، ولذا كان البشير في القرآن النازل ظاهرا لإصلاح بنية أهل الدنيا ونضج طبائعهم أقل استعمالا من النذير ولا يذكر وحده أبدا بخلاف النذير فإن النذير في القوس الصعودي مقدم على البشير ولذا ترى أول ما يأتي الميت في القبر المنكر والنكير اللذين من ظهورات النذير في الدنيا ثم بعد ذلك يأتيه المبشر والبشير سهل الله علينا ظهور المنكر والنكير بالنبي وآله الطاهرين عليهم السلام.

---

[1] البحار ٢/ ٢٠٠ [2] هود ٤٠ [3] سبأ ١٣ [4] ص ٢٤

قوله عليه السلام وبنا هلك من هلك ونجى من نجى

اعلم أنه لا سبيل ولا طريق في الوجود إلا إلى جهة الموافقة والطاعة لله سبحانه أو إلى جهة المخالفة والمعصية ولا ثالث لأن الحادث ليس له إلا جهتان جهة إلى ربه وجهة إلى نفسه فهو لا يتقوم إلا بالنظر إلى أحدهما إما إلى جهة نفسه أو إلى جهة ربه ، فإذا نظر إلى الجهة العليا أفيض عليه من بحر الصاد الذي تحت العرش أي الصاقورة للجنان التي ذاق روح القدس منها الباكورة على فؤاده فيزيد بهاء للتجلي بعد التجلي والظهور بعد الظهور فيبلغ به المعرفة غايتها والمحبة نهايتها ويجد حلاوة المحبة ويستأنس في ظلال المحبوب ولا لذة أعظم من ذلك ولا حلاوة أشد مما هنالك ، ثم يفاض على قلبه فيستشرق بذلك من أنوار اليقين ويدرك الأسرار المكنونات ويجد فسحة وانشراحا وسكونا واطمئنانا في القلب لا يعدل بشيء أبدا في اللذة والسرور بعد مقام الجنة فيرجع الاختلافات عنده إلى الائتلاف والحركات إلى السكون

والسكون إلى الحركات ويجد الحق ظاهرا واضحا في أقطار الأرضين والسموات ، ثم يفاض على صدره فيستنير ويلقى ويقذف فيه العلم وينفسح ويشاهد الغيب وينشرح فيحتمل البلاء ويقف على العلوم الكثيرة والأطوار العجيبة الغريبة وتتعدد عنده أنحاء العلوم وتتضاعف لديه أبكار المسائل ويظهر له من الصور العلمية ما لا يحيط به الخاطر ولا يسطر في الدفاتر ولا يجري في الضمائر ، ثم يفاض على قواه ومشاعره وأركانه فتحد سمعه وبصره ويسمع الأصوات الغريبة من أصوات الأجسام العلوية كالأفلاك وحركاتها وأصوات صرير أقلام الملائكة عند كتابة أعمال العباد وصب الماء النازل من العرش في حوض الكوثر وصوت الملك الواقف على دائرة نصف النهار فينادي (قوموا على نيرانهم التي أوقدتموها على ظهوركم فاطفئوها بصلواتكم) وسائر الأصوات مما خفيت على الذين في باطنهم اضطراب وعلى وجه مطلوبهم نقاب ويرى الأكوان العجيبة الغريبة من ألوان الأشياء على الكينونة الأولية والألوان الغيبية النورية كألوان الطواويس وهذا الحكم في سائر القوى والمشاعر الحسية الجسمية يفاض على الأعضاء من توليد الدم الصافي الخالي عن الأكدار وتقوية الحرارة الغريزية الموجبة لقوة القلب المورثة للشجاعة وصفاء الدم وتقليل البلغم وصفاء المرة السوداء الموجبة لاعتدال القامة واعتدال البنية وتقوية الطبيعة وحسن الصورة وجودة التركيب وتناسب الأعضاء واعتدال الطبائع مما يتعلق بحسن الظاهر المطابق لحسن

الباطن ، ثم يفاض على متممات وجوده وكونه من الشرائط واللوازم والأسباب من مكانه ومحل عيشه الجسماني والروحاني من الفسحة والنزهة ومحل الراحة وما يظهر فيه من ثمرات أعماله الباطنية والظاهرية من كثرة الأثمار وجريان الأنهار واعتدال الأشجار واعتدل الهواء في الليل والنهار أوالنهار وحده ومن قرانات أحواله كالمرآة الحسناء الجميلة الشريفة التي تهش إليها النفس وتنجذب إليها مع كمال المحبة والألفة بينهما وتحصيل أنواع الملاذ من كل واحد منهما لكل واحد منهما وكالأولاد الصالحين وكثرتهم ورشدهم وطاعتهم له وخضوعهم لديه وقيامهم بأوامره ونواهيه ووقوفهم بين يديه وكالخدم والحشم وبلوغ الآمال وغير ذلك مما يرجع إلى حكم القرانات والأحوال وكل ذلك ثمرات الإقبال إلى الرب المتعال وبه النجاة عن ورطة الهلاك والظلال ، وأما إذا أدبر وأعرض عن الجهة العليا الموصلة إلى الرب الأعلى سبحانه وتعالى فتظهر مقابلات ما ذكرنا جميعا فتحرم عن لقاء الله سبحانه وعن لذة مشاهدة ظهوره ومناجاته وهي في الحقيقة أعظم الآلام وأشد المكاره والأسقام أما سمعت ما في دعاء كميل عنه عليه السلام ((إلهي هبني صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك وهبني صبرت على حر نارك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك))[1] فجعل الحرمان عن اللقاء أشد من كل عذاب وأوجع من كل عقاب وهوكذلك كما قال عليه السلام وروحي له

---

[1] دعاء كميل

الفداء وذلك معلوم لمن تشرف باللقاء ثم حرم منه إهيانا نعوذ بالله من حرمان لقائه، ثم تسري تلك الظلمة المدلهمة وتسود القلب فيكون لا يستقر في قرار ولا تجد فيه سكونا ولا وقارا وتكثر عليه الشكوك ولا يجد وجه المخلص وترد عليه الشبهات ولا يعلم المهرب ثم تضيق الصدر وتجعله حرجا كمأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يعلمون وهذا صراط ربك مستقيما، ثم تطبع على سائر القوى والمشاعر فلهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلوا أولئك هم الغافلون، ثم تسري تلك الظلمة في الأعضاء والأركان فتولد الدم الفاسد وتضعف الحرارة الغريزية الموجب للجبن والبخل وقلة الكرم وغلظ البلغم وهيجان السوداء الموجبة لقبح الخلقة والصورة وعدم اعتدال الطبيعة واعوجاج الأعضاء والجوارح وتنكيس الرأس إلى الأسفل وأمثالها من الأحوال الخلقية الظاهرية أو العرضية من أحكام القرانات والأحوال كضيق المكان وخبثه ونتنه وعدم ملائمة الأصحاب ومنافرتهم لبعضهم مع بعض وعدم موافقتهم وأمثالها من أحكام الإدبار مقابل ما ذكرنا في طبقات الإقبال حرفا بحرف، وكل ذلك ثمرات الإدبار وبه الهلاك والبوار والخلود في النار.

ثم لما كان الخلق مختلف الشؤون ومتكثر الجهات والمراتب والحيثيات فإذا توجه إلى الله سبحانه بكل جهة من ذرات الوجود كان له تلك الثمرات

والأرضين ودركاتها وطبقاتها وأقاليمها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها ومعادنها وجبالها وطيبها وسبخها، والعناصر من نارها وترابها ومائها وهوائها، والمتولدات من معدنها ونباتها وحيوانها وإنسانها، ومراتب المعادن ضعيفها وقويها صافيها وكدرها غاليها ورخيصها، ومراتب النباتات وحشيشها وأشجارها وأثمارها وعلمها وحلاوة الثمار ومرارتها وحموضتها وأحمرها وأبيضها وأسودها وأصفرها وسائر أنحائها، ومراتب الحيوان حشراتها وطيورها ووحوشها وحرامها وحلالها ومؤذيها غيره وذوات قوائمها وغيرها وذوات القرون وغيرها، ومراتب الإنسان عالمه وجاهله طويله وقصيره وحسن الخلقة منه وقبيحها ذكره وأنثاه، وهكذا سائر المراتب الأحوال، وكل هذه الأحوال وهذه الاختلافات ترجع إلى ما ذكرنا من الإقبال والإدبار ولوكان لي حال مستقيم وقلب متوجه وما خفت التطويل لبينت لك الوجه وشرحت كيفية منشأ الاختلاف وكيفية إقبال الموجودات وإدبارها في كل شيء وسر المزج والاختلاط وكيفيته ومبدأ وقوعه وحالها بعد الصفاء وقبله إلا أن من تتبع هذا الشرح وعرف المراد منه يظهر له كل ذلك فإنه مشروح فيه بتلويحات الكلام يدركه الأعلام وسنشير إنشاء الله تعالى إلى بعض ذلك مفصّلا فيما بعد إن أدركني التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فإذا عرفت ما ذكرنا وسطرنا من سـر الهـلاك والنجـاة وأن منشـأهما الإقبال إلى الله سبحانه وتعالى أوالإدبار عنه ، فاعلم أن الله سـبحانه لا يتوجـه إليه من نحو ذاته بالضرورة فإن الخلق لا يصلون إليها ولا يحومون حول حماهـا وإنما ذلك بصفاته وآياته الظاهرة في المخلوقين وتلك الصفات والآيات لابـد لها من حامل ومظهر تظهر فيه وإلا لم تظهر ، ولا يكون ذلـك المظـهر الحـامل لجميع ظهوراته وآياته تعالى إلا المخلوق الأول وإلا لزم الطفرة إذ لوكان عنـد المخلوق الثاني ما لم يكن عند المخلوق الأول من آية الله وفيضه لم يكن ذلـك المخلوق الأول وإنما همـا متسـاويان في المرتبـة والمفـروض خلافـه فـإذا كـان المخلوق الأول هو الأقرب إلى الفيض من المخلوق الثاني كان المخلوق الثاني مستمدا ومتقوما بالمخلوق الأول ، فيكون المخلوق الثاني من شعاع المخلـوق الأول لأنا قـد ذكرنـا مـرارا في كثـير مـن مباحثاتنـا ورسـائلنا أن الاختـلاف والتعدد منحصر بين أمرين إما أن يكون حقيقة واحدة قـد ظـهرت في صـور كثيرة وأحوال مختلفة حسب الحـدود والمشـخصات الخاصـة كـالاختلاف بـين أجـزاء الخشـب وتصويـره بـالصور المختلفـة كالسـرير والصنـم والبـاب والصندوق وأمثال ذلك وكالإنسان الظاهر في الصور الكثيرة من صـوره زيـد وعمرو وبكر وأمثالهم ، وهذا في الحقيقة خلق واحـد وتلـك العـوارض إنمـا أوجدت ولحقت بالعرض ، فلا يقال أن زيدا هوالمخلوق الأول وعمـروا هـو المخلوق الثاني أو أن الأب هو المخلوق الأول والابن هو المخلوق الثاني وإنما

هما شيء واحد وحقيقة واحدة ظهرت بالأعراض والحدود في صور كثيرة واقتضت أحكاما كثيرة ، فالمخلوق حقيقة هوذلك الأمر الواحد المعبر عنه بالكلي لكنه لم يظهر إلا بتلك الحدود فهي مرآة لظهوره لا محصلة لحقيقته كما هو المعلوم أن يكون حقيقتان أحدهما العلة والثانية المعلول ، وفي هذا المقام تكون الثانية مستمدة من الأولى ومتقومة بها ولا تحصل لها في حال من أحوالها إلا بالأولى كالسراج والأشعة فإنها حقيقة ثانية مجاز للسراج لا قوام لها بدونه ولا تحصل لها بغيره والسراج متقوم بالنار كذلك فالنار تمد السراج أولا ثم تمد الأشعة بالسراج فكلما للأشعة من فاضل ما عند السراج وهذا مرادنا بالمخلوق الأول والمخلوق الثاني لا المعنى الأول .

فإذا أتقنت ما ذكرنا لك فاعلم أنه قد دلّت الأدلة القطعية من العقلية والنقلية أن محمدا وآله صلى الله عليه وآله وسلم قد خلقهم الله فبل الخلق بما لا يحصي عدده إلا الله تعالى ، فهم عليهم السلام مظهر توحيده ومحل صفاته وأسمائه وبهم تقوّمت ظهوراته سبحانه كما في دعاء رجب عن الحجة عليه السلام ((فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت))[1] وهم القدس الذي ملأ الدهر كما في خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((الذي ملأ الدهر قدسه))[2] فكل الخلق بما فصل إليهم ما وصل من نور وخير وتوحيد وتوصيف وإدراك وشعور ونظم وسائر الأحوال كل ذلك بهم عليهم السلام فهم باب الله إليهم في جميع

---

[1] دعاء رجب لمولانا الحجة عجل الله فرجه

[2] اليقين ٣٤٧

أكوانهم وأعيانهم وأحوالهم في كـل أطوارهـم وأكوارهـم وأدوارهـم ، فـإذا كانت النجاة بالتوجه والإقبال إلى الله سبحانه وهم باب الله وسبيله وجب أن يكون التوجه إليه من بابه وسبيله حتى يقع التوجه فأنت إن قصـدت البـاب والأصل معا كفرت وأشركت وإن قصدت الباب وحده كفرت وإن لم تقصـد الباب ما تصل إلى المطلوب فيكون وجـهك عنـد الإعـراض عـن البـاب إلى الظـهر والخلـف وهوالإدبـار وهـو مسـتلزم الهـلاك ، فـإن قصـدت الأصـل وتوجهت إليه بالباب وذلك هو الهداية والرشاد وإليه الإشـارة بقـول مولانـا الصادق عليه السلام لهشام ((من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ومن عبد المسمى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته الـتي وصـف بها نفسه فعقد عليـه قلبـه ونطـق بـه لسـانه في سـرائره وعلانيتـه فـأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقا ، وفي حديث آخر أولئك هم المؤمنون حقا))[1] فهم عليهم السلام باب الله فلا يمكن التوجه إلى الله سبحانه إلا بهم لأنـهم الطريـق ولا طريـق ولا سـبيل سـواهم فبمتابعتـهم والاقتـداء بـهم النجـاة وبمخالفتـهم والإعراض عنهم الهلاك إذ الإقبال إليهم هوالإقبال إلى الله والإعراض عنـهم هوالإعـراض عـن الله قـال عـز وجـل ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[2]

---

[1] الكافي ٢/٨٧ [2] النساء ٨٠

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1] وقال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[2] وفي الزيارة من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم)) الزيارة ، فإذا كانوا عليهم السلام أبواب الله وخزان وحيه ومقاليد معرفته ومفاتيح خيره ورشده وطريق توحيده كما قال عليه السلام ((نحن الأعراف الذي لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا))[3] وقال عليه السلام ((بنا عرف الله وبنا عبد الله))[4] ((لولانا ما عرف الله))[5] ((ولولانا عبد الله))[6] فدلّ الله سبحانه الخلق إليهم كما دلّهم إلى نفسه وأوجب عليهم طاعتهم وولايتهم ومحبتهم ، ولما خلقهم في العالم الأول في حجاب اللاهوت قبل أن يصلوا إلى مقام الجبروت دعاهم إلى توحيده وولايتهم لأنّ ولايتهم عليهم السلام ركن توحيده وجزؤه لا يتم توحيده إلا بها ولذا قرنهم إلى نفسه فقال لهم ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي والأئمة والصديقة الطاهرة صلى الله عليهم أولياؤكم وخلفاء الله وأوصياء نبيكم قالوا بلى ظاهرا فمنهم من طابق ظاهره باطنه في الإجابة والإقرار فهوالذي خلق من عليين فقد اهتدى ونجى ومنهم من خالف ظاهره باطنه عنادا وعتوا فهوالذي ضل وهلك وخلق من سجين ومنهم من

---

[1] آل عمران ٣١ — [2] الفتح ١٠ — [3] الكافي ١ / ١٨٤ ح ٩

[4] التوحيد ١٥٢ — [5] البحار ٢٥ / ٤ — [6] الكافي ١ / ١٩٣

توقف وهو الضال الذي خلق ظاهره من طينة الإجابة وباطنه لم يخلق إلى أن يقر بهم أو ينكر عليهم فيخلق على حسب إقرارهم و إنكارهم، ثم في العوالم المتنزلة عالم الجبروت والملكوت ثم أنزلهم إلى عالم الملك وكرر عليهم العرض وكلفهم بالإقرار بالولاية من لدن آدم إلى عيسى عليه السلام وكل نبي لم يبعث إلا على الإقرار بالتوحيد لله وبالنبوة لمحمد صلى الله عليه وآله وبالولاية لعلي عليه السلام والأئمة عليهم السلام وأمتهم ما نجوا إلا بالإقرار بالمجموع والإنكار للمجموع وما كان ينفعهم الإقرار ببعض والإنكار لبعض وما كان يترقى أحد من الأمم السابقين إلا بالإخلاص في ولايتهم وطاعتهم وكثرة الصلاة عليهم، وكذلك كان هلاكهم إذ لم يقبلوهم والروايات في هذا المعنى كثيرة والآيات كذلك فإن آدم عليه السلام لما خلقه الله سبحانه وأخذ عليه الميثاق والعهد بولايتهم وطاعتهم فقبل وحمل أنوارهم و أشباحهم عليهم السلام شرفه الله سبحانه وجعله مسجودا للملائكة كرامة لهم عليهم السلام حيث ظهروا في صلبه ظهور الشاخص في المرآة ثم لما صدرت عنه تلك الهفوة والتقصير في حقهم عليهم السلام طرد عن الجنة وأبعد عن الرحمة وأخرج عن مجاورة الله سبحانه واسود جميع بدنه لما ظهر منه ذلك كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[1] وقال الصادق عليه السلام هكذا أنزلت الآية والله ولقد عهدنا إلى آدم

---

[1] طه ١١٥

من قبل في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في ورواية أخرى والأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام فنسى ولم نجد له عزما))[1] ولما طرق بابهم بينونته وخضع وخشع لهم بهويته بإظهار جزعه وبكائه وطول حزنه ودعائه فمن الله عيه وعلمه أسماءهم ليدعوه بها ليتوب عليه وقوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2] وتلك الكلمات التي هي قوله (اللهم إني أسألك بحق محمد و أنت المحمود وبحق علي وأنت الأعلى وبحق فاطمة وأنت فاطر السموات والأرض وبحق الحسن وأنت المحسن وبحق الحسين وأنت قديم الإحسان إلا أن تتوب عليّ) فتاب الله عليه ، وكذلك نوح عليه السلام لما صنع السفينة ما تمت وما استقرت إلا بعد أن قرأ عليها أسماءهم المباركة وأتى له جبرائيل بخمسة مسامير كل مسمار باسم واحد من أصحاب الكساء فاستقرت بها السفينة ومشت بإذن الله وجرت في الماء ولما تلاطمت الأمواج وتراكمت وكادت السفينة أن تغرق دعى الله سبحانه بأسمائهم المباركة فأنجاه الله ومن معه من الغرق ، وإبراهيم عليه السلام لما

---

[1] لم نقف على هذه الرواية كما ذكرها المصنف أعلى الله مقامه ، ولكن وجدنا ما يقرب منها في المعنى ففي الكافي ١ / ٤١٦ عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله ((ولقد عهدنا إلى آدم من قبل ، كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتهم ، فنسي ، هكذا والله نزلت على محمد صلى الله عليه وآله))

[2] البقرة ٣٧

أخلص في ولائهم وطاعتهم وتخلل حبهم في مكنونات سرائره وعلانيته فانتخبه الله خليلا و هوقوله تعالى ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[1] ، وموسى عليه السلام كان لم يزل يدعو الله في الشدائد بأسمائهم المباركة فيفرج الله سبحانه عنهم وقال العسكري عليه السلام في الحديث المتقدم ((فالكليم ألبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة)) والله سبحانه إنما ابتلى بني إسرائيل بذبح البقرة المعلومة لأن صاحبها كان شديد المحبة لمحمد وآله عليهم السلام وكان كثير الصلاة عليهم فكافأه الله سبحانه بذلك حتى اشتروا منه البقرة بملء جلدها ذهبا فلما اشتروا منه بذلك المبلغ العظيم افتقر بنوا إسرائيل فأمروا بالصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام فأغناهم الله سبحانه سريعا عاجلا بأحسن ما كانوا في الأول ولم يزل كان بنوا إسرائيل بعد زمان موسى عليه السلام يدعون الله سبحانه في الشدائد والمحن بأسمائهم المباركة فيفرج الله عنهم تلك الشدة العظيمة والمحنه الهائلة ولقد أخبر الله سبحانه عن ذلك حيث قال ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2] ، و أيوب عليه السلام لما شك

---

[1] البقرة ١٢٤ [2] البقرة ٨٩

في ولاية علي ابتلي بتلك البلية العظيمة فلما تـاب وخضـع لـه عليه السلام وذل تاب الله عليه كما في حديث سلمان حيث يخاطب سلمان عليا عليه السلام ويقـول ((يا قتيل كوفان لوقال الناس واشوقاه رحـم الله قـاتل سـلمان لقلـت فيـك مقالا تشمئز منه النفوس لأنك حجة الله الذي به تاب علـى آدم وبـك أنجـى يوسف من الجب وأنت قصة أيوب وسبب تغير نعمة الله عليه ، فقال عليه السلام : أتدري ما قصة أيوب وسبب تغير نعمة الله عليه ، قال : الله أعلم وأنـت يـا أمير المؤمنين ، قال عليه السلام : لما كان عند الانبعاث للنطق شك أيـوب في ملكـي فقال هذا خطب جليل وأمر جسيم قال الله عز وجـل : يـا أيـوب أتشـك في صورة أقمته أنا إني ابتليت آدم عليه السلام بـالبلاء فوهبتـه لـه وصفحـت عنـه بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين وأنت تقول خطب جليل وأمر جسـيم فوعزتـي لأذيقنك من عذابي أو تتوب إلي بالطاعة لأمـير المؤمنـين عليه السلام ثـم أدركتـه السعادة بي))[1] فانظر ما ترى ، ويونس عليه السلام لما شك وبكى وذهب مغاضبـا فظن أن لن نقدر عليه فركب السفينة وأتـى الحـوت فسـاهم أهـل السـفينة فجاء السهم باسم يونس عليه السلام فكان من المدحضين وهذا كان عقوبة له لمـا تردد في ولاية علي عليه السلام أمير المؤمنين فلما تاب ورجع نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فلما دخل البيـت مـن البـاب

[1] البحار ٢٦/ ٢٩٣

وتوجه إلى الله سبحانه بذلك الجناب نجاه الله من الغم كما قال تعالى

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]

ويعقوب عليه السلام لما قصر في حق علي عليه السلام وتردد في ولايته بقوله ﴿ لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾[2] لأن عليا عليه السلام أخذ عليه الميثاق والعهد أن لا ينظر إلى الأسباب أبدا ويقصر نظره إلى المسبب فلما نظر إلى السبب حيث قال ما قال كان ذلك تقصيرا فأتاه جزاء عمله وتقصيره فابتلاه بفراق قرة عينه يوسف عليه السلام و اشتد لذلك بكاؤه وطال حزنه وعناؤه إلى أن ابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم ولما تاب ورجع وخضع لعلي عليه السلام وللأئمة قال﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[3] وقوله ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴾[4] فرد الله بصره وقرة عينه يوسف عليه السلام ، ويوسف بن يعقوب بن إبراهيم عليه السلام لما قصر في الولاية حينما نظر إلى المرآة ورأى حسنه وجماله في غاية الكمال فخطر على قلبه لوكنت أنا عبدا كم كان ثمني فابتلاه الله سبحانه بهذا بذلك التقصير

---

[1] الأنبياء ٨٨ [2] يوسف ١٣ [3] يوسف ٦٤ [4] يوسف ٨٣

برق العبودية ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾[1] ثم باعوه بما باعوه ثم لما أدخل في السجن وقصر في الولاية حيث ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[2] ولما تاب ورجع وخضع لعلي عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام بالطاعة والامتثال أنجاه الله سبحانه من السجن وجعله ملكا ، ولو أردنا أن نشرح ما جرى على الأنبياء عليهم السلام وأممهم واحدا بعد واحد بسبب التقصير في حق الأئمة عليهم السلام وبسبب الانقياد والطاعة لطال علينما الكلام فأختصر في المقال وأقول إن ولاية علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام في كل المراتب عرضت على كل شيء وهوعرض مستمر غير منقطع وذلك العرض كان يوم الغدير فلما أن العرض مستمر كذلك يوم الغدير مستمر دائم ثابت فلا يصيب أحدا مكروه من مكاره الدنيا والآخرة إلا بسبب تقصيره في ولاية علي عليه السلام وعدم قبوله لها إما بالكلية أي على جهة الموافقة أو بحسب مقامه ، بل لا يتغير شيء مما أحاطت به دائرة الإمكان عن الفطرة الأصلية الأولية المقصودة لذاتها في الجعل الأول إلا من جهة عدم الإذعان بالولاية فلا انكسرت قصعة ولا زجاجة ولا حجرة إلا بالتقصير في الولاية ، وما استمرت

---

[1] يوسف ٢٠

[2] يوسف ٤٦

ثمرة وما اعرجت شجرة ولا استملح ماء و لا أسبخت أرض إلا بالتقصير في الولاية ، وما تمرضت نفس ولا مات شخص ولا ألكن طير ولا احترقت أرض وما تدودت ثمرة إلا بالتقصير في الولاية ، وما بقيت الأشياء على الفطرة الأصلية ولا صفت عن الكدورات ولا طابت ولا استقامت ولا اعتدلت ولا استحلت إلا بالقبول لولاية علي عليه السلام ، فانحصرت النجاة على القول المطلق بأي وجه كان من مبدأ الوجود إلى آخر نهايات الشهود بحب علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام بحسب المراتب وانحصر الهلاك على القول المطلق بأي وجه كان من أول مقامات الذر إلى نهايات دركات أسفل السافلين إلى ما لا نهاية له بمخالفة علي والأئمة عليهم السلام وهوقوله عليه السلام في تفسير الله على ما تقدم ((الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا واللام إلزام خلقه ولايتنا والهاء هوان لمن خالف محمدا وآل محمد))[1] فانحصر النعيم والهوان والعذاب بموافقتهم ومخالفتهم وهم إذاً قسيم الجنة والنار وعلي عليه السلام هوالباب الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهوالماء النازل من القرآن الذي هوشفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ، وهو وأولاده عليهم السلام قوم يحبهم الله ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فلا يفوتهم شيء ولا يتعلى منهم أحد ، وهم الكلمات التامات التي لا

---

[1] التوحيد ٢٣٠   ٢ الأحزاب ٧٢

يجاوزهن بر ولا فاجر ، إلا أن الأمر كما أخبر الله عز وجل ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾[1] والمتكلم معه غيره إما على ظاهره والمعظم به نفسه فإن كان معه غيره فالأئمة عليهم السلام هم الذين معه وعنده كما قال عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾[2] قال عليه السلام ((نحن الذين عنده)) وقال عليه السلام ((لنا مع الله حالات هو فيها نحن ونحن فيها هو إلا أنه هو هو ونحن نحن)) وقال تعالى في آخر السورة ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[3] ولو تمكنت أن أذكر ما يتلجلج في صدري ويختلج في خاطري لرأيتم أمورا عجيبة إلا أن السكوت أولى والكتمان أحلى والله المستعان وعليه التكلان .

[1] العنكبوت ١ – ٤

[2] الأنبياء ١٩ – ٢٠

[3] العنكبوت ٦٩

وفي قوله عليه السلام ((بنا هلك من هلك ونجى من نجى)) سر آخـر إذا لاحظت فيه حكم ظاهر الظاهر إذ يظهر هناك الإرادة الـتي هـي محـل الكـثرة ومنشأ الأضداد وتقومها بالمشيئة التي هي ظهور الوحدة والواحد ولذا أخرت الألف لبيان أنها المتممة للنون والمقومة لهـا لا أنـها المقصـود لذاتـه ، وبـين بالإشارة بهذه الكلمة إلى العلة الفاعلية أي المهلك والمنجـي وتقديـم النـون على الألف سر تقديم الهلاك على النجاة ، ولما كان الأمام عليه السلام يذكـر هـذا المعنى مصرحا اكتفيت بالإشارة في هذا المقام حتـى يـأتي أوان شـرحه إنشـاء الله .

قال عليه السلام وروحي له الفداء فلا تستعظموا ذلك فينا فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة وتفرد بالجبروت والعظمة لقد سخر لي الرياح والهوام والطير وعرضت عليّ الدنيا فأعرضت عنها أنا كاب الدنيا لوجهها

اعلم أن الخلق في القديم الأول لما أوقفهم الله سبحانه بمشيئته في حجاب العز وسرادق المجد عرفهم الله سبحانه مقام محمد صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام كل أحد في مقامه من الولاية الإلهيه الظاهرة في حقيقة الولي عليه السلام الظاهرة ببعض ظهورها ونورها في كينونات الأشياء وذوات الموجودات فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلالة أمرهم عليهم السلام وعظم خطرهم وكبر شأنهم وتمام نورهم وصدق مقاعدهم وثبات مقامهم وشرف محلهم ومنزلتهم عندهم وجاههم لديه فعرفوهم في ذلك

العالم بالنورانية وأقروا لهم بالعبودية وذل الطاعة وكمال الفقر والمسكنة وطأطأ كل شريف لشرفهم وبخع كل متكبر لطاعتهم وخضع كل جبار لفضلهم وذل كل شيء لهم ، فعرفوا مقامهم البيان في الحجاب الأعلى من الدرة البيضاء في عالم الوجود المطلق ، وعرفوا مقامهم المعاني في الحجاب الأعظم حجاب الذهب في عالم البرزخ المتوسط بين عالم الوجود المطلق الذي هو عالم الأمر وبين عالم الوجود المقيد الذي هو عالم الخلق ، وعرفوا مقامهم الأبواب في الحجاب الأعلى من الفضة البيضاء في عالم الوجود المقيد ، وعرفوا مقام الإمامة ومقام حجة الله في الحجاب الغليظ من الزبرجلة الخضراء وفي سائر الحجب ، ولما أدرك الخلق ذل الإدبار و ابتلوا بالبعاد عن تلك الديار وتنزلوا في مقامات الأغيار ولحقهم غبار الأكدار فنسوا ما عرفوا في تلك المراتب وعهدوا في تلك العوالم وشاهدوا في تلك المعالم فلما أتاهم نداء الإقبال أخذوا يصعدون وهم عن مقامهم الأصلي ومراتبهم الحقيقية ناسون وإليها متوجهون وهم لا يشعرون فصار أكثرهم لا يعقلون وأكثرهم لا يفقهون وأكثرهم لا يعلمون وأكثرهم يجهلون وأكثرهم غافلون ، فالذي شاهد تلك الآثار وجاس خلال تلك الديار إذا تكلم بشيء منها قابلوه بالإنكار ، فلما كان الإمام عليه السلام أبان عن شيء جزئي من أسرار تلك المقامات التي عرفوها وبينوا لهم إيّاها هنالك وكان مقامهم مما يقتضي الإنكار والاستبعاد حيث سمعوا من هيكل بشري وصورة إنسانية مثلهم وعلى

هيكلهم ما يدعي ويرى نفسه أنه علة أكوانهم وأعيانهم وبيدهم إسرارهم وإعلانهم كان يعظم ذلك عليهم ولم يعرفوا أن ذلك الهيكل ظهوره لهم في مقامهم وهم كلهم على صورته ومثاله كالسراج الواحد في المرايا الكثيرة فإن المثال الموجود في تلك المرايا كلها على هيئة السراج وهيكله لا فرق بينها وبينه في الهيئته والصورة لكن السراج مقوم إنياتهم ومذوت حقائقهم وذواتهم وبيده خيرهم وشرهم ، ولما كان هذا الإنكار والاستبعاد مما يكدر عليهم صافي العيش ويحرمهم عن شرب صافي المحبة أراد عليه السلام أن يزيل عنهم هذه الكدورة ، ولما أن كشف حقيقة الأمر لم يمكن لكل أحد مع ما فيه من لزوم الإلجاء أو النسبة إلى السحر والكهانة وأمثال ذلك أتاهم عليه السلام في مقام البيان فقال لهم عليه السلام ((فلا تستعظموا ذلك فينا)) وإن كان مقامكم مما يقتضي ذلك كيف لا وإن أيوب عليه السلام لما ظهر له شيء من ذلك عظم عليه وقال هذا أمر عظيم وخطب جسيم ، وآدم عليه السلام لما ظهر له شيء من ذلك توقف وتحير كما في الكافي ، كذلك غيرهم إذ كل أحد يجدهم عليهم السلام من أعظم ما يمكن له أن يدرك في حق الله سبحانه ، بل ما عرفوا من توحيد الله سبحانه جزء من سبعين ألف جزء من رأس الشعير من مقامهم ومرتبتهم ، فكيف لا يعظم ذلك عليهم إذ قد يظهر لهم أن ما عرفوا من معرفة الله وقدسه وكبريائه وعظمته كل ذلك أدنى مرتبة من مراتب خلق من مخلوقاته سبحانه وأدنى صفة من صفاتهم ، بل لا يبعد أن يقال أن ذلك

بالنسبة إليهم صفة النقصان لا صفة الكمال ، ألا ترى كيف قال إمامك ومولانا الصادق عليه السلام في الكروبيين أنهم قوم من شيعتنا وبهم تجلى الله لموسى وكان تجليهم الذي قال تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾[1] ، وما ورد أن الملائكة في عالم الأنوار ولما شاهدوا نور محمد وآله عليهم السلام في كمال الظهور والإشراق واللمعان قالوا إنه نور الله فقالوا عليهم السلام لا إله إلا الله لتعلم الملائكة أنهم أناس مخلوقون والله سبحانه منزه عن وصفهم وصفتهم ، ولا يبلغ الحادث مبلغاً في المعرفة والتوحيد إلا ويظهر له من مقامهم ومرتبتهم ما لم يكن عنده ويعلم أن ذلك معرفتهم وهي معرفة الله الظاهر لهم بهم له به وهو قول علي عليه السلام ((نحن الأعراف الذي لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا))[2] على المعنى الثالث لهذا الحديث الشريف ، ولا تتعجب مما ذكرت من أن ما يعرف الخلق كلا من معرفة الله هو معرفتهم عليهم السلام لما دلت عليه الأدلة القطعية من العقلية والنقلية أن الشيء لا يتجاوز مبدأه ولا يقرأ إلا حروف نفسه كما قال عليه السلام ((انتهى المخلوق إلى مثله والجأه الطلب إلى شكله)) وقال عليه السلام ((إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها))[3] وقال الصادق عليه السلام ((كلما ميزتموه

---

[1] الأعراف ١٤٣ ٢ الكافي ١ / ١٨٤ ح ٩

٣ البحار ٤ / ٢٥٤

بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم))[1] وأمثالها عنهم عليهم السلام كثيرة لأن الشيء لا رتبة له فوق ذاته إنما هو معدوم فوق مرتبته فلا يتصور له إدراك هناك إذ المدرك انتفى وانعدم فأين الإدراك فإدراكه للعالي ليس إلا بظهور ذلك العالي في رتبة مقام هذا السافل وذلك الظهور هو عين السافل وإن كان وجها للعالي ، ثم إن كان ذلك الظهور والمثال أتى إلى السافل من غير واسطة سوى نفسه كان حظه لمعرفة العالي من أوفر الحظوظ و أتم مراتب النصيب فلا أحد يعرفه مثله إلا أن يكون في رتبته وإن كانت معرفته لا تلحق العالي وإنما عرف نفسه لكن تلك المعرفة هي عين معرفة ربه له .

ثم لما كان السافل له جهتان يجب أن يقطع النظر حين الالتفات والتوجه عن جهة نفسه وإنما يتوجه إلى مبدئه بالوجه الأعلى من الوجه الواحد ، وإن كان ذلك الظهور والمثال أتى إليه بواسطة رتبة فوقها فلا يكون ذلك إلا أن يكون الثاني مثالا وشعاعا وشبحا للأولى لما ذكرنا سابقا أن المتغايرين ينحصر في أمرين إما أن يكون حقيقة واحدة قد تطورت بأطوار مختلفة بحسب الحدود والعوارض والجهات والحيثيات ولا يتصور في مثل هذا التعدد والتوسط والترتب ، أو يكون أحدهما علة والآخر معلولا هنا يتحقق التوسط ، فالحقيقة الثانية إذن تكون مثالا للحقيقة الأولى وصفة لها وتحكي

---

[1] البحار ٦٦/ ٢٩٢

عنها بجهتيها لا بوجه واحد الذي هو أعلى الوجوه ، فإن أثر الشيء إنما يتحقق بعد تمام ذلك الشيء والشيء لا يتم إلا بالجهتين ، فالأثر متأخر عنهما فيحكي المركب لا البسيط ، إذا أردت أن تعرف ذلك انظر إلى السراج فإنه مركب من مس النار والدهن فإذا أراد أن يعرف النار يقطع النظر عن جهة الدهن وعما تقتضي تلك الجهة فيجد حينئذ لونا أحمرا وحرارة ويبوسة ساذجة غير مشوبة بشيء من الرطوبات فهذا النور المحسوس في الشعلة المحسوسة كله يرتفع عند السراج حين التوجه والالتفات إلى النار وذلك هو الوجه الأعلى فيكون هذا النور الظاهر في هذه الشعلة نقصا بالنسبة إلى مقامه الأول لأن ذلك مشوب بجهة الإنية وظلمة الماهية وأما الشعاع فإنه مركب من نور السراج وجهة إنية حدوده من المشخصات الستة من الزمان والمكان والجهة والرتبة والكم والكيف وهو أثر للنار ومتوجه إليها وطالب منها لكنه واقف ببابها ولائذ بجنابها ومتوجه به إليها والسراج هو الباب يأخذ من النار ويترجم للشعاع فإذا أراد الشعاع أن يعرف النار لا يعرفها إلا بوجهه الأعلى منه ووجهه الأعلى صفة إنية السراج لا صفة توحيده فالشعاع وإن بلغ ما بلغ في التصفية والانقطاع إلى النار والتوجه إليها والتوصيف لها كل ذلك توصيف للسراج في الحقيقة لا للنار فلو أن السراج توجه إلى النار بالمجموع لكان مشركا مع النار غيرها وهو إنيته وذلك الشرك صار عين التوحيد للشعاع بل ربما ما يصل الشعاع إلى معرفة السراج أبدا وإن وصل

إلى ما وصل فإنما هو جزء من سبعين ألف جزء من رأس الشعير من معرفة السراج لكنه حين التوجه لما كان لا ينظر إلى السراج وإنما يتوجه إلى النار خاصة قبل هذه معرفة النار فيقول حينئذ السراج نحن الأعراف الذين لا يعرف النار إلا بسبيل معرفتنا أي بمعرفتنا للأشعة فإن الشعاع معرفته للسراج لا من جهة السراج معرفة النار ، وإنما قلت معرفته للسراج لأن له جهتين جهة إلى نفسه وهي الحدود والأعراض يجب أن يكشفها ويمحيها وجهة إلى النار وهي نور السراج فلا يمكنه حينئذ إزالة نور السراج إذاً ينعدم فأين يتوجه .

فإذا فهت هذا فهمت حقيقة الأمر في المسألة فإن محمدا وآله عليهم السلام جعلهم الله بابا لمعرفته وتوحيده وكل الخلق إنما خلقوا من شعاع أنوارهم وشعاع الشعاع وشعاع شعاع الشعاع وشعاع شعاع شعاع الشعاع وهكذا ، وفي كل رتبة ثانية يجري ما ذكرنا في الرتبة الأولى من الثانية ، فعلى هذا غاية معرفتهم لربهم بأكمل ما يمكن هو معرفة أدنى وصفهم في مقام النقصان لا في مقام الكمال ولذا نزه الله سبحانه نفسه عن صفات المخلوقين وقال سبحانه ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[1] و (ما) عامة شاملة لكل وصف ، ثم أظهر الرضا عن المرسلين حيث إنهم يتوجهوا إليه من

---

[1] الصافات ١٨٠

الباب الذي جعله الله تعالى لهم فقال ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1] ثم أثبت ما خص به نفسه لحكايته لتوحيده تعالى من غير واسطة و إنما هو متمحض في الصفتية فقال تعالى ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] والحمد هومبدأ اشتقاق اسم محمد صلى الله عليه وآله فافهم .

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت و لا عرفني إلا الله وأنت و لا عرفك إلا الله وأنا))[3] ، فإذا كان كذلك فهم عليهم السلام المدلجون بين يدي الحق في كل مقاماتهم وإليه الإشارة بقوله تعالى في الحديث القدسي حديث الأسرار((وليس لمحبتي غاية ولا نهاية ، وكلما رفعت لهم علما وضعت لهم حلما))[4] إذ كلما يظهر لهم مقام في العلم من معرفة الله سبحانه من ظهور تلك الصفات حتى عرفوا الله بها يظهر لهم بعد ذلك حلم فيعرفون أن ذلك مقام المخلوق ثم يترقون بظهور الجبار لهم بحكم المحو والصحو حتى عرفوا أنهم وصلوا إلى الحقيقة وشاهدوا المطلوب عيانا فيظهر لهم في مقام أعلى فيعرفون أن المقام الأول مقام خلق ولهم كانوا هناك مشركين وهكذا فلا نهاية لهذا المحو والصحو أبدا ، فإذا كيف لا يعظم عليهم إذ يرون ما يصفون في أعلى مقامات توحيدهم يظهر لهم بعد ذلك أنه مقام محمد صلى الله عليه وآله و أهل بيته الطيبين الطاهرين فيعظم عليهم الأمر ، ثم إن ما لم

---

[1] الصافات ١٨١ [2] الصافات ١٨٢ [3] تأويل الآيات ١٤٥

[4] إرشاد القلوب ١٩٩

يظهر لهم هو أعظم بل الذي ظهر لهم والذي لم يظهر ولن يظهر إلى انقطاع كينوناتهم هو رشح من إنيات مقامات محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهله الطاهرين عليهم السلام وذلك أيضا بالنسبة إلى مقامهم لا بالنسبة إلى مقامهم وأين الثريا من يد المتناول ، وهذا هو السر فيما ورد في الأخبار أن مولانا القائم عليه السلام عجل الله فرجه إذا ظهر وحضر عند أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشر يظهر لهم عليه السلام كتابا مختوما بخاتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخاتم رطب فيقول لهم بايعوني على مقتضى هذا الكتاب فلما أنه عليه السلام يقرأ عليهم يجدون ما كانوا يصفون به الرب عز وجل القديم سبحانه وتعالى بأعلى مقامات التوصيف والبيان الذي ما يمكن لأحد من أهل ذلك الزمان لأن هؤلاء صفوة الله في الأرض وليس على وجه الأرض يومئذ أعلم ولا أعرف منهم لأنهم المؤمنون المتحنون الذين عرفوا الحيث والكيف والكم واللم وعرفوا مفصولهم وموصولهم وما يؤول إليه أمورهم فكانوا يوحدون الله عز وجل ويوصفونه بغاية ما عندهم من العلم والمعرفة فإذا هم يرون أن الإمام عليه السلام وروحي له الفداء وعجل الله فرجه يريد منهم أن يقروا ويعترفوا أن ذلك بعض مقامات آل محمد عليهم السلام ولهم مقامات أعظم من ذلك وتلك المقامات من بعضها فيعظم ذلك عليهم ولا يقدرون على التحمل والقبول فيستعجلون ويقولون أنت لست بصاحبنا فيجولون شرق الأرض وغربها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها ولا يجدون ملجأ فيأتون ويسلمون ويبايعون على جهة التسليم لا على جهة المعرفة وإني

وإن فضحت السر وكتبت ما لا ينبغي إلا أنه بعد من وراء الحجاب وقد سد عليه ألف باب فافهم الخطاب .

فمن هذه الجهة كان يعظم عليهم ، هذا بالنسبة إلى العلماء العارفين ثم إن الأمر يعظم شيئا بعد شيء وحينا بعد حين إلى أن رجعت الأشياء كلها إلى الله فهناك يظهر سر علي روحي فداه مشتقا من نور الكينونة .

وإياك واسم العامرية إنني ... أخاف عليها من فم المتكلم

أخاف عليك من غيري ومني ... ومنك ومن مكانك والزمان

فلو أني جعلتك في عيوني ... إلى يوم القيامة ما كفاني

وأما الجهال الواقفون في مقام القيل والقال حيث نسوا العهد المأخوذ عليهم في العالم الأعلى في القديم الأول ثم لا نهاية له من الأزمنة والأمكنة من أن عليا عليه السلام هو نور الله المطلق في السموات العلا والأرضين السفلى وما يرى وما لا يرى مما جرت به الأقلام ومضت به المقادير وبقوا في مقام الانجماد في مقام الجماد كما قال عز وجل ﴿ ۞وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1] ولا يدركون الأشياء على جهة ذوبانها إذا سمعوا شيئا جزئيا من أسرارهم عليهم السلام من بعض فروع ما ذكر

---

[1] المنافقون ٤

عليه السلام في هذه الخطبة الشريفة مثل أن جبرائيل عليه السلام ما يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا بإذن علي عليه السلام يعظم عليهم ذلك بل ربما ينكرونه زعما منهم بأن عليا عليه السلام كان يأخذ العلم والحلم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو كان يأخذ عن جبرائيل عليه السلام كيف يستأذن جبرئيل عليا عليه السلام مع ما في الروايات أن جبرائيل ما نزل إلى علي عليه السلام أبدا وما كان يراه بل ربما يسمع كلامه، وإذا سمعوا ما ورد أن جبرائيل عليه السلام كان يأخذ من إسرافيل وهو يأخذ من ميكائيل وهو يأخذ من الملك وهو روح القدس وهو عقل محمد وآله عليهم السلام فكان جبرائيل وغيره من الملائكة يأخذون منهم ويؤدون إليهم فيعظم ذلك عليهم ويضطربون زعما منهم بأنه حينئذ إتيان جبرائيل يكون تحصيل الحاصل إذن لا فائدة ترجع إليهم من جهة العلم، وما ورد أن عليا عليه السلام قد قرأ القرآن حين تولده من أوله إلى آخره ولم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرفا واحدا منه، وما ورد أن عليا عليه السلام كان إذا وضع رجله في الركاب يقرأ القرآن من أوله إلى آخره حتى يستوي على ظهر الدابة حتى واجهني بعض أشباه العلماء بذلك وقال إن ذلك الفعل مستحيل ممتنع لا يمكن وقوعه لا أستثني، أحدا وكذلك الأحوال والأسرار المودعة في هذه الخطبة الشريفة إذا سمعوها يقولون أن فيها ارتفاعا وغلوا وينكرون نسبتها إلى أمير المؤمنين عليه السلام ويقولون إنها من وضع الغلاة وكما ذكرنا في أول الجزء والأول من هذا الشرح، فأوصاهم الإمام

عليه السلام وصية لو راعوها وحفظوها لم يلتبس عليهم شيء من أمور دينهم ومعرفتهم بأئمتهم عليهم السلام لكنهم ما راعوها وضيعوها فوقعوا فيما وقعوا من الاضطراب والاختلال والاختلاف قال دعبل الخزاعي :

ولو قلدوا الموصى إليه أمورهم   لزمت بمأمون من العثرات

وتلك الوصية لا اختصاص لها بالجهال و إنما هي وصية عامة للجاهلين والعارفين الواصلين إلا أن العارفين حفظوها وأولئك ضيعوها وهي قوله عليه السلام ((فلا تستعظموا ذلك فينا)) فإن الاستبعاد والاستعجاب والحكم بعدم وقوع الشيء تعجيلا ومبادرة وجهلا بالأمر هوالذي يكون سببا لعدم انفتاح باب المعرفة وازدياد الجهل على الجهل والعجز على العجز فإن الخلق متفقون لا نكير عندهم على أن كل أحد لا يدرك كل شيء إذ كل أحد يجد ذلك في نفسه بالفطرة والضرورة وقد نص الله على ذلك حيث قال ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[1] و اتفقت الأمة بل كل ذي فطرة على أن الله سبحانه لا يطلب من العبد في العمل والاعتقاد إلا مقدار ما وهبه من العلم والمعرفة وقد نص على ذلك في كتابه العزيز بقوله ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[2] ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ

[1] يوسف ٧٦

[2] البقرة ٢٨٦

﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[1].

فمقتضى الكلام الأول الضروري أن لا يسارع الشخص الإنكار إذا سمع ما لا يدرك ، ومقتضى الكلام الثاني الضروري أن لا يعتقد ما لا يدرك فيسكت عما لا يعلم وينطق عما يعلم فإذا تكلم متكلم فضلا عما إذا انتسب إلى أهل العصمة عليهم السلام فينظر فيه نظر المنصف الجاهل المتعلم من الله سبحانه ومن الأئمة عليهم السلام الهداية ، فإن قام دليل قطعي من إجماع أو ضرورة ونص في الكتاب أو في الأحاديث أو دليل عقلي مستند إلى أمر شرعي من الخطابات الإلهية ما يدل على بطلانه أو بصحته فيعمل بمقتضاه وإلا فيتحمل ويتوقف هذا إذا عرف مراد القائل المتكلم بالكلام ، وأما إذا لم يعرف واحتمل أنه أراد منه معنى آخر من المعاني السبعين كما قال عليه السلام ((إني لأتكلّم بكلمة وأريد منها أحد وسبعين وجها لكل منها المخرج))[2] فإذن لا سبيل له إلى الرد والإنكار ويجب عليه التوقف في كل حال وطلب فهم المراد لينفتح له الباب ، فعلى هذا لا يجوز رد الأخبار وطرح كلما ينتسب إلى الأئمة

---

[1] الطلاق ٧

[2] لم نقف على هذه الرواية بهذا اللفظ ووقفنا على ما يقرب منها في بصائر الدرجات ص ٣٢٩ قوله عليه السلام ((إني لأتكلم بالكلام ينصرف على سبعين وجها كلها لي منها المخرج))

الأطهار عليهم السلام ما لم يقم دليل قطعي على أنه مكذوب عليهم عليهم السلام وليس من الدليل محض الاستبعاد وعدم اشتهاره عند العوام والعلماء الذين ليسوا بصدد مضامين تلك الأخبار والقول بأنه يلزم منه الغلو والارتفاع باطل إذ لعله يريد منه معنى لا يلزم ذلك وكان ذلك المعنى مخفيا عند الناظر أو يراه بعيدا وهو قريب عند الإمام عليه السلام فإذا قالوا عليهم السلام ((إني أتكلم بكلمة وأريد منها أحد وسبعين وجها لي لكل منها المخرج)) انقطع الكلام وقالوا أيضا (إذا أتاكم عنا بأنا نقول أن الليل نهار والنهار ليل فلا تكذبوه فإنكم تكذبونا) فإذا كان كذلك وقد جاءت الأخبار وتواردت واشتهرت بين الفريقين أن الله سبحانه خلق محمدا وآله عليهم السلام قبل خلق الخلق وقبل أن يخلق شيئا ثم خلق الأشياء كلها من نورهم عليهم السلام وأما الشيعة الفرقة الناجية المحقة فلا يشكون في ذلك في أئمتهم عليهم السلام وأما العامة فلا يشكون في النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أنه خير الخلق خلقه الله قبل أن يخلق الخلق ثم خلق الخلق من نوره ، فإذا كان كذلك فتكون الخلائق كلهم بالنسبة إليهم عليهم السلام كالأشعة للسراج وهو لا استقلال له إلا بالنار ، والسراج عين للنار الناظرة لأحوال الأشعة ويديها المبسوطة بالإنفاق على الأشعة ووجه لها تتوجه الأشعة به إليها وتنظر به إليها ولسان تخاطب الأشعة به ونور تضئ به لها وسائر الأحوال ولا يصل إلى الأشعة شيء إلا بالنار والنار أيضا لا توصل الأشعة شيئا إلا بالسراج ، فصح لك أن تقول أن أشعة السراج خلق الشعاع بالنار أو تقول

أن النار خلقت الأشعة بالسراج والمعنى في المقامين واحد ، وإذا قيل أن أمر الأشعة مفوض ومرجوع إلى السراج فليس هذا هو التفويض الباطل إذ السراج لا غناء له عن النار فهو حينما يدبر أمر الأشعة بيد النار ويستمد منها لا يستغني عنها بوجه أبدا ، والتفويض الباطل إذا قيل بالاستقلال وإذا قيل أن السراج خلق الأشعة لا يلزم عنه عزل النار عن الخالقية والتدبر والتصرف وإنما هو إثبات لتدبيرها لمن يعقل ، فمن هذا المثال اعرف المراد ونزل الخلائق كلهم بمنزلة الأشعة وعلي أمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة السراج وأجر الأحوال كلها على حسب ما ذكرناه من غير استعجاب ولا استعظام فإنه إنكار لقدرة الله عز وجل وجهل بمقامه ومقام أوليائه وإنكار لسعة اقتداره سبحانه وتعالى وعجز عن معرفة عظمة الله جل جلاله وتنزيهه عن شوائب النقائص الإمكانية ، وليس في ذلك عجب بل أمرهم عليهم السلام أعجب وخطبهم أعظم وقد روى الكليني في الكافي ما معناه ((أنه قيل للصادق عليه السلام أن ما علمه النبي صلى الله عليه وآله علياً من الأبواب التي يفتح من كل باب ألف باب هل ظهر لشيعتكم كلها قال عليه السلام ما ظهر منها باب أو بابان قال فما ظهر من فضلكم لشيعتكم إلا باب أو بابان قال عليه السلام وما عسى أن يظهر لكم والله ما ظهر لكم من فضلنا إلا ألف غير معطوفة))[1] ، والمعاني

---

[1] ذكر المصنف هذا الحديث بالمعنى ونحن نذكره هنا بالنص تيمنا وتبركا ففي الكافي ١/٢٩٧ عن يونس بن رباط قال ((دخلت أنا وكامل التمار على أبي عبدالله عليه السلام فقال له كامل جعلت فداك

والدلالات كلها إنما تحصل بالحروف وتأليفها وترتيبها على نظم معين والحروف تحصل من انعطاف الألف اللينية إلى الأطوار والأحوال الثمانية والعشرين فقبل انعطاف الألف لم تظهر الحروف فضلا عن ظهور المعاني المختلفة المتعددة الغير المتناهية فالألف الغير المعطوفة من حيث هي ليس فيها من المعاني شيء أصلا من المعاني التي تظهر بالحروف كما قال الرضا عليه السلام ((إن الحروف ليس لها معنى غير أنفسها فإذا أردت أن تؤلفها تؤلفها لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك)) فصرح عليه السلام بهذه الإشارة لأهل الإشارة أن ما ظهر لكم من فضائلنا ليس شيئا بالنسبة إلى مقامنا ومرتبتنا وهو كذلك فإن الأثر لا يلحق مؤثره والشيء لا يجاوز مبدأه والأدوات لا تحد إلا أنفسها والآلات لا تشير إلا إلى نظائرها ، فإذن لا يستعظم ما يظهر من فضائلهم ومناقبهم وظهورات آثارهم وصفات أشباح هياكلهم عليهم السلام إلا الجاهل بالأمر المعاند ، ونهيه عليه السلام عن الاستعظام نهي تحريمي لا يسع العاقل ذلك ولذا قالوا عليهم السلام ما معناه لا تخبروا بأحاديثنا ضعفاء شيعتنا فيقولوا ليس هذا)) والإنكار كفر والمؤمن الممتحن يسلم كلما يصدر منهم ويرد عنهم عليهم السلام فإن

حديث رواه فلا ، فقال : اذكره ، فقال : حدثني أن النبي صلى الله عليه وآله حدث عليا عليه السلام بألف باب يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله كل باب يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب ، فقال : لقد كان ذلك ، قلت جعلت فداك ، فظهر ذلك لشيعتكم ومواليكم ، فقال : يا كامل باب أو بابان ، فقلت له : جعلت فداك ، فما يروى من فضلكم من ألف ألف باب إلا باب أو بابان ، قال : فقال : وما عسيتم أن ترووا من فضلنا ما ترون من فضلنا إلا ألفا غير معطوفة))

فهمه فذلك حظه وإلا فيرد إليهم كما قال عز وجل خطابا لعلي عليه السلام في الباطن ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] وقال الصادق عليه السلام ((إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفوا حتى تصدقوا ولا تصدقوا حتى تسلموا أبوابا أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها ضل أصحاب الثلاثة وتاهوا تيها بعيدا))[2] الحديث ، فالمؤمن الممتحن لا يستعظم ما يقرع على أذنه من أسرار علي عليه السلام لأنه باب الله ووجهه ، ولا يستعظم من الله شيء من الأشياء ، وهو عليه السلام لا ينسب إليه شيء إلا بمشيئة الله سبحانه وباقتداره لا من قبل نفسه فإنها من حيث هي ليست شيئا ولا تذوت لها فإذا كان منسوبا إلى الله عز وجل وبقدرته وهوتعالى على كل شيء قدير فمن أين الاستعجاب والاستعظام ولذا قال عليه السلام في حديث معرفته بالنورانية ما معناه أنه ((من شك في ما ذكرت فقد أنكر قدرة الله في أوليائه)) قال الشاعر ونعم ما قال :

أعدم وجودك لا تشهد له أثرا ودعه يهدمه طورا وينسيه

---

[1] النساء ٦٥ [2] الكافي ١ / ١٨١

ورد في البحار ٢٦ / ٧ ((الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربنا لأن من أنكر شيئا مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عز وجل ومشيئته فينا)) .

قوله عليه السلام فوالذي فلق الحبة

أتى بالواو للقسم تأكيدا للأمر وتثبيتا للحجة عند الجاهل على الحقيقة وسر الخليقة و إنما اختار عليه السلام الواو في هذا المقام لأنها أول سر ظهر من ينبوع حقيقته وأول نور سطع من شمس كينونته وهويته في الأزل الثاني ، لأن الواو هوالأمر بين الكاف والنون وهذا العدد التام بالزبر وبالسر الغيبي والرمز الباطني هو حكاية الأحد فإن البينات غيب بالنسبة إلى الزبر ، وإن كانت بلحاظ آخر صفة له والواو بيناته ثلاثة عشر وهو تمام الأحد وهو حكاية صفة الذات الأزلية والعبارة عنها ولذا اختصت الواو بالقسم لاشتمالها لهذا السر المنمنم وكون أولها عين آخرها وظاهرها عين حقيقة باطنها يشير إلى الأولية والآخرية وإلى رجوع العود كالبدأ كما في قوله تعالى ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[1] وهي العدد التام والسر العام الجامع لأسرار التوحيد بالباطن و أسرار الموحدين في الظاهر وإتمام

---

[1] الإسراء ٧

الصنع بالصفة ورجوع العود كالبدء بالإشارة وأول ما بدء من العين أي كـن فمحلها وسط الكلمة لبيان أنها أثر المجموع فلها وجـه إلى جوامـع التوحيـد ومراتب التنزيه والتجريد ووجه إلى مقامات الكثرة ومراتب الخلـق الظـاهرة بالنون وهي الستة الأيام التي خلق الله فيها الشيء كما قـال سـبحانه وتعـالى

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[1] وهي صفة الغيبوبة والمحو والإفناء والصعود مـن ظـاهر القشـر إلى باطن اللب ولذا قال مولانا الباقر عليه السلام ((والـواو إشـارة إلى الغـائب عـن درك االأبصار ولمس الحواس))[2] وهي مجمع الطبائع النوريـة في البـاطن وإن كانت في الظاهر جامعة لأقوى مراتب أقوى الطبائع لاشتمالها علـى النـار في مقام المرتبة وعلى الهواء أو التراب في مقام الدرجة ولذا كانت عاطفة لما فيـها من سر الرطوبة مع الحرارة المسرية والمتعدية إلى الغير ومستأنفة لما فيـها مـن سر الحرارة واليبوسة الطالبة للابتداء والاستئناف وعدم التبعية ولذا كـانت من حروف القسم لكونـها مـن حـروف المبادئ بذاتـها وصفاتـها ومقامـها وظاهرها وباطنها كما أشرنا إليـه ، ولا تتوهـم أن مقامـها الشـفة والحـروف الشفوية ليست من المبادئ وإنما هي حروف الحلق لأن المبـدأ مقـام وجـوده في نفسه أسفل المراتب والمقامات وذلك سر علوه أما سمعت عليا عليه السلام قد لقب

---

[1] ق ٣٨ ٢ التوحيد ٨٨

بأبي تراب ومحمدﷺ يوصف بالعبودية التي هي الذلة والمسكنة قبل كل صفة وكل حال ونعت قالﷺ ((الفقر فخري وبه أفتخر))[1] أما علمت أن السجود في الصلاة أشرف و أفضل من الركوع وهو من القيام وإن أقرب أحوال العبد مع الله حالته وهو ساجد، أما رأيت أن البسملة التي أولها أعلى المبادئ وأشرفها من حروف الشفة وهي الباء ومن جهة الشرافة المعنوية ظهرت الواو بدوا حتى استجنت في كن وغابت عند ظهور تين الكلمتين واستنطقت باسم الأحد الذي هو أبسط الأسماء ثم ظهرت بزبرها وبصورتها على غيب معناها فاستنطقت منها الواحد وصار مبدأ الأعداد وسبب حصول الاستعداد واشتق منها اسم محمدﷺ الذي هو أشرف المبادئ ثم اشتق منها بالطرد والعكس اسم علي عليه السلام الذي هو أفضل الأكوان والمكونات ومن هذين الاسمين الأعليين ظهرت الأسماء ووجدت المسميات، إلا أن الله عز وجل ما يختار لمن هومبدأ المبادئ وعلة العلل وأصل الأصول اسما وصفة إلا وهو مبدأ الأسماء ومقوم الصفات اللفظية والحرفية وكذلك المعنوية النورية وكذلك الظلمانية، لأن المراتب السفلية الظلمانية تسجد للشمس من دون الله فلابد لها من السجود للشمس وإلا لبطلت و اضمحلت وفنيت وما ظهر منها أثر ولم يكن لها خبر ذلك تقدير العزيز العليم فافهم.

---

[1] جامع الأخبار ١١١

ثم ظهرت عودا كما كانت بدوا في الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الذي تنفعل لها الأشياء وتظهر منه القوابل والإضافات والاستضافات النقطة التي عليها مدار الأكوار والأدوار والأطوار والأوطار والليل والنهار وهي هذه الأحرف (☆ااام▤ااا هـ و) وإنما ظهرت الواو في العود منكوسة لإثبات الرجوع ورجوع الأشياء كلها عند رجوع الواو إلى الصفاء الأصلي والنورانية الذاتية والوحدة الحقيقية وهذا المعنى وإن كان ظاهرا في أصل الواو إلا أن هذا النكس لسر الرجعة وظهور الدولة وما في نفسها من الدلالة إلى الرجوع والعود إنما يكون في يوم القيامة فافهم إن كنت تفهم والا فاسلم تسلم فلأجل ما ذكرنا وما لم نذكر اختار عليه السلام الواو في هذا المقام للقسم دون سائر الحروف ، ثم لما كانت كلماتهم عليهم السلام تامة في كل الاقتضاءات والأحوال كانت للواو مناسبة في هذا المقام و إظهار شأن من شئون ما هو بصدد بيانه عليه السلام وتلك المناسبة لم تحصل في غيرها وهي إنما تحصل وتظهر في سر أطوار ظاهر الظاهر ولو فتحنا هذا الباب وتصدينا لشرح تلك اللباب لطال الكلام زائدا عما يقتضيه المقام .

والإشارة إليه على جهة الإجمال لأهل التوجه والإقبال هي أنه عليه السلام لما ذكر بعض أسرار ولايته الظاهرة في المخلوقين وكانت الطبائع غير ناضجة والنفوس والسرائر غير طيبة لم تتحمل وكادت أن تفسد وتضمحل أراد عليه السلام إثباتها ودلالتها إلى ما فيه نجاتها وبه بقاؤها وثباتها وقال لهم لا

تستعظموا ذلك فينا فإن أمرنا أعجب وسرنا أغرب وهذا الذي ذكرنا لكم شيء يسير من ذلك بل جزء من مائة ألف جزء من مثقال الذرة ، فإذا تنبهوا أن الأمر أعظم مما سمعوه هان لهم الخطب في التصديق وسهل عليهم الأمر لأن النفس إذا تنبهت إلى ما هو أعظم مما كان عندها توجهت والتفت إليه ويبقى الأول سهل التسليم والانقياد فلا تتنفر منه وتتحمله وتجوزه إلى أن ترسخ فيها وتطمئن ، ولما كان الخلق أكثرهم في القوس الصعودي ما وصلوا إلى مقامهم الحقيقي وما لحقوا بمركزهم الواقعي ووطنهم الأصلي لم تكن المصلحة لإظهار السر اللبي بصريح العبارة فأتى عليه السلام بالإشارة بغامض العبارة في لحن المقال يدركها من أراد عليه السلام إرادة خاصة وتصون عن الجاهل الذي قد أبى أن يتعلمها منه روحي فداه فأتى عليه السلام بالفاء للإشارة إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾[1] وأما هي الكمال الشعوري لآخر مراتب المبادئ العلوية العددية وهي الآحاد و آخرها التسعة والعين لما ظهرت في الفاء أو في الطاء تولدت عنها الواو مثناة وهو قوله تعالى ﴿ ۞وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾[2] قال عليه السلام كما تقدم أن موسى إشارة بالباطن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والعصا هي علي

---

[1] الدخان ٣ – ٤
[2] البقرة ٦٠

عليه السلام والحجر هي فاطمة عليها السلام والعيون الاثن عشر هم الأئمة عليهم السلام ومنها علي عليه السلام وكذلك في هذا المقام ظهرت الواو مثناة من اجتماع عين علي عليه السلام مع طاء فاطمة عليها السلام والوجه في هذا السر ربما نذكره إنشاء الله فيما بعد ، والعين هو كلمة كن قد تحققت وتقومت في التعين الأول ومنه ظهرت في الحسن عليه السلام ومنه ظهرت في الحسين ومنه في القائم عليه السلام ومنه في الأئمة الثمانية عليهم السلام ومنه في الفاطمة عليها السلام ومنها تقسمت آثارها وظهوراتها في العالم على نحو إعطاء كل ذي حق حقه والسوق إلى كل مخلوق رزقه ، فالخلائق كلهم واقفة ببابها ولائذة بجنابها لأنها في أفلاك المبادئ وأوائل جواهر العلل كالقمر بالنسبة إلى الأفلاك الجسمانية أقرب الأفلاك إلى المستمدين الفقراء اللائذين لافتقارهم إلى الرطوبة والبرودة المناسبة لمقامهم أعظم وأشد والقمر يؤثر الحياة والقوة والحركة فيهم من جهة تقاطعه مع الشمس في الفلك الجوزهر وبذلك التقاطع حصلت الحياة ، والإشارة إلى ذلك التقاطع الحقيقي هي الازدواج الظاهري بين علي وفاطمة عليهما السلام ولذا كان ازدواجها في السماء بمحضر من الملأ الأعلى بأمر العلي الأعلى ، انظر إلى اللطائف العجيبة في قوله تعالى إشارة إلى هذه اللطيفة الدقيقة﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴾[1] أما

---

[1] المدثر ٣٢ – ٣٦

إتيان القمر والليل فظاهر من أنهما طبع المرأة بمقتضى الكينونة والصبح إشارة إلى التقاطع التي ذكرنا ولذا كان وقت الصبح وقت توزيع الأرزاق وهي أحسن الساعات وهي من ساعات الجنة لأن تلك الساعة تحكي عن الفلك الجوزهر في المبدأ الأول لظهور سلطان النهار وسلطان الليل فيه فليست الحرارة فيه غالبة ولا البرودة و إنما هو في كمال الاعتدال وصحبة أهل الوصال واستقامة الأحوال فالقمر والليل إشارتان إلى مقامهما عليهما السلام والصبح إشارة إلى مقامهما عليهما السلام مع علي عليه السلام في قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ (١) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ (٢) لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ (٣) تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ (٤) سَلَٰمٌ ﴾[1] فالعين في مقام الإجمال لم تظهر أحكام تفصيلها إلا بالتقاطع مع الطاء والآثار التفصيلية لم تظهر إلا من الطاء بعد التقاطع وتطورها في أطوار كمالها المستخرج المتولد منها الفاء فما للعين بذر وما للطاء أصل وفرع بذر ، ألا ترى أن الشمس تربي المواد وهي في غاية الإجمال والبساطة والتفاصيل والصور إنما هي بالقمر بعد التقاطع ، ولذا كان القمر صاحب العدد والحساب والكثرة والصور ولذا كان فلك القمر أكثر الأفلاك في الأفلاك الجزئية و إن ساواه فلك عطارد فإنما هولأمر آخر لكونه فلك الفكر والفكر

---

[1] القدر ١ – ٥

له تقلبات و أحوال ولذا كان له أوجـان وحضيضـان ، ولما تمت الكلمـة في الطاء وكملت الطاء في الفاء ظهرت تفاصيل الفيـض الناشئ مـن الكلمـة الواردة على محلها ومعدنها وينبوعها وأصلـها ، وأول التفـاصيل هـو السـتة لأنها أول تثنية الواحد وأول تكراره فإن الواحد ثلاثة كما قدمنا مـرارا ذكـره وهي العدد التام كما ذكرنا لتساوي كسورها مع أصلها فوجب أن يذكر الواو بعد الفاء في هذا المقام ولذا قال تعالى ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾[1] قال الصادق عليه السلام على ما رواه علي بـن إبراهيـم في تفسـيره ((يعـني فاطمـة عليها السلام))[2] وهي إحدى الكـبر وهـم الأئمـة المعصومـون عليهم السلام وهـي نذيـر للبشـر لأن الفيض الظاهر بالبشارة والإنذار إنما هو عنها نشأ ومنـها بـرز وإليـها يعـود ويرجع ، وأصول الفيض إلى أن تكمل وتسـتقيم سـتة في الأيـام يـوم الأحـد ويوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويـوم الخميس ويـوم الجمعـة ، وفي الذوات عالم العقول وعالم النفوس وعالم الطبائع وعالم المـواد وعـالم الشـباح وعـالم الأجسـام ، وفي العـالم الإنسـاني النطفـة والعلقـة والمضغـة والعظـام واكتساء اللحـم و إنشـاء الخلـق الآخـر ، وفي الصفـات والأعـراض الكـم والكيف والزمان والمكان والجهة والرتبة ، فوجب أن يذكر الواو بعـد الفـاء لبيان أن ما ظهر منها عليها السلام وروحي فداها هـي الأكـوان السـتة المالئـة لكـل

---

[1] المدثر ٣٥

[2] تفسير القمي ٢/ ٣٩٦

الوجود بقراناتها وإضافاتها ونسبها وتولداها وصفاتها وسائر أحوالها وهي الكون الجوهري والكون النوراني والكون المائي والكون الناري والكون الهوائي والكون الترابي فهي صلوات الله عليها قطب للعوالم كلها، ثم أتى عليه السلام بالألف بعد الواو والمدغمة مع اللام للإشارة إلى تقسيم هذه العوالم الستة إلى القابل والمقبول وخفاء المقبول الذي هو جهة الوحدة في القابل الذي هوجهة الكثرة ومراتب القابل ثلاثون عدد قوى اللام، ثم أتى عليه السلام بالذال لبيان رتبة الكمال بعد التمام وهو يوم السبت بعد يوم الجمعة والبلوغ بعد إنشاء الخلق الآخر والتركيب بعد اجتماع الحدود الستة لأن السبعة هي العدد الكامل، وأشار أيضا روحي فداه إلى تشعب كل مرتبة باعتبار أطوار القابل والمقبول إلى مائة مرتبة لتبلغ رتبة الكمال في المقامات التفصيلية إلى سبعمائة وهي عدده قوى الذال، والإشارة إلى ذلك أن كل مرتبة مخلوقة من عشر قبضات من الأفلاك التسعة ومن الأرض في كل عالم بحسبه فإذا جمعت ولاحظت أول النسب في هذه العشرة يكون لكل مرتبة مائة والسبعة تكون سبعمائة فافهم.

ثم أتى عليه السلام بالياء لبيان ظهور المبدأ في الوجه السفلي لأنها قد أخذت من ياء علي عليه السلام ثم أردفها عليه السلام بفاء فاطمة عليها السلام في قوله عليه السلام ((فلق الحب))، وبالجملة فالكلام لا يحسن على هذا النمط فإنه شيء لا يعرفه الناس و إذا سمعوه قابلوه بالإنكار وإذا تنبهوا لذلك ربما

يفرّعون عليه ما لا يصح ولا يليق لأنها باب منسد إلا من أطلعه الله سبحانه على غيوب الأشياء وأشهده نفسه وخلقه فيرى الأشياء كلها بسر الوحدة ويضع كل شيء في موضعه وأما الجاهل بالأمر فلا يسعه ذلك إذ لا يجوز القياس والظن والرأي والتخمين والإلحاق بالأعم الأغلب والإلحاق بالمشهور في هذه المقامات وهذه الدقيقة التي هي أقرب مما ذكر عليه السلام مصرحا على حسب الظاهر ، وأما في الحقيقة فليس فيها غرابة بوجه بل لو لم يكن كذلك لكان غريبا لأنها معهم عليهم السلام في رتبة واحدة وهي آخرهم والطفرة في الوجود باطلة فيجب أن الفيض المنتشر في العالم إنما يكون عنها وبها والخلق كلهم عبيد لها ولها الهيمنة والاستيلاء على كل الوجود والموجود ، ولكن كما ذكرت سابقا أن الطبائع الغير الناضجة من الشيعة إذا سمعوا مثل هذه الكلمات في حق علي عليه السلام مع ما ورد في حقه من الفضائل والمناقب التي لا يسع إنكارها لأحد من المسلمين يستغربون ويستعظمون بل ينكرون كما أنكروا ونسبوا هذه الخطبة الشريفة وأمثالها من الخطب والأخبار والأحاديث كلها إلى الغلاة والمفوضة ، فما ظنك إذا سمعوا ذلك وأعظم منه في حق سيدتنا الزهراء على أبيها وبعلها وبنيها وعليها آلاف التحية والثناء ولكنهم عليهم السلام أهل الكرم والجود لا يبخسون الناس حظهم ويؤدون إلى كل أحد حقه ممن يطلب منهم ولا يطلب منهم وإن كان لا يصح أن لا يطلب منهم ، فأشار إلى تلك الدقيقة بتلك الإشارة كما أشرت لك والحمد لله رب العالمين .

واعلم أني لم أذكر في هذا الشرح النكات والوجوه الظاهرية التي تعرضوا لها أهل المعاني والبيان في المحسنات اللفظية وأهل النحوالصرف واللغة في القواعد الحرفية وأهل الحروف الظاهرية في الحروف العددية وأهل الخطوط والرقوم في الرسوم الرقمية ، أو المعاني التي ذكرها الحكماء وأهل الطبيعة إذ المرجع فيها وأمثالها ما ذكروه في كتبهم وأثبتوه في زبرهم وذلك ليس المطلوب منا في هذا الشرح ، بل المراد منا كشف الأسرار ورفع الحجاب وفتح الباب لأولي الألباب فأقتصر على ذكر بعض الأمور والأسرار التي لم يذكروا ولم يدونوا ولم يعثروا عليه مما نطقت به بواطن الأخبار المعصومية وشهدت بتصديقه الآيات القرآنية ودلت عليه الشواهد العقلية والنقلية والفؤادية بين تصريح وتلويح وإشارة ورمز وتعمية و أمثالها كل ذلك خوفا من اشتباه الناس الذين تمكن في صدورهم الوسواس الخناس قال تعالى ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾[1] وإنما أتى عليه السلام بالاسم الموصول في المقسم به لبيان الإبهام فالق الحب وبارئ النسم وإن كان هو التعين لأن الله عز وجل هو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أنه سبحانه لم يتغير ولم يتبدل ولم يتحول من حال إلى حال ولا يعتريه نقصان ولا زوال فأدام الملك في الملك وألجأ المخلوق إلى مثله وأقام الأشياء بأظلتها وتجلى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها ، والأشياء كلها ظهورات أفعاله تعالى

---

[1] الأحقاف ١١

ولها ظهور ولظهور ظهورها ظهور ولظهور ظهور ظهور ظهورها ظهور وهكذا إلى ما لا نهاية له من الأطوار والظهورات ، ولما كان الله سبحانه أمره واحداً وحكمه واحداً كل تلك الظهورات تفصلت في كل رتبة بالحب والنّوى وفي كل منها ظهرت نسمة كما نبين لك إنشاء الله ، فهو تعالى في كل رتبة فالق الحب وبارئ النسّم هذا في مقام الحقيقة بعد الحقيقة ولا فرق حينئذ بين إتيان الاسم الموصول وعدمه إذ ليس فيه إبهام وإنما هو تعيين وإن كان بإثبات بعض ومحو الآخر حين الإثبات أو المحوفإن كل رتبة عند الأعلى فانية بل لا شيء ولا ذكر لها هناك وأما في مقام (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) تظهر الثمرة والإبهام بإرادة المعنيين أو بسر الأمر بين الأمرين فإن الأشياء والموجودات كلها على اختلافاتها ما ظهرت ولا وجدت إلا بجهة من الله وجهة من نفسه وتلك الجهة هي فاعل فعل الفاعل كما في قوله تعالى (كن فيكون) ففاعليته تعالى للشيء إنما هي في نفس الشيء لا في نفس الذات القديمة تعالى شأنه وإلا لكانت محلا للحوادث أو مركبة أو متغيرة متبدلة ولا يوجد شيء أبدا من الجهة الواحدة وإن كان ذلك الشيء مما اضمحلت إنيته واندركت هويته تنسب آثارها كلا إلى الفاعل سبحانه ولا يلاحظ ذلك الشيء بتلك الجهة أصلا مثل ما في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[1] ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[3] الآية ، وقوله تعالى ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾[4] الآية ، وقوله تعالى ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[5] وأمثالها من الآيات وإن كان الشيء بقيت له الإننة لكن لا يترتب عليها الأثر مسلوبة الحكم والتصرف وإنما هي لحفظ وجوده فذلك الشيء آثاره تنسب إليه ثم تسلب عنه فالنسبة لكون الشيء له إنية ومقام فرق في الجملة ، وأما السلب فلحكم الاضمحلال والزوال كما في قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[6] و إن كانت إنية الشيء من شأنها إن ظهر منها أثر و إن اضمحلت فذلك الشيء تنسب آثاره إلى نفسه لكن بالله سبحانه وبإذنه وبأمره كما في قوله تعالى خطابا لعيسى عليه السلام ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ

---

[1] العنكبوت ٤٤   [2] فاطر ٤٠   [3] الزمر ٤٢   [4] الحج ٥

[5] الزخرف ٣٢   [6] الأنفال ١٧

﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِي﴾[1] ومثل ما في الحديث ((إن الله إذا أراد أن يخلق الولد في بطن الأم يرسل ملكين خلاقين يقتحمان من فمها إلى بطنها))[2] الحديث وإن كانت الإنية تظهر آثارها وتقتضي شهواتها المخالفة لكينونة الحق سبحانه كما قال تعالى خطابا لآدم عليه السلام ((وحك من روحي وطبيعتك خلاف كينونتي)) فذلك الشيء لا تنسب آثارها إلا إليه ولا تنسب إلى الله سبحانه أبدا إلا بالعلم والدليل على أن الممكن لا يستغني في أفعاله عن الله عز وجل وإن الأفعال كلها تجري بسر الأمر بين الأمرين كما في قوله تعالى ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[3] وقوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾[4] وقوله تعالى ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ﴾[5] الآية ، وهكذا أمثالها من الآيات وهذا هو الحكم في الكينونة الأولية الدنياوية ، ولما كان الفاعل هو المشتق من المصدر كالقائم المشتق من القيام والضارب المشتق من الضرب وليس مرد

---

[1] المائدة ١١٠

[2] لم نقف على هذه الرواية كما ذكرها المصنف أعلى الله مقامه ووجدنا ما يقرب منها وهو ما روي في البحار ٥٧ / ٣٤٤ قوله عليه السلام ((ثم يبعث الله ملكين خلاقين يخلقان في الأرحام ما يشاء يقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة فيصلان إلى الرحم .. إلخ))

[3] طه ١٢١ [4] مريم ٥٤ – ٥٥ [5] الكهف ٧٤

الفاعل ومحله إلا إلى الأثر الذي هو المصدر لا الذات البحت وهو الذي تشهد به الفطرية الإلهية ، والفاعل صفة لا حقيقة وذات ، ولما كان الخلق في القوس الصعودي بعد النزولي قبل وصولهم إلى المبدأ الذي تنزلوا منه وقفوا في مقام الكثرة والانجماد ولم يحصل لهم الذوبان التام حتى يشاهدوا ذلك المعنى بسر الهوية ولب الفطرة قد ينتسب الفاعل إلى المصدر لبيان أن الذات متعال عن الاقتران والاتصال وإن الفاعلية صفة قائمة بهذا المحل وهي لله سبحانه وقيامها به قيام صدور لا قيام تحقق ، ومعنى هذا الكلام في هذا المقام أن حقيقة المصدر الذي هو المبدأ هي تلك الصفة لا أن الحقيقة شيء والصفة شيء آخر ليكون مشاركا أو مستقلا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ومن هذا القبيل قول علي عليه السلام ((أنا خالق السموات والأرض بأمر ربي وأنا داحي الأرض)) كما يأتي إنشاء الله فإن ذلك للبيان لا أنه المستقل أو له إنيه يصدر عنها الأثر كما مر في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ وأما معنى قول مولانا الصادق عليه السلام على ما رواه المجلسي ((من قال نحن خالقون بأمر الله فقد كفر)) وكما ذكرنا من لزوم توهم الإنية والاستقلال ليكون كالوكيل فإن ذلك كفر محض وزندقة صرفة ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي

ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1] بل الخالق هو الله سبحانه وحده لا يشارك معه غيره ولا يستقل سواه ، والخالق صفة فعلية وحقيقتهم عليهم السلام تلك الصفة لا أن حقيقتهم أمر والخالق أمر آخر ، فالله سبحانه هو الخالق وحده فمن رام غير هذا المعنى غلا فهو كفر ، والإشارة إلى بيان لأهل القوس النزولي حتى لا يضلوا ويتنبهوا لحقيقة الأمر كما قال عز وجل ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾[2] مع أن مولانا الصادق نفى هذا المعنى بعينه فافهم وتنبه واعلم بأن لا تعارض ولا تنافي بين الأخبار والآيات انظر إلى قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[3] الآية وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[4] ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[5] وقوله تعالى ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ ﴾[6] وما دلت الأخبار والأدعية إن ميكائيل هوالموكل على الأرزاق وقوله تعالى ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ﴾[7] وقوله تعالى في الملائكة ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾[8] وقوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا

---

[1] الأنبياء ٢٩ — [2] الأنبياء ٢٦ – ٢٧ — [3] الزمر ٤٢ — [4] النساء ٩٧
[5] السجدة ١١ — [6] الزخرف ٣٢ — [7] الرعد ٢ — [8] النازعات ٥

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[1] وقولـه تعـالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾[2]

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[3] اجمع بين هذه الآيات والروايات تجد سر ما ذكرنا لك واضحا ظاهرا بينا إنشاء الله .

وأما إذا اتصل القوسان و اتحد القطبان في يوم القيامة يوم الفزع الأكبر وما بعده في الجنة فرد الأشياء كلها إلى الله وترجع إليه سبحانه إنا لله وإنا إليه راجعون فكل النسب تنتهي إليه سبحانه لا يسمع فيه صوت إلا صوتك ولا يرى فيه نور إلا نورك ، وفي هذه الدنيا كذلك إلا أنه لأهل الآخرة والأمر يومئذ لله لمن الملك اليوم لله للواحد القهار ولقد كشفت الأمر وأوضحت السر ولم يبق إلا التصريح وذلك ممنوع منه شرعا وإن كان عند من فتح الله نور بصيرته مصرحا مكشوفا والله ولي التوفيق .

---

[1] الزمر ٤١ [2] الشعراء ١٩٣ – ١٩٤ [3] البقرة ٩٧

قوله عليه السلام فلق الحبة

الحبة قد فسرت في تفسير أهل البيت عليهم السلام بالنطفة ويشهد له قوله عليه السلام ((وبرأ النسمة)) إلا أنها إنما تتحقق بفلق الحبة أي النطفة إلى العلقة وفلقها إلى المضغة وفلقها إلى العظام ثم اكتساء اللحم ثم إنشاء الخلق الآخر ثم الولادة الجسمانية ثم الولادة الدنياوية ثم الولادة الروحانية ثم الولادة العقلانية ثم الولادة البرزخية ثم الولادة الأخروية فهناك تتم الخلقة وتبرأ النسمة على أكمل ما يمكن في حقه ، ثم لا تزال تترقى من نوع ما هي عليه إلى ما لا نهاية له ، والحبة هي فاطمة الصديقة الطاهرة عليها وعلى أبيها وعلى بعلها وبنيها آلاف الثناء والتحية قد انفلقت منها النسمات النورية كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ ﴾ يعني عليا عليه السلام ﴿ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[1] أي كل إمام حكيم بعد إمام

---

[1] الدخان ٣ – ٤

حكيم ، و إنما كانت حبة لأن الله عز وجل فطم محبيها ومحب محبيها ومحب محب محبيها من النار وقد قال مولانا الصادق عليه السلام في تفسير قوله عز وجل ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾[1] قال عليه السلام ما معناه ((إن الحبة هي فاطمة عليها السلام والسنابل السبع هي الحسين وأولاده عليهم السلام قيل والحسن قال عليه السلام إن الحسن إمام مفترض الطاعة وليس من السنابل))[2] .

يريد من السبعة تلك الحقائق المقدسة بحسب أسمائهم الشريفة فإنها تكون سبعة وهم الحسين عليه السلام وعلي ومحمد وجعفر وموسى والحسن والمهدي صاحب الزمان عليهم السلام ، وإنما كان الحسن عليه السلام ليس من السنابل إذ ليس له عقب يكون إماما فما تنبت من أصله من هو مثله ، وأما الإمام القائم عليه السلام فإنه من السنابل لأنه منتهية إليه التعلقات وانقطعت الإمامة عنده ، ومائة حبة هم الأولاد لكل واحد منهم عليهم السلام في الرجعة مائة ولد

---

[1] البقرة ٢٦١

[2] ذكر المصنف أعلى الله مقامه هذه الرواية بالمعنى ونحن نذكرها بالنص ففي تفسير العياشي ١ /١٤٧ قال الصادق عليه السلام ((الحبة فاطمة والسبع السنابل سبعة من ولدها سابعهم قائمهم ، قلت : الحسن ، قال : الحسن إمام من الله مفترض الطاعة ولكن ليس من السنابل السبعة ، أولهم الحسين وآخرهم القائم عليه السلام ، قلت : فقوله تعالى (في كل سنبلة مائة حبة) ، قال عليه السلام : يولد للرجل منهم في الكوفة مائة من صلبه وليس ذاكإلا هؤلاء السبعة)) .

كلهم أولياء الله وخلفاؤه في أرضة ممتازون عن سائر الأولاد الألف بالعلم والمعرفة والمحبة وأمثالها ، وفالق الحب حينئذ هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بالله أو قل هوالله سبحانه بعلي عليه السلام وكلا المعنيين واحد ، فيكون على هذا المعنى مؤدى قوله عليه السلام فيما بعد ((وحقي وعظمتي)) لكن أمره أمر الله وحكمه حكم الله وفعله فعل الله وقوله قول الله لا فرق بينه وبينه إلا أنه عبده وخلقه فتقه ورتقه بيده بدؤه وعوده إليه .

أويراد بالحبة العقل الأول الكلي قد انفلق منه العالم كله لأن الموجودات المقيدة الظاهرة بالآثار والأحوال من العلويات والسفليات كلها إنما تحققت بإقباله وإدباره وهو في ذاته في كمال البساطة والتجرد لكنه لما تنزل إلى المقامات السفلية لحقته الأعراض والحدود والقيود فصار باللحوق كل حد وقيد منشأ أصل من أصول الموجودات كالنفس والطبيعة والمادة والمثال والجسم وغيرها وكل ذلك إنما انفلق من تلك الحبة ، فلما رجعت إلى عالمها عادت إلى بدئها من كونها حبة وبقيت الأصول الظاهرة والناشئة منها كل أصل في مكانه ورتبته كالحبة إذا زرعتها فإنها تصير سنبلة ثم عادت إلى أصلها أي كونها حبة وبقيت السنبلة الناشئة منها في مكانها ومرتبتها في الوجود وذلك ظاهر ، وحقيقة الأمر في الحبة أنها هي المحبة ولذا اشتقت له الحبة لسر تلك المحبة الظاهرة السارية فيها فإن الله عز وجل قال في الحديث

القدسي ((كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف))[1] فالمحبة هي علة الخلق وهي منشأ وجوده فهي أول ما خلق الله سبحانه فنظرها دائما إلى المحبوب لكن قد يحصل لها نظر إلى المحب وبذلك كانت حجابا كما قال مولانا الصادق عليه السلام ((إن المحبة حجاب بين المحب والمحبوب)) فبذلك الحجاب ناسبت لحوق الأعراض والحدود فهي في حد ذاتها ذات وجهين نظر الوحدة ونظر الكثرة ، فبالأولى بسيطة غير منفلقة وليس لها ضد لأنه جهة الكثرة ، وبالثانية تنفلق ويحصل لها الضد حين ميلها إلى الانفلاق وذلك الضد هو النوى قال تعالى ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾[2] فانفلق من الحب أو الحبة الهياكل النورانية المصوغة من القبضات الطيبة من أرض العليين وسمائها وهم النسمات الإلهية ، فانفلق منها العرش وهو قلب النسمة على حسب مقامها من الكلية والجزئية ، ثم الكرسي وهو صدرها في الكلي والجزئي ، ثم زحل ثم وهو دماغها ، ثم المشتري وهو علمها ، ثم المريخ وهو وهمها ، ثم الشمس وهي وجودها ، ثم الزهرة وهي خيالها ، ثم عطارد وهو فكرها ، ثم القمر وهوحياتها ، ثم النار وهي مرتها الصفراء ، ثم الهواء وهو دمها ، ثم الماء وهو بلغمها ، ثم التراب وهو مرتها السوداء ، والمجموع جسدها ، فلما انفلقت منها هذه المراتب تمت كينونة النسمة ولذا أتى عليه السلام في مقام النسمة بقوله ((وبرأ النسمة)) فإن برأ هو الفعل المتعلق

---

[1] البحار ٨٤/١٩٨

[2] الأنعام ٩٥

بإيجاد الصور والحدود كما أن خلق هو الفعل المتعلق بـإحداث المـواد وتلـك الحدود هي الأطوار التي أشرنا إلى شيء منها وكلها إنما حصلت بانفلاق الحبة كما سمعت مجملا ، ولا تظهر تلك المراتب في القوس الصعودي تامة الحكـم متميزة الآثار إلا بعد تسعة وأربعين مرتبة لأن الثلاثة عشر في أربعـة دورات دورة العناصر ودورة النبات ودورة الحيوان ودورة الإنسان تبلغ ما ذكرنا فلمـا تمت هذه المراتب جعل الله سبحانه كل مرتبة مخزنـا لفيـض مـن الفيوضـات العلوية وعلم من العلوم اللدنية حتى استكملت عند تلك النسـمة أسـرار الأكوان ومستجنات غيوب الإمكان وجميع مراتب الكمال والجـلال والجمـال والعظمة والإقبال والبهاء والنور وكلما يريد سبحانه مـن الخلـق أن يعلمـوه عند توجههم إليه تعالى مما يلقى إليهم من بحر الصاد أو المداد من القطـرات الواردة الواقعة على أراضي جهات القابليات والاسـتعدادات حتـى يسـتوفي الأجل ويبلغ الأمل من الله المزيد كما قال عز وجل ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[1] .

وأما النوى فقد انفلق منها مقابلات ما ذكرنا للنسمة الخبيثة والفطرة الملعونة فانفلق منها الثرى وهي وجهها الكلي في الكلي والجزئي في الجزئـي ثم الطمطام وهوصدرها ثم أرض الشقاوة وهي دماغها ثم أرض الإلحاد وهي علمها المنكوس ثم أرض الطغيان وهي وهمها ثم أرض الشهوة وهي مادتها الخبيثة ثم أرض العادات وهي خيالها الميشوم ثـم أرض الطبـع وهـي فكرهـا

---

[1] ق ٣٥

الملعون ثم أرض الممات وهي حياتها ثم كمثل الكلب وهو مرتـها الصفـراء ثم الريح العقيم وهي دمها ثم الماء المالح وهو بلغمــها ثـم الحجـارة والحديـد وهي مرتها السوداء والمجموع جسدها ، فلما انفقلت منها هذه المراتـب تمـت كينونتها وخبث نتنها وكثافتها ثم دارت أربعة دورات واستكملت لها المراتب الخبيثة والمقامات الملعونة فاستجمعت جميع الخبائث واستوعبت كل الرذائـل وصارت تدعي الربوبية وتدعو إلى نفسـها وهوقولـه تعـالى ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾[1] .

وإنما ما ذكر النوى عليه السلام في هذا المقام واقتصر بذكر الحبة لبيان أنـهم أي النسمات المنفلقة من النوى كلهم منسيون كما نسوا الله جل جلالـه فـلا يذكـرون إلا بـالتبع وبالكنايـة واللـزوم لا بـالتصريح والقصـد إلا في مقـام يقتضي التصريح لمصالح وحكـم ، وذكـر الحبـة يسـتلزم ذكـر النـوى فـاقتصر عليه السلام على الأشرف وترك الأخس .

وفلق الحبة إشارة إلى سر الوجودات لأن الخلـق كلـهم بأجمعـهم إنمـا تشعبوا وتطوروا و اختلفوا بعد اجتماعهم كلهم في حقيقة واحدة وهي المحبة التي بها أوجد الله الخلائق ، فالقسم بفالق الحب يستلزم القسم بـالله الاسـم

---

[1] النساء ١١٧ – ١١٨

الأعظم الذي حوى الأسماء الإلهية والصفات كلها لأن كل شأن انفلق من تلك الحبة استدعى ظهور اسم من الأسماء الإلهية واليها الإشارة في دعاء كل يوم من رجب ((لكل مسألة منك سمع حاضر وجواب عتيد)) والأشياء بكل أنحائها لا تستغني عن المدد .

وأما حقيقة فالق الحب ومدلول هذه العبارة والمشار إليه بهذه الإشارة فاعلم أن لي كلاما في هذا الباب الجامع لهذا وأمثاله و أمليته على بعض الأحباب مشتمل على ما لا تحيط به العبارة ولا تدركه الإشارة أحب إن أورده في هذا المقام فابذل جهدك في معرفته فإنه تمام الأمر وجامع التوحيد وكل كلام غيره ساقط دونه وهو (بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أن الذات هي هي لا يخرج منها شيء ولا يدخل فيها شيء ولا ينتسب إليها شيء لأن النسبة تكييف وتحديد ولا يقترن معها شيء بجميع النسب والإضافات والقرانات إنما هي لظهوراتها، وتلك الظهورات هي أمثالها الظاهرة وأشباحها المنفصلة لا فرق بينها وبينها إلا أنها عبادها وأمثالها و آياتها ، فالإشارات كلها تنتهي إلى تلك الظهورات ورتبتها متأخرة عن رتبة الذات فهي موضع الأشياء في مقام الإشارة ، فضمير المتكلم والمخاطب والغائب إنما ترجع إلى تلك الظهورات لا إلى صرف الذات ، فإذا قلت إذا تريد به الظاهر بالكلام وذلك الظاهر هو مثال الملقى في هوية الكلام ولما كان الخلق كلهم ظهورات أفعال الله سبحانه

وتجليات أسمائه كما قال علي عليه السلام ب((بل تجلى لها بها))[1] وقال مولانا الصادق عليه السلام ((إن الله تجلى لعباده بكلامه))٢ .كان ما ينتسب إليه سبحانه بأي نحو من الأنحاء سواء كان بالضمائر أو بالموصولات أو بالأسماء والأعلام أو بالإضافات على كل وجه فإنما هي في رتبة ذلك الظهور ، ولما كانت حقائق الخلق هي ذلك الظهور كانت مدلولات تلك الدوال هي تلك الحقائق بتجليه سبحانه فيها وتجليه سبحانه فيها على حسبها فما ينتسب إليه تعالى هو ما يناسب مقامها مما ينتسب إليها لا من حيث هي هي ، ولما كان الخلق المنتسب إلى الله تعالى على الحقيقة الأولية منحصرا في محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم كما قال تعالى إشارة إلى هذه الدقيقة في الباطن ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾٢ وقال أيضا تعالى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾٣ كان ما ينتسب إلى الله سبحانه وارد أعلى تلك الحقيقة المقدسة الشريفة فعلى هذا فافهم معنى قوله تعالى ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾٤ وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾٥ وقوله تعالى

---

[1] الاحتجاج ٢٠٤ ٢ طه ٤١ ٣ طه ٣٩

٤ طه ١٤ ٥ ق ٣٨

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾[1] و أمثالها من الآيات في هذا الشأن وإليه الإشارة بقول مولانا الصادق عليه السلام ((نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا))[2] وفي الزيارة ((السلام على اسم الله الرضي ووجه المضئ وجنبه العلي))[3] وقال الصادق عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال عليه السلام ((وهو المسمى ونحن أسماؤه وهو المحتجب ونحن حجبه)) الحديث .

فإذا عرفت هذه الدقيقة فاعلم أن النبي عليه السلام قال في جواب اليهودي إلى أن قال صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الله تبارك وتعالى أوحى إلي أن فضلك على الأنبياء كفضلي و أنا رب العزة على كل الخلق)) والمشبه عين المشبه به فتكون نسبة الله على خلقه هي بعينها نسبة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى سائر الخلق ، فعلى هذا فاجر كلما ذكرنا فيما ينتسب إليه سبحانه وما يراد منه فيما ينتسب إلى الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم حرفا بحرف فإن الخلائق سواها كلها أشباح ظهوراتها وهياكل صفات كينوناتها ، والإشارات تنتهي إلى الصفات والعبارات تتعلق بالتعلقات وهي كلها دور تلك الحقيقة فتلاحظها فيها وتشاهدها معها فيما ينتسب إليها مما يناسب مقامها إلا من حيث مقامها وفي بعض الأحوال مما يناسب مقامها على ما فصلت لك سابقا ، فإذا فهمت هذا الذي ذكرت

---

[1] المؤمنون ١٧ [2] البحار ٢٥/ ٤ [3] البحار ٩٧/ ٣٠٥

وأتقنته ظهر لك سر عجيب و أمر غريب فعلى ما ذكرت فاحمل قوله عليه السلام ((فوالذي فلق الحبة)) وليس المراد منه ومن أمثاله إلا الله سبحانه وحده على جهة الاستقلال لا يشاركه فيه أحد ولا يتخذ لنفسه وزيرا ولا عضدا ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[1] ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴾[2] فلا استقلال لشيء إلا لله سبحانه ولا فعل إلا فعله ولا حكم إلا حكمه ولا أمر إلا أمره فمن رام غير هذا المعنى مما ذكرنا ومما يسمع منا فقد كفر كفر الجاهلية الأولى ونحن إلى الله منه براء .

---

[1] الرعد ١٦

[2] الواقعة ٦٨ - ٧٣

قوله عليه السلام وتفرد بالجبروت والعظمة

هذا الكلام متفرع ومترتب على الكلام السابق و إن لم نقل أن الواو للترتيب وإن كان الظاهر من ظواهر الأدلة الترتيب ويستفاد ذلك من بعض الروايات كما في التهذيب وغيره لأنه عليه السلام لما ذكر فالق الحبة لكنه على الجملة الفعلية لا الجملة الاسمية للإشارة إلى أن هذا المقام مقام الفعل العامل في الاسم وإن كان ذلك اسم الفاعل فهو العامل ولا يدخل عليه معمول وهو علي أبدا ولا يعلى عليه ، ولذ أتى عليه السلام بصيغة الماضي الذي هو المبني الذي لا يؤثر فيه العامل بخلاف الفعل المضارع فإن للعامل فيه تأثيرا ، وقد أشار لأهل الإشارة إلى تحقق المقامين وإن مقام الفعل أعلى من مقام اسم الفاعل وإن كان اسم الفاعل فيه ذكر المبدأ وحده لا سواه لكن ذلك حكاية الفعل للاسم عدم استقلالية نفسه فالمقسم به في هذا المقام أعلى من المقسم به في مقام اسم الفاعل وإن كان كلاهما اسمين لله سبحانه و ورد التعبير بهما كما في قوله تعالى ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ

ٱلْمَيِّتِ ﴾[1] الآية ، وذلك كما تقول إن اسم الله الأعظم من سائر الأسماء فإذا قسمت باسم الله يكون أعظم بالنسبة إلى ما إذا أقسمت بالاسم الخالق فافهم ، وقد عرفت أن الموجودات المكونة بل الممكنة إنما تحصلت ووجدت بانفلاق الحبة والنوى فلا موجود من الموجودات خارجا عن انفلاق الحبة إما بذاتها أو بعكسها فيكون فالق الحبة وبارئ النسمة حينئذ متفردا ومتوحدا بالجبروت والعظمة والقدرة والعزة والهيمنة والسلطنة والبهاء والقدرة والبسيطة والعطية وأمثالها من شئون الجلال والجمال والكمال والقدرة والقوة لأن بكلمته انزجر العمق الكبر وركدت البحار وخضعت الجبال ووجلت القلوب من مخافته واستسلمت الخلائق كلها ، فظهر لك أن الذي فلق الحبة وبرأ النسمة هو المتفرد بالجبروت والعظمة .

أما الجبروت فهوالظهور الإلهي على جهة الهيمنة والاستيلاء والاقتدار الذي يقهر كل ما عداه ويبطل كل ما سواه وإليه الإشارة على ما في دعاء علي ابن الحسين عليه السلام ((وإن كل معبود مما دون عرشك إلى قرار أرضك السابعة السفلى باطل مضمحل ما عدا وجهك الكريم))[2] الدعاء ، وإنما عبر عن السوى بالمعبود لأن كل شيء يتوجه إليه القصد من دون الله سبحانه فهومعبود للمتوجه الناظر مع الله وهو قول الله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ

---

[1] الأنعام ٩٥ [2] مصباح المتهجد ٢٢٠

إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[1] وقال الصادق عليه السلام ((من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله عز وجل فقد عبد الله ، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس))[2] وعلى هذا يكون الجبروت هو عالم العقول من جهة ظهوره تعالى فيه تحت الحجاب الأبيض الأعلى فهو أعلى مقامات الوجود المقيد ومبدؤه وأصله وذكر الشياء وظهور جهتيها إنما كان في هذا العالم مبدؤه لكن على جهة الاضمحلال والفناء والعدم ، فالواقف في ذلك المقام لا يجد للأشياء تحققا أصلا وإن كان يجد لها ذكرا لكنه على جهة البطلان ولا يجدها منشأ الأثر ، وذلك العالم منشأ العبادة والطاعة والسؤال والطلب من الله سبحانه رضاه ومجلى الاسم الأعظم الله وقبله لم تتحقق العبادة لعدم العابد وبعده أيضا كذلك لخفاء ظهور المعبود في نظر الواقف في ذلك المقام لشدة انجماد الواقف وفرط ظهور المعبود ، وأما في عالم الجبروت يجد المعبود سبحانه أظهر من كل شيء بل ربما لا يجد معه شيء يكون منشأ للأثر فيخلص له التوجه والعبادة والخضوع والذله والفقر والمسكنة وإلى هذا المقام أشار مولانا وسيدنا سيد الشهداء عليه السلام في الدعاء ((أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا))[3] وتوحيد

---

[1] الجاثية ٢٣ ٢ عيون أخبار الرضا ١ / ٣٠٤ ٣ دعاء عرفة لمولانا الحسين عليه السلام

أهل هذا العالم هو التوحيد الشهودي قد ظهر الحـق لهـم في قلوبـهم وأخـذ بمجامعها فلا يجدون غيره إلا باطلا فانيا وهناك تظهر لهم سر (ما رأيت شـيئا إلا ورأيت الله قبله ومعه) ، و إنما سمي هذا العالم بالجبروت لأنه عالم المعـاني وعـالم الإجمـال والوحـدة والبسـاطة ، والكـثرات فيـها مطويـة مضمحلـة كاضمحلال الصـور والحـدود الـتي للكتابـة في المـداد واضمحـلال الصـور الشخصية في الطبائع الكلية ، فلأهل ذلك العالم الذي هو المعـاني البسـيطة جبروت وهيمنة وتسلط على مـا عداهـم مـن الصـور الشـخصية والحـدود الرسمية والعقل من ذلك العـالم ولـذا كـان مدركـا للمعـاني الكليـة بذاتـها وبذلك كان معصوما إذ ليس شيء عنده مستقل له تـذوت غـير الله سـبحانه حتى يتوجه إليه ويلتذ به إذ التوجه إلى اللا شيء أو إلى الذي لا أصل له قبيح فيخلص حينئذ له التوجه إلى الله سبحانه ولذا قال عليه السلام ((العقل ما عبد به الرحمان و اكتسب به الجنان))[1] فمن وقف في مقام العقل فهو لم يزل ينظر في الأشياء بنظـر البطـلان والاضمحـلال ، ولذلـك كـان مصـدرا للعبـادة بـدء عودا ، أما في القوس الصعودي بعـد الـنزولي فـلا يكلـف بالعبـادة إلا بعـد البلوغ أي ظهور العقل واستقامة المـزاج حتـى يثبـت الظـهور فـلا تكليـف ظاهرا على المجنون ولا على الصبي ولا على السكران ولا على مغمـى عليـه ولا على النائم كل ذلك لعدم ظهور العقل الذي هو جهة البساطة والوحـدة

---

[1] الكافي ١ / ١١

وبه يتمكن عن معرفة جبروت الله وعظمته وكبريائه فإن الله سبحانه واحد لا يتوجه إليه إلا من جهة الوحدة وإن كانت فيها كثرة الأسماء والصفات وجهات التعلقات لكنها مقهورة ومضمحلة عند سلطان الذات المسمى بتلك الأسماء وذلك منتهى غاية العابدين ، وأما العود إلى الصعود إلى نقطة العقل والتجاوز عنه إلى مقام الحقيقة والفؤاد والانقطاع عن جهة الإنية والاستعداد فهناك يظهر البسيط ويدخل المدينة على حين غفلة من أهلها ويتحد الرائي والمرئي والرؤية والشاهد والمشهود والشهود والعارف والمعروف والمعرفة والمحب والمحبوب والمحبة فتنقطع العبادة لفقدان الشعور والإنية والإدراك الذي هومناطها وإذ ليس فليس لأن الشيء مركب من جهتين جهة من نفسه وجهة من ربه وبهما يترتب عليه الأحكام ويتميز في المقام ، وأما من جهة كل واحد من الجهتين فلا تميز ولا حكم ، وأما الجهة التي هي من نفسه فهي ليست شيئا إذا نظر إليها مجردة عن الجهة التي من ربه وتشيؤها وتحققها وتذوتها إنما هوبالجهة التي من ربه وإن كانت تخالفها وتضادها في كلما لها لأنها ساجدة للشمس من دون الله ، وأما الجهة التي هي من ربه فليست فيها إلا صفة ظهور الرب سبحانه بأفعاله لا بذاته وتلك الصفة صفة رسم جعلها سبحانه في هويات الأشياء حتى يعرفوه بها وتلك الصفة مثال معرفته وهيكل توحيده فلا يفرض فيها جهة وجهة وحيث وحيث واعتبار وفرض وامتياز ومغايرة لأنها وأمثالها كلها من صفات المخلوقين وهو سبحانه منزه عن

كلها ، والصفة يجب أن تكون دالة على الموصوف وإلا لم تكن صفة فيجب تنزهها عن كل الصفات الاعتبارية الامتيازية من الذهنية والخارجية والنفس الأمرية ، والشيء ليس فيه إلا جهتان فإذا نظر إلى الجهة السفلى كان محتجبا عن الله سبحانه فإذا نظر في مخلوقيته وأثريته وتوجهه إلى القديم الخالق المؤثر فهناك مقام العقل الذي ذكرنا ومحل العبادة وموقعها ، وإذا تمحض في النظر إلى الجهة العليا التي فيها صفة التوحيد الإلهي الظاهر في العالم الخلقي لا القديم الأزلي فارتفع عنه التمييز والإشارة والعبادة والتوجه والخضوع والخشوع لأن كل ذلك على فرض تحقق الوجهيين وإذ ليس فليس فأين موضع العبادة ولا شعور ولا إحساس لأنه قد أطفأ السراج وقد طلع الصبح وهوقوله عليه السلام في تأويل ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[1] فإذا أتى اليقين الذي يقتضي رفع كل ما سوى الحق سبحانه ارتفعت العبادة لارتفاع شرطها الذي هو العقل والإدراك والشعور والتمييز وهوقول مولانا علي عليه السلام ((من عرف الحق لم يعبد الحق)) أي حين المعرفة التي أنست العارف نفسه وغيره ، و اعلم أن بعض أهل الضلال من الصوفية خذلهم الله وأصلاهم نار جهنم حيث أعرضوا عن طاعة الله سبحانه وعبادته وعن حمل أعباء الأوامر والنواهي التكليفية وأرادوا أن يخرجوا عن ربقة الطاعة والعبادة والعبودية موّهوا على الناس وقالوا إن الشريعة التي فيها التكليف والأمر

---

[1] الحجر ٩٩

والنهي والوعد والزجر هـي سـلم وآلـة للوصـول إلى الحقيقـة فـإذا وصـل الإنسان بالشريعة إلى الحقيقة بقطع الطريقة فلا يحتاج بعـد ذلـك إلى العبـادة فتسقط عنه العبادات كلها والتكاليف بأسرها لأن المقصود من بالعبـادة هـو الوصول إلى بـاب الملـك بحيـث وصـل الإنسـان إلى مقـام الجمـع والوصـل انقطعت عنه التكاليف وكلما في الشرائع بأسـرها وهوقولـه تعـالى ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[1] فتركوا بذلك التمويه الصلاة والصيـام وسـائر العبادات ولم يدروا لعنهم الله أن العبادة لم تسقط مـع الشعور والإدراك ولا يمكن الوصول إلى جهة الظهور الإلهي في رتبة الخلق إلا بمحو الإشارات وسد أبـواب المـدارك والمشـاعر والحـواس كلـها كمـا قـال أمير المؤمنـين عليه السلام ((محوالموهـوم وصحوالمعلـوم)) و ((كشـف سـبحات الجـلال مـن غـير إشارة)) وإذا حصلت هذه الحالة لا يبقـى للعـارف سـكون ولا قـرار فيخـر مغشيا عليه لأنه ساجد حينئذ تحت عرش ربه قد توضأ من صاد لصلاة الظهر و أتم صلاته وسجد وذلك بتعليم النبي حين قيل صلى الله عليه وآله وسلم له يـا محمـد صلى الله عليه وآله وسلم ادن من صاد وتوضأ لصلاة الظهر فـيرتفع حينئـذ الحـس والإحسـاس والشـعور والإدراك والحركة كما كان يتفق لمولانا وسيدنا أمـير المؤمنـين عليه السلام كمـا روى عنه عليه السلام وكما وقع عن الصادق عليه السلام حيث كان في الصـلاة وكـرر (إيـاك

---

[1] الحجر ٩٩

نعبد) حتى وقع مخشيا عليه فلما أفاق قال عليه السلام ((ما زلت أردد هذه الآية حتى سمعت من قائلها))[1] فحين الإغماء ارتفع التكليف إجماعا من المسلمين و أما بعدما أفاق فقد بعد فوجبت عليه العبادة ما دام حيا ، ولأنها ذكر المحبوب عند المهاجرة والوصول هو الاجتماع في مقام الظهور لا الذات البحت تعالى شأنها لأنها لا تجتمع مع شيء ولا تقترن بأحد وهو قول مولانا الصادق عليه السلام ((وإذا انجلى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة فاستأنس في ظلال المحبوب وآثر المحبوب على ما سواه وباشر أوامره واجتنب نواهيه))[2] وهذا تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[3] وقول مولانا علي عليه السلام ((من عرف الحق لم يعبد الحق)) لا ما يقول أولئك الضلال الذين بنوا أمرهم على مخالفة أئمة الهدى واستثقلوا عن العبادة ﴿ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾[4] .

وبالجملة فالجبروت هو مقام العقل وعالم المعاني أول الموجودات المقيدة وكل العوالم والمراتب والمقامات عنده مضمحل فإنه باطل وهو محل

---

[1] مفتاح الفلاح ٣٧٢ [2] مصباح الشريعة ١١٩ [3] الحجر ٩٩

[4] التوبة ٣٨

الرجاء وسلب الخوف إذ لا يجد لنفسه تحققا حتى يخاف عليها ولذا قال مولانا الصادق عليه السلام ((وإذا أشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل وإذا تمكن من رؤية الفضل رجا وإذا وجد حلاوة الرجاء طلب وإذا وفق للطلب وجد))[1] .

والوجه الاخر لتسمية هذا العالم الجبروت أنه يجبر الكسر فإن المراتب التحتية والمقامات السفلية كلها متقومة به وموجلة منه وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام ((والعقل وسط الكل))[2] وذلك لأن العقل أول ما خلقه الله سبحانه وتعالى فلما خلقه واستنطقه وأودع عنده غيوب جميع الأشياء ومعاني الخلائق ثم قال له أقبل فأقبل فوجد بإقباله كل المراتب الإمكانية والذوات الخلقية بنسبة مقامها ، ثم قال له أدبر فأدبر فظهر بظهوره كلما كان مخفيا في القوس النزولي من المراتب والمقامات والأحوال والدرجات فاستكملت الأشياء كلها بالعقل فهو متمم لنقصانها وجابر لكسرها .

وأما العظمة فهي الظهور الإلهي في رتبة الإبداع الثاني كما كان الجبروت هوالظهور في عالم الاختراع الثاني ، وذلك الظهور الابتداعي إنما هو في عالم الملكوت أي عالم النفوس تحت عالم العقول فإنه عالم التشخص والتصور والتعين والاختلاف ، وذلك يورث العظمة الموجبة للخوف والخشية لأنه مقام العلم كما قال عز وجل ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[3]

---

[1] المستدرك ١٢ /١٦٨ ٢ البحار ٦١ /٥٨ ٣ فاطر ٢٨

وقال سيد الساجدين عليه السلام ((لا علم إلا خشيتك ولا حلم إلا الإيمان بك ، ليس لمن لم يخشك علم ، ولا لمن لم يؤمن بك حكم))[1] وهو مقام التصور والتمايز وظهور النور الغائب للمجموع الملحي بكل الكثرات ولذا وصف العلي بالعظيم في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[2] لأن مقام علي عليه السلام هو مقام النفس الكلية ولذا كان كتابا جامعا لكل رطب ويابس كما قال تعالى ﴿ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[3] ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾[4] ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ﴾[5] ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[6] وهو عليه السلام النبأ الموصوف بالعظمة كما في قوله تعالى ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴾[7] وقوله تعالى ﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴾[8] وهو اسم الرب العظيم في قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[9] ولما كان الركوع في الصلاة ينبؤ عن مقامه عليه السلام كان الذكر

---

[1] مصباح المتهجد ٤٧٢ — [2] البقرة ٢٥٥ — [3] الأنعام ٥٩ — [4] يس ١٢

[5] النبأ ٢٩ — [6] الجاثية ٢٩ — [7] النبأ ١ – ٣ — [8] ص ٦٧ – ٦٨

[9] الواقعة ٧٤

العظيم ولذا اشتق له العظيم من العين المأخوذه من عين علي عليه السلام والظاء التي هي آخر مراتب الكثرات وآخر مرتبة المآت في الرقوم الحرفية للإشارة إلى أن المسمى في مقام الكثرة لا مقام الوحدة ثم الياء والميم المستنطقتان بالنون المشتق من النون في كن التي هي الابتداع الأول كما أن الكاف هي الاختراع الأول .

وبالجملة فالله سبحانه هو المتفرد بالجبروت والعظمة لا سواه إذ كل شيء سواه خاضع له وخاشع له ينسب إليه ، وقد قلنا لك أن الجبروت والعظمة ليستا عين ذاته سبحانه وإنما هما رتبة خلق من مخلوقاته في مقام المعاني لا مقام البيان ، وقد دلت الأخبار وشهد به العقل المستنير أن أهل البيت عليهم السلام هم معاني الله سبحانه كما قال مولانا الباقر عليه السلام لجابر بن عبدالله ((يا جابر عليك بالبيان والمعاني قال وما البيان والمعاني قال قال علي عليه السلام أما البيان فهو أن تعرف أن الله سبحانه ليس كمثله شيء ولا تشرك به شيئا وأما المعاني فنحن معانيه ونحن جنبه ويده ولسانه وأمره وحكمه وعلمه وحقه إذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريد فنحن المثاني الذي أعطانا الله نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ونحن وجه الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهركم فمن عرفنا فإمامه اليقين ومن جهلنا فإمامه سجين ولوشئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء وإن إلينا إياب هذا الخلق ثم إن علينا حسابهم)) فإذا كانوا عليهم السلام هم معاني صفات الله سبحانه فهم نوره وعظمته وجبروته وبهاؤه وجماله

وجلاله ورحمته ونعمته وقدرته ومشيئته وسائر المعاني ولا شك أن كل شيء خاضع لعظمته تعالى وخاشع لقدرته وجبروته وكبريائه كما في الزيارة ((طأطأ كل شريف لشرفكم وبخع كل متكبر لطاعتكم وخضع كل جبار لفضلكم وذل كل شيء لكم))[1] وفي الدعاء ((وبعظمتك التي ملأت كل شيء))[2] وفي دعاء رجب ((فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت))[3] فهم العظمة التي ملأ الله بها السموات والأرض وكل الأشياء ذليلة لديهم لأنها تتوجه إلى الله تعالى بهم كما في الزيارة ((يسبح الله بأسمائه جميع خلقه))[4] وقالوا عليهم السلام كما تقدم ((نحن الأسماء الحسنى التي أمركم الله أن تدعوه بها)) وقال تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[5] والتسبيح لا يكون إلا بالأسماء وهي كلها مقهورة تحت هيمنة اسم الله وفي زيارة علي عليه السلام ((السلام على اسم الله الرضي ووجهه المضي))[6] فصحّ خضوع الأشياء لهم بجميع أحوالها وشئونها و أطوارها ومقتضياتها وسائر أحكامها والله سبحانه هو المتفرد بهذه العظمة والجبروت لأنهم لله سبحانه لا لسواه كما قال تعالى ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾[7] وقال علي عليه السلام إشارة إلى كونه عظمة الله وتفرد الله سبحانه بمالكيته ((أنا الذات أنا ذات الذوات أنا الذات في

---

[1] الزيارة الجامعة الكبيرة
[2] دعاء كميل
[3] دعاء رجب لمولانا الحجة عجل الله فرجه
[4] البحار ١٠٠/١٨٩ ح ١٢
[5] الإسراء ٤٤
[6] البحار ٩٧/ ٣٠٥
[7] طه ٤١

الـذوات للـذوات)) فـإذا راجعـت الضمـير إلى الـذي فلـق الحبـة جـاءت الاحتمالات التي ذكرناها في أطوار باطن باطن الباطن فراجع وتفهم .

قوله عليه السلام لقد سخر لي الرياح والهوام والطير

أتى عليه السلام باللام للتأكيد والتثبيت لأنها سر من أسرار علي عليه السلام واسم من أسمائه وقد قلنا سابقا أن اسمه عليه السلام هواللام ولذا كان سير القمر ثلاثين يوما لكونه مثاله و آيته ودليله وشبحه قد ظهر وجهه فيه وهوالمحو الذي في القمر ، وبـ (قد) للتحقيق لأن القاف من ظاهر علي عليه السلام والدال من باطن محمد صلى الله عليه وآله وبهما تحققت الأكوان وظهرت الأعيان وثبت الزمان والمكان فما يشير إليهما بتلك الجهة يكون دالا على ذلك إما كون القاف من ظاهر علي عليه السلام لما ورد في تفسير ﴿ حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ﴾[1] أن حم هو محمد صلى الله عليه وآله وعلم علي عليه السلام كله في عسق ، فالعين إشارة إلى عقله عليه السلام والسين إلى صدره والقاف إلى جسده عليه السلام والعلوم كلها لا تخلو عن المراتب الثلاثة ، وإنما خصص القاف بالجسد لما ورد أن القاف جبل من زبرجلة خضراء عليه أكناف السماء وهو محيط بالدنيا كلها وخضرة السماء

---

[1] الشورى ١ - ٢

إنما هي من تلك الزبرجدة ، وذلك صفة الجسم لأن جسمه الشريف وإن كان من عالم الشهادة بالنسبة إلى مقامه ومرتبته وذلك عالم الكثرة المقتضية للبرودة واليبوسة المقتضيتين للسواد ولكنه ممتزج ومقترن بصفرة الروح وذلك مقتضى الخضرة مع أن الجبل يشار به إلى الجسد وظاهر الشيء لانجماد المقامات الروحانية فيه كالجبل ، ومن هذه الجهة كانت القاف يشار بها إلى التحقق والثبات وهو قول الخضر عليه السلام في مرثية مولانا أمير المؤمنين ((كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف))[1] ، وأما الدال فإنها من باطن محمد صلى الله عليه وآله لأنها هي الأصل في اسمه الشريف وما عداها كلها ظهوراتها وتفاصيل شئونها وأطوارها وأحوالها لأنها يشار بها إلى اجتماع الطبائع الأربع و اعتدالها المقتضي للدوام والثبات والبقاء وللاستمرار فعند اجتماع القاف مع الدال تحصل الدلالة إلى غاية التحقيق والتثبيت ولذا كان (قد) حرف التحقيق والتأكيد فافهم .

وأما الرياح فهي أقوات جنود الله سبحانه كما روى عنهم عليهم السلام في الفقيه عن علي بن رئاب عن أبي بصير قال ((سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرياح الأربع الشمال والجنوب والصبا والدبور وقلت له إن الناس يقولون إن الشمال من الجنة والجنوب من النار ، فقال عليه السلام : إن لله عز وجل جنودا

[1] الفقيه ٢ / ٥٩٢

من الريح يعذب بها من عصاه موكل بكل ريح منهن ملك مطاع فإذا أراد الله عز وجل أن يعذب قوما بعذاب أوحى الله إلى الملك الموكل بذلك النوع من الريح الذي يريد أن يعذبهم به فيأمر بها الملك فتهيج كما يهيج الأسد المغضب ولكل ريح منهن اسم أما تسمع لقول الله عز وجل ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾[1] وقال عز وجل ﴿ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾[3] وما ذكر في الكتاب من الرياح التي يعذب بها من عصاه ، ولله عز وجل رياح رحمة لواقح ورياح تهيج السحاب فتسوق السحاب ورياح تحبس السحاب بين السماء والأرض ورياح تعصره فتمطره بإذن الله ورياح تفرق السحاب ورياح مما عد الله عز وجل في الكتاب ، فأما الرياح الأربع فإنها أسماء الملائكة الشمال والجنوب والصبا والدبور وعلى كل ريح منهن ملك موكل بها فإذا أراد الله تبارك وتعالى أن يهب شمالا أمر الملك الذي اسمه الشمال فهبط على البيت الحرام فقام على الركن اليماني فضرب بجناحيه فتفرقت ريح الشمال حيث يريد الله عز وجل في البر والبحر ، وإذا أراد الله تبارك وتعالى أن يبعث الصبا أمر الملك الذي اسمه الصبا فهبط على البيت الحرام فقام على الركن اليماني فضرب بجناحيه فتفرقت ريح الصبا حيث يريد الله تعالى في البر والبحر ، وإذا أراد الله تبارك

---

[1] القمر ١٩ [2] الذاريات ٤١ [3] البقرة ٢٦٦

وتعالى أن يبعث جنوبا أمر الملك الذي اسمه الجنوب فهبط على البيت الحرام فقام على الركن اليماني فضرب بجناحيه فتفرقت ريح الجنوب حيث يريد الله في البر والبحر ، وإذا أراد الله عز وجل أن يبعث دبورا أمر الملك الذي اسمه الدبور فهبط على البيت الحرام فقام على الركن اليماني فضرب بجناحيه فتفرقت ريح الدبور حيث يريد الله تعالى في البر والبحر))[1] .

وفيه عن الصادق عليه السلام ((نعم الريح الجنوب تكسر البرد عن المساكين وتلقح الشجر وتسيل الأودية))[2] .

وفيه أيضا عن علي عليه السلام ((الرياح خمسة منها العقيم فنعوذ بالله من شرها))[3] .

((وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا هبت ريح صفراء أو حمراء أو سوداء تغير وجهه واصفر لونه وكان كالخائف الوجل حتى تنزل من السماء قطرة من مطر فيرجع إليه لونه ويقول جاءتكم بالرحمة))[4] .

وروى عن الباقر عليه السلام ((وأما الريح العقيم ريح عذاب لا تلقح شيئا من الأرحام ولا شيئا من النبات وهي ريح تخرج من تحت الأرضين السبع وما خرجت منها ريح قط إلا على قوم عاد حين غضب الله عليهم))[5] .

---

[1] الفقيه ١ / ٥٤٥ – ٥٤٦ ٢، ٣، ٤ المصدر السابق ٥٤٧ – ٥٤٨

٥ الكافي ٨ / ٩٢

وروي أنه تعالى لما أراد الله هلاك قوم نوح عليه السلام أرسل الريح العقيم فهبت عليهم فعقمت الأصلاب والأرحام فبقوا أربعين سنة لا يولد لهم مولود حتى أغرقهم الله لأن الأطفال لا ذنب لهم .

في الفقيه عن كامل قال ((كنت مع أبي جعفر عليه السلام بالعريض فهبت ريح شديدة فجعل أبوجعفر عليه السلام يكبر ثم قال عليه السلام إن التكبير يرد الريح))[1] .

قال عليه السلام ((ما بعث الله عز وجل ريحا إلا رحمة أو عذابا فإذا رأيتموها فقولوا اللهم إنا نسألك خيرها وخير ما أرسلت له ونعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت له وكبروا وارفعوا أصواتكم بالتكبير فإنه يكسرها))[2] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تسبوا الرياح فإنها مأمورة ولا الجبال ولا الساعات ولا الأيام ولا الليالي فتأثموا ويرجع إليكم))[3] .

في الاحتجاج في سؤال الزنديق عنه عليه السلام قال ((أخبرني ما جوهر الريح ، قال عليه السلام : الريح هواء إذا تحرك يسمى ريحا فإذا سكن يسمى هواء وبه قوام الدنيا ، ولو كفت الريح ثلاثة أيام لفسد كل شيء على وجه الأرض ونتن وذلك أن الريح بمنزلة المروحة تذب وتدفع الفساد عن كل شيء

---

[1]، ٢، ٣ الفقيه ١ / ٥٤٤

وتطييه فهي بمنزلة الروح إذا خرج عن البدن نـتن البـدن وتغـير تبـار ك الله أحسن الخالقين))[1] .

وفيه أيضا عن علي بن يقطين أنـه قـال ((أمـر أبوجعفـر الدوانقـي بيقطين أن يحفر له بئرا بقصر العبادي فلم يزل يقطين في حفرهـا حتـى مـات أبو جعفر ولم يستنبط منها الماء فأخبر المهدي بذلك فقال له احفر أبـدا حتـى يستنبط الماء ولو أنفقت عليها جميع ما في بيت المال ، قال فوجه يقطين أخاه أبا موسى في حفرها فلم يزل في يحفر حتى ثقبوا ثقبا في أسفل الأرض فخرجـت منه الريح قال فهالهم بذلك فأخبروا به أبا موسى فقـال أنزلونـي قـال فـأنزل وكان رأس البئر أربعين ذراعا في أربعين ذراعا فأجلس في شق محمـل ودلي في البئر فلما صار في قعرهـا نظـر إلى هـول وسمـع دوي الريـح في أسـفل ذلـك فأمرهم أن يوسعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم ثم دلي فيه رجلا في شق محمل فقال إيتوني بخبر هذا ما هوقال فنزلا في شق محمل فمكثا مليا ثم حركـا الحبل فأصعدا فقال لهما ما رأيتما قالا أمرا عظيما رجالا ونساء وبيوتـا وآنيـة ومتاعا كله ممسوخ من حجارة فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابـهم فمـن بـين قاعد ومضطجع ومتكئ فلما مسسناهم إذا ثيابهم تتفشى شبه الهبـاء ومنـازل قائمة قال فكتب بذلك أبو موسى إلى المـهدي فكتـب المـهدي إلى المدينـة إلى موسى ابن جعفر عليه السلام يسأله أن يقدم عليه فقدم عليه فأخـبره فبكـى بكـاء

---

[1] الاحتجاج ٢/ ٣٥٠

شديدا وقال عليه السلام يا أمير المؤمنين هؤلاء بقية قوم عاد غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم هؤلاء أصحاب الأحقاف قال فقال له المهدي يا أبا الحسن وما الأحقاف قال الرمل))[1] .

وفي حديث المفضل ((ومنه هذه الريح الهابة فالريح تروح عن الأجسام وتزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعم نفعه حتى يستكشف فيمطر وتفضه حتى يستخف فيتفشى وتلقح الشجر وتسير السفن وترخى الأطعمة وتبرد الماء وتشب النار وتجفف الأشياء الندية وبالجملة أنها تحيي كل ما في الأرض فلولا الريح لذوي النبات ومات الحيوان وحمت الأشياء وفسدت هيئة الأرض))[2]

في الكافي عن محمد بن عطبة قال جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام من أهل الشام من علمائهم فسأله عن مسائل و أجاب عليه السلام إلى أن قال ((ولكن كان إذ لا شيء غيره وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه فجعل نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسبا يضاف إليه وخلق الريح من الماء ثم سلط الريح على الماء فشققتالريح متن الماء حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور فخلق من ذلك الزبد أرضا بيضاء نقية ليس فيها صدع ولا ثقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة ثم طواها فوضعها فوق الماء ثم خلق الله النار من الماء فشققت النار متن الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء

---

[1] الاحتجاج ٢/٣٨٨ - ٣٨٩

[2] توحيد المفضل ١٤١/ - ١٤٢

الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولا ثقب وذلك قوله تعالى ﴿ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾))[1] .

وفيه قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن السحاب أين يكون قال ((يكون على شجر على كثيب على شاطئ البحر يأوي إليه فإذا أراد الله عز وجل أن يرسله أرسل ريحا فأثارته ووكل به ملائكة يضربوه بالمخاريق وهو البرق ثم قرأ هذه الآية ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾))[2] الآية .

وفي بعض الأخبار أن الله سبحانه أول ما خلقه الهواء وفي بعضها أنه عليه السلام سئل أين كان الله قبل خلق السموات والأرض قال عليه السلام ((كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء))[3] .

وفي أخبار أخر أن المؤمن حين موته تأتيه من الجنة رياح ريح سخية فتسخيه لبذل الروح وريح مشوقة تشوقه إلى لقاء الله والدار الآخرة وريح منسية تنسيه الدنيا وأحوالها وزخرفها وزبرجها .

---

[1] الكافي ٨ / ٩٤ — [2] الكافي ٨ /٢١٨ — [3] عوالي اللآلي ١ /٥٥

فإذا سمعت هذه الأخبار فاعلم أنه قال الله عز وجل ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ ﴾[2] ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[3] وقال مولانا الرضا عليه السلام ((قد علم أولوا الألباب أن ما هنالك لا يعلم إلا بما ههنا))[4] فإذا كان كذلك فما تجد في العالم السفلي فاعلم يقينا أنه إنما هوتنزل من العالم العلوي فإن العالم السفلي هو ظهورات ووجوه وتفاصيل للعالم العلوي ، فإذا كان كذلك فالريح كان لها مادة وصورة مادتها الهوى وصورتها الحركة إلى الجهة المعينة فقبل الحركة هو هواء راكد وبعدها ريح ، والوجه في الحركة هو ازدياد الحرارة فإنها هي التي تهيج الأشياء وتحركها ولذا كانت الحركة مورثة للحرارة وهي دليل أن أصلها الحرارة وإلا لما كانت أثرها وتلك الحرارة من تأثير أشعة الكواكب وهي دائمة وليست الريح دائمة لأن الحرارة إذا لم يكن لها حامل يحفظها ويحفظ أثرها لم تظهر بآثارها وتأثيراتها وإن كانت موجودة ، مثاله الشمس فإنها إذا أشرقت على الجدار وسائر الأحجار والزجاجة لم تظهر من إشراقها حرارة مؤثرة ظاهرة بالإحراق والاشتعال ، وإذا أشرقت على البلور تظهر

---

[1] الملك ٣ ٢ القمر ٥٠ ٣ لقمان ٢٨

٤ لم نقف على هذه الرواية بهذا اللفظ ولكن وجدنا ما يقرب منها ففي عيون أخبار الرضا ١ / ١٧٥ قل عليه السلام ((قد علم ذووا الألباب أن الاستدلال على هناك لا يكون إلا بما ههنا)) .

حرارتها بالآثار فتحرق وتشتعل وذلك لأن البلور فيه قوة جامعة تجمع نور الشمس وتحفظه فتؤثر الحرارة فيه وفيما يجاوره ، وكذلك الهواء فإنه من غاية لطافته لم يمسك نور الشمس وأشعة سائر الكواكب النارية فلم تتبين فيه حرارة فإذا كثف الهواء باختلاطه مع الأجزاء الهبائية الأرضية والأجزاء البخارية والأجزاء النارية المستجنة في الدخان فإذا كثرت تلك الأجزاء وقويت حفظت الحرارة الواقعة عليها وأمسكت فأثرت تأثيرها وتهيجت الأبخرة المختلطة بالهواء فتهيج الهواء وتحرك إلى جهة لكون تلك الأجزاء تميل إلى جهة لقوة مناسبتها معها ، وتلك الحركة والحرارة تعين الأجزاء البخارية والدخانية والهبائية للحركة والميل إلى المبدأ بجهة خاصة فتشعب الأجزاء البخارية من جهة تلك الحركة فتحدث عن تشعبها شجرة لها غصون وأوراق فما دامت الحرارة قوية تتلطف تلك الأجزاء وتتفرق فكلما تصعد تضعف الحرارة وتقوى البرودة فيتبين الانجماد والخمود إلى أن وصلت إلى الكرة الزمهريرية فهناك البرد الكلي لعدم وصول انعكاس نور الشمس إليها فتنجمد تلك الأجزاء أي الأبخرة ، وأما الأجزاء الدخانية فلا لقوة حرارتها إلا إذا اكتسبت البرودة بغلبة توارد الأبخرة عليها وضعفت الحرارة المستجنة فيها فحينئذ تنجمد لا مطلقا فإذا انجمدت تلك الأجزاء وتحققت وتراكمت وأثقلت أنزل الله سبحانه المطر فوقع على الأرض فتنبت به النبات فصار غذاء للمواليد الثلاثة من الجماد والنبات والحيوان ، فلولا الريح لم يكن

سحابا ولولا السحب لم يكن مطرا ولولا المطر لم يحصل شيء من المركبات الثلاثة وهوقوله تعالى﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ﴾[1] فالرياح كالروح للعالم لأن الهواء هو الروح لكونه مظهر اسم الله الحي وحركته سريانه في جميع الأقطار ولذا قال ((إنما سمي الروح روحا لأنه اشتق اسمه من الريح))[2] وفي بعض الروايات ((فإن روحه متعلقة بالريح والريح معلقة بالهواء))[3] ولذا رضى النبي صلى الله عليه وآله سليمان عليه السلام أن يحفظ الجان ابنه في كرة الهواء لا غيرها من الكرات معللا بأن عزرائيل يمكنه أن يصل إليها فلما ذكروا له الهواء سكت ورضي لأن الهواء طبيعتها الحياة وعزرائيل طبعه الموت فلا يلحقه أولا وبالذات إلا بأمور أخر فافهم .

والإشارة إلى حقيقة الأمر للمؤمن الممتحن أن الهواء هو أمر الله المفعولي والأمر القدري الساري في ذرات الكائنات كلها لأن ما من الفاعل النار والهواء وما من المفعول القابل الأرض والماء وجهة ارتباط الفاعل للقابل هي المادة التي هي الهواء وأما الحرارة فلكونها وجه الفاعل وجهته وأما الرطوبة فلاتصالها بالقابل وامتزاجها به واختلاطها به بحيث صار مع القابل حقيقة واحدة والمادة في غاية البساطة فحين تعلقها بالصورة وميلها إليها تكونت الرياح فإن كانت تلك الصورة هي الصورة الطيبة كانت تلك الريح

---

[1] الأعراف ٥٧ [2] الكافي ١/١٣٣ [3] علل الشرائع ٩٧

من نسيم الجنة تظهر في كل عالم وفي كل شأن وفي كل حال على حسبها ، فمنها ما هي مع التنزل أي الدنيا وهي الرياح اللواقح والرياح التي تثير السحاب وتنضج الثمار وتقوي الأشجار وتجري الأنهار وتهيج البحار لنمو الحيوانات البحرية ونشوئها ، ومنها ما هي حين الصعود الكلي وهي الرياح التي تأتي المؤمن عند موته كما مرت الإشارة إليها ، ومنها ما هي بعد الصعود الكلي كما في الجنة من الرياح الطيبة والنسمات البهية مما يطول الكلام بذكره ، ومنها ريح السكينة والوقار والإيمان والنور وأمثال ذلك ، وإن كانت الصورة هي الصورة الخبيثة تظهر الرياح على مقتضى الحكم الوضعي على حسبها فتكون ريح العذاب وحكمها حينئذ حكم الملائكة التذين يعذب الله بهم أهل النار ، وكما أن الشيء لا يمد بالنور والعطاء إلا منه وله وإليه فلا يعطي الشيء ما هو خارج عن جنسه وكذلك لا يمد بالظلمة والخذلان ومما يقتضيان في كل عالم من الآثار المترتبة عليهما فيه أي في ذلك العالم وإليه الإشارة بقول علي عليه السلام ((إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها))[1] وأول ذكر الشيء حقيقة فلا يتعداها شيء والأحكام التفصيلية الواردة على الشيء كلها إنما نشأ من حقيقته لأن التفصيل من الإجمال والكثرة من الوحدة والفرع من الأصل ، والإجمال والوحدة والأصل هي حقيقة الشيء وهي محل النظر الرحماني ومطرح الفيض الإلهي ومورد الأمر

---

[1] شرح النهج ١٣ / ٧٢

والنهي والحكم ، فإن كان النظر إلى الشيء من الله عز وجل على جهة الرحمة يخلق الله سبحانه من نور تلك الحقيقة ملائكة من النور يحملون الفيض الوارد على تلك الحقيقة إلى سائر مقاماته ومراتب تفصيله ، فالملك إنما يأخذ منه ويوصل إليه ويبدأ منه ويعود إليه ، ولما كان كل شيء من الأشياء قد ملأ الكون والإمكان فكانت الملائكة الحاملون للفيض إليه كذلك قد ملأ الكون والإمكان له في كل مقام وكل عالم ملك يوصل الفيض منه إليه ، فملائكة كلية في المراتب المشتركة وملائكة جزئية في المقامات المختصة ، فملك النور يأخذ من تلك الحقيقة لب الشيء ويوصله إلى قشره بمقتضى ذلك القشر على حسب مقامه من الطمأنينة والراحة والعزة والعلم والمعرفة والنور البهاء والجلال والجمال ، وكل ملك حامل لاسم من الأسماء الإلهية وهم ملائكة الجنة في الدنيا والآخرة كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾[1] ، وإن كان النظر إلى الشيء عن الله عز وجل على جهة الغضب يخلق الله سبحانه ملائكة من مادة نهي الله وصورة إعراض الشيء

---

[1] فصلت ٣٠ - ٣١

على مقتضى الإعراض على هيئات منكرة وصور هائلة مهولة يحملون ما ينزل الله عليه من أحكام الغضب الواردة على حقيقته فمنه يأخذون وإليه يؤدون بدؤهم منه وعدوهم إليه ، فالله سبحانه وتعالى يعذب بهم الذين منه بأنواع العذاب في الدنيا والآخرة في كل مقام وكل عالم بكل طور لأنه قد ملأ الأكوان والمكان بل الإمكان ، وكذلك بعينه حكم الريح فإنها هي حقيقة العالم في العالم الأول الأعلى المتعلقة بأطوار المتعينات والشئونات فإن كانت تلك الأحوال أحوال خبيثة خلاف ما أراد الله وأحبه تكون تلك الرياح رياح مظلمة عاصفة مهلكة على حسب جريانها بمقتضى ميولات تلك الطبائع الخبيثة الملعونة من الرياح التي ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز فعذب بها من استوجب عقوبة الله عز وجل من جهة العتو والاستكبار .

وأما الرياح الأربع التي هي الدبور والصبا والجنوب والشمال فهي أول ظهورات الريح المطلق التي قلنا أنها مادة الوجود من حيث تعلقها بالمتعلقات وتعينها بالمشخصات فأول تعينها هذه الرياح الأربعة ، ولذا كانت أربعة وهي القطب التي يدور عليها ذرات الكائنات ولها ظاهر وباطن ، فمن ظاهرها يعذب الله سبحانه أهل الغضب ومن باطنها يرحم الله سبحانه أهل الفضل لأنها باب سور الفيض والرحمة ، فمنها ما ينقسم إلى أقطار الوجود وذراته وهي في العالم الجسماني نقول أنها بإزاء الكعبة التي بإزاء البيت المعمور التي بإزاء العرش الذي بازاء الملائكة العالين الذين بإزاء الكلمات

الأربع التي بني عليها الإسلام وقام النظام وأول زوج تألف وأول ممكن تركب من زوجين وتلك هي الكلمات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، فالدبور ملك من جنود جبرائيل وهو لائذ بالبيت المعمور وحامل للركن الأسفل الأيسر من العرش وهو النور الأحمر الذي منه احمرت الحمرة وطبيعة الحرارة واليبوسة ولونه الحمرة وفعله الحل والفتك والفرق والتصعيد والتلطيف وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أهلكت عاد بالدبور)) ، ومحل الملك في الركن الشامي وينبوع ظهوره في الركن اليماني وسعة إحاطة دائرته ربع العالم ومبدؤه نقطة الجنوب إلى مغيب الشمس وهو ضد الصبا ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم ((نصرت بالصبا و أهلكت عاد بالدبور))[1] وهذا الملك حامل ركن الخلق وموصل للحرارة واليبوسة اللتان هما أصل الإنشاء والإيجاد إلى الذرات الجسمانية عن الركن الأيسر الأسفل من البيت المعمور التي في السماء الرابعة وحامل ذلك الركن جبرائيل وهذا الملك لائذ بركن البيت الحرام الذي في مكة وأخذ عن جبرائيل هناك وينشر تلك الحرارة في أقطار العالم بجنوده وآلاته وجنوده الموصلة لتلك الحرارة إلى مكانها المقرر لها هي الريح أي ريح الدبور وهي منسوبة إلى ذلك الملك وإنما كان ذلك بواسطة الريح لنفوذها في جميع الذرات بقوة الحرارة واللطافة واللين ولا يناسب غيرها للنظم المحكم والأمر المتقن ، وإنما صار مظهر ذلك الملك ومكانه بجنوده وآلاته بين الجنوب والمغرب

---

[1] البحار ١١ / ٣٦٣

مع أن الظاهر والمعروف أن جهة المغرب مائلة إلى البرودة والرطوبة والمشرق إلى الحرارة واليبوسة وقد دلت بذلك فحوى بعض الأخبار وقد صرح الأطباء بأن ريح الدبور والصبا معتدلتان ، أما بالذات فإن ماهيتهما بين الشمال البارد واليابس وبين الجنوب الحار الرطب فتقتضيان الاعتدال أو باعتبار البلد فيقتضي ما قالوا وملاحظة بعض الأخبار وأن جنة الدنيا في المغرب وهي طبع الرحمة وهي الماء لقوله تعالى ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[2] يقتضي ذلك بأن الريح التي تهب من ناحية المغرب باردة رطبة والتي تهب من ناحية المشرق حارة يابسة فيعكس الحكم في الصبا والدبور والجنوب .

والجواب أما في الظاهر اعلم أن مهب ريح الدبور من نقطة الجنوب إلى المغرب والجنة خلف المغرب خلف جبل قاف من تلك الناحية وبين المقامين فرق واضح لأن الشمس إذا غربت يبرد وجه الأرض في الليل بطوله ولذا تجد نصف الليل أبرد من أوله وآخر الليل أبرد من نصفه مع قربه من الشمس وأول الصبح في كمال البرودة الإضافية فإذا طلعت الشمس

---

[1] الروم ٥٠ [2] الأعراف ٥٧

وأشرقت على وجه الأرض فتلائم البرودة ولا تقوى الحرارة ، فهبوب الرياح من جهة المشرق مع الشمس يكون على مزاج الروح أي جوزهر فلك القمر مع أن هبوب الرياح في الأغلب مع الشمس ولذا قالوا أن الريح صبا تهب في أول النهار فيكون الغالب فيها البرودة لكنها مخلوطة بحرارة باطنية لتعدل برودتها كما ذكرنا في بعض مباحثاتنا في فلك الجوزهر ، والسر في وجوده وتقاطعه مع الشمس لتحقق الحياة مع أن البرودة وحدها طبع الموت والحرارة كذلك للفناء والإعدام فإذا اقترنتا وقويت البرودة والرطوبة فهناك تظهر الحياة وتنضج وتتصور وتتقدر ولذا كان ريح الصبا ريح طيبة وريح الحياة نصر الله سبحانه بها نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأدخل السكينة والطمأنينة بها في قلوب المؤمنين فطبعها يكونه حينئذ باردا والرطوبة فيها ظاهرة والحرارة لها حافظة فافهم ، وأما إذا تعالت الشمس وسخنت وجه الأرض ومكثت وحصل منه التسخين وذلك لا يكون في كمال الشدة إلا بعد زوال الشمس وأول دخولها في الحلقة ووصولها إلى تلك النقطة أي نقطة الجنوب فهناك تشتد الحرارة وتضعف البرودة فإذا هبت الرياح معها تكون في غاية الحرارة واليبوسة ، أما الحرارة فظاهرة وأما اليبوسة فلتجفيف الشمس رطوبات الأبخرة وبقاء الأدخنة المحترقة ولا أقل من الأجزاء الأرضية اليابسة ولذا يتفق البرق والصاعقة بعد الظهر لا قبله إلا نادرا لأسباب آخر ذلك إشارة تجفيف الأدخنة والأبخرة عن الرطوبات وبقاء الأجزاء الأرضية الهبائية يابسة سالمة عن المعارض فتحترق

وتشتعل وتميل إلى المركز وتحرق من أراد الله أن تصيبه فتكون الرياح التي تهب بعد الزوال عن ناحية المغرب في غاية الحرارة واليبوسة فتكون ريح الدبور كما وصفنا لك حارة يابسة وأما نفس المغرب فلا شك أنه بارد وهو محل الجنة من جهة الكمال كما أشار إليه عز وجل بقوله ﴿ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾[1] أي الماء والطين والريح حكمها واعتبارها ليس من جهة ذاتها وإنما هو من جهة قراناتها وأوضاعها وإضافاتها مع غيرها مثل الشمس وكثرة البخار والدخان وقلتهما وكثرة أحدهما أو قلته وأمثال ذلك وإلا فهي في حد ذاتها حارة رطبة ولا يبعد القول بيبوستها بالإضافة فإن الهواء هو في نفسه حار رطب والريح هي الهواء المتحرك والحركة تحدث حرارة زائلة عما كان عليه وهي تجفف الرطوبات البخارية فيكون طبع الريح بالذات الحرارة واليبوسة الإضافية ، واختلاف طبائعها وأحوالها وألوانها وشدتها وضعفها إنما هي باعتبار قرانها مع الشمس والنار حقيقة كثرة الأبخرة والأدخنة وقلتهما أو أحدهما وسائر الأحوال ، فإذا اعتبرت هذه فلا مناص القول بحرارة الدبور ويبوسة وبرودة الصبا ورطوبتها وذلك معلوم إنشاء الله .

و أما قولهم أن الدبور والصبا معتدلتان لكونهما بين الشمال والجنوب فغلط لأن الاعتدال إنما يحصل بإتمام الطبائع واجتماعهما في المجموع

---

[1] الكهف ٨٦

والعالم رجل واحد تمامه بهذه الأرباع الأربعة فيجب أن يكون كل ربع على طبيعة حتى يحصل الاعتدال التام بقران الطبائع لا أنه يجعل بعضها في كمال القوة وبعضها متناسبة فإن ذلك ليس بفعل حكيم ولا جرى صنعة الإيجاد على ذلك ، فلو قال قائل أن الاعتدال التام في العالم إن يكون كل طبيعة على صرافة مزاجها وتأثيرها اقتضائها من غير أن تنكر بطبيعة أخرى ويحصل للمجموع طبيعة خامسة يظهر منها آثار كل منها وذكر أدلة ما ذكرنا يطول به الكلام فلا يصح الحكم بالاعتدال لا بالنسبة إلى البلد ولا بالنسبة إلى الريح نفسه لأن الشمال إذا كان باردا يابسا والجنوب حارا رطبا وهما طبيعتان متضادتان فوجب أن يكون بينهما برزخا له جهتان به يحصل التلاؤم والاجتماع فوجب أن يكون بين الجنوب الشمال الدبور أي طبيعة النار لتكون بحرارتها تناسب الجنوب وبيبوستها تناسب الشمال وبين الشمال والجنوب يجب أن يكون الصبا لتكون ببرودتها تناسب الشمال وبرطوبتها تناسب الجنوب ويحصل التأليف من الاجتماع ، وأما ما ذكروا فهو خارج عن قانون الحكمة .

والشمال ملك من جنود عزرائيل مقره الركن الشامي وينبوعه الركن اليماني وركنه بإزاء الركن اليسر الأعلى من البيت المعمور وهو بإزاء الركن الأيسر الأعلى من العرش الذي حامله الروح على ملائكة الحجب من الملائكة الأربعة العالين الذين ما سجدوا لآدم عليه السلام النور الأخضر الذي

منه اخضرت الخضرة وهو بإزاء كلمة لا إله إلا الله وطبعه البارد اليابس ، وإنما خالف لونه طبعه لاختلاطه وامتزاجه بالنور الأصفر ولذا كان الشمال من اليمين ، فللشمال مقامان مقام في قوله عليه السلام ((قبض قبضة بيمينه وقبض قبضة بشماله وكلتا يديه يمين)) وهذا الشمال لونه الخضرة وطبيعته البرودة واليبوسة ظاهرا في الصورة ، وفي السر والباطن فيه الحرارة واليبوسة أو الرطوبة ومن هذا القبيل الملك الذي اسمه الشمال الموكل بالرياح الشمالية ومقام في قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴾[1] وهذا الشمال هو بارد يابس طبيعته الموت ولونه السواد ورائحته منتنة وريحه قتالة وهي الصرصر وفعله الفيض والجمودة والتضرير والتثقيل وتهيج المرة السوداء وسعة إحاطة دائرته ربع العالم ومبدؤه الجدي إلى مغيب الشمس وهذا الملك هوحامل ركن الموت عن عزرائيل إلى أقطار الوجود بجنوده وأعوانه وآلته في هذا الحمل الهواء وركن الموت البرودة واليبوسة ولا يستقيم شيء من الأشياء إلا بها فهي من حيث هي ميت وموت وإذا أشرق عليها نور الحرارة والرطوبة وصلحت قابليته ببرازخ تحفظ وجودها حيت بإذن الله تعالى وإليه الإشارة بقوله عز وجل

[1] الحاقة ٢٥

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾[1] والأرض طبيعة الموت لأنها باردة يابسة ، قالوا أما الوجه في يبوسة هذه الريح فلأنها تجتاز إما على مياهه جاملة لا تنفصل عنها أبخرة يخالطها أو على البراري فلا يصبحها أبخرة مائية كثيرة لقلة الحرارة تلطف الأجزاء المائية وتجعلها بخارا وكثرة البرودة المانعة من ذلك ولأنها لا تجتاز على مياه سائلة ، وأما برودتها فلأنها تجتاز على جبال وبلاد باردة .

والجنوب ملك من جنود إسرافيل مقره الركن العراقي وينبوعه الركن اليماني وهوبإزاء الركن الأيمن الأسفل من البيت المعمور وهو بإزاء الركن الأيمن الأسفل من العرش الذي حامله الروح من أمر الله من الملائكة الأربعة العالين وهو النور الأصفر الذي منه اصفرت الصفرة وهو بإزاء كلمة الحمد لله من الكلمات الأربع التي عليها مدار الإسلام والإيمان في الذوات والصفات وكل الجهات ، وطبيعته الحرارة والرطوبة ولونه الصفرة وفعله الحل والتعفين وإمساك الحياة ،وسيأتي إنشاء الله تفصيل أحوال هذه الرياح الأربع .

وبالجملة هي العمدة في نظام العالم وبها يتسق الوجود وتظهر الأحكام المختلفة من ينبوع واحد روى القمي بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال

---

[1] فصلت ٣٩

((إن الله تبارك وتعالى أراد أن يخلق خلقا بيده ثم ذكر ما قال الله للملائكة في أمر خلق آدم عليه السلام إلى أن قال عليه السلام فاغترف ربنا عز وجل غرفة بيمينه من الماء العذب الفرات وكلتا يديه يمين فصلصلها في كفه حتى جمدت فقال لها منك أخلق النبيين والمرسلين وعبادي الصالحين والأئمة المهتدين والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم القيامة و أبالي ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون ، ثم اغترف غرفة أخرى من الماء المالح الأجاج فصلصلها في كفه فجمدت ثم قال لها منك أخلق الجبارين الفراعنة والعتاة وإخوان الشياطين والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة و أشياعهم ولا أبالي ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون ، قال وشرطه في ذلك البداء ولم يشترط في أصحاب اليمين ، ثم خلط الماءين جميعا في كفه فصلصلها ثم كفهما قدام عرشه وهما سلالة من طين ثم أمر الله سبحانه الملائكة الأربعة الشمال والجنوب والصبا والدبور أن يجولوا على هذه السلالة من الطين فأمرءوها وأنشأوها ثم أنزوها وجزوها وفصلوها وأجروا فيها الطبائع الأربع الريح والدم والمرة والبلغم فجالت الملائكة عليها وهي الشمال والجنوب والصبا والدبور وأجروا فيها الطبائع الأربع الريح في الطبائع الأربع من البدن من ناحية الشمال والبلغم في الطبائع الأربع من ناحية الصبا والمرة في الطبائع الأربع من ناحية الدبور والدم في الطبائع الأربع من ناحية الجنوب ، قال فاستقلت النمسة وكمل البدن فلزمه من ناحية الريح حب النساء وطول الأمل والحرص ولزمه من ناحية البلغم

حب الطعام والشراب والبر والحلم والرفق ولزمه من ناحية المرة الحب والغضب والسفه والشيطنة والتجبر والتمرد والعجلة ولزمه من ناحية الدم حب الفساد واللذات وركوب المحارم والشهوات قال أبوجعفر عليه السلام وجدناه هذا في كتاب علي عليه السلام))[1] والحديث طويل .

فبين عليه السلام أن استقلال النسمة وكمال البدن إنما هو بهذه الرياح الأربع ولما كان فعله سبحانه يجري على مجرى واحد وحكمه وأمره واحد فكان تمام العالم بها فكان تمام كل ذرة من ذرات الوجود بها لأن حكم الله سبحانه في الكل هوحكمه في الجزء ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾[2] وكذلك الحكم في الظاهر والباطن فكانت حقيقة الريح وأصلها ومبدؤها في الوجود الأول الأمر المفعولي الذي به قوام السموات والأرض وكلما في الوجود المقيد وهو الهواء فيما ورد أن أول ما خلق الله الهواء فكان فانيا غائبا في ظهور نار المشيئة وساكنا غير متحرك لعدم ظهور الأثر الفاني في المؤثر عند المؤثر ومعه فلما ظهر مقتضى الاعتبار وهو إقبال القابليات بألسنة الطلبات وتوجهها بلطائف ذاتياتها إلى أبواب استغنائها بالله سبحانه ، ولما كان الهواء هو الباب علقته تلك اللطائف المعبر عنها بالأبخرة والأدخنة المتصاعدة من أرض الجرز وأرض الجواز وهي مذكورية الأشياء فيه وصلوحها لتعلقه بها بتقييده بها فتهيج الهواء بأمر الله سبحانه لسد فاقة أولئك الفقراء السائلون اللائذون

---

[1] تفسير القمي ٣٧ – ٤١ [2] الملك ٣

بباب الله ومال إلى الجهة المستدعية لتلك الجهة العليا فتحرك فحدث منها الريح وأثارت السحاب فقطر منه المطر وهو الماء الذي به حياة كل شيء فسيق إلى الأرض الجرز والبلد الميت فعمرت حديقة الجنة التي أزلفت للمتقين ومن دخلها كان آمنا من المؤمنين فنبتت فيها أنواع الفواكه والثمار على أنحاء الأشجار وصاقورة تلك الجنان عرش الرحمن فكان أول من ذاق الباكورة في جنان الصاقورة روح القدس وهو خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل فاستمد منه الروح من أمر الله واستمدت منه النفس التي لا يعلم ما فيها عيسى عليه السلام و استمد منها الروح على ملائكة الحجب فتم بها العالون وهم السابقون السابقون أولئك المقربون وتم بها عرش الرحمن فاستمد جبرائيل عليه السلام عن الروح على ملائكة الحجب وعزرائيل عن النفس التي لا يعلم ما فيها عيسى عليه السلام و إسرافيل عن الروح من أمر الله وميكائيل عن روح القدس فاستمد الدبور عن جبرائيل والشمال عن عزرائيل والجنوب عن إسرافيل والصبا عن ميكائيل فكانت المرة الصفراء عن الدبور والسوداء عن الشمال والدم عن الجنوب والبلغم عن الصبا، فتم بها النظام وظهر أمر الله الملك العلام وكل هذه رياح ظاهرية وباطنية وغيبية وشهودية وعلوية وسفلية ونورانية وظلمانية وعلينية وسجينية، وشرح أحوال كل واحد منها يطول به الكلام وسيأتي بها زيادة شرح إنشاء الله، وكلها مسخرة للإمام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده الطيبين عليهم السلام إلا أن له

عليه السلام بالأصالة ولهم عليهم السلام بالبدليه والفرعية ويشير إلى هذا العموم والكلية قوله عليه السلام ((وسخر لي الرياح)) فأتى بالجمع المحلي باللام المفيدة للعموم للإشارة إلى الرياح مطلقا أي كلما يصح عليه إطلاق الريح على أي وجه يكون من الحقيقة أو الحقيقة بعد الحقيقة أو غير ذلك من بعض سائر الإطلاقات ، وما ورد في بعض الروايات أن سليمان عليه السلام أوتي له بثلاثة رياح أخذ اثنتين منها وترك الثالثة لعلي عليه السلام وبهذا المعنى أو قريب منه ورد في حق ذي القرنين وليس الآن ببالي أصل الحديث وذلك لا ينافي الكلية المدعاة في كلامه عليه السلام لأن كل واحد من سليمان عليه السلام أو ذي القرنين لما حكى ظهور وجه واحد من سلطنة علي عليه السلام سخر الله سبحانه له الريح حسب حكايته من ذلك الظهور ، ولما كانت الحكايه لم تكن كلية ما تحمل لتسخير تلك الرياح الصعبة الشديدة العاصفة البالغة حد الشدة فكان يتركها لصاحبها ولمربيها ويأخذ ما كان يتحمل من تلك الرياح لحكاية ظهور وجهه من سلطنة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فمنه وصلت إليهما وإليه عاد ما ذهب عنهما وعن غيرها من الأنبياء والأولياء والملوك والسلاطين لأن الله عز وجل قال ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾[1] وليست هذه الولاية هي عين ذاته سبحانه وإنما هي آثار فعله وظهور سلطنته وقهاريته وقيوميته وقد دلت الأدلة

[1] الكهف ٤٤

العقلية والنقلية مما ذكرنا ومما سيأتي أن عليا عليه السلام هو حامل ولاية الله الكبرى وصاحب الرئاسة العظمى فكانت الرياح كلها مسخرة له عليه السلام وقد علمت مما ذكرنا أن الأشياء كلها إنما تحققت وتأصلت بهذه الرياح فأثبت عليه السلام باللزوم أن كل شيء مسخر له فيأتي حينئذ تأويل قوله تعالى ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾[1] وهو عليه السلام يد الله الآخذة بناصية كل دابة وعلم الله الذي أحاط بكل البرية وإن أجريت الكلام على مقتضى ظاهر الظاهر يظهر صريح الأمر وقوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2] والقدر هو علي عليه السلام والقبضة قبضته واليمين هو علي عليه السلام والتنزيه إنما هو عن وقوع الشركة فيه عليه السلام حيث قارنوه مع فلان وفلان وفلان ونسبوهم إلى الله سبحانه بأنهم أولياء الله وهم حزب الشيطان وأعداء الرحمن والله سبحانه منزه عن ذلك.

والحاصل أن الآيات والروايات وأدلة العقل منطبقة وناصة على أن عليا عليه السلام سخر له كل شيء كما خاطبه سبحانه وأولاده الطاهرين عليهم السلام في الباطن بقوله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ

[1] هود ٦
[2] الزمر ٦٧

لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[1] ثم أنه سبحانه أجمل القول بعدما أشار إلى بعض التفصيل بقوله تعالى ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾[2] وقوله عليه السلام ((وسخر لي الرياح)) إشارة إلى باطن قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام حيث قال ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3] ، فسليمان في الباطن هو أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي دعى ربه قبل الداعين وذكره قبل الذاكرين وسليمان النبي عليه السلام قد حكى عنه على مقداره من الحكاية فظهر فيه من سر تلك السلطنة تأمل في قوله عليه السلام في الزيارة ((ذكركم في الذاكرين)) أي ذكر الذاكرين لله هو ذكركم لله على أحد الوجوه المناسب لمقام الاستشهاد وهوقوله عليه السلام ((إن ذكر الخير

---

[1] إبراهيم ٣٢ – ٣٣   [2] إبراهيم ٣٤   [3] ص ٣٥ – ٣٩

كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه)) ولا شك أن دعاء سليمان عليه السلام خير وجب أن يكون علي عليه السلام أوله ومعدنه ومنتهاه فافهم .

قال عليه السلام ﴿ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي ﴾ أي لشيعتي لأنه الظاهر بالتكلم والخطاب والغيبة لأن المتكلم هو عين ذات البحث ﴿ وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴾ إذ لا بعده أحد ولا وراءه شيء وقد أحاط بالقبل والبعد فهو قبل القبل وبعد البعد حين لا قبل ولا بعد فطلب عنه سبحانه أن يملكه الدنيا والعقبى وما أحاط به العرش الأعلى بحقيقة ما هو أهله ولم يستأهل غيره عليه السلام لهذا الطلب أبدا ولذا قال تعالى ﴿ لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴾ فلو كان غيره مستأهلا له لكان ينبغي له ولم يكن هذا المعنى متحققا في سليمان عليه السلام كما هو المعلوم فأجابه سبحانه لكونه دعاء وقع مستجمعا لجميع شرائط الإجابة من كمال الاستئهال وظهور الحكمة ووضع الشيء كما ينبغي على كمال ما ينبغي فقال سبحانه وتعالى مفرعا على دعائه عليه السلام ﴿ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ ﴾ وهذه هي الريح التي شقت بطن الماء أي البحر الأول الذي حصل من ذوبان الياقوتة الحمراء فموجت البحر وصعدت منه البخار والدخان وميزت عنه الزبد حتى خلق الله سبحانه بالبخار والدخان السموات السبع

والعرش والكرسي والنار والهواء والماء والملائكة والجان ، وبالزبد الأرضين السبع والجبال والبحار والبراري والقفار وطبقات النار والشياطين الأشرار والبحر المظلم ونار السموم والريح العقيم والطغاة والسجين والثرى وما تحت الثرى وما لا يعلمه إلا الله ، وهي تجري بأمره رخاء حيث أصاب فجرت هذه الريح بأطوارها وأحوالها في كينونات حقائق أهل الدنيا والآخرة بأمره عليه السلام ولا يتعداه شيء من أحوال النّشأئين وغيرها من سائر عوالم الربوبية والعبودية ثم لما منّ الله سبحانه إياه عليه السلام بهذه العطية العظمى فوض إليه أمرها وجعل إليه عليه السلام حكمها فقال ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ وعن كتاب منهج التحقيق إلى سواء الطريق عن سلمان الفارسي عليه السلام قال ((كنت أنا والحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية ومحمد ابن أبي بكر وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود الكندي رضوان الله عليهم أجمعين ، فقال له ابنه الحسن عليه السلام : يا أمير المؤمنين إن سليمان بن داود عليه السلام سئل ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه ذلك فهل ملكت مما ملك سليمان بن داود شيئاً ، فقال عليه السلام : والذي فلق الحبة وبرء النسمة إن سليمان بن داود عليه السلام سئل الله عز وجل الملك فأعطاه وإن أباك ملك ما لم يملكه بعد جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد قبله ولا يملكه أحد بعده ، فقال الحسن

عليه‌السلام : نريد أن ترينا مما فضلك الله عز وجل به من الكرامة ، فقال عليه‌السلام : أفعل إنشاء الله ، فقام أمير المؤمنين عليه‌السلام وتوضأ وصلى ركعتين ودعى الله عز وجل بدعوات لم نفهمها ثم أومأ بيده إلى جهة المغرب فما كان بأسرع من أن جاءت سحابة فوقفت على الدار وإلى جانبها سحابة أخرى فقال أمير المؤمنين عليه‌السلام أيتها السحابة اهبطي بإذن الله عز وجل فهبطت وهي تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وأنك خليفته ووصيه من شك فيك فقد هلك ومن تمسك بك سلك سبيل النجاة ، قال : ثم انبسطت السحابة إلى الأرض حتى كأنها بساط موضع ، فقال أمير المؤمنين عليه‌السلام اجلسوا على الغمامة فجلسنا وأخذنا مواضعنا فأشار إلى السحابة الأخرى فهبطت وهي تقول كمقالة الأولى وجلس أمير المؤمنين عليه‌السلام عليها مفرداة ثم تكلم بكلام و أشار إليها بالمسير نحوالمغرب وإذا بالريح قد دخلت تحت السحابتين فرفعتهما رفعاً رفيقاً فتأملت نحو أمير المؤمنين عليه‌السلام وإذا به على كرسي والنور يسطع من وجهه يكاد يخطف الأبصار ، فقال الحسن عليه‌السلام يا أمير المؤمنين عليه‌السلام إن سليمان بن داود كان مطاعاً بخاتمه وأمير المؤمنين عليه‌السلام بماذا يطاع ، فقال أمير المؤمنين عليه‌السلام أنا عين الله في أرضه أنا لسان الله الناطق في خلقة أنا نور الله الذي لا يطفأ أنا باب الذي يؤتى منه وحجته على عباده ، ثم قال عليه‌السلام أتحبون أن أريكم خاتم سليمان بن داود عليه‌السلام ، قلنا نعم ، فأدخل

يده في جيبه فأخرج خاتماً من ذهب فصه من ياقوتة حمراء عليه مكتوب محمد وعليّ ، قال سلمان فتعجبنا من ذلك ، فقال عليه السلام من أيّ شيء تعجبون وما العجب من مثلي أنا أريكم اليوم ما لم تروه أبداً ، فقال الحسن عليه السلام أريد أن تريني يأجوج ومأجوج والسد الذي بيننا وبينهم ، فسارت الريح تحت السحابة فسمعنا لها دويّاً كدويّ الرّعد وعلت في الهواء وأمير المؤمنين عليه السلام يقدمنا حتى انتهينا إلى جبل شامخ في العلو وإذا شجرة جافة قد تساقطت أوراقها وجفت أغصانها ، فقال الحسن عليه السلام ما بال هذه الشجرة قد يبست ، فقال عليه السلام سَلها فإنها تجيبك ، فقال الحسن عليه السلام أيتها الشجرة ما بالك قد حدث بك ما نراه من الجفاف فلم تجبه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام بحقي عليك ألا ما أجبتيه ، قال الراوي والله لقد سمعتها وهي تقول لبيك لبيك يا وصي رسول الله وخليفته ، ثم قالت يا أبا محمد إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يجيؤني في كل ليلة وقت السحر ويصلي عندي ركعتين ويكثر من التسبيح فإذا فرغ من دعائه جاءته غمامة بيضاء ينفخ منها ريح المسك وعليها كرسي فيجلس فتسير به وكنت أعيش ببركته فانقطع عني منذ أربعين يوماً فهذا سبب ما تراه مني ، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فصلى ركعتين ومسح بكفه عليها فلخضرت وعادت إلى حالها ، وأمر الريح فسارت بنا فإذا نحن بملك يده بالمغرب والأخرى بالمشرق فلما نظر الملك إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال أشهد

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون وأشهد أنك وصيه وخليفته حقاً وصدقاً ، فقلنا يا أمير المؤمنين من هذا الذي يده في المغرب والأخرى بالمشرق ، فقال عليه السلام هذا الملك الذي وكله الله عز وجل بظلمة الليل وضوء النهار ولا يزول إلى يوم القيامة وإن الله عز وجل جعل أمر الدنيا إلي وإن أعمال الخلق تعرض في كل يوم علي ثم ترفع إلى الله عز وجل ، ثم سرنا حتى وقفنا على سد يأجوج ومأجوج فقال أمير المؤمنين عليه السلام للريح اهبطي بنا مما يلي هذا الجبل وأشار بيده إلى جبل شامخ في العلو وهوجبل الخضر عليه السلام فنظرنا إلى السد وإذا ارتفاعه مد البصر وهو أسود كقطعة ليل دامس يخرج من أرجائه الدخان ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا أبا محمد أنا صاحب هذا الأمر على هؤلاء العبيد ، قال سلمان فرأيت أصنافا ثلاثة طول أحدهم مائة وعشرون ذراعا والثاني طول كل واحد سبعون ذراعا والثالث يفرش أحد أذنيه تحته والأخرى يلتحف بها ، ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام أمر الريح فسارت بنا إلى جبل قاف فانتهينا إليه وإذا هو من زمردة خضراء وعليها ملك على صورة النسر فلما نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال الملك السلام عليك يا وصي رسول الله وخليفته أتأذن لي في الكلام فرد عليه السلام وقال له إن شئت تكلم وإن شئت أخبرتك عما تسألني عنه فقال الملك بل تقول أنت يا أمير المؤمنين قال تريد أن آذن لك أن تزور الخضر

عليه السلام قال نعم فقال عليه السلام قد أذنت لك فأسرع الملك بعد أن قال بسم الله الرحمن الرحيم فمشينا على الجبل هنيئة فإذا بالملك قد عاد إلى مكانه بعد زيارة الخضر عليه السلام، فقال سلمان يا أمير المؤمنين رأيت الملك ما زار الخضر عليه السلام إلا حين أخذ إذنك، فقال عليه السلام والذي رفع السماء بغير عمد لو أن أحدهم رام أن يزول من مكانه بقدر نفس واحد لما زال حتى آذن له وكذلك يصير حال ولدي الحسن عليه السلام وبعده الحسين عليه السلام وتسعة من ولد الحسين عليهم السلام وتاسعهم قائمهم عجل الله فرجه، فقلنا ما اسم الملك الموكل بقاف فقال عليه السلام ترجائيل، فقلنا يا أمير المؤمنين كيف تأتي كل ليلة إلى هذا الموضع وتعود فقال عليه السلام كما أتيت بكم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني لأملك من ملكوت السموات والأرض ما لو علمتم ببعضه لما احتمله جنانكم إن اسم الله الأعظم على اثنين وسبعون حرفا وكان عند آصف ابن برخيا حرف واحد فتكلم به فخسف الله عز وجل الأرض ما بينه وبين عرش بلقيس حتى تناول السرير ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرف النظر وعندنا نحن والله اثنان وسبعون حرفا وحرف واحد عند الله عز وجل استأثره في علم الغيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عرفنا من عرفنا وأنكرنا من أنكرناه، ثم قام عليه السلام وقمنا فإذا نحن بشباب في الجبل يصلي بين قبرين فقلنا يا أمير المؤمنين عليه السلام من هذا الشاب فقال عليه السلام

صالح النبي عليه السلام وهذان القبران لأمه وأبيه و إنه يعبد الله بينهما فلما نظر إليه صالح لم يتمالك نفسه حتى بكى وأومأ بيده إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثم أعادها إلى صدره وهو يبكي فوقف أمير المؤمنين عليه السلام عنده حتى فرغ من صلاته فقلنا له ما بكاؤك قال صالح إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يمر بي عند كل غداة فيجلس فتزاد عبادتي بنظري إليه فقطع ذلك منذ عشرة أيام فأقلقني ذلك فتعجبنا من ذلك ، فقال عليه السلام تريدون أن أريكم سليمان بن داود قلنا نعم فقام عليه السلام ونحن معه حتى دخل بستانا ما رأينا أحسن منه وفيه من جميع الفواكه والأعناب وأنهاره تجري والأطيار يتجاوبن على الأشجار فحين رأته الأطيار ترفرف حوله حتى توسطنا البستان وإذا بسرير عليه شاب ملقى على ظهره واضع يده على صدره فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام الخاتم من جيبه وجعله في إصبع سليمان بن داود عليه السلام فنهض قائما قال السلام عليك يا أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين أنت والله الصديق الأكبر والفاروق الأعظم قد أفلح من تمسك بك وقد خاب وخسر من تخلف عنك وإني سألت الله عز وجل بكم أهل البيت فأعطيت ذلك الملك ، قال سلمان فلما سمعنا كلام سليمان بن داود عليه السلام لم أتمالك نفسي حتى وقعت على أقدام أمير المؤمنين عليه السلام أقبلها وحمدت الله عز وجل على جزيل عطائه بهدايته إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا

وفعل أصحابي كما فعلت ، ثم سألت أمير المؤمنين عليه السلام ما وراء قاف قال عليه السلام وراءه ما لا يصل إليكم علمه فقلنا تعلم ذلك يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام علمي بما وراءه كعلمي بحال هذه الدنيا وما فيها وإني الحفيظ الشهيد عليها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك الأوصياء من ولدي بعدي ، ثم قال عليه السلام إني لأعرف بطرق السموات من طرق الأرض نحن الاسم المخزون المكنون نحن الأسماء الحسنى التي إذا سئل الله عز وجل بها أجاب نحن الأسماء المكتوبة على العرش ولأجلنا خلق الله عز وجل السماء والأرض والعرش والكرسي والجنة والنار ومنا تعلمت الملائكة التسبيح والتقديس والتوحيد والتهليل والتكبير ونحن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ، ثم قال عليه السلام أتريدون أن أريكم عجبا قلنا نعم قال غضوا أعينكم ففعلنا ثم قال افتحوها ففتحناها فإذا نحن بمدينة ما رأينا أكبر منها الأسواق فيها قائمة وفيها أناس ما رأينا أعظم من خلقهم على طول النخل قلنا يا أمير المؤمنين من هؤلاء قال عليه السلام بقية قوم عاد كفار لا يؤمنون بالله عز وجل أحببت أن أريكم إياهم وهذه المدينة وأهلها أريد أن أهلكم وهم لا يشعرون قلنا يا أمير المؤمنين تهلكهم بغير حجة قال لا بل بحجة عليهم فدنا وتراءى لهم فهموا أن يقتلوه ونحن نراهم وهم يرونا ثم تباعد عنهم ودنا منا ومسح بيده على صدورنا وأبداننا وتكلم بكلمات لم نفهمها وعاد إليهم ثانية حتى صار بإزائهم وصعق فيهم صعقة قال سلمان لقد ظننا أن الأرض قد انقلبت

والسماء قد سقطت وأن الصواقع من فيه قد خرجت فلم يبق منهم في تلك الساعة أحد قلنا يا أمير المؤمنين ما صنع الله بهم قال عليه السلام هلكوا وصاروا كلهم إلى النار ، قلنا هذا معجز ما رأينا ولا سمعنا بمثله ، فقال عليه السلام أتريدون أن أريكم أعجب من ذلك فقلنا لا نطيق بأسرنا على احتمال شيء آخر فعلى من لا يتولاك ويؤمن بفضلك وعظيم قدرك على الله عز وجل لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والخلق أجمعين إلى يوم الدين ، ثم سألنا الرجوع إلى أوطاننا فقال عليه السلام أفعل ذلك إنشاء الله فأشار إلى السحابتين فدنتا منا فقال عليه السلام خذوا مواضعكم فجلسنا على سحابة وجلس عليه السلام على الأخرى وأمر الريح فحملتنا حتى صرنا في الجو ورأينا الأرض كالدرهم ثم حطتنا في دار أمير المؤمنين عليه السلام في أقل من طرف النظر وكان وصولنا إلى المدينة وقت الظهر والمؤذن يؤذن وكان خروجنا منها وقت علت الشمس فقلنا بالله العجب كنا في جبل قاف مسيرة خمسة سنين وعدنا في خمس ساعات من النهار فقال أمير المؤمنين عليه السلام لو إني أردت أن أجوب الدنيا بأسرها والسموات السبع وأرجع في أقل من الطرف لفعلت بما عندي من اسم الله الأعظم ، فقلنا يا أمير المؤمنين أنت والله الآية العظمى والمعجز الباهر بعد أخيك وابن عمك رسول الله))[1] انتهى .

---

[1] البحار ٢٧/ ٣٣ - ٤٠

وقد ذكرت الحديث بطوله لما فيه من ظهور بعض سلطنة أمير المؤمنين عليه السلام بتسخير الرياح له من الله عز وجل ويريد به أيضا بقوله ((سخر لي الرياح)) إثبات مقام نفسه في ذاته وفي الدعاء رب هب لي في نفسي وذلك في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[1] فالرحمة هي مقام النقطة وهي باطن الباطن في آخر مراتب السبعين والسبعة وهي السر المقنع بالسر ومقام الحقيقة المقدسة النبوية صلى الله عليه وآله والرياح هي مقام الألف والنفس الرحماني الأولي بفتح الفاء وباطن الباطن تحت الرتبة الأولى بدرجة والسر المستسر بالسر ومقام الحقيقة المقدسة العلوية عليه السلام والسحاب المزجى في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾[2] وهي مقامات الحروف العاليات وسر السر وباطن الباطن وباطن الظاهر وحق الحق ومقام الحقيقة المقدسة المعصومية أي حقائق الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، والسحاب الثقال والمتراكم الحامل للمطر والماء هو مقام الكلمة التامة ومقام الظاهر والسر والحق والسر المجلل بالسر ومقام الحقيقة المقدسة الفاطمية عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها آلاف الثناء والتحية ، فإذا تمت هذه الكلمة و ائتلفت هذه الفرقة استنطقت منها في عالم الألفاظ والأجسام كلمة كن فأشرق منها النور وهو المطر والوجود على الليل الديجور وهي ظلمة

---

[1] الأعراف ٥٧
[2] النور ٤٣

الإنية والماهية والأرض الجرز فظهرت الأشـعة وتشعشـت الـذرات المشـرقة وتكونت الكائنات وانبسط بساط الأرضين والسموات فضجـت الأصـوات إلى بارئ النسمات بأنواع اللغات ، فمبدأ هذه المكونات هـو الريـح كمـا في هذه الآية الشريفة وهي حقيقة الحياة وعين التحقيق والثبات ولذا اشتق منـها الروح وقد قال عليه السلام ((الروح متعلقة بالريح وهي متعلقة بالهواء))[1] فالهواء هو أصل الكون والوجود ولذا قـال عليه السلام ((إن أول مـا خلـق الله الهـواء)) وهو في مقام يظهر منه لا إله إلا الله إذا ما اعتبرت الهمزة الثانية وإذا اعتبرتها يظهر منه الأحد الذي هو سر الواحد الذي هو سر البسملة وإذا ما لاحظـت الهمزتين جميعا يحكي من سر الهوية ولب الألوهية ولذا كـان الاسـم المتعلـق بالهواء اسم الله الحي وبه تبين سر القيوم فكانا معـا اسـم الله الأعظـم إلا أن سر القيوم في الحي وسر الحي في الهواء وسر الهواء في هو وســر هـو في الهـاء وهي سر الأسرار ونقطة الأكوار والأدوار وعليها دار الليل والنهار ، فـالهواء هوالحري بأن يكون أول ما خلقه الله لأن طبعه طبع المصـدر المفعـول المطلـق ومزاجه مزاج الرسالة وحقيقته عبارة عن الوسـاطة والريـح أول ظـهور هـذا الهواء وحركته إلى جهة الشئون وهي المثيرة للسحاب والمهيجة للذوات لأخذ حظها من رب الأرباب والموصلة إلى كل ذرة نصيبها من الكتاب وهي ظـاهرة بالتفصيل وبارزة بالتغيير والتبديـل وصفتـها صفـة الولايـة ومزاجـها مـزاج

---

[1] تفسير القمي ٢/٢٤٩

الهداية وطبعها طبع العناية ، فيكون الهواء هو أحرى بأن يكون أول ما خلق الله الروح وبها انفتقت الأجواء وعلقت الأرجاء وأضاء الضياء و أقيمت الأرض والسماء فبها الولاية الكبرى والسلطنة العظمى والرئاسة العليا ليس دونها مقام فانقطع عندها الكلام وهوقوله عليه السلام ((ظاهري ولاية وباطني غيب لا يدرك)) ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأما سر الجمع في الرياح حينئذ فلبيان أن مقامه عليه السلام مقام الكثرة والامتياز والاختلاف الذي رجوع كل ذلك إلى الوحدة الحقيقية وكلها مطلوبة كالبستان المتضمن لأنواع الفواكه والأثمار والأشجار والأزهار وكذا الاختلافات الغير مطلوبة أيضا به نشأت وعنه تأصلت وتحققت كما مر في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله خطابا لعلي عليه السلام ((ما اختلف في الله ولا فيّ و إنما الاختلاف فيك يا علي)) وقال تعالى ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾[1] قال عليه السلام ((ما لله آية هي أكبر مني وما لله نبأ هوأعظم مني))[2] وقد تقدم ذلك مرارا .

---

[1] النبأ ١ – ٣

[2] تأويل الآيات ٧٣٣

قوله عليه السلام والهوامّ

بتشديد الميم جمع هامّة وهي حشرات الأرض كالحية والعقارب والنملة والخنافس وأمثال ذلك ، وبتخفيفها الأسد كما في القاموس ، وأما الحشرات فهي التي لا نفس لها سائلة فهي المكونة من ظواهر قشور الحيوانات فصارت برزخا بين الحيوان والنبات إلا أن الغالب فيها الجهة الحيوانية ولذا جرت عليها أحكام الحيوانات من الحركة والمشي وطلب ما يسد فقرها من المآكل والمشارب وضبطها وحفظها وأحكام النباتات من امتزاج روحها بجسمها بحيث إذا قطعت نصفين يبقى كل نصف يتحرك زمانا طويلا كالشجرة إذا قطعت نصفها لا ييبس النصف الآخر على الفور بل ربما لا ييبس أصلا كما هوالمحسوس الظاهر ، ولذا جرت الشريعة فيها على مقتضى ما في النبات ولذا لا تنجس موتاها ولا دمها كما في سائر الحيوانات ، والنخلة أيضا برزخ بين الحيوانات والنباتات إلا أن الغالب عليها الجهة النباتية وفيها عشر خصال من الحيوانية وهي المشهورة ، وإنما ضعفت خلقة تلك الحشرات وما نضج نبتها وما استحكمت قوامها وما

جرت دماؤها لضعف الحرارة الغريزية التي بها التلطيف والتنضيج وكثرة الرطوبات الفضلية والكثافات المانعة عن ظهورها ونشوئها وكمالها وتلك الحرارة إنما تحصل بزيادة الحركة والسرعة والمبادرة للامتثال لقوله تعالى حين قال ألست بربكم ومحمد صلى الله عليه وآله نبيكم وعلي والأئمة الأحد عشر من ولده وفاطمة الطاهرة الصديقة أولياؤكم فمن سارع في الامتثال وبادر في الجواب قويت حرارته الحاصلة من قوة تلك الحرارة وأزالت الأعراض الغريبية المفسدة الحاصلة من الميولات النفسانية والشهوات الجسدانية والالتفاتات الغيرية ، فإذا تراكمت هذه الأعراض بعضها على بعض ضعفت الحرارة لكون طبعها مضادة لطبعها فإذا ضعفت الحرارة ضعفت الطبيعة لأنها محلّها وينبوعها فإذا ضعفت الطبيعة لم تقدر على هضم ما يرد على البدن من الغذاء لأن ذلك لا يكون إلا بالتلطيف والتصعيد والتعفين والتعقيد والتقطير ورد الفضول ولا يكون ما ذكرنا إلا بالحرارة ، فإذا ضعفت القوة الهاضمة يمتنع البدن عن الغذاء الزائد والوارد عليه أيضا يكون فضولا لم يتحلل ولم يندفع فتكثر البرودة والرطوبة واليبوسة فتكون البنية ضعيفة تعجز عن حمل الأثقال وفعل الأعمال وربما تزيد البرودة إلى أن لا يبقى للحرارة الضعيفة محل فترتحل فتفسد البنية وتبطل الكينونة وفي الحديث أخبرني شيخي وثقتي أطال الله بقاه عن أحدهم عليه السلام ما معناه ((أن للمؤمن أربعين جنة فكلما يعصي تكشف جنة حتى تكشف الجنان كلها فتستره

الملائكة بأجنحتها إلى أن يتبذخ بالمعصية فيأخذ في بعضنا أهل البيت)) فهذا هوالهلاك الأعظم والموت الأكبر والجنة الظاهرة على طبق الجنة الباطنة ، والحشرات لما ضعفت تلبيتهم لذلك النداء حين سمعوا المنادي من الناحية العليا ضعفت جثتهم وقلت قوتهم وصغرت كينونتهم وكذلك حكمهم حين أنكروا إذ لم يبلغ إنكارها إنكار الأقوياء العلماء في الرتبة العليا فمن لبى منها وآمنت بنبيها ووليها تضمنت نفعا تاما وما أنكر منها تضمن مضرة تامة ، ثم لما حصل بين الفريقين مزج واختلاط وألفة وارتباط اكتسب كل واحد عن الآخر ما عليه من المفسدة والمضرة بالعرض فصار النحل يخرج منها ما هو شفاء للناس وقوة للحرارة الغريزية وراحة للقلب وعضد للكبد وحياة للبدن كله ، وصارت العقرب يخرج منها سما قاتلا وهكذا قياس باقيها ، وكذا التي تنفع من جهة وتضر من جهة أخرى فإذا استجنت فيها تلك الخواص واستحكم عليها ذلك الأساس فهي من حيث نفسها محكومة عليها مطيعة أو عاصية معذبة أو منعمة ولكنها من حيث بارئها ومبدئها جند من جنوده عز وجل وخزينة من خزائنه يعذب بها من يشاء كما عذب قوم فرعون بالجراد والقمل والضفادع وينعم بها من يشاء كما ينعمون بالعسل عن النحل وبالجراد ويتغذون بها وأمثالهما من سائر الأجناس ، ولما كان التعذيب والتنعيم بها موقوفا بإرادة الله سبحانه وبعنايته الخاصة صارت هي واقفة بباب إذنه تعالى ولائذة بجناب قدسه لتمتثل أمره وتجري حكمه وتظهر

ما أودعه في كل منها من الخاصية حسب قابليته وإجابتها لداعـي ربـها فيما أراد الله كما أراد الله كيف ما أراد الله سبحانه وقد دلت عليه الأدلـة العقلية والنقلية ، ولما كان الله سبحانه اقتضت حكمته وسبقت مشيئته أن يجري الأشياء بالوسائط وينزل الأحكام الوجودية والشرعية من الخزائن الغيبية وكان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام هو صاحب تلك الخزائن وأصل تلك الوسائط لأن له الولاية الكبرى والرئاسة العظمى صارت الهوامّ مسخرة منقادة لأمره عليه السلام فكانت لا تنفع ولا تضر إلا بعنايته خاصة وبإذن خاص منه عليه السلام في ذلك الشيء وكذلك في جريانها في سائر أحوالها وتدبير أمورها في مأكلها ومشاربها كالنحل في رئاستها وفي تدبيرها لأحوال الرعية وفي كيفية خدمة الرعية لذلك الرئيس ، وكالنمل تسعى في إغذاء الذخيرة لنفسها لعلمها باحتياجها إلى الغذاء في المستقبل وعدم اقتدارها على تحصيله في ذلك الوقت وإنها إذا أحست بنداوة المكان فإنها تشق الحبة بنصفين لعلمها بأن الحبة لو بقيت سالمة ووصلت النداوة إليها لنبت منها وتفسد الحبة عليها أما صارت مشقوقة لم تنبت وإنها تشقها في الطول لا في العرض لعلمها بأنها تنبت إذا شقت في العرض وإذا وصلت النداوة إلى تلك الحبوب ثم طلعت الشمس فإنها تخرج تلك الأشياء من جحرها وتضعها حتى تجف فإذا كثرت وثقل الحب تجمع جماعة تستعين بها على نقله بمنزلة جماعة من الناس ينقلون

الطعام أو غيره بل للنمل في ذلك الجد والتشمير ما ليس للناس مثله ثـم لا تتخذ الدبيبة إلا في مقام من الأرض كي لا يفيض السيل فيغرقها .

وكالليث الذي تسميه الناس العامة أسـد الذبـاب ومـا أعطي مـن الحيلة والرفق في معاشه فإنك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريبا منه تركـه مليا حتى كأنه موات لا حراك به فإذا رأى الذباب قد اطمئن وغفل عنـه دب دبيبا دقيقا حتى يكون منه بحيث يناله وثب ثم يثبت عليه فيـأخذه فـإذا أخـذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة أن ينجو منه فلا يزال قابضا عليـه حتـى يحس بأنه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه .

وكالعنكبوت فإنه ينسج ذلك النسج فيتخذه شركا ومصيـدة للذبـاب ثم يكمن في جوفه فإذا نشب فيه الذباب أحال عليه بلدغة سامة بعـد سـاعة فيعيش بذلك منه فذلك يحكي صيـد الكـلاب والفـهود وهـذا يحكـي صيـد الأشراك والحبائل وأمثالها من هذه الأحوال التي لا تحصى ، فهي في كل تلـك الأحوال و إجراء ما فيها من المنافع والمضار تابعة وذليلة لمولانا أمـير المؤمنـين عليه‌السلام وواقفة بباب إذنه روحي فداه ، فلا تعلمت هذه العلوم والأمـور الـتي بها تجري في أمر معاشها إلا منه عليه‌السلام وهوالذي علم كل شـيء مـا يقيـم بـه وجوده ويحفظ به غيبه وشهوده ، فقد علم كل شيء مما علمه الله تعالى وذلـك التعليم إنما هو بفاضل ظهوره وشعاع نوره الذي هوعين ذلك الشيء ، فعلمه به وتعلم منه عليه‌السلام به فلا تلدغ العقـرب ولا الحيـة ولا غيرهمـا شيئا مـن

الأشياء إلا بإذنه الخاص ولا ينفع العسل من النحل ولا تأكل النحل من الثمرات ولا يلقى الشهد إلا بأمره عليه السلام وإليه الإشارة في باطن باطن التفسير أو في باطنه في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ أي صاحبك ومربي ظهورك وأمتك وشيعتك أو مربيك في مقامات تفاصيلك كالملائكة الحفظة بالنسبة إليه عليه السلام وذلك الرب والمربي هو أمير المؤمنين عليه السلام كما كان الرب المتجلي لموسى على الجبل رجل من شيعته عليه السلام فافهم .

﴿ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ ﴾ الآية وهو عليه السلام الذي أوحى إلى النحل وما أوحى من كيفية أكل الثمرات و اتخاذها البيوت المسدسات وترتيب أحوالها ترتيب السلطان لأحوال الرعية لبيان أن الحلاوة التي فيه شفاء للناس وهي روح الإيمان إنما تتلقى من المبدأ على هذا المنهج وقوله تعالى ﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ وسبيل الرب هو علي عليه السلام وقد أمرت النحل أن تسلك في ذلك الأكل سبيل علي عليه السلام أي الطريق الذي جعله عليه السلام لها والصراط الذي فتق لها والحكم الذي أسس والأصل الذي أصل والبنيان الذي شيد لها وأوصل كل ذلك إليها بسر ذاتها وأبان لها بلسان ذاتها على هيكل استعدادها وهيئة قابلياتها حال كونها ذليلة له عليه السلام منقادة لأمره ونهيه لكونها مسخرة له مملكة إياه أو أن الله سبحانه أوحى إليها بلسانه وهو

علي عليه السلام كما أوحى إلى موسى في الشجرة الزيتونة التي لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهي الشجرة العلوية عليه السلام كما قال عليه السلام ((أنا المكلم لموسى في الشجرة)) وهكذا الحكم في كل الحشرات بل كل الحيوانات في جميع أحوالها و أطوارها وسكناتها من أنواع الذرات بأنواع الهياكل والهيئات من الذوات والصفات في كل الحركات والسكنات فلا يموت منها شيء ولا يضعف ولا يفنى ولا يضمحل إلا بتقصيرها في ولايته عليه السلام وما أماتها إلا قهره عليه السلام بالله تبارك وتعالى ، وقد سخرت الهوام له عليه السلام كما سخرت الأشياء لله سبحانه بمعنى أن الأشياء مسخرة له تعالى في أماكنها ومقاماتها وقيّوميته سبحانه لها إنما هي بأثر فعله تعالى لا بنفس ذاته فهي تنتهي إلى ذلك الأثر لا إلى الذات البحت تبارك وتعالى ، ولما كان الأثر مضمحلا لديه وفانياً عند ظهوره سبحانه نسب إليه تعالى وإلا فهو تعالى منزّه عن الخلق ومن انتسابه إليهم وارتباطه لهم سبحان ربك رب العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين ، فالأشياء كلها منتسبة إليه تعالى لكنها منتهية إلى عللها وأسبابها ومقوّماتها الصدورية وكذلك نسبة تسخير الهوام وسائر الأشياء إلى مولانا علي عليه السلام فإنها مسخرّة لمبادئها وعللها وتلك المبادئ والعلل ظهور من ظهوراته عليه السلام ورشح من رشحات بحار أفضاله ولكن لما كانت تلك الوسائط فانية باطلة ومضّمحلة زائلة عند سطوع ظهوره وتشعشع بروز نوره عليه السلام نسبت إليه وإلا فهو منزّه عن انتهاء الهوام وسائر

البهائم إليه عليه السلام فإن الهوام والبهائم تستمد من سر الملائكة المستمدين من الجن المستمدين من الإنس المستمدين من الأنبياء المستمدين من الصديقة الطاهرة المستملة من الأئمة والعترة الطاهرة المستمدين من مولانا وسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام وسيد الوصيين على محمد وعليه وأولاده وزوجته الصديقة أفضل السلام وأزكى التحية ، وكل رتبة سفلى عند العليا معدومة في رتبتها ما سوى فاطمة عليها السلام مع أولادها وبعلها ، فإذا كان كذلك فالتسخير للهوام إنما هو له عليه السلام بالبهائم والملائكة كما أن تسخير الأشياء لله تعالى إنما هو به وبظهورات أفعاله و آثاره عليه السلام، ولك أن تجعل التسخير له عليه السلام لكن الذي ظهر للهوام والبهائم إذ كل شيء يعرفه وكل موجود يطلبه وكل لسان يدعوه وكل قلب يضمره وكل عين تراه وقال عليه السلام ((إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها))[1] ((انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله الطريق مسدود والطلب مردود دليله آياته ووجوده إثباته)) وقد مر تفصيل هذا الإجمال وتفسير هذا الإبهام فافهم إن كنت تفهم وإلا فأسلم تسلم .

وإنما اختار عليه السلام الهوام دون غيرها إشارة إلى ما هو بعيد عن الأفهام والأوهام فإن الناس ربما يتصورون طاعة الحيوانات من الجن والإنس

---

[1] أعلام الدين ٥٩

والملائكة وسائر البهائم أيضا له لقوة إدراكهم ونورانيتهم و أما حشرات الأرض والنباتات والجمادات فمن جهة عدم قوة إدراكهم لا يتصوّرون كونهم مطيعين له لعدم شعورهم وقوتهم في النهوض ، فأشار عليه السلام إلى ذلك الفرد الخفي أن نسبة الهوام والطيور إليّ كنسبة سائر الحيوانات وكلها مسخرة لي منقادة لأمري ونهيي ، أو يكون وجه الاختصاص كثرتهم ووفورهم وكونهم أكثر من غيرهم من التي لها نفس سائلة ، وهذه الهوام قد ملأت وجه الأرض وكذلك الهواء المجاور للأرض والماء وتخلق كل ساعة ودقيقة وتتجدد خلقتهم لضعف بنيتها وكونها تتكون من الكثافات وما هذا شأنه لا حد له كثرة بخلاف سائر الحيوانات ، وهذه قاعدة مضبوطة كلما هو أنضج طبيعة وأصفى بنية أقل وجودا وظهورا في الذات بالنسبة إلى ما هو ليس كذلك ولذا قال عليه السلام كما روى بعض أصحابنا ((أن بني آدم بقدر عشر الجن والجن والإنس بقدر عشر حيوان البر والجميع بقدر عشر الطيور وكلها بقدر عشر حيوانات البحر))[1] الحديث ، فجعل عليه السلام كلما هو أدنى أكثر ولاشك أن الحشرات أضعف وجودا وبنية عن كل الحيوانات وقد صرّح مولانا الصادق بذلك في حديث المفضّل إلى أن قال عليه السلام ((معاشها من ضروب تنتشر في الجو من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب وذلك إن هذه

---

[1] ورد ما يقرب من ذلك كما في البحار ٥٤/٣٦٨ وهو قوله عليه السلام ((إن بني آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر ، وهؤلاء كلهم عشر الطيور ، وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر))

الضروب مبثوثة في الجولا يخلو منها موضع واعتبر ذلك بأنك إذا وضعت سراجا بالليل في سطح أو عرصة دار اجتمع عليه من هذه الضروب شيء كثير فمن أين يأتي ذلك كله إلا من القرب فإن قال قائل إنه يأتي من الصحاري والبراري قيل له كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد وكيف يبصر من ذلك البعد سراجا في دار محفوفة بالدّور فيقصد إليه مع أن هذه عيانا تتهافت على السراج من قرب))[1] الحديث ، فأبان عليه السلام عن كمال جلال قدره وإظهار أن هذه الحشرات مع كثرتها ووفورها وتجددها في كل حين وآن بحيث ملأت الأقطار والأمصار كلها مسخرة له مطيعة لأمره ونهيه فلا تطير إلا بإذنه ولا تقع على شيء ولا تصيب شيئا إلا بإذنه عليه السلام كما تقدم فيكون تسخير غيرها من سائر الحيوانات بالطريق الأولى ، وقد روي أنه عليه السلام مرّ بواد وفيها نمل كثيرة وكان أبوذر الغفاري معه عليه السلام فقال أبوذر ((عجبا لكثرة ما فيها من النمل جلّ محصيها قال عليه السلام لا تقل ذلك إني محصيها فعجب أبوذر من ذلك فقال أنت محصيها فقال عليه السلام إي والله وكم فيها من ذكر وأنثى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)) .

ويكون وجه الاختصاص أنه عليه السلام ذكر فيما قبل ما يشير به إلى أن الجن والإنس والملائكة مسخّرة له فقد ذكر الآن الرياح والهوام والطير فخص الرياح بالذكر لما ذكرنا من أنها الأصل والمبدء لحقائق الأشياء وذرات

---

[1] توحيد المفضل ١١٩

الكائنات ، ثم ذكر الهوام لأنها أول ما يتكون من إثارة الريح للسحاب الحامل للمطر النازل على الأرض في القوس الصعودي بعد القوس النزولي ولذا كثرت أجناسها وأنواعها لأنها تكونت من ظاهر القشور ومن الأوساخ والمواد الغير الناضجة وتتكون بأدنى سبب وعلّة وبخلاف غيرها من الأجساد والأجسام القوية المتكونة من المواد الناضجة والطبائع المؤتلفة ولذا تجد أهل الاعتدال قليلا بل ربما ما وجد إلا واحد وهو نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ولذا كان آخر الأنبياء وخاتمهم لأنه صفوهم ثم من بعده الأقرب إلى الاعتدال الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام ثم من بعدهم فاطمة عليها السلام وهؤلاء الصفوة كلهم أربعة عشر وأصفاهم وأعدلهم و أنضجهم طينة وطوية واحد ثم من بعدهم الأنبياء عليهم السلام ولذا كثروا لكونهم قربوا إلى القشر والظاهر وإن كانوا عليهم السلام من الصفوة لكنهم معدودون لكونهم من اللب القليلين بالنسبة إلى غيرهم ثم من بعدهم الإنسان من الرعية فكثروا ولم يدخلوا تحت حصر وعدّ لكونهم من القشور بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام ثم بعدهم الجن كثروا بالنسبة إلى الإنس وهكذا سائر المراتب ، ففي القوس الصعودي بعد النزولي أول ما يتكون الأكثف القشري ثم الأشرف اللبي ولهذا ذكر عليه السلام بعد الرياح التي هي العلة والأصل والمادة مطلقا لكنها حين نزولها إلى هذا العالم الجسماني الكثيف فأول ما يظهر منها والمتكون عند إثارتها السحاب بالدخان والبخار

الهوام لأنها أضعف وجودا من كل المركبات بعد الجمادات والنباتات ثم بعد ذلك أردفها بالطير لأنها بعدها أي فوقها في القوة والشرف وللطافة فافهم.

أويكون المراد من الهوام الحيوانات أي البهائم مطلقا إما مجازا على مذاق أهل الظاهر أو من باب ظاهر الظاهر فتجعله جمع الهائمة أي التحير كما يقال رجل هائم وهيوم أي متحير، وعلى هذا الوجه يعم البهائم كلها لأنها متحيّرات لا تعرف من معرفة الله ومعرفة الأئمة ومعرفة العلوم والأسرار والمعارف والحقائق والأنوار وسائر الأحوال فتدور في الأرض حائرة لا تفرّق بين الحق والباطل والجيد والردئ والأصل والفرع والنور والظلمة وأمثالها مما هو مناط حال المستبصر المستقيم المسترشد، والمعنى في تسخيرها له عليه السلام هوما أشرنا إلى نوعه في الهوام فإن الحيوانات إنما قويت واستحكمت قواها بالإضافة إلى الهوام لعظم مسارعتها وإقبالها وتوجهها لإمتثالها لقوله تعالى في الخلق الأول ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم وأولاده الطيبون وفاطمة الصديقة أولياؤكم فهم تقدّموا في الإجابة فقويت فيهم الحرارة الغريزية فحصل النضج والاعتدال الإضافي فتقووا فصار لهم القوة على غيرهم، وإنما أشار إلى البهائم بضمير المذكر العاقل نظرا إلى مقامها في مقام الحقيقة بعد الحقيقة لأن كل واحد من المخلوقين له مقام في هذا المقام من الأعراض والصفات والنسب والروابط والحيثيات والذوات والحقائق، ولذا تراه سبحانه يشير إليها في بعض المقامات بضمير

المذكر العاقل كما في قوله تعالى ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾[2] وقول تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[3] وأمثالها من الآيات في القرآن كثيرة والسر في ذلك هو الذي ذكرنا لك أن كل شيء فيه وجه يحكي فيه الإنسان الكامل ووجه آخر يحكي فيه الإنسان الناقص وعند اجتماع الأمرين وعدم التمحض في أحدهما تأتي الحالات المتغيرة والمتبدلة والمعوجّة والمستقيمة فالبهائم بتلك الجهة العليا الوجه الإنساني سمعوا نداء إني أنا الله فأجابوا على ضعف منهم إما بالقبول أو الإنكار وسبب الضعف بعدهم عن نقطة النور أي قاعدة مخروطه وقربهم إلى قاعدة مخروط الظلمة فظهرت في ظاهر أحوالهم آثار ذلك المخروط ولما كانت الظلمة وجهها إلى الأسفل وتستمد من نفس النور من حيث هو هو ويسجدون للشمس من دون الله صار رأس أهل ذلك الوادي منكّس الرأس كما أخبر الله سبحانه عنهم

---

[1] يوسف ٤ [2] النحل ٤٨ [3] الأنبياء ٩٨ – ٩٩

﴿ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[1] ولما كان همهم أنفسهم وسعيهم فيما يرجع إلى أنفسهم صارت أيديهم ملصقة بالأرض متوجّهة إلى السجين ولما كان همهم بطنهم لا يبالون من الخبيث وليس همهم الامتياز بين الجيد والردئ صاروا يأكلون بفمهم أي يتناولون منه لا بأيديهم كالإنسان ومن على هيكله ، ولما كانت الحيوانات قربوا من هذه الطبقة غلبت إنيتهم فتصوّروا بهذه الصورة فصار المائز بين المقر منهم والمنكر طيب اللحم وزيادة المنفعة وعدمها ، فكل حيوان حلال اللحم وكثير المنفعة مؤمن آمن بالله ورسوله والأئمة الطاهرين عليهم السلام إما بالذات أو بالعرض فلحلية أيضا تتبع ذلك ، وكلما هو بالعكس فصارت سباعا نجس العين وغيره على اختلاف مراتبها في الإنكار لولاية آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما أن الله عز وجل صرّح في كتابه العزيز أن كل دابة في الأرض وكل طير في الهواء أمة مثلنا وقال عز وجل ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[2] وقال أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نذير للعالمين كما في قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3] فكلما في العالم أي ما سوى الله عز وجل فهوالنذير له وصرّح في قوله تعالى بأن عليا خلقه من الماء فجعله نسبا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وصهرا وصرّح أيضا بأن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض فنص واضحا صريحا بأن عليا عليه السلام هو الوصي والخليفة

---

[1] السجدة ١٢ [2] فاطر ٢٤ [3] الفرقان ١

والقائم مقام النبي صلى الله عليه وآله فصارت العوالم كلها ذوات شعور وإدراك كلها رعيّة لمحمد صلى الله عليه وآله ثم لعلي عليه السلام، ولا شك أن الرعية مسخّرة لنبيّهم بحيث يكون زمامهم بيده فلو أراد أن يفنيهم عن آخرهم لفعل ولا ينافي ذلك عصيانهم له وعدم إطاعتهم إياه لأن ذلك مهلة منهم لينالوا نصيبهم من الكتاب كما أن الله تعالى أمهل عصاة عبيده مع أن نواصيهم بيده وكذلك محمد وعلي عليهما السلام بالنسبة إلى رعاياهم وهم كلما في العالم إلا أنهم خلقت موادهم وهياكل أعيانهم من نورهما فلم يزالوا مقابلين لهما ومستمدّين عنها كمقابلة الصور المتكثّرة المنطبعة في المرايا الكثيرة المختلفة بالاعوجاج والاستقامة والإحمرار والصفرة للمقابل من الشمس أو غيرهما، فالمقابل يمد كل شيء من المعوج والمستقيم على حسبه فلا تستغني عن المقابل أبدا وكذلك الظلال وهي كلها من النور والظل مسخّرة له ومنقادة لأمره ونهيه، فالسباع إنما تفترض في كل وقت بإذن علي عليه السلام وأمره عليه السلام وكذلك غيرها من سائر الحيوانات لا تخطو خطوة ولا تلحظ لحظة ولا ترعى معشبا ولا تنقاد لأحد إلا بإذنه الخاص، فالكلب مثلا لا ينبح أبدا إلا بإذنه ولا تأكل لقمة ولا لحمة ولا جيفة إلا بإذنه الخاص ولا تموت الأشياء إلا بإذنه ولا تحيى إلا بإذنه المخصوص في كل ذرة ذرة وفي كل دفعة دفعة ولا تحرق النار ولا تحترق الخشبة مثلا ولا يصعد الدخان ولا يغلظ ولا يخفّ إلا بإذنه وأمره في كل دفعة وكل خرقة وهكذا الأحكام في كل جزئيات الوجود

وكليّاته ، ولا تأخذ الحمى أحدا ولا تترك أحدا إلا بإذنه وأمره روحي فـداه إن قلت لي من أين تقول هذه الأقوال قلت من قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾[1] أليس علي يد الله وقوله تعالى ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[2] وقد قالوا عليهم السلام ((إن إلينا إياب هذا الخلق ثم إن علينا حسابهم))[3] كما تقدم وفي دعاء سحر كل ليلة من شهر رمضان ((اللهم إني أسألك بقدرتك التي استطلت بها على كل شيء وكل شيء قدرتك مستطيلة اللهم إني أسألك بقدرتك كلها)) ولاشك أن هذه القدرة ليست عين الذات تبارك وتعالى إذ ليس فيها تشكيك وتكثّر وإنّما هي خلق ومن هو أشرف من علي عليه السلام وأخيه وأبنائه وزوجته الطاهرة حتى يكون محلا لهذه القدرة والله سبحانه يقول ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾[4] وقال سبحانه ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[5] فاحذر أن تكون ممن تشملك هذه الآية ولا يشك أحد من الشيعة أن عليا عليه السلام يد الله فتكون مبسوطة وقد

---

[1] المؤمنون ٨٨ ٢ يس ٨٣ ٣ تفسير ٥٥١

٥ الكهف ١٨ ٥ المائدة ٦٤

خلق الله سبحانه الخلق الأول قبل عالم الذر في خلق الحقائق بيده حيث ورد في الأخبار كما مر بعضها أنه سبحانه قبض قبضة بيمينه وقبض قبضة بشماله وكلتا يديه يمين واليمين هو علي عليه السلام لفظا ومعنى فإذا كان في الخلق الأول خلق حقائق الإنسان هو العلة والسبب ففي سائر أطواره وأحواله فبالطريق الأولى إذ ليس الإنسان في حال من الأحوال مستغنيا عن المدد ولا يأتي المدد إلا من الله سبحانه فما من الله فهو الباب الأعظم والصراط الأقوم.

وبالجملة لا ينبغي للمؤمن الموحد أن يشك فيما ذكرنا وما نذكر إن شاء الله إذا كان موحدا ينزّه الله سبحانه من النقائص ويثبت له كمال الاستيلاء والقدرة، فظهر لك مما ذكرنا كيفيّة تسخيره عليه السلام للحيوانات وتسخيرها له عليه السلام وهو في كل مقام محتاج إلى الله تعالى لا يستغني عنه طرفة عين كيف وإلا فيهلك ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾[1].

وأما الهوام في الباطن إشارة إلى المستضعفين الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا وروح الإيمان فيهم في غاية الضعف والقلة ولهم مقامات كثيرة حسب اختلاف مراتب الهوام إلا أن الحد الجامع هو الذي ذكرنا لك مما لا نفس له سائلة لضعف الحرارة الغريزية وكذلك هؤلاء المستضعفون بجمعهم

---

[1] الأنبياء ٢٩

عدم ذوقهم حلاوة الإيمان وهم مختلفون في القرب إليه والبعد منه اختلافا كثيرا .

أو أنها إشارة إلى المخالفين فإنهم لما تكبّروا واستكبروا واستنكفوا عن طاعة الله سبحانه التي هي طاعة الإمام عليه السلام ذلوّا وصغروا وضعفوا ولذا كثروا وقد قال الله عز وجل ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[1] وهذه الآية في القسم الأول من المستضعفين ، وقال سبحانه في هذا القسم ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[2] وقد أشار مولانا الباقر عليه السلام إلى هذا التأويل ((نحن وشيعتنا الناس والباقي غثاء)) وفي الحديث ((إن الله عز وجل يحشر المتكبر في القيامة على صورة الذر)) وهذا ظاهر إنشاء الله .

ومعنى كونهم مسخّرين لأمير المؤمنين عليه السلام أنه يدبّرهم ويربّيهم حيث شاء الله سبحانه فيجري عليهم من المدد الظلمانية والطبع على قلوبهم وورود العذاب عليهم وقسوة قلوبهم وشدّة طغيانهم والإملاء والإمهال لهم ليزدادوا طغيانا وكفرا وهو قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

[1] الفرقان ٤٤ [2] الأعراف ١٧٩

أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1] وقد سمعت الكلام في الضمير المتكلم معه غيره في القرآن حيث ما ورد فلا نعود ولا نعيد يفهمه من كان من جنسنا وسائر الناس له منكرون وهو علي عليه السلام يقلّبهم بالله ذات الشمال ويسري بهم إلى كل واد سحيق ويمهّد لهم الأسباب وييسر لهم الأعمال ليصلوا إلى ما خلقوا له من العذاب الأليم والجحيم وهو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((اعلموا فكل ميسّر لما خلق له))[2] وكل عامل لعلمه والفاعل لهذا التيسير هو الولي عليه السلام لأنه الذي ناصية كل شيء بيده بالله لأن يده يد الله وأمره أمر الله وحكمه حكم الله كما ذكرنا غير مرّة ، فصار إنكارهم له عليه السلام إنما هو به كما قال عز وجل ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[3] وقد قال عليه السلام في الدعاء ((لا الذي أحسن استغنى عن عونك ورحمتك ولا الذي أساء و اجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك))[4] الدعاء ، ولاشك أن علياً عليه السلام هو القدرة التي استطال الله بها على كل شيء وهو العون والرحمة فكل شيء قاصد ومتوجّه إليه من مطيع حيث يحب الله ومن عاص حيث يكره الله ، وهو عليه السلام الباب والوجه والجناب إن هو إلا ذكر لأولي الألباب .

---

[1] آل عمران ١٧٨ [2] نهج الحق ١٢٠ [3] العنكبوت ٤ [4] دعاء أبي حمزة الثمالي

قوله عليه السلام والطير

وهو طير القدس في فضاء الأنس وهو طير واحد ظهرت الطيور كلها على هيئته وهيكله وحكى مثاله الطير الذي على (صورة ديك أشهب براثنه في الأرضين السابعة السفلى وعرفهم مثني تحت العرش له جناحان جناح في المشرق وجناح في المغرب واحد من نار وآخر من ثلج فإذا حضر وقت الصلاة قام على براثنه ثم رفع عنقه من تحت العرش ثم صفق بجناحيه ثم تصفق الديوك في منازلكم فلا الذي من نار يذيب الثلج ولا الذي من الثلج يطفئ النار فينادي أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم سيد النبيين وأشهد أن عليا عليه السلام سيد الوصيين وأن الله سبوح قدوس رب الملائكة والروح فتصفق الديكة بأجنحتها في منازلكم فتجيبه عن قوله وهو قوله تعالى ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾[1])[2] والذي

---

[1] النور ٤١

[2] اقتبس المصنف هذه الكلمات عن الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام في البحار ٥٦/ ١٧٣ – ١٧٤ حيث يقول سلام الله عليه ((إن لله ملكا في صورة الديك الأملح الأشهب ...إلى أن ذكر الآية الشريفة))

أفهم أن هذا الطير واقف في وكره وهو على دوحة من دوحات شجرة طوبى التي هي في الجنة في بيت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وتلك الدوحة قد حاذت دائرة نصف النهار التي تنصف العالم نصفين نصف في المشرق وآخر في المغرب ، فأحد الجناحين أحاط بالمشرق كله وهو الذي من النار ولذا كانت نار الدنيا في جهة المشرق ، والجناح الآخر أحاط بالمغرب كله وهو الذي من الثلج ورأسه على نقطة الجنوب وذنبه على نقطة الشمال وهو على تلك الدائرة ، وتصفيقه بالجناحين لمزج آثار تين الجهتين وهو المعبر عنه بالإيلاج في الليل والنهار ، ففي وقت صلاة الظهر أول التصفيق ومبدأ نشوء المزج وفي المشيئة ، ووقت صلاة العصر ثانيه وهو ظهور ذلك البدء والمزج في الإرادة ، ووقت صلاة المغرب ثالثه وهو ظهور الأثرين حين المزج وإن غلب أثر ظهور المغرب من البرودة الثلجية الحاصلة من الجناح الأيمن ، ووقت صلاة العشاء رابعه وهو تمام المزج واستيلاء الثلج ومغلوبية النار لا بالانطفاء لينافي قوله عليه السلام ((فلا الذي من الثلج يطفئ النار))[1] وإنما هو بالخفاء وعدم الظهور وذلك لأن الخلق وقعوا في جانب الثلج من جناحه فإذا وقعوا في الجانب الآخر كان الأمر بالعكس وهو دائما يصفق على تلك الدائرة ويظهر الأثر للواقفين في كل ناحية مع صوت المنادي فافهم ، ووقت الصبح خامسه وهو أول المزج أي ظهوره من الناحية الثانية ، وإنما صارت أكثر

---

[1] الاحتجاج ١ /٢٢٨

الصلوات في هذه الناحية من جهة الجناح الذي من الثلج كالعصر والمغرب والعشاء بل الظهر أيضا لأن وقت الفريضة عند الزوال عن تلك النقطة وصلاة الصبح وإن كانت عند ظهور الناحية الأخرى من جانب النار إلا أنها عند ظهور الثانية الثلجية ولذا يتفق البرد وقت الصبح أكثر وأعظم من نصف الليل ، وسر هذه اللطيفة صعب وبيانه مشكل بل يحتاج إلى تمهيد مقدمات كثيرة إلا أني أشير بالإجمال إلى نوع المقال .

فنقول إن الوجه فيه أمران وهما مرادان .

أحدهما : بيان أن التكليف بهذه الأعمال المعروفة على الهيئات المحفوظة إنما هو في هذه الدنيا إلى عند الوفاة وبعدها يرتفع ويكون التكليف نوعا آخر لأن مبدء الوجود الزوال فبعده من العصر إلى نصف الليل مقام النزول والبعد عن المبدء فوجب ذكره عند الحرمان من مشاهدته وبعد طلوع كمال مقام الصعود وأحوال الآخرة ونشأة الجنة إلى وصولها إلى النقطة الاعتدالية أي المتوسطة وهو مقام البلوغ إلى الرضوان ووصول الأشياء إلى أصلها وفناء المحب في محبوبه والطالب في مطلوبه ثم بعد الزوال خلق جديد فافهم الإشارة عن صريح العبارة .

وثانيهما : أن بيان ذكر الله ونور الله في الجنة لأهلها في جهة المغرب ولذا كانت جنة الدنيا في تلك الجهة وكذلك الجزيرة الخضراء وقرية كرعة التي في وادي شمراخ وشمريخ في نلحية اليمن بين مكة والمدينة أيضا في تلك

الجهة ، فكانت الخيرات كلها في تلك الجهة والصلاة هي أصل الخير والأعمال كلها فإن قبلت قبل ما سواها و إن ردت رد ما سواها ، وأما نسيان ذكره تعالى والإعراض عنه والجهل والطغيان والاغترار بزخارف الدنيا ونضرتها إنما هي في النار وهي في جهة المشرق ولذا كانت حضرموت ووادي برهوت وبئر بلهوت كلها في المشرق ، فمن اغتر بطلوع الشمس ونورها وإشعاعها عند ظهورها في الأفق تعقبه ليل مظلم دامس مدلهم ، ومن نظر إلى زوالها واشتغل بذكر الله عند تنقلاتها من حالاتها وصبروا في الليل المظلم تعقبهم الشمس المضيئة عند الصباح تحمد القوم السرى وتنجلي عنهم غلالات الكرى فافهم ضرب المثل وهو قوله تعالى إشارة إلى الأولين ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾[1]، وقوله تعالى إشارة للآخرين ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[2]، وهذا الطير هوالملك الذي ينادي عند كل صلاة (قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فاطفئوها بصلاتكم) فكل الطيور إنما هي من أطوار هذا الطير الأعظم والطير ورقاء المغرب وهي التي أشار إليها الشاعر في قوله :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع

[1] الأحقاف ٢٠ [2] الحاقة ٢٤

إلى آخر القصيدة وهي مشهورة ، وهذا الطير كلـي وجزئـي والكلـي والجزئي شئون وأطوار له فافهم .

فعلى هذا فكل الخلق طيور لهم جناحان جناح الخوف وهو من الثلـج وجناح الرجا وهو من النار ، وجناح الولاية وهي من النار وجناح البراءة وهو من الثلج ، وجناح الفقر وهو من الثلج وجناح الغنا وهو من النـار ، وجنـاح الجهل والعجز وهو من الثلج وجناح العلم والقدرة وهو من النار ، فإذا كـان الشيء طائرا إلى جهة المبدأ من حيث الظهور الكلي والاسم الأعظم كالتوجه إليه تعالى في مقام العبودية باسمه الله وهذا الطير يقتضي أن يكون علـى هيئـة الإنسانية لأنها هيئة العبد فرأسه ورقبته من لا إله إلا الله وصـدره والـترقوة والعضد من محمد رسـول الله ﷺ وقلبـه وكبـده واليـدان مـن علـي أمـير المؤمنين عليه السلام والأئمة والصديقة الطاهرة عليها السلام أولياء الله وباقي البـدن كلـه من أوالي من والوا وأعادي من عادوا ، فلما كان توجهه كليـا ظـهر فيـه سـر الوحدة على أكمل ما ينبغي ، وإن كان طـائرا إلى الجهـة الخاصـة مـن الأسمـاء الجزئية فذلك يقتضي أن يكون على هيئة هذا الطـير المعـروف ولـذا كـانت الملائكة طيورا لها أجنحة كما أخـبر الحـق سـبحانه عنـهم ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[1] فالرسالة والتوجه إلى المبـدأ يقتضـي أن

---

[1] فاطر ١

يكون على هذه الهيئة المعروفة بخلاف المقام الذي يتحد فيه المقامان أي مقام المرسل والرسول والمرسل إليه كما في الإنسان ، والمرسل صفة لله فعلية ولا تتوهم من كلامي حينئذ ما يزعمه الجاهلون الملحدون تعالى الله مما يقولون علوا كبيرا .

وريش الطير جهات ارتباطات المفيض بفيضه على المفاض عليه لا بذاته وتلك الروابط إذا تجسدت من عالم الغيب في عالم الشهادة ظهرت على صورة الريش ، ولذا كانت الملائكة تأتي إلى الأئمة عليهم السلام كان يقع من زغبهم أي فاضل ريشهم على فرشهم وبسطهم وكانوا يجمعونها ويجعلونها سجالا لأولادهم عليهم السلام .

وبالجملة فذلك الطير الأعظم والعنقاء الأقدم مسخر لأمير المؤمنين عليه السلام ومطيع لأمره ونهيه فلا يرد ولا يصدر إلا بأمره وحكمه عليه السلام فإذا كل الطيور مسخرون له عليه السلام ومنقادون لأمره ونهيه ، فمنه عليه السلام تعلموا التسبيح والتهليل لله عز وجل إذ كل طير له ذكر خاص يدعو الله سبحانه به وكذلك سائر الحيوانات كما في الحديث عن الحسين بن علي عليه السلام كما في الخرائج الجرائح إنه عليه السلام قال ((إذا صاح النسر فإنه يقول يا بن آدم عش ما شئت فآخره الموت ، وإذا صاح البازي يقول يا عالم الخفيات ياكاشف البليات ، وإذا صاح الطاووس يقول مولاي ظلمت نفسي واغتررت بزينتي فاغفر لي ، وإذا الدراج يقول الرحمن على العرش استوى ، وإذ صاح الديك

يقول من عرف الله لم ينس ذكره ، وإذا قرقت الدجاجة تقول يا إله الحق أنت الحق وقولك الحق يا الله يا حق ، وإذا صاح الباشق يقول آمنت بالله و اليوم الآخر ، وإذا صاح الحدأة يقول توكل على الله ترزق ، وإذا صاح العقاب يقول من أطاع الله لم يشق ، وإذا صاح الشاهين يقول سبحان الله حقا حقا ، وإذا صاحت البومة تقول البعد من الناس أنس ، وإذا صاح الغراب يقول يا رازق ابعث بالرزق الحلال ، وإذا صاح الكركي يقول اللهم احفظني من عدوي ، وإذا صاح اللقلق يقول من تخلى نن الناس نجى من أذاهم ، وإذا صاحت البطة تقول غفرانك يا الله غفرانك ، وإذا صاح الهدهد يقول ما أشقى من عصى الله ، وإذا صاح القمري يقول ياعالم السر والنجوى يا الله ، وإذا صاح الدبسي يقول أنت الله لا إله سواك يا الله ، وإذا صاح العقعق يقول سبحان من لا يخفى عليه خافية ، وإذا صاح الببغاء يقول من ذكر ربه غفر ذنبه ، وإذا صاح العصفور يقول استغفر الله مما يسخط الله ، وإذا صاح البلبل يقول لا إله إلا الله حقا حقا ، وإذا صاح القبجة تقول قرب الحق قرب ، وإذا صاحت السمانات تقول يا ابن آدم ما أغفلك عن الموت ، وإذا صاح السنوذنيق يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وآله خيرة الله ، وإذا صاحت الفاختة تقول يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد ، وإذا صاح الشقراق يقول مولاي اعتقني من النار ، وإذا صاحت القنبرة تقول مولاي تب على كل مذنب من المؤمنين ، وإذا صاح الورشان يقول إن لم تغفر ذنبي شقيت ، وإذا صاح

الشفنين يقول لا قوة إلا بالله العلي العظيـم ، وإذا صـاحت النعـام تقـول لا معبود سوى الله ، وإذا صاحت الخطافة فإنها تقرأ سورة الحمد وتقول يا قـابل توبة التوابين يا الله لك الحمـد ، وإذا صـاحت الزراقـة تقـول لا إلـه إلا الله وحده ، وإذا صاح الحمل يقول كفا بالموت واعظـا ، وإذا صـاح الجـلي يقـول عاجلني الموت ثقل ذنبي ، و إذا صاح الأسد يقـول أمـر الله مـهم مـهم ، وإذا صاح الثور يقول مهلا مهلا يا ابن آدم أنت بين يدي من يرى ولا يـرى وهـو الله ، وإذا صاح الفيل يقول لا يغني عن الموت قوة ولا حيلة ، وإذا صاح الفهد يقول يا عزيز يا جبار يا متكبر يا الله ، وإذا صـاح الجمـل يقـول سـبحان مـذل الجبارين سبحانه ، وإذا صهل الفرس يقول سبحان ربنا سـبحانه ، وإذا صـاح الذئب يقول ما حفظ الله فلن يضع أبدا ، وإذا صاح ابـن آوى يقـول الويـل الويل الويل للمذنب المصر ، وإذا صاح الكلب يقول كفا بالمعاصي ذلا ، وإذا صاح الأرنب يقول لا تهلكني يا الله لـك الحمـد ، وإذا صـاح الثعلـب يقـول الدنيا دار غرور ، وإذا صاح الغزال يقول نجني من الأذى ، وإذا صاح الكركدن يقول أغثني وإلا هلكت يا مولاي ، وإذا صاح الإيـل يقـول حسـبي الله ونعـم الوكيل حسبي ، وإذا صاح النمر يقول سبحان من تعزز بالقدرة سبحانه ، وإذا سبحت الحية تقول ما أشقى من عصـاك يـا رحمـن ، و إذا سـبحت العقـرب تقول الشر شيء وحش ، ثم قال عليه السلام ما خلق الله من شيء إلا ولـه تسـبيح

يحمد به ربه ثم تلى هذه الآية ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[1]))[2] .

وفي الاختصاص بسنده عن ابن عباس قال ((شهدنا مجلس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فإذا نحن بعلة من العجم فسلموا عليه فقالوا جئناك لنسألك عن ست خصال فإن أنت أخبرتنا آمنا وصدقنا وإلا كذبنا وجحدنا ، فقال علي عليه السلام سلوا متفقهين ولا تسألوا متعنتين ، قالوا أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله والحمار في نهيقه والدراج في صياحه والقنبرة في صفيرها والديك في نعيقة والضفدع في نفيقه ، فقال علي عليه السلام إذا التقى الجمعان ومشى الرجال إلى الرجال بالسيوف يرفع الفرس رأسه فيقول سبحان الملك القدوس ، ويقول الحمار في نهيقه اللهم العن العشارين ، ويقول الديك في نعيقه بالأسحار اذكروا الله يا غافلين ، ويقول الضفدع في نقيقه سبحان المعبود في لجج البحار ، ويقول الدراج في صياحه الرحمن على العرش استوى ، وتقول القنبرة في صفيرها اللهم العن مبغضي آل محمد عليهم السلام ، قال :فقالوا آمنا وصدقنا وما على وجه الأرض من هو أعلم منك ، فقال عليه السلام ألا أفيدكم ، قالوا بلا يا أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام إن للفرس في كل يوم ثلاث دعوات مستجابات يقول في أول نهاره اللهم

---

[1] الإسراء ٤٤

[2] الخرائج والجرائح ١/٢٤٨ - ٢٥٢

وسع على سيدي الرزق ويقول في وسط النهار اللهم اجعلني أحب إلى سيدي من أهله وماله ويقول في آخر نهاره اللهم ارزق سيدي على ظهري الشهادة))[1] .

وكل هذه الأذكار والتسبيحات إنما علمتها الطيور والحيوانات بتعليم محمد وآله السادات عليهم السلام لأنها تابعة لهم مطيعة لأمرهم ونهيهم وروى في الاختصاص بسنده عن حمران عن علي بن الحسين عليه السلام قال ((كان قاعدا في جماعة من أصحابه إذا جاءته ظبية فبصبصت عنده وضربت بيديها ، فقال أبومحمد عليه السلام أتدرون ما تقول هذه الظبية ، قالوا لا ، قال عليه السلام تزعم هذه الظبية أن فلان بن فلان رجل من قريش اصطاد خشفا لها في هذا اليوم وإنما جاءت أن أسأله أن يضع الخشف بين يديها فترضعه ، ثم قال أبومحمد عليه السلام لأصحابه قوموا بنا فقاموا بأجمعهم فأتوه فخرج إليهم فقال لأبي محمد عليه السلام فداك أبي و أمي ما جاء بك فقال : أسألك بحقي عليك إلا أخرجت إلي الخشف الذي اصطدتها اليوم ، فأخرجها فوضعها بين يدي أمها فأرضعتها ، فقال علي بن الحسين عليه السلام أسألك يا فلان لما وهبت لنا الخشف ، قال قد فعلت فأرسل الخشف مع الظبية فمضت الظبية فبصبصت وحركت ذنبها ، فقال علي بن الحسين عليه السلام تدرون ما قالت الظبية ، قالوا

[1] الاختصاص ١٣٦

لا ، قال قالت رد الله عليكم كل غائب لكم وغفر لعلي بن الحسين عليه السلام كما رد علي ولدي))[1] .

وأيضا عن ابن الشيخ في مجلسه روى بسنده عن علي عليه السلام قال ((مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بظبية مربوطة بطنب فسطاط فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطلق الله عز وجل لها من لسانها فكلمته فقالت يا رسول الله إني أم خشفين عطشانين وهذا ضرعي قد امتلأ لبنا فخلني حتى أنطلق فأرضعهما ثم أعود فتربطني كما كنت ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف وأنت ربيطة قوم وصيدهم ، قالت بلى يا رسول الله أنا أجيء فتربطني كما كنت أنت بيدك ، فأخذ عليها موثقا من الله لتعودن وخلى سبيلها فلم تلبث إلا يسيرا حتى رجعت قد فرغت ما من ضرعها ، فربطها نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كانت ، ثم سأل لمن هذا الصيد ، قالوا يا رسول الله هذه لبني فلان ، فأتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان الذي اقتنصها منهم منافقا فرجع عن نفاقه وحسن اسلامه فكلمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليشتريها منه قال بلا أخلي سبيلها فداك أبي وأمي يا نبي الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو أن البهائم يعلمون من الموت ما تعلمون أنتم ما أكلتم منها سمينا))[2] .

---

[1] الاختصاص ٢٩٧

[2] البحار ١٧ / ٣٩٨

وروي عن جابر قال ((خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة ذات الرقاع حتى إذا كنا بحرة واقم أقبل جمل يرفل حتى دنى من رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يرغو على هامته ، فقال صلى الله عليه وآله إن هذا الجمل يستعديني على صاحبه يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين حتى أجربه وأعجفه وكبر سنه أراد نحره ، اذهب ياجابر إلى صاحبه فأت به ، قال ما أعرفه ، قال صلى الله عليه وآله إنه سيدلك عليه ، قال فخرج بين يدي منعقا حتى وقف بي مجلس بني حطمة ، فقلت أين رب هذا الجمل ، قالوا هذا لفلان بن فلان ، فجئته فقلت أجب رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج معي حتى إذا جاء رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال إن جملك يزعم أنك حرثت عليه زمنا حتى إذا أجربته وأعجفته وكبر سنه أردت نحره ، قال والذي بعثك بالحق إن ذلك كذلك ، قال صلى الله عليه وآله ما هكذا جزاء المملوك الصالح ثم قال صلى الله عليه وآله بعنيه قال نعم فابتاعه منه ثم أرسله صلى الله عليه وآله في الشجرة حتى نصب سنامه وكان إذا اعتل على بعض المهاجرين والأنصار من نواضحهم شيء أعطاه إياه فمكث كذلك زمنا))[1] .

وعن عبدالله بن جعفر ((أن النبي دخل حائطا لبعض الأنصار فإذا فيه جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله ذرفت عيناه فمسح النبي صلى الله عليه وآله سنامه فسكن ثم قال صلى الله عليه وآله من رب هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار ، فقال هو لي يا رسول الله

[1] البحار ٦١/١١١ - ١١٢

فقال صلى الله عليه وآله وسلم ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه يشكو لي إنك تجيعه وتذيبه))[1] .

وأمثالها من الأخبار مما يدل على التجاء البهائم والحشرات به وبأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم وانقيادها لهم عليهم السلام كثيرة جازت العد والحد وهي مذكورة في الكتب المعدة لجمع أمثال هذه الأخبار وأنحاء هذه الالتجاءات إنما تعلموا من أمير المؤمنين عليه السلام ثم من أولاده الطيبين الطاهرين عليهم السلام وهكذا حكم جميع أطوارهم وأحوالهم كما ذكرنا غير مرة .

وفي كتاب عبد الملك بن حكيم عن بشير النبال عن أبي عبد الله عليه السلام قال ((سهر داود عليه السلام ليلة يتلو الزبور فأعجبته عبادته فنادته ضفدع يا داود تعجبت من سهرك ليلة وإني لتحت هذه الصخرة منذ أربعين سنة ما جف لساني عن ذكر الله تعالى)) ، وكان ذلك الضفدع يأخذ الذكر آنا فآنا من علي أمير المؤمنين عليه السلام لكونه وأشباهه وكل ما في الوجود المقيد مسخرا له ومنقادا لحكمه ، وهكذا حكم الأوجاع والأسقام والأمراض والهموم والغموم ما تصيب أحدا من الخلق إلا بإذنه عليه السلام و أمره كما في حديث عبدالله بن شداد وقد تقدم أن الحسين عليه السلام أتاه يعوده في مرضه فلما دخل عليه السلام عليه هربت الحمى وقال الرجل ((رضيت بكم أئمة فإن الحمى

---

[1] البحار ٦١/ ١١١ ٢ المستدرك ١/ ١٤٢

لتهرب عنكم فقعد عليه السلام فقال إن الله ما خلق خلقا إلا وقد أمره بالطاعة لنا

ثم قال عليه السلام يا كباسة فسمعوا الصوت ولم يروا الشخص يقول لبيك

فقال عليه السلام ألم يأمرك أمير المؤمنين عليه السلام أن لا تقربي العدو أومذنبا لتكوني

كفارة لذنوبه فما بال هذا الرجل))[1] نقلت الحديث بالمعنى وفي هذا الدعاء

عن النبي صلى الله عليه وآله للحمى ((يا أم ملدم إن كنتي آمنتي بالله فلا تأكلي اللحم ولا

تشربي الدم ولا تفوري من الفم و انتقلي إلى من يزعم أن مع الله آلة أخرى

فأني أشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له و أن محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله))[2]

فإذا كانت الحمى والأوجاع قد آمنت بالله ودل الدليل العقلي والنقلي على

أنه لم يؤمن أحد بالله إلا بواسطة أئمتنا عليهم السلام فكانت تلك الأمور كلها من

المسخرات له عليه السلام وكذلك حكم الظلال والعكوس و أمثالها من التسخير

---

[1] نقل المصنف أعلى الله مقامه هذا الحديث بالمعنى ونحن ننقله هنا بالنص تيمنا وتبركا ، روي في البحار ٤٤/١٨٣ ح ٨ عن زرارة بن أعين قال ((سمعت أبا عبدالله عليه السلام يحدث عن آبائه عليهم السلام أن مريضا شديد الحمى عاده الحسين عليه السلام فلما دخل من باب الدار طارت الحمى عن الرجل فقال له : رضيت بما أوتيتم به حقا حقا والحمى تهرب عنكم ، فقال له الحسين عليه السلام : والله ما خلق الله شيئا إلا وقد أمره بالطاعة لنا ، قال فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى الشخص يقول لبيك ، قال : أليس أمير المؤمنين عليه السلام أمرك أن لا تقربي إلا عدوا أومذنبا لكي تكوني كفارة لذنوبه فما بال هذا ، فكان المريض عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي)) .

[2] مصباح الكفعمي ١٦١

والتدبير والإدراك والشعور وكذلك، وما تجنه الضمائر وتكنه السرائر وسائر المتوهمات والمتخيلات والمتعلقات والمتعقلات كلها مسخرة له عليه السلام وانتقشت في الأذهان والنفوس بإذنه ولولاه لما انتقشت ولما حصلت، وإنما قبلت الانتقاش والانطباع لما وجدت من سر يكون المتحقق من كن المتحقق المتحصل من علي عليه السلام فهم من فهم والله يقول الحق وهويهدي السبيل.

قوله عليه السلام وروحي فداه
وعرضت علي الدنيا فأعرضت عنها أنا كاب الدنيا لوجهها

لما أشار عليه السلام إلى المراد من قوله تعالى ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[1] بقوله عليه السلام ((ولقد سخر لي)) ، فإذا سخرت له تلك الأمور التي هي عبارة عن جميع الوجود المقيد كما علمت فهو المتصرف فيها والآمر والناهي يحكم ما يشاء الله ويفعل ما يريد ولا يريد إلا ما أراد الله ولا يشاء إلا ما شاء الله ولا يشاء الله إلا ما يشاء ولا يريد سبحانه إلا ما يريد كما قالوا عليهم السلام ((إذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريد)) أراد عليه السلام أن يبين تنزه مقامه ومرتبته الشريفة عما ذكره سبحانه من جهة التحديد والتوعيد في آخر الآية المباركة بقوله عز

---

[1] الأنبياء ٢٦ – ٢٨

وجـــــل ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] ولما كان الجبر والظلم مما دلت الأدلة القطعية على بطلانه و امتناعه ولا يتحقق الاختيار التام إلا بعد تمكن العبد من الجهتين مخلى السرب مرفوع الموانع بحيث لا يحول بينه وبين ذلك إلا اختياره بالله سواء كان مع ذلك من الله أم لا ، ولما كان رفع الموانع لا يكون إلا بتمكين قابليته وتهيؤ المقبول قال عليه السلام بعد الكلام السابق مرتبا عليه ((وعرضت علي الدنيا)) والعرض هو إيجاد المقبول وتمكين القابل للقبول ورفع الموانع الحائلة بين القابل والمقبول سواء كان المقبول نورا أو ظلمة خيرا أو شرا حقا أو باطلا ، وإن كان المقبول في الفيض الأول في المبدأ الأول لا يكون إلا الخير والحق ولكن المراد ههنا المواد الظلمانية بعد الامتياز من المواد الطيبة الطاهرة في أول مقام العقل الممتاز عن الجهل ، والدنيا حقيقة هو الظلم وهو طلب لذة وراحة قبل النضج أي نضج الطبيعة وفي غير أوانهما فالمريض لو أطعموه المأكل اللذيذ أسرع به إلى الفناء بل يمنوعه عنها ما دام المرض فلما طاب ووصل موقعها وآن أوانها وصحت البنية ونضجت الطبيعة أطعموها إياه ، فجميع مآرب أهل الدنيا وتوريطهم أنفسهم ورطات الهلاك كلها تدور إما طلبا للذة أو راحة يتعقبها بمحض الاحتمال لا على الواقع لأن ذلك موكول إلى مشيئة الله عز وجل كما قال جل شأنه ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا

---

[1] الأنبياء ٢٩

لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾[1] ، وقد فسرت الدنيا أيضا بما يشغلك عن فعل مستحب ومرجعه إلى ما ذكرنا إذ ليس المراد مطلق اللذة والراحة إذ العبد يجد لذة وراحة في طاعة الله سبحانه ما لا يعادله شيء من لذات الدنيا والآخرة ، وإنما المراد من اللذة بغير ذكر الله وطاعته وراحة ترفع التكليف كما قال عليه السلام ((وأعوذ بك من كل لذة بغير ذكرك وكل راحة بغير أنسك))[2] وهوقوله تعالى ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ﴾[3] فالدنيا هي الأمانة المعروضة على السموات والأرض والجبال فقال عز وجل ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[4] فالأمانة هي الدنيا وهي التي فسرت في بعض وجوه الباطن عنهم عليهم السلام أنها عداوة أمير المؤمنين عليه السلام والله سبحانه إنما عرضها على الخلق لما ذكرنا آنفا لئلا يكونوا في قبولهم لولايته عليه السلام مجبورين حتى تتم الحكمة وتنفذ المشيئة في ما أراد من خلق النار والجحيم والزقوم والحميم ، أما عرضها على سائر الخلق فمعروف وأما عرضها على أمير المؤمنين عليه السلام فلأن ولايته تقتضي كل خير ومعروف

---

[1] الإسراء ١٨ [2] البحار ٩١ / ١٥١ [3] التوبة ٣٨ [4] الأحزاب ٧٢

وهي أصل كل خير وعداوته تقتضي كل شر ومنكر وهي أصل كل شـر فـلا يمكن أن يقبل الخير باختياره إلا بتمكنه من فعل الشر باختياره وإعراضه عنـه باختياره ، فاختياره ولاية نفسـه عليه السلام إنمـا هـو منـوط بعـرض عـداوة نفسـه عليه السلام عليه وتركه إياها باختيار ضدها ، فلولا هذا العرض ما استقام الوجـود لأن الله عز وجل خلق كل شيء من الضدين ولا طلب من الأشياء طلب محبة إلا أحد الضدين وهو الضد الأول أي النار ولا يمكن لشيء مـن الأشـياء أن يختار الضدين معا ولا يمكن أن يختار أحـد الضديـن إلا بعـد عـرض الضـد الآخر وإعراضه عنه ، ولذا كان أول مـن خوطـب بالخطـاب الأول مـن المـلأ الأعلى ألست بربكم ومحمد نبيكم صلى الله عليه وآله وعلي والأئمة الطاهرة أولياؤكم هو رسول الله صلى الله عليه وآله بلسـان نفسـه الـذي هـو لسـان الله فعرضـت عليـه أضـداد المذكورات فأعرض عنها حتى قبل مقابلاتها وهذا ظاهر بين لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهوشهيد ، فالدنيا هي ولايـة فـلان الـتي هـي عـداوة علـي عليه السلام وهوقوله تعالى (على السموات) وهو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله أما كونه سماء فظاهر وأما عرض عداوة علي عليه السلام عليه صلى الله عليه وآله فلما ذكرنا من أن قبـول الشيء نفسه الأولى منوطة بتركه النفس الثانية بعد عرضـها عليـه وإلا فـلا يتحقق القبول عند أهل المعقول ، والأرض وهو علي عليه السلام وهوقولـه تعـالى

﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾[1] وهوالإمام عليه السلام لكونه مهبطا لجميع الأنوار ومستودعا لجميع الأسرار ، والجبال وهم الأئمة عليهم السلام وهم أعلام الهدى وأوتاد الأرض كما قال تعالى ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[2] (فأبين أن يحملنها) لما فيها من سوء العاقبة وخسران الآخرة والغفلة عن الله سبحانه وتعالى التي هي أصل كل خطيئة ولذا ورد أن الدنيا رأس كل خطيئة ولم يأبها ولم يأب حملها بحقيقة الإباء إلا محمد وعلي وأهل بيته الطاهرون سلام الله عليهم أجمعين لقد أعرضوا عنها بالكلية ولم يطلبوها ولو باللطخ والوهم والشوب وأمثال ذلك ، ولقد أتي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمفاتيح جميع خزائن الأرض وقيل له خذ هذا فإنه لم ينقص من مقامك في الآخرة شيء تركه صلى الله عليه وآله وسلم وطلب التواضع وهو صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان أهلا للرفعة ولم يكن قبول ذلك من الدنيا إلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يجعل الرفعة في مكانها والراحة في دارها واللذة لوقتها لا في دار تفنى ونعيم يزول ولا يبقى أوبمحل ليس بمصفى ، (وحملها الإنسان) وهو أبوالدواهي وهو الني طلب الدنيا عن الآخرة وباعها بالثمن الأوكس الأدنى ، (إنه كان ظلوما جهولا) أما الظلوم لوضعه الشيء في غير موضعه وطلبه التلنذ والترأس والراحة في غير أوانها ولم يكن للرئاسة بأهل لأن أهلها السابقون في الوجود العالمون بالغيب والشهود ، وأما الثاني فلأن

---

[1] الرحمن ١٠ [2] النبأ ٧

الجهل الكلي مرتبة من مراتبه وسيئة من سيئاته كما أن العقل الكلي حسنة من حسنات الأئمة عليه السلام كما في الحديث كما تقدم ((وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة)) وله عليه السلام خطبة وكلام في بيان زهده و إعراضه عن الدنيا أحب أن أذكرها ههنا و إن كانت طويلة لاشتمالها على فوائد جليلة ومقامات شريفة روى المجلسي رضوان الله عليه عن الصدوق في الأمالي بإسناده عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام جعفر ابن محمد عليه السلام عن أبيه عن جده عن أبيه عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام ((والله ما دنياكم عندي إلا كسفر على منهل حلو إذ صاح به سائقهم فارتحلوا ولا لذاتها في عيني إلا كحميم أشربه غساقا وعلقم أتجرعه زعاقا وسم أفعى أسقاه دهاقا وقلادة من نار أوهقها خناقا ، ولقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها وقال لي اقذف بها قذف الأتن لا يرتضيها ليرقعها فقلت له أعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم غلالات الكرى ولوشئت لتسربلت بالعبقري المنقوش من ديباجكم ولأكلت لباب هذا البر بصدور دجاجكم ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم ولكني أصدق الله جلت عظمته حيث يقول ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي

ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ ﴾ فكيف أستطيع على نار لـو قذفـت بشـررة إلى الأرض لأحرقت نبتها ولو اعتصمت نفس بقلـة لأنضجـها وهـج النـار في قلتـها ، وأيما خير لعلي عليه السلام أن يكون عنـد ذي العـرش مقربـا أو يكـون في لظـى خسيئا مبعـدا مسـخوطا عليـه بجرمـه مكذبـا ، والله لإن أبيـت علـى حسـك السعدان مرقدا وتحتي أطمار على سفاها ممدا أو أجر في أغلالي مصفدا أحـب إلي من ألقى في يـوم القيامـة محمـدا صلى الله عليه وآله خائنـا في ذي يتمـة أظلمـه بفلسـة متعمدا ولم أظلم اليتيم وغير اليتيم لنفس تسرع إلى البلـى قفولهـا ويمتـد في أطباق الثرى حلولها وإن عاشت رويدا فبذي العرش نزولهـا ، معاشـر شـيعتي احذروا فقد عضتكم الدنيا بأنيابها تختطف منكم نفسا بعـد نفـس كذئابـها وهذه مطايا الرحيل قد أنيخت لركابها إلا أن الحديث ذو شجون فلا يقولـن قائلكم إن كلام علي متناقض لأن الكلام عارض ولقد بلغـني أن رجـلا مـن قطان المدائن تبع بعـد الحنيفيـة علوجـه ولبـس مـن نالـة دهقانـه منسـوجة وتضمخ بمسك هذه النوافج صباحه وتبخر بعود الهنـد رواحـه وحولـه ريحـان حديقة يشم نفاحه وقد مد له مفروشات الروم على سـرره تعسـا لـه بعدما ناهز السبعين من عمره وحوله شيخ يدب علـى أرضـه مـن هرمـه وذو يتمـة تضور من ضره ومن قرمه فما واساهم بفاضلات عن علقمه ، لئـن أمكنـني الله منه لأخضمنه خضم البر ولأقيمن عليه حد المرتد ولأضربنه الثمانين بعد حد ولأسدن من جهله كل مسد تعسا ، له أفلا شعر أفلا صوف أفلا وبر أفلا

رغيف قفار الليل إفطار معدم أفلا عبرة على خد في ظلمة ليالي تنحدر ولو كان مؤمنا لاتسقت له الحجة إذا ضيع ما لا يملك والله ، لقد رأيت عقيلا أخي وقد أملق حتى استملحني من بركم صاعة وعاودني في عشر وسق من شعيركم يطعمه جياعه ويكاد يلوي ثلاث أيامه خامصا ما استطاعه وأيت أطفاله شعث الألوان من ضرهم كأنما اشمأزت وجوههم من قرهم فلما عاودني في قوله وكرره أصغيت إليه سمعي فغره وظنني أوتغ ديني فأتبع ما سره أحميت له حديدة لينزجر إذ لا يستطيع منها دنوا ولا يصبر ثم أدنيتها من جسمه فضج من ألمه ضجيج ذي دنف يئن من سقمه وكاد يسبني سفها من كظمه ولحرقة في لظى له من عدمه فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديلة أحماها إنسانها لمدعبة وتجرني إلى نار سجرها جبارها من غضبه أتئن من الأذى ولا أئن من لظى والله لو سقطت المكافلة عن الأمم وتركت في مضاجعها باليات في الرمم لاستحييت من مقت رقيب يكشف فاضحات من الأوزار تنسنح فصبرا على دنيا يمر بلأوائها كليلة بأحلامها تنسلخ كم بين نفس في خيامها ناعمة وبين أثيم في جحيم يصطرخ ولا تعجب من هذا واعجب بلا صنع منا من طارق طرقنا بملفوفات زملها في وعائها ومعجونة بسطها في إنائها فقلت له أصدقة أم نذر أم زكاة وكل يحرم علينا أهل بيت النبوة وعوضنا منه خمس ذي القربى في الكتاب والسنة فقال لي لا ذاك ولا ذاك ولكنه هدية فقلت له ثكلتك الثواكل أفعن دين الله تخدعني بمعجمونة

غرقتموها بقندكم وخبيصة صفراء أتيتموني بها بعصير تمركـم أمختبـط أم ذو جنة أم تهجر أليست النفوس عن مثقال حبة من خردل مسئولة فمـاذا أقـول في معجونة أتزقمها معمولة والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها واسترق قطانها مذعنة بأملاكها علـى أن أعصـي الله في نملـة أسـلبها شـعيرة فألوكها ما قبلت ولا أردت ولدنياكم أهـون عنـدي مـن ورقـة في فـم جـرادة تقضمها وأقذر عندي من عراقة خنزير يقذف بها أجذمها وأمر علـى فـؤادي من حنظلة يلوكها ذوسقم فيبشمها فكيف أقبل ملفوفـات عكمتـها في طيـها ومعجونة كأنها عجنت بريق حية أو قيئا اللهم نفرت عنها نفار المـهرة مـن كيها أريه السها ويريني القمرا أمتنع من وبرة من قلوصها ساقطة وأبتلع إبلا في مبركها رابطة أدبيب العقارب من وكرها ألتقط أم قواتل الرقش في مبيـتي أرتبط فدعوني من دنياكم بملحي و أقراصي فبتقوى الله أرجـو خلاصـي مـا لعلي ونعيم يفنى ولذة تنتجـها المعـاصي سـألقى وشـيعتي ربنـا بعيـون مـرة وبطون خماص ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكـافرين ونعـوذ بـالله مـن سيئات الأعمال وصلى الله على محمد وآله))[1] انتهى كلامـه عليه السلام انظـر في هذا الكلام تجد مقامـه عليه السلام في تـرك الدنيـا لأنـه عليه السلام وأولاده الطـاهرون الآخرة كما تقدم في هذه الخطبة التي نحن بصدد شرحها، وقد فسرت الآخـرة في القرآن في البـاطن بعلـي عليه السلام ولا يكـون محـض الآخـرة إلا بـالإعراض

[1] أمالي الصدوق ٦٢٠ – ٦٢٣

الكلي عن الدنيا أو ما يوهم أنه هي لأن الدنيا هي الثاني من الأول ، فأثبت عليه‌السلام بتركه للدنيا بعلما سخرت له الرياح والهوام والطير لولايته المطلقة وهذا السر هو هيئة اللام في الخط العربي الإلهي فإن اللام مركبة من النون والألف فالنون في مقام الكثرة والألف سر الوحدة والربوبية والكثرة الغير المتصلة بالوحدة في مقام الذل والانكسار والانجمادات والفناء والزوال والتغير والاضمحلال والبطلان والعقاب والنكال والنفي والعدم قال عليه‌السلام ((وبإرادتك دون نهيك منزجرة)) بعلما قال ((فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة))[1] .

والوحدة بدون التعلق بالكثرة والاتصال بها مقام الجلال والعظمة والخفاء وعدم الظهور وهومقام الربوبية إذ لا مربوب إما مطلقا أو في العين وإن كان في الذكر فإن ذلك لا يوجب ظهور الكثرة وبروزها ، والوحدة أي الربوبية المتعلقة بالكثرة المتصلة بها الغير المنفصلة عنها هي حقيقة الولاية المطلقة والسلطنة العامة والإمامة الخاصة ، ولما كانت اللام قد حكت هذه اللطيفة جعلت اسما لعلي عليه‌السلام لأنه عليه‌السلام مدلول هذا الأسم وأثر هذا الطلسم فأثبت عليه‌السلام بقوله ((سخر لي .. إلخ)) سر اسم اللام وبقوله ((أعرضت عنها) أي الدنيا سر عدم الانفصال فإن الدنيا من حيث هي هي فصل بين الله وبين عبده فلا يحول بين العبد وبينه تعالى شيء إلا الدنيا لأنها

---

[1] دعاء السمات

هي دار الغرور وإنما هي لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ، انظر الآن إلى الدهن المتعلق بالنار إذا تعلق بها وتخللت في كل أجزائه وأطواره يحصل منها نور يستضاء به وأما إذا قويت جهة الدهن ضعف النور إلى أن لم يبق للنار محل فتلحق بمركزها وتعود إلى أصلها و إذا قويت جهة النار وضعفت جهة الدهن بحيث احترق كله تصاعدت الأجزاء المحترقة مصاحبة للنار ويبطل النور أي يخفي لشدة اللطافة المشابهة للطافة المبدأ فإذا كان التعلق ثابتا والانفصال من أحد الطرفين منتفيا يبقى النور والضياء إلى أن يشاء الله ، فأثبت عليه السلام بالفقرة الأولى في بيان التسخير المتعلق بالرياح وما بعدها عدم الانفصال من جهة المبدأ الحق ، ثم بالفقرة الثانية في بيان إعراضه عن الدنيا عدم الانفصال من جهة نفسه أي جهة الدهن فكان بذلك وليا مطلقا حامل آثار الربوبية المتعلقة لجهات العبودية ونورا كاملا يستضاء به في كل الأحوال الظاهرية والباطنية فلختير له عليه السلام فيما اختير له من الاسم الدال عليه عليه السلام السلام ولذا كانت دورة القمر الذي هو مثال ظهوره عليه السلام ثلاثين وسر الاسم التام عندنا في الحرف الأوسط والحرف الأول كالرأس في الجسد والحرف الأوسط كالقلب فيه ثم جعل على يمين القلب الذي هو اللام في هذا الاسم الشريف العين للإشارة إلى ثمرة السلام أي ثمرة الألف المتعلقة بالنون أي ثمرة توجه العبد إلى الله سبحانه في مقام (إلهي كيف أدعوك و أنا أنا وكيف لا أدعوك و أنت أنت) وتلك هي الضياء

والنور الموجود في السراج عند تعلق النار بالدهن الذي أضاء بنور شعاعه ما يقابله ، وهي هنا في الظاهر كونه عليه السلام حاملا لأمر الله التكويني والتشريعي الذي بهما قامت السموات والأرض والأمر هو قول كن لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] فكان كن هو أمر الله وكن استنطاقه من الحروف العين بالحسابيين أي حساب المغاربة وغيرهم فبحمله عليه السلام ذلك الأمر كان وليا مطلقا كما أن السراج بحمله أثر النار وفعلها كان مضيئا مطلقا فالعين سر اللام لا باطنها بل ظاهرها فافهم .

ثم تمم اسمه الشريف بالياء عن يسار اللام لبيان أنه عليه السلام حامل الولاية وحامل اللواء لا صاحب اللواء وقد قال صلى الله عليه وآله ((أعطيت لواء الحمد وعلي حامله)) ثم صار هذا الاسم الأقدس الأعظم كصاحبه عليه السلام جامع المقامات وحاوي المراتب على كمالها من الألوهية والعبودية كما هو مقتضى ظهور الرب بفعله في العبد لا بذاته وترك العبد الدنيا وإعراضه عنها فهوعلى فعل ماض من علا يعلو مثل دعا يدعو وذلك ظهور العين وهو كن أي مبدؤه الذي هو الفعل الماضي كما حققنا في بعض أجوبتنا للمسائل وهوحينئذ مبدأ الأفعال والأسماء وسر المسخر بكسر الخاء بقوله عليه السلام ((وسخر لي .. إلخ)) ، وهو على من الحروف الجارة أي الاستعلاء الذي

---

[1] يس ٨٢

يخفض عنده كل شيء ولذا يكسر ويجر ويخفض مدخوله إلا أحمد وعمر أما أحمد فلوزن الفعل وأما عمر فللعدل التقديري وإن كانا مجرورين بالباطن بل قالوا في الظاهر إلا أن جرهما بالفتح أما أحمد فلسر ((علمته علمي)) كما علمه علمه صلى الله عليه وآله وسلم و أما عمر فلقوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1] وأما ما سواهما من الأسماء الغير المنفصلة فلرجوعهما إليهما فافهم إن كنت تفهم والا فأسلم تسلم ، وهو حينئذ رابطة الإيصال وحينئذ الفرع الكريم كما أنه في الأول الأصل القديم وهوحينئذ حامل الولاية ومحل المشيئة كما قالوا عليهم السلام ((نحن محال مشيئة الله وألسنة إرادته وترجمان وحيه)) كما أنه في الأول أصل الولاية ومبدؤها ومنشؤها وهوعلي عليه السلام مبالغة لاسم الفاعل عال وهو عليه السلام حينئذ باب الله وصراطه وسبيل الله إذ فيه شباهة للفعل مع كونه اسما كما هو شأن الأبواب المعتبر فيهم نسبة الطرفين وكونهم من سنخ الأسفل كما قال عز وجل ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[2] وهو عليه السلام علي اسم من أسمائه يجري عليه حكم الاسم الجامد فإن الكلمات الكونية الوجودية كلها على أحوال أربع إما أن تعمل ولا تعمل أصلا كفعل الماضي والحروف العاملة ، وإما أن تعمل وتعمل كفعل المضارع و اسم الفاعل والمفعول وأمثالهما ، وإما أن تعمل ولا تعمل كالجوامد من الأسماء ، وإما أن لا تعمل

---

[1] العنكبوت ٤ [2] الأنعام ٩

ولا تعمل كباقي الحروف ، فالمرتبة الأولى مقام المشيئة وتوابعها من الملائكة وحملة العرش ، والثانية هم الأنبياء والمرسلون ، والثالثة هم الرعايا والتابعون والمؤمنون الممتحنون وغيرهم مما لا يظهر فيهم المثال ، والرابعة هم الكفار المعاندون في ظاهر الإقرار ، وهو عليه السلام قد حوى المراتب الأربعة إلا الرابعة لأنها لا تصلح لمقامه ولا تناسب لمرتبته فافهم لقد القيت لك البذر المنقى المصفى فاحفظه عن الزوال والله خليفتي عليك .

ثم إن الدنيا دنيا وإن الدنيا ملعونة ودنيا بلاغ ، فالأولى هي التي تشغلك عن ذكر الله عز وجل ، والثانية هي التي توصلك إلى رضاه وإلى قربه ، فالدنيا التي أعرض عليه السلام عنها هي الملعونة لا البلاغ وإلا لما ظهر بين ظهراني الخلائق ، ولما كانت اللذات الفانية الزائلة كلها مما يشغل عن ذكر الله عز وجل وإلا لم يكن زائلا فانيا لأن ما من الله وما عنده وما يؤول إله حي باق قد ألقى سبحانه فيه مثاله فيجب الإعراض عن كلما لذته تفنى وثمرته تزول وهذه المآكل الجثنة واللباس الخشنة وأمثالهما من الأمور التي كان يستعملها عليه السلام وإن كانت هي الدنيا لكنها دنيا بلاغ ومع ذلك كان منها توبته إلى الله واستغفاره وتضرعه وبكاؤه لأكله وشربه ولبسه وحياته بل لصومه وصلاته ولم يترك هذا المقدار من الدنيا لأنها لم تكن من جهة اللذة ولأن تركها يستلزم ما هو أقبح فافهم الإشارة وليس الآن موضع كشف هذه الأسرار فليترقب فيما بعد إنشاء الله .

و أما سائر أئمتنا عليهم السلام فهم إنما لبسوا اللباس الفاخر و أكلوا المآكل الطيبة لتشابهم مع الناس حتى يتمكنوا من هدايتهم لأنهم عليهم السلام لم يكونوا مبسوطي اليد ونافذي الحكم كما كان علي عليه السلام ففعلوا ما فعلوا إثباتا للدين وتشييدا لما أتى به سيد المرسلين عليه وعليهم صلوات الله عليهم أبد الآبدين ، و إنما هم عليهم السلام معرضون عن الدنيا كما أعرض جدهم وأبوهم صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

قال عليه السلام وروحي له الفداء وحتى متى يلحق بي اللواحق لقد علمت ما فوق الفردوس الأعلى وما تحت السابعة السفلى وما في السموات العلا وما بينهما وما تحت الثرى كل ذلك علم إحاطة لا علم إخبار

لما بين عليه السلام بأنه الولي المطلق حيث سخرت له الأشياء وأعرض عن الدنيا وما فيها فكان بذلك النير الذي استضاء به الأرض والسماء أي أرض القوابل وسماء المقبولات أراد عليه السلام أن يبين أنه المتفرد بذلك ولا أحد من المخلوقين يصل إليه وهو المحيط على دائرة الأكوان والإمكان وما سواه إما ذاته وعين حقيقته أو رعية وتابع ، وأراد أن يبين ذلك على جهة الاس تدلال بأخصر المقال ليهلك من هلك على بينه ويحيى من سبق له من الله العناية فقال عليه السلام ((وحتى تى يلحق بي اللواحق)) على سبيل الإنكار يعني لا يمكن أن يلحق بي اللواحق كما في الزيارة ((فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين و أعلى منازل لمقربين وأشرف درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يطمع في إدراكه طامع حتى لا يبقى ملك مقرب ولا

نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دني ولا فاضل ولا مؤمن صالح وفاجر طالح ولا جبار عنيد وشيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلالة أمركم وعظم خطركم وكبر شأنكم))[1] الزيارة ، وقال عليه السلام كما في الكافي عن الصادق ((إن الله تعالى خلقنا من طينة مكنونة مخزونة عنده ولم يجعل في مثل الذي خلقنا منه نصيبا لأحد من المخلوقين ثم خلق شيعتنا من طينة مكنونة مخزونة تحت تلك الطينة وخلق من تلك الطينة الأنبياء والمرسلين)) نقلت معنى الحديث ، وفي أحاديث خلق أنوارهم ما يغني عن الكلام كما في الحديث إن الله سبحانه خلقهم قبل خلق الخلق بمائة ألف دهر وكل دهر مائة ألف عالم وفي رواية أخرى ألف دهر وفي رواية أربعة عشر ألف دهر ثم خلق الخلق كلهم بعد خلق أنوارهم بتلك المدة وحديث آدم عليه السلام المشهور أنه عليه السلام لما نظر إلى ساق العرش رأى أسماءهم عليهم السلام مكتوبة عليه فقال يا رب من هؤلاء فأوحى الله سبحانه إليه ((يا آدم إن هؤلاء كرام خلقي وصفوة بريتي لولاهم ما خلقتك ولا أحد من الخلق)) الحديث ، وحديث خلق نور محمد صلى الله عليه وآله روى سهل التستري وشيبان الراعي أنهما لاقى الخضر وسمعا منه أنه قال ((خلق الله نور محمد صلى الله عليه وآله من نوره وصوره على يده فبقي ذلك النور بين يدي الله مائة ألف عام فكان يلاحظه

[1] الزيارة الجامعة الكبيرة

كل يوم وليلة سبعين ألف لحظة ونظرة ويكسـوه في كـل نظـرة نـورا جديـدا وكرامة جديدة ثم خلق منها الموجودات)) .

في بصائر الأنوار عـن جـابر بـن عبـدالله قـال ((قلـت لرسـول الله ﷺ أول شيء خلق الله ما هو ، فقال نور نبيك يا جابر خلقه الله وخلق منـه كل خير ثم أقام بين يدي في مقام القرب ما شاء الله ثم جعلـه أقسـاما فخلـق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله ثم جعله أقسـاما فخلـق القلـم من قسم واللوح من قسم والجنـة مـن قسـم وأقـام القسـم الرابـع في مقـام الخوف ما شاء الله ثم جعله أجزاء فخلق الملائكة من جزء والشمس من جـزء والقمر والكواكب من جزء وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله ثم جعله أجزاء فخلق العقـل مـن جـزء والعلـم والحلـم مـن جـزء والعصمـة والتوفيق من جزء وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله ثم نظـر إليـه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف قطـرة وأربعـة وعشـرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين))[1] .

وفي كتاب نور الأنوار عن جابر قال ((قـال رسـول الله ﷺ أول مـا خلق الله نوري ابتدعه من نوره و اشـتقه مـن جـلال عظمتـه فـأقبل يطـوف

[1] البحار ٢٥/٢١ - ٢٢

بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة ثم سجد لله تعظيما ففتق منه نور علي عليه السلام فكان نوري محيطا بالعظمة ونور علي محيطا بالقدرة ، ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري ونوري مشتق من نوره فنحن الأولون ونحن الآخرون ونحن السابقون ونحن المسبحون ونحن الشافعون ونحن كلمة الله ونحن خاصة الله ونحن أحباء الله ونحن وجه الله ونحن جنب الله ونحن يمين الله ونحن أمناء الله ونحن خزنة وحي الله وسدنة غيب الله ونحن معدن التنزل ومعنى التأويل وفي أبياتنا هبط جبرائيل ونحن محال قدس الله ونحن مصابيح الحكمة ونحن مفاتيح الرحمة ونحن ينابيع النعمة ونحن شرف الأمة ونحن سادات الأئمة ونحن نواميس العصر وأحبار الدهر ونحن سادة العباد ونحن ساسة البلاد ونحن الكفلة والولاة والحماة والسقاة والرعاة وطريق النجاة ونحن السبيل والسلسبيل ونحن النهج القويم والطريق المستقيم من آمن بنا آمن بالله ومن رد علينا رد على الله ومن شك فينا شك في الله ومن عرفنا عرف الله ومن تولى عنا تولى عن الله ومن أطاعنا أطاع الله ونحن الوسيلة إلى الله والوصلة إلى رضوان الله ولنا العصمة والخلافة والهداية وفينا النبوة والولاية والإمامة ونحن معدن الحكمة وباب الرحمة وشجرة العصمة ونحن كلمة التقوى والمثل الأعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى التي من تمسك بها نجى ومن تخلف عنها هوى (وكان في قضاء الله السابق أن

لا يدخل النار محب لنا ولا يدخل الجنة مبغض لنا لأن الله يسأل العباد يوم القيامة عما عهد إليهم ولا يسألهم عما قضى عليهم)))[1] .

وفي تأويل الآيات عن الشيخ أبي جعفر الطوسي بإسناده عن الفضل بن شاذان بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام العالم موسى ابن جعفر عليه السلام ((قال إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وآله من نور اخترعه من نور عظمته وجلاله وهو نور لاهوتيته الذي ابتدأ من لاه أي من إلهيته من أينيته الذي ابتدأ منه وتجلى لموسى بن عمران عليه السلام به في طور سيناء فما استقر له ولا طاق موسى لرؤيته ولا ثبت له حتى خر صاعقا مغشيا عليه وكان ذلك النور محمدا صلى الله عليه وآله فلما أراد الله أن يخلق محمدا منه قسم ذلك النور شطرين فخلق من الشطر الأول محمد صلى الله عليه وآله ومن الشطر الآخر علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يخلق من ذلك النور غيرهما خلقهما الله بيده ونفخ فيهما بنفسه من نفسه لنفسه وصورهما على صورتهما وجعلهما أمناء له وشهداء على خلقه وخلفاء على خليقته وعينا له عليهم ولسانا له إليهم قد استودع فيهما علمه وعلمهما البيان واستطلعهما على غيبه وجعل أحدهما نفسه والآخر روحه لا يقوم واحد بغير صاحبه ظاهرهما بشرية وباطنهما لاهوتية ظهرا للخلق على هياكل الناسوتية حتى يطيقوا رؤيتهما وهوقوله تعالى (وللبسنا عليهم ما يلبسون) فهما مقام رب العالمين وحجاب خالق الخلائق

---

[1] البحار ٢٥ / ٢٢ وما بين الأقواس في حديث آخر ص ٢٤

أجمعين بهما فتح الله الخلق وبهما يختم الملك والمقادير ثم اقتبس من نور محمد ﷺ فاطمة عليها السلام ابنته كما اقتبس نوره من نوره واقتبس من نور فاطمة وعلي الحسن والحسين عليهم السلام كاقتباس المصابيح هم خلقوا من الأنوار وانتقلوا من ظهر إلى ظهر وصلب إلى صلب ومن رحم إلى رحم في الطبقة العليا من غير نجاسة بل نقلا بعد نقل لا من ماء مهين ولا من نطفة خشرة كسائر خلقه بل أنوار انتقلوا من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات لأنهم صفوة الصفوة اصطفاهم لنفسه وجعلهم خزائن علمه وبلغاء عنه إلى خلقه أقامهم مقام نفسه لأنه لا يرى ولا يدرك ولا تعرف كيفيته ولا إنيته فهؤلاء الناطقون المبلغون عنه المتصرفون في أمره ونهيه فيهم يظهر قدرته ومنهم ترى آياته ومعجزاته وبهم ومنهم عرف عباده نفسه وبهم يطاع أمره ولولاهم ما عرف الله ولا يدرى كيف يعبد الرحمن فالله يجري أمره كيف شاء فيما يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون))[1] انتهى .

قوله (تجلى لموسى) إلى قوله عليه السلام (وكان ذلك النور محمدا ﷺ) لا ينافي ما ورد عنهم عليهم السلام إن ذلك نور رجل من الكروبيين من شيعتنا لأن ذلك الرجل من محمد ﷺ كالصورة في المرآة فمن رأى الصورة في المرآة يحكم في المقابل فيها وهي ليست عين المقابل ولا غيرها لا فرق بينها وبينه إلا أنها عبده وخلقه فافهم .

---

[1] تأويل الآيات ٣٩٣ – ٣٩٥

وعن تأويل الآيات والبحار عن مصباح الأنوار للشيخ الطوسي رضوان الله عليه بإسناده عن أنس عن النبي عليه السلام قال ((إن الله خلقني وخلق عليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قبل أن يخلق الله آدم حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار ، فقال العباس فكيف كان بدأ خلقكم يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم كلمة خلق منها نورا ثم تكلم كلمة أخرى فخلق منها روحا ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق عليا وفاطمة والحسن والحسن عليهم السلام فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس فلما أراد الله تعالى أن ينشئ الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري ونوري من نور الله ونوري أفضل من العرش ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة فالملائكة من نور علي ونور علي من نور الله وعلي أفضل الملائكة ثم فتق نور ابنتي فاطمة فخلق منه السموات والأرض فالسموات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور ابنتي فاطمة من نور الله وابنتي فاطمة أفضل من السموات والأرض ثم فتق نور ولدي الحسن وخلق منه الشمس والقمر فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه

الجنة والحور والعين فالجنة والحور العين من نور ولدي الحسين ونـور ولـدي الحسين من نور الله وولدي الحسين أفضل من الجنة والحور العين))[1] انتهى .

قوله صلى الله عليه وآله ((إن الله تكلم بكلمة .. الخ)) ، وهـي كلمـة كـن وهـي التي انزجر لها العمق الأكبر والنور المخلوق منها هوالوجود الماء الذي به حياة كل شيء وهي نور الأنوار إذ به قام كل نور ومنه استوى كل خـير والكلمـة الأخرى هي الإرادة كما أن الأولى هي المشيئة وهي كن إلا أن هنا ظهور النون كما أن في الأولى ظهور الكاف ، والروح في هـذا المقـام أرض الجـرز والبلـد الطيب والقابلية الأولى والدواة الأولى ، وإطلاق الروح عليها لظـهور الحيـاة والحركة وترتب الآثار بها ومنها وإليها كما تحقق في محله وهذا دليل علـى أن الماهية مجعولة بجعل سوى جعل الوجود اختلاط النور بالروح وقوع ذلك الماء على أرض الجرز وتعلق الوجـود الأول بالماهيـة الأولى ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[2] فخلق منـه تلك الأشباح المطهرة لأنهم حقيقة واحدة ، ونسب خلق العرش من فتق نوره صلى الله عليه وآله لأنه مقام الإجمال والوحدة والبساطة وهو المبدأ وقد حكى في كل ذلـك عن مقامه صلى الله عليه وآله وفتق النور ليس كفتق الحبة وخلق السنبلة و إنما هـو كفتـق ظهور السراج لخلق الشعاع والمقـابل لخلـق الصـورة في المـرآة اللـهم إلا أن يكون المراد من العـرش العقـل الكلـي ، ونسـب خلـق الملائكـة إلى علـي

---

[1] تأويل الآيات ١٤٣ – ١٤٤ [2] الحج ٥

عليه السلام لأنه حامل الولاية الظاهرة بإعطاء كل ذي حق حقه والسوق إلى كل مخلوق رزقه والملائكة حملتها وحفظتها ونسب نور علي عليه السلام إلى الله لا إلى نفسه لبيان أنهما حقيقة واحدة وأن الفتق إنما هو بظهور الأثر لا بحقيقة الذات فافهم، وهكذا في باقي الأئمة عليهم السلام، ونسب خلق السموات والأرض إلى نور فاطمة عليها السلام لوجوه منها أن فلك الجوزهر يحكي صفتها حين نسبتها إلى علي عليه السلام فاجتمعت عندها مراتب القابليات والمقبولات فالسموات رتبة المقبولات وهي السموات الدائرة على الأرضين والأرضون هي القابليات فخلق من نورها السموات من حيث اتصالها بعلي عليه السلام والأرض من حيث اتصاله بها عليها السلام، ومنها أن العرش وملائكة الكرسي هي المبادئ من حيث الفاعل والسموات هي المبادئ من حيث قابلية ظهور الفاعل والأرض هي نفس القابلية من جهة حملها لظهورات الفاعل وهذه حكاية صفة فاطمة عليها السلام فافهم فإنه دقيق جدا، ونسب صلى الله عليه وآله وسلم الشمس والقمر إلى الحسن عليه السلام لأنه عليه السلام أول نور ظهر وبرز منها وهو أشرف منها وكانت حاملا له كالكواكب فإنها أشرف من الأفلاك والشمس أشرف من الكواكب ونورها كالحسن عليه السلام فإنه أشرف أولادها عليها السلام واقتصر على الشمس والقمر من سائر الكواكب لأنهما الأصلان وهي تنتهي إليهما سيما إلى الشمس فالقمر مع الشمس مقام الإجمال كما هو نسبة مقامه

عليه السلام والشمس مع القمر مقام التفصيل كما هو مقام أخيه ، ومعنى قولي الشمس مع القمر والعكس أي بتبعية أحدهما للآخر إذ لا ظهور لأحدهما إلا بالآخر ، ونسب الجنة والحور العين إلى الحسين عليه السلام لأنه عليه السلام صاحب مقام التفصيل وكوكبه القمر والحور العين كلها منسوبة إليه والجنة فكوكبها الشمس مع القمر فظهرت الجنات ، وتفصيل الأمر في هذا المقام موكول إلى ما يأتي إنشاء الله وإلى ما مضى .

وفي المشارق عن طارق بن شهاب عن أمير المؤمنين عليه السلام في بيان صفة الإمام عليه السلام إلى أن قال عليه السلام ((مطهر من الذنوب مبرأ من العيوب مطلع على الغيوب ظاهره أمر لا يملك وباطنه غيب لا يدرك واحد دهره وخليفة الله في نهيه وأمره لا يوجد له مثيل ولا يقوم له بديل فمن ذا ينال معرفتنا أو يعرف درجتنا أو يشهد كرامتنا أو يدرك منزلتنا حارت الألباب والعقول وتاهت الأفهام فيما أقول تصاغرت العظماء وتقاصرت العلماء وكلت الشعراء وخرست البلغاء ولكنت الخطباء وعجزت الفصحاء وتواضعت الأرض والسماء عن وصف شأن الأولياء وهل يعرف أو يوصف أو يعلم أو يفهم أو يدرك أو يملك من هو شعاع جلال الكبرياء وشرف الأرض والسماء جل مقام آل محمد صلى الله عليه وآله عن وصف الواصفين ونعت الناعتين وأن يقاس بهم أحد من العالمين وكيف وهم الكلمة العلياء والتسمية البيضاء والوحدانية الكبرى التي أعرض عنها من أدبر وتولى

وحجاب الله الأعظم الأعلى فأين الاختيار من هذا وأين العقول من هذا ومن ذا عرف أو وصف من وصفت ظنوا أن ذلك في غير آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كذبوا وزلت أقدامهم اتخذوا العجل ربا والشياطين حزبا)) إلى أن قال عليه السلام ((والإمام يا طارق بشر ملكي وجسد سماوي وأمر إلهي وروح قدسي ومقام علي ونور جلي وسر خفي فهو ملك الذات إلهي الصفات زائد الحسنات عالم بالمغيبات خصا من رب العالمين ونصا من الصادق الأمين وهذا كله لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يشاركهم فيه مشارك لأنهم معدن التنزيل ومعنى التأويل وخاصة الرب الجليل مهبط الأمين جبرائيل وصفوة الله وسره وكلمته شجرة النبوة ومعدن الصفوة عين المقالة ومنتهى الدلالة ومحكم الرسالة ونور الجلالة جنب الله ووديعته وموضع كلمة الله ومفتاح حكمته ومصابيح رحمة الله وينابيع نعمته السبيل إلى الله والسلسبيل والقسطاس المستقيم والمنهاج القويم والذكر الحكيم والوجه الكريم والنور القديم أهل التشريف والتقويم والتقديم والتعظيم والتفصيل خلفاء النبي الكريم وأبناء الرؤوف الرحيم وأمناء العلي العظيم ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم السنام الأعظم والطريق الأقوم من عرفهم وأخذ عنهم فهو منهم وإليه الإشارة بقوله (فمن تبعني فإنه مني) خلقهم الله من نور عظمته وولاهم أمر مملكته فهم سر الله المخزون وأولياؤه المقربون وأمره بين الكاف والنون (لا بل هم الكاف والنون) إلى الله يدعون وعنه يقولون وبأمره يعملون علم الأنبياء في

علمهم وسر الأوصياء في سرهم وعز الأولياء في عزهم كالقطرة في البحر والذرة في القفر والسموات والأرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها ويعلم برها من فاجرها ورطبها ويابسها لأن الله علم نبيه علم ما كان وما يكون وورث ذلك السر المصون الأوصياء المنتجبون ومن أنكر ذلك فهو شقي ملعون يلعنه الله ويلعنه اللاعنون وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السموات والأرض و إن الكلمة من آل محمد عليه السلام تنصرف إلى سبعين وجها وكلما في الذكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام القديم من آية تذكر فيها العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الولي لأنه جنب الله ووجه الله يعني حق الله وعلم الله وعين الله ويد الله (لأن ظاهرهم باطن الصفات الظاهرة وباطنهم ظاهر الصفات الباطنة فهم ظاهر الباطن وباطن الظاهر وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم أن لله عينا و أيادي أنت يا علي منها) فهم الجنب العلي والوجه الرضي والمنهل الروي والصرط السوي والوسيلة إلى الله والوصلة إلى عفوه ورضاه سر الواحد والأحد فلا يقاس بهم من الخلق أحد فهم خاصة الله وخالصته وسر الديان وكلمته وباب الإيمان وكعبته وحجة الله ومحجته وأعلام الهدى ورايته وفضل الله ورحمته وعين اليقين وحقيقته وصراط الحق وعصمته ومبدأ الوجود وغايته

وقدرة الرب ومشيئته وأم الكتاب وخاتمته وفصل الخطاب ودلالته وخزنة الوحي وحفظته وآية الذكر وتراجمته ومعدن التنزيل ونهايته))[1] .

في العوالي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال ((كما لا يقدر على صفة الله كذا لا يقدر على صفاتنا وكما لا يقدر على صفتنا لا يقدر على صفة المؤمن))[2] انتهى .

ولما اقتضى المقام ذكر فضائل ذلك الإمام عليه السلام فلا بأس أن نذكر خطبة البيان لأن فيها من فضائله عليه السلام ما لا يحيط به إنسان فتعرف بذلك أنه روحي فداه لا يلحقه لا حق ولا يطمع في إدراكه طامع قال عليه السلام على ما رواه علمائنا ودلت عليه الأخبار الكثيرة والآيات القرآنية والأدلة القطعية العقلية قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ((أنا الذي عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد محمد صلى الله عليه وآله غيري وأنا بكل شيء عليم أنا الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم وعلي بابها أنا ذو القرنين المذكور في الصحف الأولى أنا الحجر الذي تفجر منه اثنتى عشرة عينا من الحجر أنا الذي عندي خاتم سليمان أنا الذي أتولى حساب الخلائق أجمعين أنا اللوح المحفوظ أنا جنب الله أنا قلب الله إنا إلينا إيابهم ثم إنا علينا حسابهم أنا الذي قال

---

[1] البحار ٢٥/١٦٩ – ١٧٤ وما بين الأقواس لعله شرح المصنف أعلى الله مقامه وأنار الله في الدارين أعلامه .

[2] عوالي اللآلي ١/٤٣٦

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا علي الصراط صراطك والموقف موقفك أنا الذي عنده علم الكتاب ما كان وما يكون أنا آدم الأول أنا نوح الأول أنا إبراهيم الخليل حين ألقي في النار أنا موسى أنا مؤنس المؤمنين أنا فتاح الأسباب أنا منشر السحاب أنا مورق الأشجار أنا مخرج الثمار أنا مجري العيون أنا داحي الأرضين أنا سماك السموات أنا فصل الخطاب أنا قسيم الجنة والنار أنا ترجمان وحي الله أنا معصوم من عند الله أنا خازن علم الله أنا حجة الله على من في السماء وفوق الأرضين أنا قائم بالقسط أنا دابة الأرض أنا الراجفة أنا الرادفة أنا الصحية بالحق يوم الخروج الذي لا يكتم عنه خلق السموات والأرض أنا الساعة التي لمن كذب بها سعيرا أنا ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه أنا الأسماء التي أمر الله أن يدعى بها أنا النور الذي اقتبس منه موسى فهدى أنا هادم القصور أنا مخرج المؤمنين من القبور أنا الذي عندي ألف كتاب من كتب الأنبياء أنا المتكلم بكل لغة في الدنيا أنا صاحب نوح ومنجيه أنا صاحب أيوب المبتلى وشافيه أنا صاحب يونس ومنجيه أنا أقمت السموات السبع بنور ربي وقدرته أنا الغفور الرحيم وإن عذابي هو العذاب الأليم وأنا الذي أسلم إبراهيم الخليل وأقر بفضلي أنا عصا الكليم وبه أخذ بناصية الخلق أجمعين أنا الذي نظرت في الملكوت فلم يغب عني شيء وغاب عن غيري أنا الذي أحصي هذا الخلق وإن كثروا حتى أؤديهم إلى الله أنا الذي لا يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد أنا ولي الله في أرضه والمفوض

إليه أمره والحاكم في عباده أنا الذي دعوت الشمس والقمر فأجاباني وأنا الذي دعوت السبع السموات فأجابوني وأمرتها فينصبوني أنا الذي بعثت النبيين والمرسلين أنا فطرة العالمين أنا داحي الأرضين والعالم بالأقاليم أنا أمر الله والروح كما قال تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[1] أنا سيرت الجبال وبسطت الأرضيين أنا مخرج العيون ومنبت الزروع ومغرس الأشجار ومخرج الثمار أنا الذي أقدر أقواتها وأنا منزل القطر ومسمع الرعد ومبرق البرق أنا مضئ الشمس ومطلع الفجر ومنشئ النجوم وأنا منشئ جوار الفلك في البحور أنا الذي أقوم الساعة أنا الذي إن مت لم أمت وإن قتلت لم أقتل أنا الذي أعلم ما يحدث أنا الذي آن بعد آن وساعة بعد ساعة أنا الذي أعلم خطرات القلوب ولمح العيون وما تخفي الصدور وأنا صلاة المؤمنين وزكاتهم وحجهم وجهادهم أنا الناقور الذي قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾[2] أنا صاحب النشر الأول والآخر أنا أول ما خلق الله نوري أنا صاحب الكواكب ومزيل الدولة أنا صاحب الزلازل والرجف أنا صاحب الذي أعلم المنايا والبلايا وفصل الخطاب أنا صاحب ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴾[3] ونازلها أنا المنفق الباذل بما

---

[1] الإسراء ٨٥ — [2] المدثر ٨ — [3] الفجر ٧ –٨

فيها أنا الذي أهلكت الجبارين والفراعنة المتقلمين بسيف ذي الفقار أنا الذي حملت نوح في السفينة أنا الذي أنجيت إبراهيم من نار نمرود ومؤنسه أنا مؤنس يوسف الصديق في الجب ومخرجه أنا صاحب موسى والخضر ومعلمهما أنا منشئ الملكوت والكون وأنا البارئ أنا المصور في الأرحام أنا الذي أبرئ الأكمه والأبرص وأعلم ما في الضمائر أنا أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أنا البعوضة التي ضرب الله بها المثل أنا الذي أقامني الله والخلق في الأظلة ودعى إلى طاعتي فلما أظهره أنكروا أمره كما قال عز وجل ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾[1] أنا الذي كسوت العظام لحما ثم أنشأناه بقدرته أنا حامل عرش الله مع الأبرار من ولدي وحامل العلم أنا أعلم بتأويل القرآن والكتب السالفة أنا الراسخ في العلم أنا وجه الله في السموات ولأرض كما قال الله تعالى﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴾[2] أنا صاحب الجبت والطاغوت ومحرقهما أنا باب الله الذي قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[3] أنا الذي خلمني جبرائيل وميكائيل أنا الذي حمل جبرائيل وميكائيل إلى الماء من الجنة أنا الذي يتقلب الملائكة على فراشي ويعرفني عباد كل إقليم الدنيا أنا الذي رددت الشمس مرتين أنا الذي خصّ الله جبرائيل وميكائيل بالطاعة لي أنا اسم من أسماء الله

---

[1] البقرة ٨٩ [2] القصص ٨٨ [3] الأعراف ٤٠

الحسنى وهوالأعظم الأعلى أنا صاحب الطور والكتاب المسطور أنـا البيـت المعمور أنا الحرث والنسل أنا الذي فرض الله طاعتي على قلب كـل ذي روح متنفس من خلق الله أنا الذي أنشـر الأولـين والآخريـن أنـا قـاتل الأشـقياء بسيفي ذي الفقار ومحرقهم بناري أنا الذي أظهرني على الدين أنا المنتقم من الظالمين أنا الذي أدى دعـوة الأمـم كلـها إلى طـاعتي ومـن كفـرت وأصـرت مسخت أنا الذي أرد المنافقين من حوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنـا بـاب فتـح الله لعباده من دخله كان آمنا ومن خرج منه كـان كـافرا أنـا الـذي بيـدي مفـاتيح الجنان ومقاليد النيران أنا الذي جهد الجبابرة بإطفاء نور الله و ادحاض حجته فأبى الله إلا أن يتم نوره وولايته أعطى الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم نهر الكوثـر وأعطـاني نهر الحياة أنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأرض فعرفني الله ما شاء ومنعني ما يشاء أنا قائم في ظلة خضر حيث لا روح تتحرك ولا نفس تتنفس غيري أنـا علـم صامت ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم علم نـاطق أنـا القـرون الأولى أنـا صـاحب القـرن أنـا جاوزت موسى في البحر وأغرقت فرعون أنا عذاب يوم الظلة أنا الذي أعلم هماهم البهائم ومنطق الطير أنا آيـات الله وحجـج الله وأمـين الله أنـا أحيـي وأميت وأنا أخلق وأرزق أنا السميع العليم أنا البصير أنا الذي أجوز السبع السموات والأرضين السبع في طرفة العين أنا الأولى أنا الثانية أنا ذو القرنين كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنك ذو القرنين هذه الأمة أنـا صـاحب الناقـة الـتي أخرجها الله لنبيه صالح أن الذي نقر في الناقور ذلك يومئذ يـوم عسـير علـى

الكافرين غير يسير أنا الاسم الأعظم كهيعص أنا المتكلم على لسان عيسى في المهد صبيا أنا المتكلم على لسان صبي يوسف الصديق أنا الذي ليس كمثله شيء أنا العذاب الأعظم أنا الآخرة والأولى أنا أبدئ و أعيد أنا فرع من فروع الزيتون الذي قال الله والتين والزيتون وقنديل قناديل النبوة أنا مظهر الأشياء كيف أشاء أنا الذي أرى الأعمال لا يعزب عني شيء لا في الأرض ولا في السماء أنا مصباح الهدى أنا مشكاة فيها نور المصطفى أنا الذي ليس شيء من عمل عامل إلا بمعرفتي أنا خازن السموات وخازن الأرضين أنا قائم بالقسط أنا عالم بتغيير الزمان وحدثانه أنا الذي أعلم عدد النمل ووزنها وخففها ومقدار الجبال ووزنها وعدد قطرات الأمطار أنا آيات الله الكبرى التي أراها الله فرعون وعصى أنا أقتل قتلتين و أحيا حياتين أنا الذي رميت وجه الكفار كف تراب فرجعوا الهلكى أنا الذي جحد ولايتي ألف أمة فمسخهم الله أنا المذكور في سالف الزمان والخارج آخر الزمان أنا قاصم فراعنة الأولين ومخرجهم ومعذبهم في الآخرين أنا معذب الجبت والطاغوت ومحرقهم ومعذب يعوق ويعقوق ونسرا أنا المتكلم بسبعين لسانا ومفتي كل شيء على سبعين وجها أنا الذي أعلم بتأويل القرآن وما تحتاج إليه الأمة أنا الذي أعلم ما يحدث بالليل والنهار أمرا بعد أمر وشيئا بعد شيء إلى يوم القيامة أنا الذي عندي اثنان وسبعون اسما من أسماء الله العظام أنا الذي أرى أعمال الخلائق في مشارق الأرض ومغاربها ولا يخفى علي منهم

شيء أنا الكعبة والبيت الحرام والبيت العتيق كما قال تعالى فليعبدوا رب هذا البيت أنا الذي يملكني الله شرق الأرض وغربها أسرع من طرفة عين ولمح البصر أنا محمد المصطفى وعلي المرتضى كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي ظهر مني أنا الممدوح بروح القدس أنا المعنى الذي لا يقع علي اسم ولا شبه أنا أظهر الأشقياء الأشياء الوجودية كيف أشاء أنا باب حطتهم التي يدخلون فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطاهرين)) .

فإذا تأملت في هذه الأخبار ونظرت إليها بنظر الاعتبار علمت أن مقام آل محمد الأطهار عليهم سلام الله الملك الجبار أعلى وأجل من أن تناله البصائر والأبصار وأرفع من أن تصل إليه العقول والأفكار وقد قال عز وجل ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[1] والنعمة هي هم عليهم السلام وقال عز وجل ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾[2] والكلمات هي هم عليهم السلام وقد قال عز وجل ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[3] وقدر الله هم عليهم السلام وقال عز وجل ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[4] وهم عليهم السلام جنود الله الذين لا يعلمهم سواه تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((يا علي لا يعرفك إلا الله و أنا)) وقال تعالى ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ

---

[1] إبراهيم ٣٤ — [2] لقمان ٢٧ — [3] الأنعام ٩١

[4] المدثر ٣١

ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾[1] وهم تلك المفاتيح وتلك الغيوب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وقال سبحانه ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾[2] على قراءة الوقف إلى الله دون الراسخون في العلم وهم عليهم السلام تأويل القرآن الذي لا يعلمه إلا الله وعلى الوقف على الراسخون يكون هم الراسخون في العلم كما دلت الأخبار بصراحتها عليه فالمعنى حينئذ لا يعلمهم إلا الله وهم إذ الشيء يعلم ذاته لأنه علم ذاته .

وإذا أردت مقاما أزيد من ذلك بشرط أن لا تتوهم الغلو ولا تظن بالله ظن السوء ولا تصغر عظمة الله ولا تحقر قدرة الله فنقول هم المراد من قوله تعالى ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾[3] وإليهم تتعلق الإشارة وهو سبحانه أجل من أن يشار إليه بإشارة أو يعبر عنه بعبارة أويهتدي إليه سبيل وقال تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴾[4] أي بوليه وهم الأولياء الذين لا يحاط بهم علما وضمير الهاء كما تقدم إشارة بالإشارة عند الإشباع إلى علي عليه السلام وبالتلويح إلى محمد صلى الله عليه وآله وإلى فاطمة عليها السلام فإن الهاء إذا أشبعت كان عنها الواو وهما إذا نزلتا في الرتبة الثانية كان عنهما علي وهو قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[5] ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[6] ﴿ هُوَ

---

[1] الأنعام ٥٩ — [2] آل عمران ٧ — [3] الأنعام ١٠٣ — [4] طه ١١٠
[5] الزخرف ٤ — [6] البقرة ٢٥٥

﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[1] وبعد الإشباع بملاحظة زبرهما وبيناتهما يستنطق عنها الواحد وهو يثنى في الباء وهي تثنى في الدال وهي تثنى في الحاء وهي تخمس في الميم والمجموع هو الحمد فإذا أضفت الأصل الأول الذي هوعدد الواحد أي الهمزة كان أحمد وإذا أضيفت الميم في عالم تفصيل كان محمدا ﷺ وقد سبق تفصيل ذلك وإنما كررت الإشارة لئلا تحتاج إلى النظر وربما لا تحصل ما ذكرنا في الموضع الذي ذكرنا فيفوتك المقصود ، وبعد استنطاق الواحد من الهاء يلاحظ تثليثه فتكون عنه الثلاثة فتجذر تكون تسعة وتستنطق تكون عنه الطاء ويأخذ كماليها الظهوري والشعوري ويضمان مع الأصل الذي هوالطاء فتكون فاطمة لأن الفاء كمال الطاء الشعوري و (مه) كمالها الظهوري ومن الكمال الظهوري كان ظهور آدم أبوالبشر وباقي الأئمة عليهم السلام غصون في هذه الأصول الثلاثة فهم حينئذ هو أي الهاء مع الإشباع فضمير الهاء في كل المواضع القرآنية يرجع إليهم عليهم السلام وهم راجعون إلى الله إنا لله و إنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العي العظيم ، وقال عز وجل ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2] والرب هو المربي الصاحب والكاف هي كاف الخطاب التي هي ظهور المخاطب وهو الأعيان السفلية في مقام لا فرق بينك وبينهما إلا أنهم عبادك وخلقك فهناك يستحقون الاسم من باب الحقيقة الثانية التي هي بعد الحقيقة الأولى فيكون المراد حينئذ آل محمد عليهم السلام وهم

[1] الحج ٦٢

[2] الصافات ١٨٠

المتعالون عن الوصف والتوصيف ولا تتوهم أني أقول أنهم هم الله كلا وهم ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾[1] ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين، قال سبحانه وتعالى ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾[2] والله اسمه العلي كما قال الرضا عليه السلام وهو اسم الله والهاء اسمها هو وقد علمت الكلام في هو والهاء وحدها، فهم المتعالون عن الوصف فلا يلحقهم نعت ولا يصل إليهم إدراك والعباد المخلصون هم الأنبياء والمرسلون كما في الآية المتقدمة ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] وقال سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[4] وهم علم الساعة كما قال تعالى في حق عيسى عليه السلام الذي قال عز وجل أنه مثل لبني إسرائيل وهم هم عليهم السلام وفي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ((السلام على إسرائيل الأمة)) والآية

---

[1] الأنبياء ٢٦ - ٢٩   ٢ الصافات ١٥٩ - ١٦٠   ٣ الصافات ١٨٠ - ١٨٢

٤ لقمان ٣٤

الدالة على ما ذكرنا هي قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[1] إلى أن قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾[2] وما كان عيسى عليه السلام علم الساعة إلا لكونه مثالا لآل محمد عليهم السلام وهم عليهم السلام الغيث النازل من سماء الجود والكرم والفيض المنبسط على كل الأمم وهوقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾[4] وهم عليهم السلام الرحم والأرحام و أسرارهم المودعة فيها ولا يعلمها سوى الله عز وجل وهم النفس التي لا تدري ماذا تكسب غدا لتلاشيهم في مشيئة الله واضمحلالهم في قدرة الله فلا يجدون لأنفسهم وسائر أحوالهم تحققا إلا بالله وإليه الإشارة في باطن قول أمير المؤمنين عليه السلام ((لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة وهي قوله تعالى ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[5] وهم النفس التي لا يعلم بأي أرض تموت الأرض أرض القابلية أرض الجرز الدواة الأولى والأرض المقدسة المطهرة عن القوم الجبارين والنفس هي الحقيقة من الله والوجه الأسفل فيها

---

[1] الزخرف ٥٧ – ٥٩　　٢ الزخرف ٦١　　٣ الأنبياء ٣٠

٤ الفرقان ٥٤　　٥ الرعد ٣٩

وهوالفيض الاختراعي فإذا تعلق ذلك الفيض بالقابلية تعـين وتحـدد بعدمـا كان غير متعين وغير محدود وبعبارة أخرى لما نزل الماء الإلهي على أرض الجرز اختفى واسـتجن فيـها لإنبـات النبـات و إظـهار الثمـرات وهـذا الاختفـاء والاستجنان هو الموت ولما كان ذلك الفيض سرمديا انقطعت عنده الأوقـات والأزمان فلا يوصف بمتى وأين فلا يقال بأي أرض تموت لأن ذلك مـا يكـون إلا حين الوقوع و أما القبل فلا قبل ولو فرض فلا تعيين ولا اختصـاص ، أو لما كان الممكن دائم السيلان لشدة افتقاره إلى الله سبحانه فلا بد له في كل آن مدد جديد لم يكن عنده فلم يكن علمه عنده وإلا لاستغنى وذلك المدد مساوق لمحله وهو أرضه فلا يعلـم الممكـن مـا يـرد عليـه مـن الإمـدادات بقوابلـها وحدودها قبل أن ترد ، ولما كـان آل محمـد عليهم السلام واقفـين علـى بـاب القـدرة ومقابلين لفوارة القدر كـان لهـم هـذا الحكـم بالأصالـة الحقيقيـة ولغـيرهم بالعرض ولما لم يكن عند الله سـواهم كـانوا عليهم السلام هـم المخصوصـون بـهذه الخمسة وهم هـذه الخمسـة الـتي تفـرد الله بعلمـها كمـا قـال أمـير المؤمنـين عليه السلام إن الله تفرد بخمسة ثم قرأ هذه الآية فلا يعلمـهم ولا يعلـم أسـرارهم على ما هم عليه إلا الله سبحانه وهم بتعليم الله سـبحانه إيـاهم أنفسـهم وفي الدعاء ((هب لي نفسي)) .

أهل النهي عجزوا عن وصف حيدرة والعـارفون بمعنـى ذاتـه تـاهوا
إن قلـت ذا بشـرا العقـل يمنعـني و أختشـي الله مـن قـولي هـوالله

وفي شرح هذه الفقرة المباركة ينبغي التنبيه على أمور حتى يكون المخلص من الشيعة على بصيرة في فهم مراد أئمته عليهم السلام.

الأول: لم اختار الإمام عليه السلام عدم اللحوق على عدم الإدراك والمعرفة مع أن عدم الإدراك والفهم لمقاماته أقرب في مقام الاستعلاء والتنزه عن سائر المخلوقين بالنسبة إلى عدم اللحوق إذ قد يدرك الشيء في الظاهر ما لا يلحقه وقد عرفت الآن أن الإمام عليه السلام لا يدرك مقامه ولا يفرض ولا يتصوره أحد من المخلوقين ولا يعرفهم إلا الله سبحانه.

الثاني: لم خص نفسه الشريفة بعدم اللحوق مع أن الأئمة عليهم السلام كلهم كذلك لأنهم حقيقة واحدة وأحكامهم غير مختلفة.

الثالث: لم أدى هذا المطلب على جهة الاستفهام الإنكاري.

الرابع ما كيفية اللحوق وعدمه.

الخامس: في بيان شرذمة من سر المستسر في هذه الفقرة المباركة.

أما الأول فاعلم أنه قد تقرر عندنا أن العلم عين المعلوم ولا يتفارق أحدهما عن الآخر إذ لا يتصور انفكاك العلم عن المعلوم إذ ليس العلم إلا ظهور المعلوم للعالم وذلك الظهور قائم بالمعلوم لا بالعالم ولذا يوجد بوجوده ويعدم بعدمه، وليس العلم هو الظهور العام حتى يكون غير المعلوم وإلا لم

يكن العلم بالتعلقات المخصوصة علما مع أن الظهور عين المظهر إذ لوكان فيه جهة غير جهة الظهور لكان بذلك حاجبا لا مظهرا والمعلوم مظهر للعلم ولذا كان مادة المعلوم هي العلم لبيان أنه هوالعلم مع الخصوصية فإذا كان كذلك فلا يدرك الشيء ما لا يلحقه أبدا ولذا امتنع إدراك ذات الواجب سبحانه إذ لو صح إدراك شيء مع عدم الوصول إلى حقيقته صح إدراك الذات كذلك ، ولوصح ذلك لما منع الخلق من إدراك الذات ، ولما كفر الشخص إذا ادعى أنه ادرك الذات البحت تعالى وتقدس وكذا امتنع إدراك المعدولات والممتنعات والعلم بها واستحال فرض المحال لامتناع الوصول إليها لعدم شيئيتها ولذا قال عز وجل ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[1] فالإدراك يستلزم اللحوق في كل مكان فأنت حين ما تتصور البلدان البعيدة النائية عنك فقد لحقتها بخيالك و إن لم تلحقها بجسمك وما أدركتها أيضا بجسمك والخيال وإن كان من عالم الغيب ونظره أيضا إليه إلا أن عالم الشهادة عند عالم الغيب كالنقطة للدائرة ، والخيال وإن كان يدرك الأجسام بها لكنه حين بعدك الظاهري التفت إلى ذلك المكان ببصرك الظاهري الذي هو هناك فعرفه به فقد لحقه في المقام الذي أدركته وإن وقع الخطأ فإنما هو في المرآة لا في أصل الواقع ولكن في هذه الصورة لا يقع الخطأ إلا إذا كان مستمرا إلى يوم المشاهدة العيانية واللحوق الحسي ، وأما إذا كان متخالفا كما لوتصورت

---

[1] طه ١١٠

البلدة الفلانية على هيئة خاصة ثم أتيتها ووجدتها على خلاف ما كنت تتصورها فإن التصور الأول إنما كان في الغيب وحده دون الشهادة ووقوع الخطأ لعدم صقالة المرآة .

إن قلت فعلى هذا كيف لا يخطأ التصور بعد المشاهدة أو معها إذا كان لعدم صقالة المرآة .

قلت القلب إذا كان مضطربا والحواس غير مجتمعة والنفس غير قارة مطمئنة إذا طلب شيئا من اللوح المحفوظ يقع منه فيها على حسبها من عدم الاستقرار فتظهر تلك الحقيقة فيها على غير جهة الاستقامة فإذا ظهر الأمر في الواقع بعد تأكد الأسباب والقرانات وينظر إليه بعد الاستقرار تجده مخالفا لما كان تعرفه سابقا كما إذا نظرت في الماء عند الاضطراب ونظرت إليه بعله ، وعلى هذا يجوزأن يكون المراد من الإدراك مطلقا و إن كان جسميا فاللحوق حينئذ كان جسميا هذا مطلقا ، وأما المعصومون فإنهم يرون الأشياء النائية البعيدة على ما هي عليه من غير اختلاف كما روي أن الحسين عليه السلام أرى أم سلمة مصرعه ومقتله وأصحابه المستشهدين بين يديه روحي فداه وعليه سلام الله ووقع كما أراها عليها السلام من غير اختلاف وكذلك قال مولانا الصادق عليه السلام في أمر الرجعة وما أخبر من المغبة التي تنبئ لأمير المؤمنين عليه السلام و السرج المشعولة فيها وقال عليه السلام ((كأني أرى القناديل معلقة فيها كالشمس المضيئة)) وهذا كله يراه عليه السلام كما هو وكذلك الأخبار

التي تقع على المؤمنين الممتحنين عنـد اجتمـاع قلوبـهم اجتمـاع حواسـهم فإنهم يرون تلك الأحوال على ما هوعليه بأبصارهم الظاهريـة لكنـها هنـاك وذلك بخيالهم فنسبة الخيال واحدة و إن كانت نسبة الجسم متفاوتة فافهم فقـد ألقيت إليك بذرا من الجنة وسقيتها بماء الكوثر مـا أسـعدك لوحفظتـها عـن الضياع والله خليفتي عليك ولا حـول ولا قـوة إلا بـالله العلـي العظيـم فـإذا فهمت هذه الدقيقة فهمت أن اللحوق مساوق للإدراك .

تم الفراغ من العمل في هذا الكتاب المستطاب في ليلة الجمعة الليلـة الثانية العشرين من شهر ذي القعـدة الحـرام عـام ألـف وأربعمائـة وواحـد وعشرين للهجرة على مهاجرها آلاف الثناء والسلام والتحية ، وهـذه الليلـة الشريفة تصادف الذكرى المائـة والسـتين علـى رحيـل علـم الأعـلام جـامع المعقول والمنقول حاوي الفـروع والأصـول العـالم الربـاني والحكيـم الإلهـي والفقيه الصمداني مفتاح علوم أهل البيت عليهم السلام شيخ المتألهين وتاج رؤوس العلماء من الأولين والآخرين فخر الدين أحمد الإحسـائي ابـن زيـن الدين طيب الله ثراه وقدس الله نفسه وأعلى الله مقامه وأنار الله في الداريـن أعلامه المتوفى في مثل هذه الليلة مـن عـام ألـف ومـائتين وواحـد وأربعـين هجرية ، والشيخ أعلى الله مقامه هو أستاذ المصنف أعلى الله مقامـهما وأنـار الله قلوبنا من نور علومهما وعلوم مشايخنا العظام أعلـى الله كلمتـهم ، وقـد تمت طباعة هذا الكتاب والاعتناء بتصحيحة على يد ثلة من الشباب المؤمنين

الذين أطلقوا على أنفسهم لجنة السيد الأمجد قدس الله نفسه الشريفة لإحياء تراث شيخنا الأوحد ومشايخنا العظام أعلى الله كلمتهم، وقد تم العمل بأمر وإشراف حامل هذه العلوم والمدافع عنها والناشر لها المرجع الأعظم آية الله المعظم المجاهد خادم الشريعة الغراء الحاج ميرزا عبدالرسول نجل المرجع الراحل الإمام المصلح العبد الصالح الحاج ميرزا حسن الحائري الإحقاقي طيب الله ثراه، واللجنة تهدي ثواب هذا العمل إلى روحه الطاهرة رضوان الله تعالى عليه، راجين من الله القبول وحسن التوفيق.

الصفحة الأخيرة

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

أقل الناس علماً وعملاً واكثرهم جرماً وزللاً
كثير المظالم والمآثم المسمى من قبل مولاه
بأبي المكارم حسين علي المطوع
تجاوز الله عن سيئاته

استجن بها الانبات النبات واظهار الثمار وهذا الاختفاء والاستجنان هو الموت ولما كان ذلك نفس سهوتها انقطعت عنه الاوقات
والازمان فلا يوصف بمضي ولا بحال ولا باستقبال باي ازمن تقول لان ذلك ما يكون لا احين الوقوع فالعلم انما هو عند الوقوع واما القبل فلا
قبل ولو فرض فلا نبين ولا اختصاص وايضا لما كان الممكن دائم السيلان لشدة افتقاره الى الله سبحانه فلا بد له في كل آن من مدد جديد لم يكن
عنده فلم يكن علمه عنده والا لاستغنى وذلك المدد مثال فعله وهو ارض فلا يعلم الممكن ما يرد عليه من الامدادات بقوابلها وحدودها
قبل ان ترد ولما كان الحجة واقفين على باب المقدرة ومقابلين لفوارة القدر كان لهم هذا الحكم بالاصالة الحقيقية ولعلمهم بالعرض
ولما لم يكن عند الله سواهم كانوا هم المخصوصون بهذه الحجة وهم هذه الحجة التي تفرد الله بعلمها كما قال امير المؤمنين ان الله تفرد
بحجته ثم قرء هذه الآية فلا يعلمهم ولا يعلم اسرارهم على ما هم عليه الا الله سبحانه وهم يعلمهم الله سبحانه اياهم انفسهم وفي الدعاء هب لي
نفسي اهل التقوى عجز واصفو صفة صفتك والعارفون بعضها فانتم ناموا انفلت لشرارة العقل بعضي واخشى الله من تولى هو الله
وفي شرح هذه الفقرة المباركة ينبغي التنبيه على امور حتى يكون الخلص من الشيعة على بصيرة في فهم امر ائمتهم الاول لم اختار الامام عليه السلام
اللحوق على عدم الادراك والمعرفة مع ان عدم الادراك والفهم لمقاماتهم اوفق بمقام الاستعلاء والتنزه عن صفات المخلوقين بالنسبة الى
عدم اللحوق اذ قد يدرك الشيء في الظاهر ما لا يلحق وقد عرفت الآن ان الامام عليه السلام لا يدرك مقامه ولا يعرف ولا يتصوره احد من المخلوقين
ولا يعرفهم الا الله سبحانه الثاني لم خص نفسه الشريفة بعدم اللحوق مع ان الائمة عليهم السلام كلهم كذلك لانهم حقيقة واحدة واحكامهم غير مختلفة الثالث
لم ادى هذا المطلب بجهة الاستفهام الانكاري الرابع ما كيفية اللحوق وعدمه الخامس في بيان شرذمة من الاسرار المستسرة في هذه الفقرة المباركة
اما الاول فاعلم انه قد تقرر عندنا ان العلم عين المعلوم ولا ينفك احدهما عن الآخر ولا يتصور انفكاك العلم عن المعلوم اذ ليس العلم الا ظهور
المعلوم للعالم وذلك الظهور قائم بالمعلوم لا بالعالم وليس يوجد بوجوده ويعدم بعدمه وليس العلم هو الظهور العام حتى يكون غير المعلوم ولا
لم يكن العلم بالتعلقات المخصوصة علما مع ان الظهور عين المظهر اذ لو كان بغير جهة غير جهة الظهور لكان بذلك حجابا لا مظهرا والمعلوم
مظهر للعلم ولذا كان مادة المعلوم هي العلم لما انه هو العلم مع الخصوصية فاذا كان كذلك فلا يدرك الشيء الا بالحقيقة ولذا امتنع
ادراك ذات الواجب سبحانه اذ لو صح ادراك شيء مع عدم الوصول الى حقيقته صح ادراك الذات كذلك ولو صح ذلك لما امتنع الخلو من ادراك
الذات ولما كفر المتصوف اذا ادعى انه ادرك الذات البحت تعالى وتقدس وكذا امتنع ادراك المعدوم والممتنع والعلم بها واستحال فرض العلم بها
لامتناع الوصول اليها لعدم شيئيتها ولذا قال عز وجل ولا يحيطون به علما فالادراك يستلزم اللحوق في كل مكان فانك حين ما تتصور
البلدان البعيدة النائية عنك فقد لحقتها بخيالك ولذا تلحقها بجسمك وما ادركتها ايضا بجسمك والخيال وان كان من عالم الغيب فينظر
ايضا اليها الا ان عالم الشهادة هو عالم الغيب لا لنقطة الدائرة والخيال وان كان يدرك الاشباح الكثيرة حين يدرك الظاهر المقابل لذلك
ذلك المكان بمدرك الظاهر الذي هو هنالك فقد لحقته في المقام الذي ادركته وان وقع الخطاء فانما هو في المرآة لا في اصل الواقع
ولكن في هذه الصورة لا يقع الخطاء اذا كان مستمرا الى يوم المشاهدة العيانية واللحوق الحسي واما اذا كان مخالفا كما لو تصورت البلدة
الفلانية على هيئة خاصة ثم اتيتها ووجدتها على خلاف ما كنت تتصورها فان التصور الاول انما كان في الغيب وحده دون الشهادة ووقع
الخطاء لعدم صفاء المرآة ان قلت فعلى هذا كيف لا يخطأ التصور بعد المشاهدة او معها اذا كان لعدم صفاء المرآة قلت القلب في كان مضطربا
والحواس غير مجتمعة والنفس غير قارة مطمئنة اذا طلب شيئا من اللوح المحفوظ يقع منه فيها على حسبها مع عدم الاستقرار فيظهر تلك الحقيقة فيها على
جهة الاستقامة فاذا ظهر الامر الواقع بعد تأكد الاسباب والقرائنات ونظر اليه بعد الاستقرار يجده مخالفا لما كان تعرفه سابقا كما اذا نظر
في الماء عند الاضطراب فينظر اليه بعده وعلى هذا يجوز ان يكون المراد من الادراك مطلقا وان كان جسمانيا فاللحوق ح كان جسمانيا هذا مطلقا
واما المعصومون عليهم السلام فانهم يرون الاشياء النائية البعيدة على ما هو عليه من غير اختلاف كما روي ان الحسين عليه السلام ارى ام سلمة مصرعه ومقتله ومحله
المستشهدين بين يديه ويوم قتله وجرى ووقع كما اراها من غير اختلاف وكذلك قال مولانا الصادق عليه السلام في امر الرجعة وما اخبر من القبة التي تبنى
لامير المؤمنين عليه السلام وكثرة المشعولة فيها وقال عليه السلام كاني ارى القناديل معلقة فيها كالشمس المضيئة وهذا كله ترى كما هو وكذلك الاخبار التي تقع على المنبر
المنصب عند اجتماع قلوبهم واجتماع حواسهم فانهم يرون تلك الاحوال على ما هو عليه بابصارهم الظاهرة لكنها هنالك وذلك بخيالهم فنسبة
الخيال واحدة وان كانت نسبة الجسم متفاوتة فانهم عند العنب اليك بدلا من الجنة وسقيها بماء الكوثر ما اسعدك لو حفظتها عن الضياع والله
خليفتي عليك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاذا تبينت هذه الدقيقة فهمت ان اللحوق مساو للادراك   قد تم بحمد الله [illegible]

الصفحة الأخيرة من هذا الكتاب المستطاب

فهرس

الموضوع	الصفحة

وقف مكتبة
أحمد بدر يعقوب غريب

